تفسير
كتاب الله العزيز

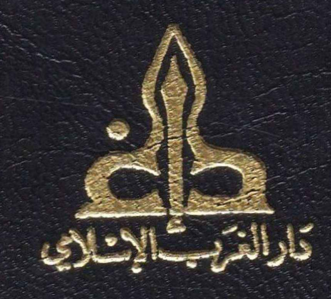
للشيخ هود بن محكم الهواري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الثالث



تفسير

كتاب الله العزيز

الجزء الثالث

تفسير

كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن مُحكّم الهوّاري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلّق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الثالث



الطبعة الأولى

1990

دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113
بيروت - لبنان

تفسير سورة مريم
وهي مكية كلها[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾. كان الكلبي يقول: كاف، هاد، عالم، صادق؛ ويقول كاف لخلقه، هاد لعباده، عالم بأمره، صادق في قوله. وكان الحسن يقول: لا أدري ما تفسيره، غير أن قوماً من أصحاب النبي عليه السلام كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها.

قال: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّاءَ ﴾ يقول: ذكره لزكرياء رحمة من الله له[2].

---

(1) لم أتمكن من الحصول في مخطوطة القرارة، ولا في مخطوطة جربة على الربع الثالث من هذا التفسير. وهذا الربع الثالث منه موجود في مخطوطة العطف ونقص من أوله نحو ورقة من القطع الكبير؛ وموجود أيضاً في مكتبة القطب ببني يسجن التي لا يوجد فيها من كامل الكتاب إلا هذا الربع. وأرمز له بحرف الباء هكذا: ب. وقد ضاع منه أيضاً نحو ورقة من القطع المتوسط. ورأيت من الأحسن، لاستكمال هذا النقص أن أرجع إلى مخطوطة تفسير ابن سلام نفسه، فنقلت منها تفسير الآيات الأولى من هذه السورة.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل الآية، وللآية وجوه أخرى ذكرها المفسّرون تتّضح بإعرابها. فمنها ما أورده أبو الفتح ابن جني في كتابه المحتسب ج 2 ص 37 عندما أشار إلى قراءة الحسن: (ذَكَّرَ رحمةَ رَبِّك) قال: «فاعل ذكّر ضمير ما تقدّم، أي: هذا المتلوُّ من القرآن الذي هذه الحروف أوّله وفاتحته يُذَكِّر رحمةَ ربك... وعلى هذا أيضاً يرتفع قوله: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ)، أي هذا القرآن ذكر رحمة ربك. وإن شئت كان تقديره: مما يُقصُّ عليك، أو يُتلى عليك ذكرُ رحمة ربِّك عبدَه زكرياء».

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ﴾ أي: دعاء لا رياء فيه، في تفسير الحسن. وقال قتادة: خفياً: سرّاً.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي ﴾ أي: ضعفت العظام مني، في تفسير قتادة. وقال الحسن: ضعف. قال يحيى: ضعف العظم مني: رقّ.

قال: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَم أَكُنْ بِدُعَائِكَ ﴾ أي: لم أكن بدعائي إياك ﴿ رَبِّ شَقِيّاً ﴾. يقول: لم أزل بدعائك سعيداً لم ترده عليّ. وقال الكلبي: لم يكن دعائي مما يخيب عندك.

قوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ المَـوْلِيَ ﴾ أي الورثة من بعدي، يعني العصبة وهو تفسير السدي، الذين يرثون ماله. فأراد أن يكون من صلبه من يرث نبوّته[1] في تفسير قتادة، ويرث ماله. وتفسير الحسن: يرث علمه ونبوّته.

سعيد قال قتادة: قال رسول الله ﷺ: رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثة[2]. وحدثنا المبارك بن فضالة والحسن بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثة[2].

قوله: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ أي: لا تلد ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ملكَهم وسلطانَهم[3]. كانت امرأة زكرياء من ولد يعقوب؛ ليس يعني يعقوب الأكبر، إنما يعني يعقوب دونه. ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾.

---

(1) جاء في سع، 21 ظ: «يرث ماله في تفسير قتادة ويرث ماله». ولعله سهو من الناسخ لم يُصحَّح، فأثبت ما رأيته صواباً إن شاء الله تلافياً للتكرار.

(2) هكذا في سع ورقة 21 ظ: «ما كان عليه من ورثته». وفي تفسير ابن كثير: «من وراثة ماله». وهما حديثان مرسلان أخرجهما ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال عنهما ابن كثير: «وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم». والقول الراجح الذي عليه بعض المحققين أنه يقصد وراثة نبوّة وعلم وأخلاق.

(3) من هنا تبتدىء مخطوطة بن يسـجـن، ب، أما مخطوطة العطف فلا تبتدىء إلا فيما يلي، عند تفسير قوله تعالى: (قَالَتِ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً) بعد حوالي صفحتين.

فأوحى الله إليه: ﴿ يَـٰزَكَرِيَّـا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُ يَحْيَـىٰ ﴾ أي: أحياه الله بالإيمان.

قوله: ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ﴾ أي: لم نسمّ به أحداً قبله يحيى. وقال ابن عباس: لم تلد العواقر مثله، يقول: سمياً يساميه، [أي] نظيراً له في ذلك.

قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ ﴾ أي: من أيْنَ يكون لي غلام ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ لا تلد ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عُتِيّاً ﴾. قال الحسن: أراد زكرياء أن يعلم كيف ذلك.

قوله: (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عُتِيّاً) قال مجاهد: قحول العظم[1]. وقال الكلبي: العتي: اليبس وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِـيّاً)[2]. قال بعضهم: يبس جلدي على عظمي. وقال بعضهم: (عُتِيّاً)، أي غاية ومنتهى.

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ الله يقوله. وهو كلام موصول؛ أخبره المَلَك عن الله أني أعطيك هذا الولد. ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ زكرياء ﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴾ أي صحيحاً. أي لا يمنعك من الكلام مَرَض.

قال بعضهم: إنما عوقب لأنه سأل الآية بعدما شافهته الملائكة مشافهة، فبشّرته بيحيى عليه السلام، فأُخِذَ عليه لسانه فجعل لا يفيض الكلام، أي لا يبين الكلام إلا

---

(1) في ب، وفي تفسير الطبري، وفي الدر المنثور: «نحول العظم»، بالنون، وأصحّ منه ما أثبته: «قحول العظم» بالقاف، وهو ما ورد في سع ورقة 21 ظ، وفي زاد المسير لابن الجوزي، ج 5 ص 211. وكان هذا تفسير لقوله: (إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي). يقال: قحل الشيخ: «إذا التزق جلده على عظمه من الهزال والبلى». انظر اللسان: (قحل).

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 162: «وقرأ ابن عباس (عُسِيّاً) وأنت قائل للشيخ إذا كبر: قد عثا وعسا، كما يقال للعود إذا يبس.

ما أومأ إيماء، وهو قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً﴾ [آل عمران: ٤١].

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ قال الحسن: من المسجد ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أومأ إليهم. وقال مجاهد: أشار إليهم ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ قال الحسن: أي: صلوا لله بالغداة والعشي.

قوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجدّ. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ أي: الفهم والعقل. وبلغنا أنه كان في صغره يقول له الصبيان: يا يحيى تعال نلعب؛ فيقول: ليس للعب خُلِقنا.

قوله: ﴿وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا﴾. قال مجاهد: تعطُّفاً عليه من ربه. وقال الحسن وقتادة: الحنان الرحمة، وهو واحد.

قوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾. قال: الزكاة العمل الصالح. وهو قوله في سورة طَهَ: ٧٦: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾. وقال الحسن: زكاة لمن قُبِل عنه حتى يكونوا أزكياء. وقال الكلبي: الزكاة الصدقة.

قوله: ﴿وَكَانَ تَقِيّاً﴾ ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما من آدمي إلا قد عمل خطيئة أو همّ بها غير يحيى بن زكرياء[1].

قوله: ﴿وَبَرّاً بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [يعني مطيعاً لوالديه][2] ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ أي مستكبراً عن عبادة الله وطاعته.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ ذكر الحسن أن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له يحيى: استغفر

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 6 ص 377 (ط. دار المعارف)، وبزيادة ننزه مقام الأنبياء عنها. ورواه مرة أخرى في ج 16 ص 58 بدون زيادة، كما أخرجه ابن أبي حاتم، كلاهما يرويه من طريق سعيد بن المسيب عن ابن العاص مرفوعاً وموقوفاً. وانظر تفسير ابن كثير ج 4 ص 35.

(2) زيادة من سع، ورقة 21 ظ.

لي، أنت خير مني. فقال له عيسى: أنت خير منّي: سلّمتُ على نفسي، وسلّم الله عليك. قال الحسن: عرف واللّهِ فضلَه. وإنما يعني بقوله: سلّم الله عليك قوله تعالى في يحيى: (وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً). وقال عيسى: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَـٰرَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ. . .) إلى قوله: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً) [مريم: ٣٣].

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَـٰبِ مَرْيَمَ ﴾ يقول للنبي عليه السلام: اقرأ عليهم أمر مريم ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ ﴾ يعني إذ انفردت ﴿ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعني جبريل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ أي سوي الخلق. أرسل إليها جبريل في صورة آدمي.

وقال الكلبي: كان زكرياء كفل مريم، وكانت أختها تحته[1]. وكانت تكون في المحراب. فلما أدركت كانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله، إلى أختها. فإذا طهرت رجعت إلى المحراب. فطهرت مرة، فلما فرغت من غسلها قعدت في مشرقة[2] في ناحية الدار وعلّقت عليها ثوباً سترة. فجاء جبريل إليها في ذلك الموضع. فلما رأته ﴿ قَالَتْ ﴾ له: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَـٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ أي: إن كنت للّه تقياً فاجتنبني. ﴿ قَالَ ﴾ يعني جبريل قال: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰماً زَكِيّاً ﴾ أي: صالحاً.

---

(1) في ب و ع: «وكانت خالتها تحته»، وفي سع 22 و: «وكانت أختها تحته». وهذا راجع إلى اختلاف المؤرخين والمفسرين حول امرأة زكرياء هل كانت أختاً أو خالة لمريم. أما الطبري فيروي في تاريخه ج 1 ص 585 قائلاً: «. . . فلما ولدت مريم كفلها زكرياء بعد موت أمها، لأن خالتها، أخت أمها، كانت عنده. واسم أم مريم حنة بنت فاقود بن قبيل، واسم أختها أم يحيى الاشباع ابنة فاقود».

(2) كذا في ب وفي ز ورقة 201: «مشرقة» وفي سع مشرفة، وفي ع: شرقة، والصحيح ما جاء في ب وز وع: مشرقة أو شرقة. وفيما جاء في سع تصحيف. والمشرُقة هو موضع القعود للشمس، و«خصّ بعضهم به الشتاء». وقال الفراء: «يقال: في مشرُقة دار أهلها». انظر اللسان (شرق).

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ ﴾ أي من أين يكون لي غلام. وقال بعضهم: كيف يكون لي غلام ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ﴾ أي: ولم أك زانية. ﴿ قَالَ: كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أن أخلقه ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: لمن قبل دينه. قال: ﴿ وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً ﴾ أي: كائناً. [قال بعضهم: يعني كان عيسى أمراً من الله مكتوباً في اللوح المحفوظ أنه يكون [1]. فأخذ جبريل جيبها بأصبعه فنفخ فيه فسار[2] إلى بطنها فحملت.

قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ قال الحسن: تسعة أشهر في بطنها. وقال بعضهم في قوله: (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً) أي: سترة من الأرض بينها وبينهم. ﴿ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾ أي منتحياً. أي: انفردت به مكاناً شاسعاً منتحياً.

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ قال مجاهد: فألجأها المخاض[3] ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ قال الحسن: مما خشيت من الفضيحة. ﴿ وَكُنْتُ نِسْياً ﴾ لا أذكر ﴿ مَّنْسِيّاً ﴾ أي: لم أذكر.

وقال بعضهم: شيئاً لا يعرف ولا يذكر. وذكر بعضهم فقال: حيضة نسيتها. وقال بعضهم: المرأة النسوء[4]. وقال الكلبي: (نِسْياً مَّنْسِيّاً) قال القوم ينزلون المنزل

---

(1) زيادة من سع ورقة 22 و، ومن ز ورقة 202.

(2) كذا في ب و ع: «فسار»، وفي سع و ز: «فصار».

(3) كذا في ب وفي تفسير مجاهد ص 385. وأصحّ منه اشتقاقاً وأدق تفسيراً ما أورده الفراء في المعاني ج 2 ص 164 قال: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ) من جئت، كما تقول: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة. فلما ألقيت الباء جعلت في الفعل ألفاً؛ كما تقول: آتيتك زيداً تريد: أتيتك بزيد. ومثله (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) فلما ألقيت الباء زدت ألفاً، وإنما هو ائتوني بزبر الحديد». وقد نقل الطبري في تفسيره ج 16 ص 63 هذا الشرح اللغوي وذكر نفس الأمثلة والشواهد، ولكنه لم ينسب الشرح إلى صاحبه.

(4) في سع ورقة 22 و: «قال حماد: النسوء التي يُظَنّ بها حمل فلا يكون كذلك». وأصل الكلمة من نسأ، لا من نسي.

ثم يرحلون فينسون الشيء، فيسمّى ذلك الشيء النسيَ.

قوله: ﴿ فَنَادَيٰهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ أي: الملَك، يعني جبريل. وقوله: تحتها، أي تحتها من الأرض. وقال بعضهم: (فَنَادَيٰهَا مَنْ تَحْتَهَا) يعني عيسى. ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾.

ذكروا عن البراء بن عازب قال: هو الجدول. وقال بعضهم: السري هو الجدول، وهو النهر [الصغير]، وهو بالسريانية: سري(1).

قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾ وهي تقرأ: تَساقط ويُساقط. فمن قرأها يساقط يقول: يساقط عليك الجذع. وكان جذع النخلة يابساً وكان آية. ومن قرأها تساقط بالتاء فهو يقول: تساقط عليك النخلة رطباً جنياً. [أي حين اجتني](2).

قوله: ﴿ فَكُلِي ﴾ أي من الرطب ﴿ وَاشْرَبِي ﴾ أي من الجدول ﴿ وَقَرِّي عَيْناً(3) فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً ﴾ قال بعضهم: كانت تقرأ في الحرف الأول: صمتاً. وذكروا عن أنس بن مالك أنه كان يقرأها صوماً صمتاً(4).

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾ قال بعضهم: بلغني أنه أذن لها في هذا الكلام(5).

---

(1) تفسير السري بالجدول هو ما ذهب إليه الجمهور، وبعض المفسرين ذهب إلى أن السري يعني السيد الكريم المحمود الخصال.

(2) زيادة من سع ورقة 220 و ومن ز ورقة 202.

(3) في المخطوطات اضطرب في العبارة وتقديم وتأخير أرجعت كل كلمة إلى ما يناسبها من التفسير.

(4) كذا في سع و ب: «صوما صمتاً»، وفي ع: «صوما وصمتاً». وقد وردت الرواية بالواو وبدونه في بعض التفاسير، ونسبت هذه القراءة أيضاً إلى أبي بن كعب.

(5) كذا في سع و ز، وفي ع و ب: «لم يؤذن لها في الكلام، والصحيح ما أثبته كما جاء في سع و ز، كأنه يقول: لم يؤذن لها إلا في هذا الكلام».

وقال بعضهم: إنما كانت آية جعلها الله لها يومئذ. وإن شئت رأيت امرأة سفيهة تقول: أصوم صوم مريم ولا تتكلم في صومها[1].

قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ أي أتيت شيئاً عظيماً.

﴿ يَـٰأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾ أي: رجل سوء، يعني ما كان أبوك زانياً. ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾ أي: ما كانت أمك زانية.

قال بعضهم: ليس بهـٰرون أخي موسى، ولـٰكنه هـٰرون آخر كان يسمى هـٰرون الصالح المحبّب في عشيرته[2]. ذكر لنا أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل. أي: فقالوا لها: يا شبيهة هرون في عبادته وفضله ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً.

قوله: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أي: بيدها. قال بعضهم: أي أمرتهم بكلامه. ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ ﴾ أي من هو ﴿ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ﴾. قال بعضهم: المهد هو الحجر[3].

﴿ قَالَ ﴾ عيسى ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْـٰنِيَ الْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَـٰرَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾. قال بعضهم: جعلني معلماً ومؤدباً.

ولا أحد أيمن ولا أعظم بركة من المعلم المؤدب، الفقيه العالم؛ يعلّم الناس

---

(1) كذا وردت العبارة في سع، وفي ب وع: «وإذا رأيت امرأة سفيهة...»، وكلتا العبارتين لا تفيدان معنى واضحاً. وأوضح منهما ما جاء في تفسير الطبري ج 16 ص 75 منسوباً إلى قتادة في قوله: (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْماً) قال: «في بعض الحروف صمتاً. وذلك أنك لا تلقي امرأة جاهلة تقول: نذرت كما نذرت مريم ألّا تكلم يوماً إلى الليل. وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها. ولا يحل لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل».

(2) كذا في سع، وفي ب وع: «المصلح المخبت في عشيرته».

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 167: «ويقال: إن المهد حِجرها وحَجرها، ويقال: سريره، والحِجر أجود».

الحكمة ويؤدّبهم عليها، ويفقههم فيها. فمقامه مقام الأنبياء، وحقّه حق الأصفياء، وما يفضلهم الأنبياء إلا بالرسالة[1].

﴿ وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بِوَٰلِـدَتِي ﴾ أي: وجعلني بَراً بوالدتي. ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً ﴾ أي: مستكبراً عن عبادة الله[2]، ولم يجعلني ﴿ شَقِيّاً وَالسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾. ولم يتكلم بعد ذلك بشيء حتى بلغ مبلغ الرجال.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ ﴾ قال الحسن: الحق هو الله[3]؛ وهو قوله: (قَوْلُهُ الْحَقُّ) [الأنعام: ٧٣] ﴿ الذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾.

قال بعضهم: امترت فيه اليهود والنصارى؛ أما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب، وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، وإلـه.

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُ ﴾ ينزه نفسه عما يقولون. ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾. [يعني عيسى، كان في علمه أن يكون من غير أب][4].

قوله: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِـرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ هذا قول عيسى لهم.

---

(1) هذه الفقرة من زيادات الشيخ هود الهواري؛ وهذا كلام عالم مجرّب عارف بمقام العلماء المتّقين المخلصين الذين هم بحق ورثة الأنبياء. فتأمل كلامه فإنه نفيس. عسى الله أن ينفعنا به وإياك، ويفقهنا في ديننا، ويوفقنا إلى العمل بما في كتابه، وسنة نبيه عليه السلام، لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وتعليم الناس الخيرَ. وهذا يبيّن لنا جانباً من جوانب شخصية الشيخ هود العلمية، فهو يجلّ العلماء والعاملين المخلصين.

(2) كذا في المخطوطات وفي سع. وقال الفراء: «الجبّار الذي يقتل على الغضب ويضرب على الغضب».

(3) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 168: «والحق في هذا الموضع يراد به الله. ولو أريد به قول الحق، فيضاف القول إلى الحق، ومعناه القول الحق كان صواباً. كما قيل: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) [الواقعة: ٩٥]، فيضاف الشيء إلى مثله...»

(4) زيادة من سع، ورقة 22 ظ. والقول للسدي.

ذكر جماعة من العلماء في عيسى بن مريم أن مريم لم تلد من فرجها، وإنما كان خروجه من الخاصرة. وبعضهم يقول: من تحت إبطها، والله أعلم[1].

قوله: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أن عيسى لما رُفع انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للأول: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله، هبط إلى الأرض فخلق ما خلق، وأحيى ما أحيى، ثم صعد إلى السماء. فتابعه على ذلك أناس من الناس. فكانت اليعقوبية من النصارى. فقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب. فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله. فتابعه على ذلك أناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى. فقال الاثنان: نشهد أنك كاذب. فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو إله، وأمه إله، والله إله. فتابعه أناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى. فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه. فاختصم القوم؛ فقال المسلم: أناشدكم الله، هل تعلمون أن عيسى كان يأكل الطعام وأن الله لا يطعم الطعام؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام، وأن الله لا ينام؟ قالوا: اللهم نعم، فخصمهم المسلم، فاقتتل القوم. فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران: ٢١]. قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

قوله: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ أي يوم القيامة، أي: ما أسمعهم يومئذ وما أبصرهم! أي: سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم

(1) هذا غير وارد في سع ولا في ز، ويبدو أنه من زيادة بعض النساخ المولعين برواية غرائب الإسرائيليات.

البصر[1]. قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ الظَّٰلِمُونَ ﴾ يعني المشركين والمنافقين ﴿ الْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه ذكر حديثاً في البعث فقال: فليس من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار، فيقال لصاحب النار: هذا منزلك لو أطعت الله[2]، فتأخذه الحسرة. ويقال لصاحب الجنة: هذا منزلك، لولا أن الله منّ عليك؛ فهو قوله: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ).

وذكروا عن بعض أصحاب النبي عليه السلام أنه قال: يجاء بالموت في صورة كبش أملح أبلق ـ وهو الذي يخالط بياضَه شيءٌ من سواد[3] ـ حتى يجعل على سور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة ويا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ هذا الموت[4]. فيقولون: نعم، فيذبح على السور وهم ينظرون. ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. فهو قوله عز وجل: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ).

ذكروا عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ينادي مناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وكل خالد فيما هو فيه[5].

---

(1) في ب وفي ع جاءت العبارة هكذا: «سمعوا حيث لا ينفعهم السمع وأبصروا حيث لا . . .» وأثبت ما جاء في سع 22 ط، وفي ز ورقة 203، فهو أصح وأبلغ.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 22 ظ: «فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة، قال: ثم يقال: لو عملتم فتأخذهم الحسرة».

(3) هذا الشرح اللغوي لكلمة أبلق انفردت به مخطوطة ب، وكأنها زيادة من ناسخ.

(4) في ع: «هذا ملك الموت» وهو خطأ انفردت به هذه المخطوطة، ولم أجده في تفسير.

(5) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه البخاري عن ابن عمر في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء عن أبي سعيد (رقم 3849) وعن ابن عمر (رقم 2850)، وأخرجه الترمذي وابن ماجه بألفاظ أكثر تفصيلاً.

قوله: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ أي في الدنيا. وهذا كلام مستقبل ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني المشركين.

قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي: نهلك الأرض ومن عليها ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم البعث.

قوله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: اذكر لأهل مكة أمر إبراهيم واقرأه عليهم. ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾ يعني الأصنام.

﴿ يَـٰأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ يعني النبوّة. ﴿ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَٰطاً سَوِيّاً ﴾ أي: عدلاً، وهو الإسلام، أي: طريقاً مستقيماً إلى الجنة.

﴿ يَـٰأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَـٰنَ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيّاً ﴾ أي: إن عبادة الوثن عبادة الشيطان، لأن الوثن لم يدعه إلى عبادة نفسه، ولكن الشيطان دعاه إلى عبادته. كقوله: (إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَـٰثاً) إلا أمواتاً، شيئاً ليس فيه روح، (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰناً مَّرِيداً ﴾ [النساء: ١١٧].

قوله: ﴿ يَـٰأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيّاً ﴾ أي: إذا نزل بك العذاب لم تقبل توبتك، وما لم ينزل بك العذاب فتوبتك مقبولة إن تبت. وقد كان إبراهيم يرجو أن يتوب أبوه. فلما مات على الكفر ذهب ذلك الرجاء.

قوله ﴿ قَالَ: أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰإِبْرَٰهِيمُ ﴾ أن تعبدها. ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ أي: عن شتمها وذمها ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ أي بالحجارة فأقتلنك بها ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ أي واهجرني سالماً. قال مجاهد: واهجرني حيناً. وقال الحسن: واهجرني طويلاً، أي: أطل هجراني.

﴿ قَالَ: سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾. قال الحسن: وهذه كلمة حِلم. ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ أي: بدعائي فلا يرده عليّ. وفي تفسير الكلبي: إنه كان بي

رحيماً. وقال بعضهم: كان بي لطيفاً. وقال بعضهم: الحفي: ذو المنزلة[1]. وأما قوله: (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ) فهو كقوله: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) [التوبة: ١١٤].

قوله: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أصنامهم ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾ أي: عسى أن أسعد به.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴾ أي إبراهيم وإسحـٰق ويعقوب.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّنْ رَحْمَتِنَا ﴾ أي: النبوة ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾ أي: سنة يَقتدي بها من بعدهم، ويثني عليهم من بعدهم. كقوله عز وجل: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ) [الشعراء: ٨٤] أي: الثناء الحسن. وهو قوله: (وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) [العنكبوت: ٢٧] أي: أبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَـٰبِ مُوسَىٰ ﴾ [يقول اذْكُرْ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَمْرَ مُوسَىٰ]، أي: اقرأه عليهم. ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً وَنَادَيْنَـٰهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ ﴾ أي: أيمن الجبل، وهو كقوله: (فَلَمَّا أَتَيْهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) [سورة طَهَ: ١١ - ١٢] قوله: ﴿ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيّاً ﴾ أي: حين كلّمه الله. ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيّاً ﴾ أي: جعله الله وزيراً وأشركه معه في الرسالة.

قوله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ أي: اقرأ عليهم أمر إسماعيل ابن إبراهيم ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً ﴾ ذكروا أن إسماعيل وعد رجلاً موعداً فجاء الموعد فلم يجد الرجل، فأقام في ذلك الموضع حولاً ينتظره[2].

---

(1) انفردت بهذا القول مخطوطتا ب و ع؛ ولم أفهم له وجهاً ولم أجد في كتب التفسير معنى يشبهه. والصحيح أن الحفي هو «المبالغ في البر والإلطاف».

(2) هذا قول ابن عباس. وقال الرقاشي: اثنين وعشرين يوماً. وقال مقاتل: ثلاثة أيام. وقال الطبري رواية عن سهل بن عقيل: يوماً وليلة.

قوله: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ ﴾ وأهله قومه. ﴿ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ أي: قد رضي عنه.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيـاً وَرَفَعْنَٰهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾، قال بعضهم: في السماء الرابعة. ذكروا عن مجاهد أنه قال: لم يمت، رفع كما رفع موسى[1].

قوله عز وجل: ﴿ أُولَٰئِكَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي: أنعم الله عليهم بالنبوة، يعني من ذكر منهم من أول السورة إلى هذا الموضع. ﴿ مِنْ ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ أي: ذرّيّة من كان في السفينة مع نوح. كان إدريس من ولد آدم قبل نوح، وكان إبراهيم من ذرية نوح.

قال عز وجل: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيـمَ وَإِسْرَٰئِيـلَ ﴾ وهو يعقوب، وهو من ذرية إبراهيم. وقد ذكر فيها من كان من ولد يعقوب. قال عز وجل: ﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ﴾ للإيمان ﴿ وَاجْتَبَيْنَا ﴾ بالنبوة. وتفسير اجتبينا: اخترنا، وهو أيضاً اصطفينا. ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾.

قوله: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خلْفٌ ﴾ يعني اليهود ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ وقال في سورة النساء: (وَيُرِيدُ الذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) [النساء: ٢٧] أي: تخطئوا خطأً كبيراً، يعني اليهود في نكاح بنات الأخ. وقال بعضهم: يعني المنافقين، أهل التضييع للصلاة[2].

(1) روى الفراء ـ على غير ما عهدنا منه ـ خبراً غريباً في ج 2 ص 170 من المعاني فقال في تفسير الآية: «ذكر أن إدريس كان حُبِّبَ إلى ملك الموت حتى استأذن ربّه في خُلّته. فسأل إدريس ملكَ الموت أن يريَه النار، فاستأذن ربّه فأراها إياه، ثم استأذن ربّه في الجنة فأراها إياه فدخلها. فقال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج منها أبداً. لأن الله قال: (وَإِن مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) فقد وردتها، يعني النار، وقال: (وَما هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) فلست بخارج منها إلا بإذنه ـ فقال الله: بإذني دخلها فدعه، فذلك قوله: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً)». وهذا من نسيج خيال القصاص ومن قبيل الإسرائيليات التي كان لها سوق رائجة في ذلك العهد.

(2) هذا القول الأخير أقرب إلى حقيقة التأويل. وهو يصدُق على كثير ممّن ينتمي إلى الإسلام =

قال عز وجل: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هو واد في جهنم بعيد القعر، خبيث الطعم.

قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ أي: ولا ينقصون من حسناتهم شيئاً.

قال عز وجل: ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: عدن بطنان الجنة، وبلغنا أن الجنان تنسب إليها، وقال الحسن: عدن اسم من أسماء الجنة.

قوله: ﴿ التِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالغَيْبِ ﴾ أي: وعدهم في الدنيا الجنةَ في الآخرة، والغيب: الآخرة في قول الحسن. وقال بعضهم في قوله عز وجل: (يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ) [البقرة: ٣] أي: بالبعث وبالحساب. وبالجنة وبالنار. وهذا كله غيب.

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ﴾ أي: جائياً[1].

قوله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي في الجنة ﴿ لَغْواً ﴾ قال بعضهم: كذباً. وقال بعضهم: باطلاً، وقال بعضهم: معصية، وهو نحو واحد. وقال بعضهم: حَلِفاً، أي: إذا شربوا الخمر، كما يحلف أهل الدنيا إذا شربوا.

قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا سَلَـٰماً ﴾ أي: إلا خيراً. وقال بعضهم: يسلم بعضهم على بعض.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ قال بعضهم: ولهم رزقهم فيها كل ساعة، والبكرة والعشي ساعتان من الساعات، وليس ثمَّ ليل، وإنما هو ضوء ونور.

= اليوم، الذين أضاعوا الصلاة إما بتأخيرها عن أوقاتها، كما ذهب إلى ذلك ابن مسعود في تأويل الآية، وإما بترك الصلاة. كما رجحه الطبري. وأغلب الذين يُضيعون الصلاة هم الذين يتّبعون الشهوات.

(1) كذا في المخطوطات، وقال الفراء: «ولم يقل: آتيا. وكل ما أتاك فأنت تأتيه؛ ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليّ خمسون سنة، وكل ذلك صواب».

قال بعضهم: بلغنا أنه يعني ساعتي الغداء والعشاء، وليس ثمّ بكرة ولا عشية. قال: وبلغنا أنه إذا مضى ثلاث ساعات أتوا بغدائهم، وإذا انقضت[1] ثلاث ساعات أتوا بعشائهم. ومقدار النهار اثنتا عشرة ساعة في عدد نهار الدنيا.

ذكروا عن سعيد بن المسيّب قال: قال رسول الله ﷺ: الجنة بيضاء تتلألأ، وأهلها بيض، لا ينام أهلها، وليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل يظلم ولا حر ولا برد يؤذيهم[2].

ذكر الحسن قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة آخرهم دخولاً، فيقال له: انظر ما أعطاك الله. فيفسح له في بصره، فينظر إلى مسيرة مائة سنة كله له. ليس فيه موضع شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ والياقوت. فيها أزواجه وخدمه، يغدى عليه كل يوم بسبعين ألف صحفة من ذهب، ويراح عليه بمثلها، في كل واحدة منها لون ليس في الأخرى؛ يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، لو نزل به الجن والإنس في غداء واحد، أو قال: في غداة واحدة، لأوسعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده شيئاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده إن أسفل أهل الجنة منزلة الذي يسعى بين يديه سبعون ألف غلام، ما منهم غلام إلا وبيده صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها مثله، يجد طعم أولها كله وآخرها ويجد لذة آخرها كطعم أولها لا يشبه بعضها بعضاً. ثم قال: ألا تسألوني عن أرفع أهل الجنة درجة؟ قالوا: بلى. قال: والذي نفسي بيده إن أرفع أهل الجنة درجة للذي يسعى عليه مائة ألف غلام[3]، ما منهم غلام إلا وبيده صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها مثله، ويجد طعم أولها كما يجد طعم آخرها، لا يشبه بعضها بعضاً. وإن أدنى أهل الجنة منزلة للذي له مسيرة ألف سنة، ينظر إلى أقصاها كما ينظر إلى

(1) كذا في ع وب: «وإذا انقضت» وهو الصحيح، وفي سع ورقة 23 ظ: «فإذا بقيت».
(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.
(3) كذا في ع وفي ب، وفي سع: «سبعمائة ألف غلام».

أدناها، وقصوره درة بيضاء وياقوتة حمراء، مطردة فيها أنهارها، وفيها ثمارها متدلية[1].

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الجَنَّةُ ﴾ أي التي وصف ﴿ التِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً ﴾. ذكر بعضهم قال: إن الله تبارك وتعالى قال: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

قوله: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ قال بعضهم: هذا قول جبريل عليه السلام. احتبس عن النبي عليه السلام في بعض الوحي، فقال نبي الله عليه السلام: ما جئت حتى اشتقت إليك. فقال جبريل: (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ)[2].

﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من أمر الآخرة. ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ أي من أمر الدنيا، أي: إذا كنا في الآخرة ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ من أمر الدنيا والآخرة. وقال الكلبي: هو البرزخ، يعني ما بين النفختين. قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ ولكن الأمر إليه ليس إلينا[3].

﴿ رَبُّ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِ ﴾ قال الحسن: أي: لما فرض عليك. قوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ أي: هل تعلم له عدلاً، أي من قبل المساماة.

ذكروا عن الحسن قال: الله والرحمٰن اسمان ممنوعان لم يستطع أحد من

---

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني، واللفظ له، عن أنس ابن مالك. وقال الحافظ المنذري: رواته ثقات.

(2) أورد عكرمة وقتادة والضحاك والكلبي هذا الخبر بلفظ: قال رسول الله ﷺ: أبطأت عليّ حتى ساء ظني وحتى اشتقت إليك. وأخرج البخاري في كتاب التوحيد، باب: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت: (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ) انظر السيوطي، الدر المنثور، ج 4 ص 278، وتفسير القرطبي ج 11 ص 128 - 129.

(3) وردت هذه العبارة في ب و ع دون سع و ز. وهذا يدل على أن المخطوطات ليست واحدة.

الخلق أن ينتحلها. وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ على الاستفهام أي: إنك لا تعلمه. أي: لا سمي يخلق كخلقه، ويرزق كرزقه. وهو من باب المساماة.

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ﴾ هذا المشرك يكذب بالبعث. وقد ذكروا أنه قول أُبَيّ بن خلف للنبي عليه السلام حيث جاءه بعظم نخر ففتّه بيده ثم قال: يا محمد، أيحيي الله هذا؟ وتفسيره في سورة يٓسٓ.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾ أي: فالذي خلقه ولم يكن شيئاً قادر على أن يبعثه يوم القيامة. ثم أقسم بنفسه فقال:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ وَالشَّيَـٰطِينَ ﴾ الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان. ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جُثِيّاً ﴾ أي على ركبهم[1]. وهذا قبل دخولهم النار. وقال بعضهم: جثياً، أي: جماعة جماعة. وقال الكلبي: جميعاً، كل أمة على حدتها.

قوله: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ أي: من كل أمة. قال الحسن: يعني كفارها. ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَـٰنِ عُتِيّاً ﴾ أي: كفراً. وقال الحسن: شدة في المساءة. وقال الكلبي: أشد معصية.

ذكر بعضهم قال: إذا كان يوم القيامة قال الجبار: (لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ) فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه: (للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ اليَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ) [غافر: ١٦ - ١٧]. ثم أتت عنق من النار تسمع وتبصر وتتكلم حتى إذا أشرفت على رؤوس الخلائق، نادت بصوتها[2]: ألا إني قد وكلت بثلاثة، ألا إني قد وكلت بثلاثة: بمن ادعى مع الله إلـٰهاً آخر، أو قال: بمن جعل مع الله إلـٰهاً آخر، وبمن ادعى لله ولداً، وبمن زعم أنه العزيز الحكيم. ثم

---

(1) هذا هو القول الراجح، وهو جمع جاث، كما أن «بُكِيّاً» جمع باك. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 9: «خرّج مخرج فاعل، والجميع فعول، غير أنهم لا يدخلون الواو في المعتل».

(2) في ب وع: «أشرفت على النار قالت بصوتها». والصحيح ما أثبته من سع ورقة 27 و.

صوبت رأسها وسط الخلائق فالتقطتهم كما يلتقط الحمام حب السمسم، ثم غاصت بهم فألقتهم في النار.

ثم عادت حتى إذا كانت مكانها نادت: إني قد وكلت بثلاثة، إني قد وكلت بثلاثة: بمن سبّ الله، وبمن كذب على الله، وبمن آذى الله. فأما الذي سبّ الله فالذي زعم أن الله اتّخذ صاحبة وولداً، وهو أحد صمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤]. وأما الذي كذب على الله فهم الذين قالوا: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩]. وأما الذي آذى الله فالذي يصنع الصورة. فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب، حتى تغيض بهم في جهنم.

وقال بعضهم: تندلق عنق من النار[1] فتقول: أمرت بثلاثة: بالذين كَذَّبوا الله، وبالذين كَذَبُوا على الله، وبالذين آذوا الله. فأما الذين كذّوا الله فالذين كذبوا رسله وكتبه، وأما الذين كَذَبوا على الله فالذين زعموا أن له ولداً، وأما الذين آذوا الله فالمصوّرون.

قوله: ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيّاً ﴾، يعني الذين يصلونها. وقال بعضهم: أشد عذاباً.

قوله: ﴿ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ يعني قسماً كائناً[2].

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال في تفسيرها: الصراط على جهنم مثل حد

---

(1) في ب و ع: «تنزل عنق من النار»، وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته: «تندلق» أي تخرج بسرعة والعُنُق من النار: القطعة منها.

(2) كذا في المخطوطتين وفي سع: «قسماً كائناً». وفي تفسير الطبري ج 16 ص 108: ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ ﴾ يا محمد إيرادهموها قضاء ﴿ مَّقْضِيّاً ﴾ قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب».

السيف، والملائكة معهم كلاليب من حديد، كلما وقع رجل منهم اختطفوه. قال: فيمر الصنف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجود الخيل، والرابع كأجود البهائم. والملائكة يقولون: اللهم سلّم سلّم.

ذكر مجاهد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية وعنده نافع بن الأزرق وإياس ابن مضرّب[1] فقال نافع بن الأزرق: أما الكفار فيردونها، وأما المؤمنون فلا يردونها. فقال ابن عباس: أما أنا وإياس[2] فإنا سنردها وانظر هل نخرج منها أو لا.

ذكروا عن الحسن أنه قال: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ أي إلا داخلها، فيجعلها الله برداً وسلاماً على المؤمنين، كما جعلها على إبراهيم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية؛ فقالت حفصة: بلى. فانتهرها رسول الله ﷺ فقالت: أليس يقول الله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النبي عليه السلام: أوليس قد قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذِينَ اتَّقَوْا ﴾[3].

ذكر بعضهم قال: يضرب الصراط على جهنم كحدّ السيف، دحض[4] مزلّة،

---

(1) كذا في سع ورقة 24 و: «إياس بن مضرّب»، وفي ع وردت الكلمة مصحفة هكذا: أنس بن مصر، وفي ب جاء الاسم غير واضح، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر اسم إياس بن مضرب، اللهم إلا أن يكون إياس بن مضارب العجلي الذي كان على الشرطة أيام فتنة ابن الزبير وقتل بالكوفة سنة ست وستين للهجرة، انظر أخباره في تاريخ الطبري، ج 6 ص 10 - 20.

(2) كذا في سع وفي ب: «أما أنا وإياس» وفي ع: أما أنا وإياك، وهو خطأ صوابه أما أنا وأنت. وفي تفسير الطبري ج 16 ص 111: «أما أنا وأنت يا أبا راشد». وهي كنية نافع بن الأزرق.

(3) أخرجه أحمد في مسنده بهذا اللفظ. وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان، رضي الله عنهم، (رقم 2496) عن أم مبشر، وهي امرأة زيد بن حارثة «أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة...»، وأخرجه ابن جرير الطبري أيضاً عن جابر عن أم مبشر. ولفظه في تفسيره ج 16 ص 112: «إني لأرجو ألا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية».

(4) يقال: مكان دحض، ومَدحض، أي: موضع تزلق فيه الرِّجل. واللفظ عند الطبري: «مَدحَضة مزلّة».

فيمرون عليه كالبرق وكالريح، وكانقضاض الطير، وكجواد الخيل، وكجواد الرجال والملائكة [بجنبي الصراط معهم خطاطيف][1] كشوك السعدان، فناج سالم، ومخدوش ناج، ومكدوس[2] في النار، والملائكة يقولون: ربِّ سلِّم سلِّم.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: يضرب الصراط على جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم: أولهم كلمع البرق، وكمر الريح، وكمر الطير، ثم كأسرع البهائم، ثم يمر الرجل سعياً، ثم يمر الرجل مشياً، وتزل قدم وتستمسك أخرى. قال عبد الله بن مسعود: حتى يكون آخرهم رجل يتلبّط على بطنه فيقول: يا رب، لم أبطأت بي، فيقول: لم أبطىء بك، وإنما أبطأ بك عملك. وقال بعضهم: بلغنا أن الصراط ثلاث عواقب[3].

قوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً ﴾ أي: جاثين على ركبهم. وقال بعضهم: جماعة جماعة.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا أيّ الفَرِيقَيْنِ ﴾ نحن وأنتم ﴿ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ المقام: المسكن، والندي: المجمع. وقال بعضهم الندي: المجلس.

وقال مجاهد: يقوله المشركون، مشركو قريش لهؤلاء، أصحاب محمد ﷺ. وقال بعضهم: رأوا أصحاب نبي الله في عيشهم خشونة.

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثاً وَرِءْياً ﴾. أي أحسن

---

(1) زيادة من سع ورقة 24 و.

(2) كذا في ع: «مكدوس» وفي سع: «مكردس» وقد ورد اللفظان في بعض روايات الحديث. ومعنى الأولى: مدفوع؛ وفي السان: تكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط. ومعنى مكردس: الموثق الملقى في النار. وأكثر ألفاظ هذا الأثر وردت في حديث رواه مسلم في صحيحه: «قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك»..

(3) كذا في ع و ب: «ثلاث عواقب» ولم ترد الجملة في سع. وإذا كانت الكلمة جمعاً لعَقَبة، فإن كتب اللغة لم تذكر هذا الجمع، ولست مطمئناً لصحة الكلمة فلعل فيها تصحيفاً.

منهم. والأثاث: المال؛ وقال بعضهم: المتاع. (وَرِءْياً): من قرأها مهموزة فيقول: منظراً. وقال بعضهم: (أَحْسَنُ أَثَـٰثاً وَرُءْياً) أي: أحسن أثاثاً وأحسن مرأى ومنظراً. (وَرِئْياً) وصوراً. ومن قرأها بغير همزة فيقول: (وَرِيّاً) من قبل الرواء؛ وإنما يعيش الناس بالمطر، به تنبت زروعهم وتعيش ماشيتهم.

قوله: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَـٰلَةِ ﴾ أي: هذا الذي يموت على ضلالته ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ مَدّاً ﴾ [هذا دعاء][1] أي: مدّ له الرحمٰن مداً. أمر الله النبي عليه السلام أن يدعو بهذا. وقال مجاهد: فيدعه الرحمٰن في طغيانه.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ ﴾ في الدنيا قبل عذاب الآخرة ﴿ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾ وإما عذابه في الآخرة، وهو العذاب الأكبر. ولم يبعث الله نبياً إلا وهو يحذر أمته عذاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة إن لم يؤمنوا. قال تعالى: ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً ﴾ أي: في النصرة والمنعة. أي: ليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ أي: إيماناً ﴿ وَالْبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ ﴾ قال الحسن: الفرائض.

وقال ابن عباس: الصلوات الخمس وسبحـٰن الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر.

وقال علي بن أبي طالب: الباقيات الصالحات: سبحـٰن الله والحمد لله ولا إلٰـه إلا الله والله أكبر.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً: خذوا جُنَّتكم [قالوا: يا رسول الله، أمن عدوّ حضر؟ قال: خذوا جنتكم][2] من النار. قالوا: يا رسول الله، وما

(1) زيادة من سع ورقة 24 ظ.
(2) سقط ما بين المعقوفين في ب و ع، فأثبته من سع.

جُنّتنا؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدِّمات ومجنِّبات ومعقِّبات وهن الباقيات الصالحات[1].

قوله تعالى: ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً ﴾ أي: أجراً في الآخرة ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَداً ﴾ أي: خير عاقبة من أعمال الكفار.

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الذِي كَفَرَ بَآيَـٰتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ أي: في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ الغَيْبَ ﴾ على الاستفهام، فعلم ما فيه؟. أي: لم يطلع على الغيب. قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً ﴾ أي: لم يفعل. وسنفسّره في آخر هذه الآية.

ذكروا عن مسروق، عن خبّاب بن الأرتّ قال: كنت قيناً[2] في الجاهلية، فعملت للعاص بن وائل، حتى اجتمعت لي عنده دراهم فأتيته أتقاضاه. فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لمبعوث؟ قلت: نعم. قال: فسيكون لي ثَمّ مال وولد فأقضيك. فأتيت النبي عليه السلام، فأخبرته، فأنزل الله هذه الآية. . . إلى قوله: (وَيَأْتِينَا فَرْداً).

وقال بعضهم: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام أتى رجلاً من المشركين يتقاضاه ديناً له، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريراً وذهباً؟ قال: بلى. قال: فميعادكم الجنة، فوالله لا أؤمن بكتابكم الذي جئتم به، ولأوتين مالاً وولداً. قال الله عز جل: (أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً).

ذكروا عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس صلوات كتبهن الله على عباده، من جاء بهن تامات فإن له عند الله عهداً أن يدخله الجنة، ومن

---

(1) حديث صحيح أخرجه النسائي والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة؛ والجُنة، بضم الجيم: كل ما واراك وسترك، وهي الوقاية. وفي الحديث الصحيح: الصيام جُنة من النار كجُنة أحدكم من القتال.

(2) القين هو الحدّاد، وكل عامل في الحديد يسمى قيناً عند العرب، وجمعه قيون.

لم يأت بهن تامات فليس له عند الله عهد، إن تاب غفر له، وإن لم يتب عذّبه[1].

وقال بعضهم: (أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً): بعمل صالح.

قوله عز وجل: ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً ﴾ هو كقوله عز وجل: (فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُم إِلَّا عَذَاباً) [النبأ: ٣٠].

قوله عز وجل: ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴾ قال مجاهد: نرثه ماله وولده، وهو العاص بن وائل.

قوله عز وجل: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً ﴾ كقوله: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) [سورة يـٰسٓ: ٧٤]. وإنما يرجون منفعة أوثانهم في الدنيا، لا يقرون بالآخرة.

قال الله: ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ في الدنيا ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾ أي: في النار. وقال بعضهم: قرناء يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض. وبلغنا أنه يقرن هو وشيطانه في سلسلة واحدة.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَـٰطِينَ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ أي: تزعجم إزعاجاً في معاصي الله[2].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ وهذا وعيد ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً ﴾ أي: الأنفاس، يعني الأجل. ذكروا عن سعيد بن جبير قال: أجل العبد مكتوب في أول الصحيفة، ثم يكتب أسفل من ذلك: مضى يوم كذا، ومضى يوم كذا حتى يأتي على أجله.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه الربيع بن حبيب في كتاب الصلاة، رقم 189. وقد أورده الشيخ هود الهواري بهذه الألفاظ في ب و ع. وجاء في سع ورقة 24 ط: «ومن لم يأت بهن تامات فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له». وانظر ما سلف ج 1 ص 44.

(2) هذا قول ابن عباس، أي: تغريهم على المعاصي. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2، ص 11: (تؤزهم أزاً) أي تهيجهم وتغويهم».

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً ﴾ أي: على الإبل.

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً) يا رسول الله، هل يكون الوفد[1] إلا الرُّكْبُ. فقال: والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة، ولها رحائل الذهب، كل خطوة منها مدّ البصر.

قوله عز وجل: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ أي: عطاشاً. قال الحسن: والله عطاشاً. وقال بعضهم: يساقون إليها وهم ظِماء، وقد تقطعت أعناقهم من العطش.

قوله عز وجل: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً ﴾ وقد فسّرنا العهد في الآية الأولى[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾ قال مجاهد: شيئاً عظيماً.

﴿ يَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً ﴾ أي: بأن دعوا للرحمٰن ولداً. ذكروا أن كعباً قال: غضبت الملائكة، وأسعرت جهنم حين قالوا ما قالوا.

---

(1) كذا في ع: الوفد. . . والركب، وفي سع ورقة 25 و: الوافد والراكب، وكلاهما صحيح إلا أن هذا جاء مفرداً وذاك جمعاً.

(2) انظر ماسلف قريباً في الصفحة الماضية في قوله تعالى: (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً). وقد أورد ابن سلام في تفسير هذه الآية: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً) خمسة أحاديث في شفاعة نبينا محمد ﷺ لامته يوم القيامة رويت عن أبي هريرة وأنس ابن مالك، وهي موجودة في سع ورقة 25 و، ولكنها غير واردة في ب ولا في ع. وكأني بالشيخ هود الهواري حذفها قصداً، ولعلها لم تصحّ عنده، والله أعلم. من هذه الأحاديث ما رواه ابن سلّام بالسند التالي: «حدثني دُرُسْت (هكذا ضبطت) عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لا أزال أشفع فأشفّع حتى أقول: رب شفعني فيمن قال لا إلٰه إلا الله فيقول يا محمد، إنها ليست لك ولكنها لي».

قال عز وجل: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً ﴾. ثم قال عز وجل: ﴿ لَقَد أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً ﴾، كقوله: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الأنعام: 94].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً ﴾ أي: في قلوب المؤمنين.

ذكروا أن كعباً كان يقول: إنما تأتي المحبة من السماء. إن الله إذا أحب عبداً قذف حبّه في قلوب الملائكة، وقذفته الملائكة في قلوب الناس. وإذا أبغض عبداً فمثل ذلك، لا يملكه بعضهم لبعض.

ذكروا عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليلتمس مرضاة الله فلا يزال كذلك، فيقول الله لجبريل: إن عبدي فلاناً يلتمس أن يرضيني، وإن رحمتي عليه. قال: فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، وتقوله حملة العرش، ويقوله الذين حولهم، حتى يقوله أهل السماوات السبع، ثم يهبط به إلى الأرض. قال: فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: وهي الآية التي أنزل الله عليكم: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً). وإن العبد ليلتمس سخط الله، فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل: إن عبدي فلاناً يلتمس أن يسخطني، وإن غضبي عليه، فيقول جبريل: غضب الله على فلان، وتقوله حملة العرش، ويقوله الذين حولهم، ويقوله أهل السماوات السبع حتى يهبط به إلى الأرض[1].

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فيقول: إني أحب فلاناً فأحبه. قال: فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحِبُّوه. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض[2]، يقول: المودة.

---

(1) أخرجه ابن سلام في تفسيره كما جاء في ورقة 25 و من سع بالسند التالي: «حدثني خداش بن ميمون بن عجلان عن محمد بن عباد عن ثوبان...».

(2) حديث صحيح أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في الأبواب الأولى: باب في الحب

قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ أي: بلسان محمد عليه السلام. قال الحسن: لولا أن الله يسّره بلسان محمد عليه السلام ما كانوا ليعرفوه ولا ليفقهوه.

قوله عز وجل: ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي يبشرهم بالجنة ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ ﴾ أي بالقرآن النار ﴿ قَوْماً لُّدّاً ﴾أي جُدُلاً بالباطل وذوي لَدَد وخصومة.

وقال مجاهد: (قَوْماً لُّدّاً) أي: لا يستقيمون.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم ﴾ أي: قبل قومك يا محمد ﴿ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنَ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾. أي: صوتاً. وهو على الاستفهام. أي: إنك لا ترى منهم أحداً ولا تسمع منهم صوتاً[1].

= (رقم 27). وأخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب المقة من الله. وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبّبه إلى عباده (رقم 2637)، كلهم يرويه عن أبي هريرة.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 14: «(الرِّكْزُ): الصوت الخفي والحركة كرِكز الكتيبة».

تفسير سورة طـه
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ طٰهٰ ﴾ قال الحسن: طٰهٰ: أي: يا رجل، وهي بالنبطية. ثم قال: ايطه، ايطه[1].

قوله عز وجل: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ قال مجاهد: (لِتَشْقَىٰ) أي: في الصلاة؛ وهو قوله عز وجل: (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) [المزمل: 20]. وكانوا يعلّقون الحبال بصدورهم في الصلاة.

وذكروا أن رسول الله ﷺ رأى حبلاً ممدوداً بين ساريتين في المسجد فقال: ما هذا؟ فقالوا: فلانة ابنة فلان تصلي، فإذا غلبت تعلقت به. فقال: لِتُصلِّ ما نشطت، أو عقلت، فإذا غلبت فلتنم[2].

---

(1) كذا وردت هذه الكلمة في ب و ع، وجاءت في سع ورقة 25 ط منسوبة إلى الضحاك بن مزاحم. أما ما يتعلق بمعناها فإن أبا عبيدة يرد على من زعم أنها بمعنى يا رجل. قال في المجاز ج 2 ص 15: « (طَهَ) ساكن لأنه جرى مجرى فواتح السور اللواتي مجازهن مجاز حروف التهجي ومجاز موضعه في المعنى كمجاز ابتداء فواتح سائر السور. قال أبو طُفَيْلَة الحرمازي، فزعم أن (طه): يا رجل. ولا ينبغي أن يكون اسماً لأنه ساكن، ولو كان اسماً لدخله الإعراب». انظر بعض أوجه قراءة هذه الكلمة ومعانيها في معاني الفراء ج 2 ص 174، وفي تفسير القرطبي ج 11 ص 165 - 168.

(2) أخرجه ابن سلام في سع ورقة 25 ظ بالسند التالي: «حدثني خداش عن حميد الطويل عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ... والحديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين =

وكان الحسن يقول: إن المشركين قالوا للنبي عليه السلام إنه شقى بهذا القرآن فأنزل الله هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [يقول: وإنما أنزله الله تبارك وتعالى تذكرة لمن يخشى الله][1]. وأما الكافر فلم يقبل التذكرة.

قوله: ﴿ تَنزِيلًا ﴾ أي القرآن أنزله الله تنزيلاً. قال عزّ وجلّ: ﴿ مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾ يعني نفسه.

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ قال: استوى أمره في بريته فعلاهم فليس يخلو منه مكان[2].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بينكم وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، حتى عد سبع سماوات هكذا. قال: وبين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين. وغلظ هذه الأرض مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الأرض الثانية مسيرة خمسمائة عام. حتى عد سبع أرضين هكذا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه الأرض، وبين شحمة أذنيه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة عام يقول: سبحانك حيث كنت وأنت بكل مكان. وبلغنا أن اسمه زُرَوْفِيل[3].

= وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته... (رقم 784). كلاهما يرويه عن أنس. وقيل: إن الحبل كان لزينب بنت جحش، وانظر ابن حجر، فتح الباري ج 3 ص 36.

(1) زيادة من سع ورقة 25 ظ.

(2) لم يرد هذا التأويل في سع، ولعله من زيادة الشيخ هود التي انفردت به ب و ع. وقد ورد هذا التأويل في مسند الربيع بن حبيب ج 3 ص 48 - 49 منسوباً إلى ابن عمر: «إن الله أجلّ من أن يوصف بصفات المخلوقين، هذا كلام اليهود أعداء الله، إنما يقول: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) أي استوى أمره وقدرته فوق بريّته».

(3) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 514.

قوله عز وجل: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ كان بعضهم يقول: إن الماء الذي تحت الأرض مستقر على ثرى، فهو يعلم ما تحت ذلك الثرى الذي يستقر عليه الماء، والثرى كل شيء مبتلّ.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ قال بعضهم: السر ما حدثت به نفسك، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك مما هو كائن.

قوله عز وجل: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾. ذكر بعضهم قال: لله تسعة وتسعون اسماً، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة، أي من المتقين.

قوله عز وجل: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ أي: قد أتاك حديث موسى ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَاراً ﴾ أي: عند نفسه، وإنما كانت نوراً. ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً ﴾ أي رأيت ناراً ﴿ لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾. وقال في آية أخرى: (سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أي: خبر الطريق (أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) [النمل: ٧] وكان شاتياً. وقال في هذه الآية: (لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ) ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ أي: هداة يهدونني الطريق في تفسير الحسن.

وقال بعضهم: وكان يمشي على غير طريق. وكان يمشي متوكلاً على ربه متوجهاً بغير علم.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا ﴾ أي: النار التي ظن أنها نار ﴿ نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ قال بعضهم: كانتا من جلد حمار ميت. فخلعهما ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾. قال الحسن: طوى بالبركة مرتين.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ أي لرسالتي ولكلامي ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ إليك. ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها، لا كفارة لها غير ذلك[1] [قال

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة. وأخرجه مسلم في =

قتادة](1) لأن الله يقول: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي).

وقال مجاهد: إذا صلّى العبد ذكر الله.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾. ذكروا عن ابن عباس قال: أكاد أخفيها من نفسي. ذكروا أنها في قراءة أبيّ: أكاد أخفيها من نفسي.

قال بعضهم: قضى الله لا تأتيكم إلا بغتة. وقال بعضهم: (أَكَادُ أُخْفِيهَا) أي: لا أجعل عليها أدلّة ولا أعلاماً. وكل شيء أكاد فهو لم يفعله. وقد جعل الله عليها أدلة وأعلاماً.

قوله عز وجل: ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ أي: بما تعمل.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ أي: عن الإيمان بالساعة ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ أي: من لا يصدّق بها ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ يعني شهوته ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ أي في النار. والتردّي التباعد من الله. وقال بعضهم: (فَتَرْدَىٰ)، أي: فتهلك.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ يسأله عن العصا التي في يده اليمنى، وهو أعلم بها. قال موسى:

﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ قال بعضهم: يهش بها على غنمه ورق الشجر، [أي يخبط بها ورق الشجر لغنمه](2). ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾

= كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، عن أبي هريرة (رقم 680) بلفظ: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)». وعن قتادة عن أنس بن مالك (رقم 684) بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: من نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك. قال قتادة: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي).

(1) زيادة من سع ورقة 26 و. كما وردت في بعض الروايات.

(2) زيادة من سع ورقة 26 و للإيضاح. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 177: «اضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمه». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 17: «أي اختبط بها فأضرب بها الأغصان ليسقط ورقها على غنمي فتأكله». قال:

أَهُشُّ بِالعَصَا عَلَى أَغْنَامِي مِن نَاعِمِ الأَرَاكِ وَالبَشَامِ»

أي: حوائج أخرى. بلغنا أن من تلك الحوائج الأخرى أنه كان يستظل بها.

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ أي تزحف على بطنها مسرعة. وقال بعضهم: فإذا هي حيّة أشْعر ذكر.

قوله عز وجل: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ يعني هيئتها الأولى، أي عصا كما كانت.

قوله تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾. قال مجاهد: أمره أن يدخل يده تحت عضده ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي: من غير برص. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح[1].

قوله: ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي اليد بعد العصا. قال: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ أي العصا واليد. وهو قوله: (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَىٰ) [النازعات: 20] أي: اليد والعصا. وهو قوله: (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَـةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) [الزخرف: 48] وكانت اليد أكبر من العصا.

قوله عز وجل: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أي: كفر[2]. ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ أي: وسّع لي صدري، دعا أن يشرح له صدره بالإيمان. ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ففعل الله ذلك به.

وكانت العقدة التي في لسانه أنه تناول لحية فرعون، وهو صغير، فهمّ بقتله، وقال: هذا عدوّ لي. فقالت له امرأته: إن هذا صغير لا يعقل، فإن أردت أن تعلم ذلك فادع بتمرة وجمرة فاعرضهما عليه. فأتي بتمرة وجمرة فعرضهما عليه؛ فتناول

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «أي تخرج نقية شديدة البياض من غير برص، والسوء كل داء معضل من جذام أو برص، أو غير ذلك».

(2) كذا في ب وع. وفي سع « (طغى) أي كفر». والصواب أن الطغيان هو مجاوزة الحد في العلو والعتو والاستكبار.

الجمرة فألقاها في فيّه، فمنها كانت العقدة التي في لسانه. قال الحسن: إنما قالت ذلك، ترد على موسى عقوبته[1].

قوله: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً ﴾ أي عويناً ﴿ مِّنْ أَهْلِي هَـٰرُونَ أَخِي أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ قال الحسن: قوتي، وقال بعضهم: ظهري.

﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾. وكان الحسن يقرأها بالرفع: (وأُشرِكُه). وهي تقرأ أيضاً بالنصب: وأشركه في أمري. دعا موسى ربه أن يشركه في أمره.

قوله: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ﴾. أي: نصلي لك كثيراً ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ في سابق علمك[2].

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ فاستجاب الله له.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ فذكره النعمة الأولى، يعني قوله: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾ وإنما هو شيء قذف به في قلبها ألهمته، وليس بوحي نبوة. ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾ أي: اجعليه في التابوت ﴿ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ أي: فألقيه في البحر. فألقى التابوت في البحر.

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ ﴾ أي البحر ﴿ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾ يعني فرعون. ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾. قال بعضهم: ألقى الله عليه محبّة منه، قال: فأحبوه حين رأوه.

---

(1) أورد بعض المفسرين القدامى، ومنهم ابن جرير الطبري هذا التفسير للعقدة التي كانت في لسان موسى عليه السلام. ولم يثبت في الموضوع خبر صحيح عن رسول الله ﷺ. وقد نسب هذا التفسير إلى بعض التابعين. ويبدو لي، والله أعلم، أنه من قبيل الإسرائيليات، وأولى ما فسرت به العقدة ما ذكره أبو عبيدة في المجاز ج 12 ص 18 حيث قال: «مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطلق بحرف أو كانت منه مُسكة من تمتمة أو فأفأة». وقال الفراء: «كانت في لسانه رُتّة» وانظر عيوب اللسان وما جاء فيها في الصفحات الأولى من كتاب الجاحظ: البيان والتبيين.

(2) كذا في ب، وفي ع: «في سائر عملنا». ويبدو أن صوابه هكذا: «ونذكرك كثيراً في سائر عملنا، إنك كنت بنا بصيراً في سابق علمك». والعبارة غير واردة في سع.

قوله عز وجل: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِيٓ ﴾ أي بأمري. وقال بعضهم: [ولتغذى علي عيني: أي بعيني][1].

قوله: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ أي على من يضمّه.

قال الكلبي: فقالوا: نعم، فجاءت بأمه فقبل ثديها. وقال في سورة طَسَمَ القصص: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ). فكان كلما جيء به إلى امرأة لم يقبل ثديها. (فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) [القصص: 12 - 13].

وقال في هذه الآية: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً﴾ يعني القبطي الذي كان قتله خطأ، ولم يكن يحل له ضربه ولا قتله.

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي من الخوف. وقال الحسن: أي: من النفس التي قتلت فلم يصل إليك القوم، فغفرنا لك ذلك الذنب. ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُوناً﴾ أي: وابتليناك ابتلاءً.

وقال الكلبي: هو البلاء في أثر البلاء. وقال بعضهم: ومحصناك تمحيصاً. وهو واحد.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ أي عشرين سنة. أقام عشراً آخر الأجلين، ثم أقام بعد ذلك عشراً. ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ أي: على موعد يا موسى، في تفسير مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيَ ﴾ أي اخترتك لنفسي ولرسالتي. والاجتباء والاختيار والاصطفاء واحد.

قوله عز وجل: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾. قال مجاهد:

---

(1) زيادة من سع ورقة 26 ظ.

أي ولا تضعفا في ذكري. وقال الحسن: في الدعاء إليّ والتبليغ عني رسالتي.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: كفر ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ قال بعضهم: كَنِّياه. [فكنّياه][1] بأبي مصعب. ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ قال بعضهم الألف ها هنا صلة، يقول: لعله يتذكر ويخشى.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي أن يعجل علينا بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيقتلنا.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أي: فإنه ليس بالذي يصل إلى قتلكما حتى تبلغا عني الرسالة.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ وكان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا.

قوله: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ قال الحسن: العصا واليد ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ كان إذا كتب إلى المشركين كتب: (السَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ)[2].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾. أي: كذب بآيات الله وتولى عن طاعة الله.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ قال الحسن: صلاحه وقوته الذي يقوم به ويعيش به. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ يقول: ثم هداه له حتى أخذه.

---

(1) في ب وع: «كنياه بالمصحف» وهو تصحيف سخيف صوابه ما أثبته. فقد ذكر المفسرون أن لفرعون أربع كنى: أبو مصعب، وأبو الوليد، وأبو مرة، وأبو العباس. انظر ابن الجوزي، زاد المسير ج 5 ص 288. وما بين المعقوفين زيادة لتستقم العبارة، ويتضح المعنى.

(2) انظر أمثلة من ذلك في تاريخ الطبري ج ص 752 و ص 654. وقد كتب عليه السلام إلى مسيلمة الكذاب: «السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ =

وقال مجاهد: سوى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها وعلمها إياه. وقال الكلبي: أعطاه شكله من نحوه. أعطى الرجل المرأة، والجمل الناقة، والذكر الأنثى، ثم هدى، أي عرّفه كيف يأتيها.

ذكروا عن الحسن أنه قرأ: ﴿ صُنْعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: 88] ثم قال: ألم تر إلى كل دابة كيف تتقي عن نفسها.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَىٰ ﴾ إن موسى دعا فرعون إلى الإيمان بالبعث فقال له فرعون: فما بال القرون الأولى قد هلكت فلم تبعث.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴾ أي لا يضله فيذهب، ولا ينسى ما فيه. وقال بعضهم: (فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَىٰ) أي: أعمال القرون الأولى (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي) ذلك الكتاب (وَلَا يَنْسَىٰ) أي علم أعمالها وآجالها.

ذكروا أن فرعون قال: يا هامان، إن موسى يعرض عليَّ أن لي ملكي في حياتي، ولي الجنة إذا متّ. فقال له هامان: بينما أنت إله تُعبَد إذ صرت عبداً يَعْبُد. فردّه عن رأيه.

قوله عز وجل: ﴿ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْـداً ﴾ وهو مثل قوله تعالى: (جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ بِسَاطاً) [نوح: 19] وفراشاً. قوله: ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ أي: وجعل لكم فيها طرقاً.

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوٰجـاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ أي: مختلفة في لونه وطعمه. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. قال: فالذي ينبت هذه الأزواج الشتى قادر على أن يبعثكم بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَارْعَوا أَنْعَـٰمَكُمْ ﴾ أي من ذلك النبات ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

= وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ». انظر سيرة ابن هشام ج 4 ص 601.

لأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِي النُّهَىٰ ﴾ أي: لأولي العقول، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: لأولي الورع[1].

قوله: ﴿ مِنْهَا ﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ يعني خلق آدم ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن خلق أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة أربعين يوماً ثم يكون مضغة أربعين يوماً. ثم يؤمر الملك أن يكتب أربعاً: رزقه وعمله وأثره وشقياً أو سعيداً. والذي لا إله إلا هو إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها[2].

وقال بعضهم: إنه يؤخذ من تربة الأرض التي يموت فيها فيخلط بخلقه، أو فتذرى على خلقه؛ وهو قوله تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا ﴾ أي: التسع الآيات التي قال عنها في سورة بني إسرائيل: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ) [الإسراء: 101] وهي يده وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) [الأعراف: 130]. وبعضهم يحقّق أن السنين ونقصاً من الثمرات آية واحدة، وطريقاً في البحر يبساً تمام التسع الآيات.

---

(1) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 27 و. والقول لقتادة. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 20 ما يلي: «(لِّأُوْلِي النُّهَىٰ) مجازه لذوي الحجى. واحدتها نهية، أي أحلام وعقول، وانتهى إلى عقول أمرهم ونهيهم. ومجاز قولهم لذي حِجًى أي: لذي عقل ولبّ».

(2) حديث متفق عليه مضى تخريجه فيما سلف ج 2 ص 248.

قوله عز وجل: ﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ أي: فكذّب بها كلّها وأبى أن يؤمن.

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سِوًى ﴾ قال مجاهد: مكاناً منصفاً بينهم. وقال بعضهم: مكاناً عدلاً[1].

﴿ قَالَ: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾ أي: يوم واعدوه فيه. وقال الحسن: يوم عيد كان لهم، يجتمعون فيه ضحى. قال: ﴿ وَأَن يُّحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ قال بعضهم: أي نهاراً.

قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾ يعني ما جمع من سحرة. ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ ثم جاء. ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ قال الحسن: فيستأصلكم بعذاب ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ فَتَنَـٰزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾. قالت السحرة عند ذلك: إن كان هذا الرجل ساحراً فسنغلبه، وإن كان من السماء، كما زعم، فإن له الأمر.

قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ[2] يُـرِيدَانِ أَن يُّخْـرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «(مَكَاناً سُوىً) يُضم أوله ويُكسر، وهو منقوص يجري مجرى عُدًى وعِدًى والمعنى النّصف، والوسط فيما بين القريتين.

(2) جاء في مجاز أبي عبيدة ما يلي: «قال أبو عمرو وعيسى ويونس (إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ) في اللفظ: وكتب (هَٰذَانِ) كما يزيدون وينقصون في الكتاب واللفظُ صواب. وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب. قال بشر بن هلال: (إنّ) بمعنى الابتداء والإيجاب، ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها، فترفع الخبر ولا تنصبه كما تنصب الاسم، فكان مجاز (إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) مجاز كلامين، مخرجه: إنه، أي: نعم، ثم قلت: هذان ساحران، ألا ترى أنهم يرفعون المُشْرَك كقوله:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِـالْمَـدِينَـةِ رَحْلُهُ فَـإِنِّي وَقَيَّـارٌ بِهَـا لَغَـرِيبُ...»

وبعضهم خفف (إنّ) فقرأ: (إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) وجعل اللام في الخبر هي الفارقة بين إن =

بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾. قال بعضهم: كانت طريقتهم المثلى يومئذ [أن][1] بني إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً، فقال فرعون: إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما. وقال الحسن: ويذهبا بعيشكم الأمثل: يعني بني إسرائيل. وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا يأخذون منهم الخراج ويستعبدونهم.

قوله عز وجل: ﴿ أَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ [يعني سحركم، يقوله بعضهم لبعض][2] ﴿ ثُمَّ ٱئتُوا صَفّاً ﴾ أي تعالوا جميعاً. ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ قال بعضهم: من ظهر. وقال الكلبي: من غلب؛ وهو واحد.

قوله: ﴿ قَالُوا يَـٰمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلِ الْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ أي: أنها حيات تسعى.

قوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ ﴾ أي: الظاهر ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ أي: عصاك ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ أي: تسترط حبالهم وعصيهم، تلقفهم بفيها. ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ أي حيث كان. وقال بعضهم: حيث جاء.

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ. قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ ﴾ فرعون يقول لهم على الاستفهام. أي أصدقتموه قبل أن آذن لكم في تصديقه. أي قد فعلتم.

﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ﴾ أي اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ أي: على جذوع النخل. ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: أنا أو موسى.

= النافية وإن المخففة من الثقيلة. ولعلماء العربية كلام طويل ووجوه من التعليل والتأويل كثيرة في الموضوع. انظر تفاصيلها في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 21 - 23، وفي معاني الفراء ج 2 ص 183 وغيرهما.

(1) زيادة لا بد منها: في ع وفي سع ورقة 27 و: «كانت طريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل...».

(2) زيادة من سع.

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ أي: ولا على الذي فطرنا أي خلقنا[1]. ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: خير مما تدعونا إليه، وخير منك يا فرعون.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء[2].

قوله: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً ﴾ أي: مشركاً ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ قد فسّرنا الدّرجات في الجنة في غير هذا الموضع[3].

قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ قد فسّرناه في سورة مريم[4] ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وقد فسّرنا الأنهار أيضاً. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون فيها ولا يخرجون منها. ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾. أي من آمن. وقال بعضهم: من عمل صالحاً.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ أي: ليلاً ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً ﴾.

---

(1) ذكر المؤلف أحد وجهي التفسير في قوله تعالى: (وَالَّذِي فَطَرَنَا) واعتبر الواو حرف عطف. ولم يشر إلى الوجه الآخر من الإعراب وهو جعل الواو واو قسم، كان السحرة أقسموا بالله الذي فطرهم إنهم لن يوثروا فرعون على ما جاءهم من البينات. وهو وجه في التأويل ذكره مفسرون كثير، وله حظ من النظر كبير، فتأمل. انظر معاني الفراء ج 2 ص 187، وتفسير الطبري ج 16 ص 189، وتفسير ابن كثير ج 4 ص 529.

(2) كذا جاء في ب، وفي ع هذا الحديث مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وجاء في سع ورقة 27 ظ منسوباً إلى قتادة. ولم أجده فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث حتى أتحقق من سنده. وأكاد أجزم أنه ليس حديثاً عن رسول الله ﷺ. وقد نسبه ابن جرير الطبري إلى ابن عباس مرة، وإلى عبيد بن عمير مرة، وإلى قتادة وإلى مجاهد أيضاً. انظر تفسر الطبري ج 13 ص 36 (طبعة دار المعارف) وانظر الدر المنثور ج 3 ص 107.

(3) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 20.

(4) انظر في هذا الجزء ص 19.

قال الحسن: أتاه جبريل على فرس فأمره، فضرب البحر بعصاه، فصار طريقاً يبساً. قال بعضهم: بلغنا أنه صار اثني عشر طريقاً، لكل سبط طريق.

قوله عز وجل: ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك، ولا يخشى الغرق أمامك.

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾ وكان جميع جنوده أربعين ألف ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ فغرقوا. ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ أي: وما هداهم.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰبَنِي إِسْرَٰئِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ أي: من فرعون وقومه ﴿وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ﴾ أي أيمن الجبل. والطور الجبل. يعني مواعدته لموسى.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُم الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾. قال بعضهم: المن كان ينزل عليهم في محلتهم[1] مثل العسل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. والسلوى هو هذا الطير الذي يقال له السُّمَانَى.

قوله: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ قال بعضهم: كانوا لا يأخذون منه لغد، لأنه كان يفسد عندهم ولا يبقى، إلا يوم الجمعة فإنهم كانوا يأخذون ليوم الجمعة وليوم السبت، لأنهم كانوا يتفرغون في يوم السبت للعبادة ولا يعملون شيئاً[2].

ذكروا عن ابن عباس قال: لولا بنو إسرائيل ما خنز لحم ولا أنتن طعام؛ إنهم لما أمروا أن يأخذوا ليومهم ،دخروا من يومهم لغدهم.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لولا بنو إسرائيل ما خنز لحم، ولولا حواء ما خانت أنثى زوجها[3].

(1) المَحَلَّة: منزل القوم، من حلّ يحُل بالمكان إذا نزل فيه.

(2) وقع اضطراب وفساد في العبارة بمخطوطتي ب و ع فأثبت التصحيح من بعض كتب التفسير.

(3) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه أحمد وأخرجه البخاري ومسلم. أخرجه مسلم في كتاب =

قوله عز وجل: ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ قال بعضهم: فيجب عليكم غضبي. وهي تقرأ على وجه آخر: (فيحُل عليكم غضبي) أي: فينزل عليكم غضبي. ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ أي في النار.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ﴾ أي: من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي: أخلص الإيمان لله. ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحاً ﴾ أي في إيمانه ﴿ ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾. ثم مضى بالعمل الصالح على إيمانه حتى يموت عليه. وقال بعضهم: (ثُمَّ اهْتَدَىٰ) ثم عرف الثواب.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ أي: هُمْ أولاء ينتظرونني من بعدي بالذي آتيهم به، وليس يعني أنهم يتبعونه. وقال بعضهم: يعني السبعة الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه للميعاد.

قال عز وجل: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ ﴾ أي: ابتلينا قومك من بعدك ﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ يقول إن السامري قد أضلهم ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ أي: حزيناً مهموماً على ما صنع قومه من بعده. وقال الحسن: شديد الغضب.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً ﴾ أي في الآخرة على التمسك بدينه. ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾ قال مجاهد: الوعد ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وهو مثل الحرف الأول ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾.

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ أي: بطاقتنا[1] ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا ﴾[2] وهي

= الرضاع باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر. (رقم 1470) ولفظه: لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام، ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، كلهم يرويه عن أبي هريرة.

(1) وقال مجاهد في تفسيره ص 399: أي: بأمر نملكه.

(2) قال الداني في كتاب التيسير ص 153: «الحرميان وابن عامر وحفص: (حُمِّلْنَا) بضم الحاء وكسر =

تقرأ أيضاً خفيفة (حَمَلنا) ﴿ أَوْزَاراً ﴾ أي آثاماً. وقال مجاهد: أثقالاً، وهو واحد. والثقل الاثم ﴿ مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ يعني قوم فرعون. ﴿ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾.

وذلك أن موسى كان واعدهم أربعين ليلة، فعدّوا عشرين يوماً وعشرين ليلة فقالوا: هذه أربعون، فقد أخلف موسى الوعد.

وكانوا استعاروا حليّاً لهم؛ كان نساء بني إسرائيل استعاروه من نساء آل فرعون ليوم الزينة، يعني يوم العيد الذي واعدهم موسى. وكان الله أمر موسى أن يسري بهم ليلاً، فكره القوم أن يردوا العواري على آل فرعون، فيفطن بهم آل فرعون. فأسروا من الليل والعواري معهم. فقال لهم السامري بعدما مضت عشرون يوماً وعشرون ليلة في غيبة موسى في تفسير الكلبي، وقال بعضهم: بعدما مضت الثلاثون: إنما ابتليتم بهذا الحلي فهاتوه، وألقى ما معه من الحليّ، وألقى القوم ما معهم. وهو قوله: (فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) أي: ما معه كما ألقينا ما معنا. فصاغه عجلاً. ثم ألقى في فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل.

وقال بعضهم: قد كان الله وقّتَ لموسى ثلاثين ليلة وأتمّها بعشر. فلما مضت الثلاثون قال السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي معكم. فهاتوه[1]. وكان حلياً استعاروه من آل فرعون، فساروا وهي معهم فقذفوها إليه، فصوروها صورة بقرة. وكان قد صرّ في عمامته قبضة من أثر فرس جبريل يوم جاز بنو إسرائيل البحر فقذفها فيه. (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ)، أي: جعل يخور خوار البقرة، (فَقَالَ) عدو الله: (هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ). وكان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة. ولكنه نافق بعدما قطع البحر مع موسى.

= الميم المشددة، والباقون بفتحها مع التخفيف».

(1) في ب وع: فهلمّوه. وهو صحيح في العربية، وفي ز، ورقة 209: «فهاتوه»، وهو أصح وأوضح، وفي سع ورقة 28 و: فهابوه. وهو خطأ وفيه تصحيف.

قال الله: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ ﴾ أي كخوار البقرة. وقال مجاهد: له خوار، حفيف الريح فيه.

﴿ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ أي فنسي موسى. يقول: إنما طلب هذا ولكنه نسيه، خالف في الطريق طريقا اخر[1].

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً[2] وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يرجع إليهم موسى حين اتخذوا العجل: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ﴾ أي بالعجل ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ ﴾ أي لا نزول ﴿عَٰكِفِينَ﴾ أي نعبده ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى لهارون لما رجع ورأى أنهم اتخذوا العجل: ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ وقد قال في آية أخرى: (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) [الأعراف: 150].

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ أي: ولم تنتظر أمري، يعني الميعاد برجوعه، ولقد تركتهم وجئت، وقد استخلفتك فيهم. يقول لو اتبعتك وتركتهم لخشيت أن تقول لي هذا القول. ثم أقبل موسى على السامري فـ﴿ قَالَ ﴾ له:

﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾ أي: ما حاجتك[3]؟ ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾

---

(1) كذا وردت العبارة في ع، وفي سع ورقة 28 و: «ولكن نسيه وخالفه في طريق آخر»، وفي معاني الفراء ج 2 ص 190: «(فَنَسِيَ)، يعني أن موسى نسي، أخطأ الطريق فأبطأ عنهم فاتخذوا العجل فعيّرهم الله». وانظر اختلاف المفسرين في قوله تعالى: (فَنَسِيَ) في تفسير الطبري ج 16 ص 200 - 201.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 24: «مجازه أنه لا يرجع إليهم قولاً، ومن لم يضمر الهاء نصب ألا يرجعَ».

(3) كذا في المخطوطتين و ع: ما حاجتك، وفي سع ورقة 28 و: ما حجتك؟ وهو أصح. وفي تفسير=

يعني بني إسرائيل ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ أي: ألقيتها في العجل، أي حين صاغه، وكان صائغاً. فخار العجل، وهي في قراءة ابن مسعود: من أثرِ الفرس؛ كان أخذها من أثر فرس جبريل فَصَرَّها في عمامته يوم قطع البحر فكانت معه.

ذكر ابن عباس أن هارون أتى على السامري وهو يصنع. فقال: ما تصنع؟ قال: أصنع ما يضر ولا ينفع[1]. فقال هارون: اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه. فلما صنعه قال: اللهم إني أسألك أن يخور، فخار العجل، وذلك لدعوة هارون[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ أي: وكذلك زيّنت لي نفسي: أي: وقع في نفسي إذا ألقيتها في العجل خار.

﴿ قَالَ ﴾ له موسى: ﴿ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ أي: حياة الدنيا، أي: لا تماس الناس ولا يماسونك، فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة.

والسامرةصنف من اليهود؛ وبقايا السامرة حتى الآن بأرض الشام يقولون: لا مساس.

قال: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لَنْ تُخْلَفَهُ ﴾ أي: توافيه فيجزيك الله فيه بأسوأ عملك. وقال بعضهم: (لَنْ تُخْلَفَهُ) أي: لن تغيب عنه.

﴿ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلٰهِكَ الذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً ﴾ أي: صرت عليه عاكفاً، أي: عابداً ﴿ لَنُحرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفاً ﴾.

= الطبري ج 16 ص 204: «ما أمرك؟» «وما شأنك؟» «وما لك». وهي أنسب.

(1) كذا في ب وفي سع، وفي تفسير مجاهد: «ما يضر ولا ينفع». وفي ع: ما لا يضر ولا ينفع. وفي تفسير القرطبي: «ما ينفع ولا يضر».

(2) في تفسير مجاهد جاءت العبارة أكثر وضوحاً: «فلما قفّى هارون قال السامري: اللهم إني أسألك أن يخور، فخار، فكان إذا خار سجدوا، وإذا خار رفعوا رؤوسهم، وإنما خار لدعوة هارون».

قال بعضهم: [لَنبرِدَنَّهُ ثم لننسفنّه في اليم نسفاً][1] وقال الكلبي: ذبحه موسى، ثم أحرقه بالنار، ثم ذرّاه في البحر. وهذا في قول من قال: إنه تحوّل لحماً ودماً. وقوله: (لَنَنسِفَنَّهُ) هو حين ذرّاه في البحر.

قوله: ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللهُ الذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ أي: ملأ كل شيء علماً، أي لا يكون شيء إلا بعلم الله.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ أي: من أخبار ما قد مضى. ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ﴾ أي: أعطيناك ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾ أي: من عندنا ﴿ ذِكْراً ﴾ يعني القرآن؛ ﴿ مَّن أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ أي عن القرآن ولم يؤمن به ﴿ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ﴾ قال مجاهد: إثماً. ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ قال الحسن: في ثواب ذلك الوزر، وهو النار. ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ ﴾ أي وبئس لهم ﴿ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ حِمْلاً ﴾ أي: ما يحملون على ظهورهم من الوزر. وهو قوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [الأنعام: 31].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال[2]: إذا كان يوم القيامة بعث الله مع كل امرىء عمله؛ بعث مع المؤمن عمله في أحسن صورة رآها قط، أحسنه حسناً، وأجمله جمالاً، وأطيبه ريحاً. لا يرى شيئاً يخافه، ولا شيئاً يروعه إلا قال: لا تخف وأبشر بالذي يسرّك، لا والله ما أنت الذي يُراد، ولا أنت الذي يُعنى. فإذا قال له ذلك مراراً قال له: من أنت، أصلحك الله؟ والله ما رأيت أحسن منك وجهاً، ولا أطيب منك ريحاً، ولا أحسن منك لفظاً. فيقول له: أتعجب من حسني؟ فيقول: نعم. فيقول: إني والله

---

(1) زيادة من سع ورقة 28 و. وهذا على قراءة من قرأها: «لنحرُقَنّه» بفتح النون وضم الراء مخففة.. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 191: «(لَنَحرُقَنَّهُ) لنبردنه بالحديدة برداً. من حرقت «أحرُق وأحرِق لغتان. . .» وقال: حدثني حبان بن علي عن الكلبي عن أبي صالح أن علي بن أبي طالب قال: (لَنَحْرقَنّه) لنبرُدنه.

(2) أخرجه يحيى بن سلام في سع ورقة 28 ظ بالسند التالي: يحيى عن صاحب له عن إسماعيل ابن رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول. . .

عملك. إن عملك والله كان حسناً. إنك كنت تحملني في الدنيا على ثقلي. وإني والله لأحملنَّك اليوم، فيحمله. وإنها التي يقول: (وَيُنَجِّي اللهُ الذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [الزمر: 61].

قال: ويبعث مع الكافر عمله في أقبح صورة رآها قط، أقبحه قبحاً، وأنتنه ريحاً، وأسوأه منظراً. لا يرى شيئاً يخافه ولا يروعه إلا قال له: يا خبيث، أبشر بالذي يسوءك. أنت والله الذي يُراد، والذي يُعنىٰ. فإذا قال له ذلك مراراً قال له: أعوذ بالله منك، والله ما رأيت أحداً أسوأ منك لفظاً، ولا أقبح منك وجهاً، ولا أنتن منك ريحاً. فيقول له: أتعجب مني؟ فيقول: نعم، فيقول: أنا والله عملك الخبيث، إن عملك والله كان قبيحاً. إنك كنت تركبني في الدنيا، وإني والله لأركبنَّك اليوم. وإنها التي يقول الله: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: 31].

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ والصور قرن ينفخ فيه صاحب الصور فينطلق كل روح إلى جسده. قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي المشركين، وهذا حشر إلى النار ﴿ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ أي: مسودّة وجوههم كالحة. ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يسارّ بعضهم بعضاً ﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَّا عَشْراً ﴾ أي: يقلّلون لبثهم في الدنيا، تصاغرت الدنيا عندهم.

قال الله عز وجل: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ وقال الله عز وجل في آية أخرى: (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ) [طَهَ: 63]. قال بعضهم: كانوا أكثر عدداً وأموالاً. وقال بعضهم: ﴿ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أي أعدلهم طريقة. ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ أي: ما لبثتم ﴿ إِلَّا يَوْماً ﴾.

وهي مواطن. قالوا: إِلَّا عَشْراً وَإِلَّا يَوْماً و(قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) [المؤمنون: 113]. وقال عز وجل: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) [النازعات: 46] وقال عز وجل: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن

نَّهَارٍ ﴾ [الأحقاف: 35] وقال عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم: 55] وذلك لتصاغر الدنيا عندهم وقلتها في طول الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ قال المشركون للنبي ﷺ: يا محمد، كيف هذه الجبال في ذلك اليوم الذي تذكر؟ فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾.

﴿ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴾ أي: من أصولها. ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي: فيذر الأرض ﴿ قَاعاً صَفْصَفاً ﴾ القاع الذي لا أثر عليه[1] وهي القرقرة. والصفصف الذي ليس عليه نبات، كلها مستوية في تفسير مجاهد.

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً ﴾ قال مجاهد: انخفاضاً ﴿ وَلَا أَمْتاً ﴾ ولا ارتفاعاً. وقال الحسن: فصار غُمار البحور ورؤوس الجبال سواء. وقال ابن عباس: العِوَج: الوادي. ﴿ وَلَا أَمْتا ﴾ قال بعضهم: الأمت: الحدب[2].

قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ أي: يوم تكون الأرض والجبال كذلك، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ أي صاحب الصور، فيسرعون إليه حين يخرجون من قبورهم إلى بيت المقدس. وقال عبد الله بن مسعود: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه. قال بعضهم: من الصخرة من بيت المقدس.

قوله عز وجل: ﴿ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾ أي لا معدل عنه. لا يتعوَّجون، أي عن إجابته يميناً ولا شمالاً.

قوله: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: سكنت. كقوله: ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾ [النبأ: 38].

---

(1) كذا في ز: «لا أثر عليه» وفي ب و ع و سع: «لا ثرى عليه» وأصل القاع: مستنقع الماء. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 29: «(فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً) أي مستوياً أملس».

(2) وقال أبو عبيدة، وهو أدق تعبيراً وأكثر فائدة: «ولا أمتاً» مجازه: لا رُبى ولا وطئاً، أي: لا ارتفاع ولا هبوط. يقال: مدّ حبله حتى ما ترك فيه أمتاً، أي: استرخاء، وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتاً، أي: انثناء».

قال عزّ وجلّ: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾. قال الحسن: وطء الأقدام، وفي قراءة أبي بن كعب: لا ينطقون إلا همساً.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ أي: التوحيد والعمل بالفرائض. وهو كقوله عز وجل: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَـٰئِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَاباً) [النازعات: 46] أي التوحيد. والكفار ليست لهم شفاعة، لا يشفع لهم، كقوله عز وجل: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) [الأنبياء: 28].

قوله عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: من أمر الدنيا إذا صاروا في الآخرة. ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ أي: ويعلم ما لا يحيطون به علماً. وهو تبع للكلام الأول، أي: ويعلم ما لا يحيطون به علماً، أي: ما لا يعلمون[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ أي: وذلّت الوجوه للحيّ القيّوم وتفسير القيّوم: القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجزيها بعملها.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ أي: من مشرك ومن منافق؛ أي: خاب من حمل شركاً، وخاب من جمل نفاقاً. وهو ظلم دون ظلم وظلم فوق ظلم.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ﴾ أى: لا يجزى بالعمل الصالح في الآخرة إلا المؤمن، ويجزى به الكافر في الدنيا.

(فَلَا يَخَافُ ظُلْماً) أي يزاد عليه في سيئاته في تفسير الحسن. وقال بعضهم: (فَلَا يَخَافُ ظُلْماً) أي: أن يحمل عليه من ذنب غيره. (وَلَا هَضْماً) أي: ولا ينقص من حسناته.

(1) كذا في المخطوطتين ب و ع وفي سع 29 و. وهو تكرار لا فائدة منه تذكر.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾ أي: من يعمل كذا فله كذا، فذكره في هذه السورة، ثم في سورة أخرى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾ أي: القرآن. وهي تقرأ بالياء والتاء. فمن قرأها بالياء فهو يقول: (أَوْ يُحدِثُ لَهُمُ القُرْآن ذِكراً) أي: جدّاً وورعاً. ومن قرأها بالتاء فهو يقول: أو تحدث لهم يا محمد ذكراً[1].

قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾. تعالى من باب العلو، أي: ارتفع الله الملك الحق، والحق اسم من أسماء الله.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي بيانه. وقال الحسن: (وَحْيُهُ) أي فرائضه وحدوده وأحكامه، وحلاله وحرامه.

وكان النبي عليه السلام إذا نزل عليه الوحي جعل يقرأه ويذيب فيه نفسه مخافة أن ينساه. فأنزل الله: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَل بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَـهُ) [القيامة: 16 - 17] أي: نحن نحفظه عليك فلا تنسى. قال الله: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ) [الأعلى: 6 - 7] وهو قوله: (مَا نَنْسَـخْ مِنَ آيَـةٍ أَوْ نُنْسِهَا) [البقرة: 106] أي: ينسيها نبيّه عليه السلام، قال تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة: 18]. أي: فرائضه وحدوده والعمل به.

وقال مجاهد: (لَا تَعْجَلْ بِالْقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أي: لا تتله على أحد حتى نتمّه لك.

قال عز وجل: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني ما أمر به ألّا يأكل من

---

(1) وقد أورد بعض المفسرين وجهاً آخر للذكر. قال الفراء في المعاني ج 2 ص 193: (أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً): شرفاً. وهو مثل قول الله: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) [الزخرف: 44] أي شرف. ويقال: عذاباً، أي يتذكرون حلول العذاب الذي وُعِدُوه.

الشجرة. ﴿ فَنَسِيَ ﴾ يعني: فترك العهد، يقول: فترك ما أمِر به. ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ أي: صبراً[1].

قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ أن يسجد ﴿ فَقُلْنَا يَـٰئَادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ أي: إنكما إن عصيتما الله أخرجكما من الجنة، فتشقى، أي في الدنيا، بالكدح فيها. وقال بعضهم: (فَتَشْقَىٰ) أي تأكل من عمل يديك وعرق جبينك.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ كانا كسيا الظفر. ﴿ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا ﴾ أي: لا تعطش فيها ﴿ وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ أي: لا تصيبك الشمس[2]. أي: ما لم تعص.

قال عز وجل: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـٰنُ قَالَ: يَـٰئَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ أي إنك إن أكلت من الشجرة خلدت في الجنة، وهو كقوله عز وجل: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) [الأعراف: 23] يقول: إذا أكلتما من الشجرة تحوّلتما ملكين من ملائكة الله، أو كنتما من الخالدين الذين لا يموتون.

ذكر بعضهم قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام ما يقطعها. قيل: أي شجرة هي؟ قال: شجرة الخلد.

قوله عز وجل: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ فبدأت حواء قبل آدم في تفسير الكلبي. ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ ذكر الحسن عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) هذا وجه من وجوه تأويل العزم. وهو الصبر. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 192: «صريمة ولا حزماً فيما فعل». وقال الطبري في تفسيره ج 16 ص 222: «يكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه».

(2) قال ابن أبي زمنين في ز ورقة 210: «يقال ضحِيَ يضحَى إذا برز إلى الضحاء، وهو حر الشمس». وفي اللسان: «ضحا الرجل وضحِيَ يَضْحَى ضحواً وضحياً. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 194: (لا تضحى): لا تصيبك شمس مؤذية».

كان آدم رجلاً طوالا كأنه نخلة سحوق، جعد الرأس. فلما وقع به ما وقع بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك. فانطلق هارباً في الجنة، فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه، فقال لها: أرسليني. فقالت: لست بمرسلتك. فناداه ربه: يا آدم، أمني تهرب؟ فقال: رب إني أستحييك[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ أي: وجعلا يخصفان، أي يرقعان من ورق الجنة كهيئة الثوب.

قال عز وجل: ﴿ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ ﴾ يعني المعصية، ولم يبلغ بالمعصية الضلال[2].

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ وهو قوله: (فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) [البقرة: 37] و(قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: 23]. قال عز وجل: ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ أي: من ذلك الذنب ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ أي: مات على الهدى.

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. وقد فسّرناه في سورة البقرة[3]. ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ [أي رسلي وكتبي][4] ﴿ فَلاَ يَضِلُّ ﴾ أي في الدنيا ﴿ وَلاَ يَشْقَىٰ ﴾ أي في الآخرة[5].

---

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 10.

(2) كذا في ب و ع، وسع ورقة 30 ط. وفي ز ورقة 211: «ولم يبلغ بمعصيته الكفر».

(3) انظر ما سلف ج 1 ص 29.

(4) زيادة من ز، ورقة 211.

(5) روى مجاهد في تفسيره ص 404 أثراً عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ) «يقول: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب، وذلك بأن الله عز وجل يقول: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ)». فاللّهم اهدنا صراطك المستقيم وانفعنا بكتابك الكريم، وقنا سوء حسابك. آمين.

﴿ ومَن أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ أي: فلم يتّبع هداي ولم يؤمن ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ أي عذاب القبر[1].

وذكروا عن ابن مسعود قال: (مَعِيشَةً ضَنْكاً): عذاب القبر. قال: يلتئم على صاحبه حتى تختلف أضلاعه[2].

ذكروا أن الرجل المؤمن إذا وضع في قبره، فانصرف عنه الناس، أتاه صاحب القبر الذي وكل به، فأتاه من قبل جانبه الأيمن، فقالت له الزكاة التي كان يعطي: لا تفزعه من قِبَلي اليوم، ثم أتاه من قبل رأسه فقال له القرآن الذي كان يقرأ: لا تفزعه من قِبَلي اليوم. ثم جاءه من قبل رجليه فقالت الصلاة التي كان يصلّي: لا تفزعه من قِبَلي اليوم. ثم جاءه من جانبه الأيسر، فأيقظه إيقاظك الرجل الذي لا تحب أن تفزعه فقال له: من ربك؟ فقال: الله وحده لا شريك له. ثم قال له: من نبيّك؟ قال: محمد ﷺ. قال: فما دينك؟ قال: الإسلام، وعلى ذلك حييت، وعلى ذلك مت؟ قال: نعم، وعلى ذلك تبعث؟ قال: نعم. قال: صدقت. قال: فيفتح له في جنب قبره، فيريه منزله من الجنة وما أعد الله له من الكرامات، فيشرق وجهه، وتفرح نفسه، ثم يقال له: نم نوم العروس الذي لا يوقظه إلا أعز أهله عليه.

ويؤتى بالكافر فلا يجد شيئاً يحول دونه: لا صلاة ولا قراءة ولا زكاة، فيوقظه إيقاظك الرجل الذي تحبّ أن تفزعه، فيقول له: من ربّك؟ فيقول: أنت. فيقول: من نبيّك؟ فيقول: أنت. فيقول: وما كان دينك؟ فيقول: أنت. فيقول: صدقت، لو كان لك إلّه تعبده لاهتديت له اليوم، فيفتح له في جنب قبره فيريه منزله من النار وما أعد الله له من العذاب، ويضربه ضربة يتناصل منها كل عظم من مفصله، فيسمعه الخلق

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: «(فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) مجازه معيشة ضيّقة. والضنك توصف به الأنثى والمذكّر بغير الهاء، وكل عيش أو منزل أو مكان ضيق فهو ضنك».

(2) روى هذا الأثر في سع بسند عن أبي سعيد الخدري. ورواه مجاهد في تفسيره ص 404 حديثاً بسند صحيح يرفعه إلى رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة ولفظه: المعيشة الضنك عذاب القبر. وانظر ما سلف ج 2 ص 113 - 114.

إلا الثقلين: الإنس والجن، ثم يقذف به في مقلى ينفخه نافخان لا يميل إلى هذا إلا رده إلى هذا، ولا يميل إلى هذا إلا رده إلى هذا حتى ينفخ في الصور النفخة الأولى فيقال له: اخمد؛ فيخمد حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية؛ فيبعث مع الخلق، فيقضى له كما يقضى لهم، لا راحة له إلا ما بين النفختين.

قوله عز وجل: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أي عن حجته. كقوله: (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) [المؤمنون: 117] أي: لا حجة لديه.

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ ﴾ أي: عن حجّتي ﴿ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ أي: عالماً بي حتى في الدنيا، وإنما علمه ذلك عند نفسه في الدنيا، كان يحاجّ في الدنيا. [جاحداً لما جاء من الله][1]. وقال بعضهم: أعمى عن الحق، أي: في الدنيا.

قال الله عز وجل: ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا﴾ أي: لأنه أتتك آياتنا في الدنيا ﴿ فَنَسِيتَهَا ﴾ أي: فتركتها ولم تؤمن بها. ﴿ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ أي: تترك في النار. وقال بعضهم: نُسِي من الخير، أي ترك من الخير ولم ينس من الشر، أي: ولم يترك من الشر.

قال عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ أي: من أشرك، أي أسرف على نفسه بالشرك ﴿ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِئَايَٰتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: لا ينقطع أبداً.

قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ قال الحسن: أي: قد بيّنا لهم، مقرأه على النون[2]، كيف أهلكنا القرون الأولى، يحذرهم ويخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا.

قال عز وجل: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ أي: تمشي هذه الأمة في مساكن من

(1) زيادة من ز ورقة 212.

(2) جاء في سع ورقة 31 ط: (أَفَلَمْ يَهْدِ) بالياء وكذلك جاءت في ب و سع، وهي عندنا قراءة ورش عن نافع. وقرأ الحسن بالنون: (أَفَلَمْ نَهْدِ).

مضى. أي: يمشون عليها وإن لم تكن الديار قائمة ولكن المواضع، كقوله عز وجل: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) [هود: 100] أي منها قائم تراه، ومنها حصيد لا تراه.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـٰتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴾ أي: لأهل العقول، وبعضهم يقول: لأهل الورع، وهم المؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ قال الحسن: ألا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال إلا بالساعة، يعني النفخة الأولى ﴿ لَكَانَ لِزَاماً ﴾ أي: أخذاً بالعذاب، أي: يُلزَمون عقوبة كفرهم [فأهلكوا جميعاً لجحودهم ما جاء به النبي عليه السلام][1] وفي الآخرة [وَأَجَلٌ مُسَمًّى] أي: الساعة. وهذا من مقاديم الكلام. يقول: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) وأَجَلٌ مُسَمًّى لكان لزاماً.

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من قولهم إنك ساحر وإنك شاعر، وإنك مجنون، وإنك كاهن، وإنك كاذب ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ أي الظهر والعصر ﴿ وَمِنْ ءَانَاءِ اللَّيْلِ ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿ فَسَبِّحْ ﴾. وقال بعضهم: (وَمِنْ آنَـاءِ اللَّيْلِ) أي: ساعات الليل[2] ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ قال الحسن: يعني التطوّع.

وذكروا عن الحسن في قوله عز وجل: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) ما بين صلاة الصبح وصلاة العصر (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) [هود: 114] أي: المغرب والعشاء.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 212. وفي سع ورقة 31 ط: «أي: إذاً لأهلكناهم بجحودهم جميعاً».

(2) وهو الصواب. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 33: «(ومن آناء الليل) أي: ساعات الليل، واحدها إني، تقديره حِسي والجميع أحساء. وقال المتنخل الهذلي وهو أبو أثيلة:

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُـهُ		فِي كُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْـلُ يَنْتَعِلُ»

والبيت من قصيدته التي يرثي بها أُثَيْلَة ابنه ومطلعها:

مَا بَالُ عَيْنِك تَبْكِي دَمْعُهَا خَضِـلُ		كَمَـا وَهَى سَرِبُ الأَخْـرَاتِ مُنْبَزِلُ

انظر السكري، شرح أشعار الهُذليين ج 3 ص 1280 - 1285.

قوله عز وجل: ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ أي ثواب عملك في الآخرة.

وقال الحسن: (لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) أي: فإنك سترضىٰ ثواب عملك. وهي تقرأ على وجه آخر: (لَعَلَّكَ تُرْضَىٰ) أي: تُرضىٰ في الآخرة بثواب عملك. أي: يرضيك الله بالثواب.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ ﴾ [أصنافاً منهم][1] يعني الأغنياء. ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: زينة الحياة الدنيا. أمره الله أن يزهد في الدنيا ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي لنبتليهم فيه، لنختبرهم فيه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابراً وشاكراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً: من نظر إلى من فوقه في الدين ودونه في الدنيا فاقتدى بهما كتبه الله صابراً وشاكراً. ومن نظر إلى من فوقه في الدنيا ودونه في الدين فاقتدى بهما لم يكتبه الله صابراً ولا شاكراً[2].

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: خير الرزق الكفاف، اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ أي: في الجنة ﴿ خَيْرٌ ﴾ من الدنيا ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: لا نفاد له.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 212.

(2) انظر مامضى ج 2 ص 251.

(3) هما حديثان. أخرج الأول منهما أحمد في الزهد عن زياد بن جبير مرسلاً ولفظه: خير الرزق الكفاف. ورواهما ابن سلام في سع ورقة 31 ظ عن الحسن مرسلين متصلين. والصواب أنهما حديثان. فقد أخرج الحديث الثاني الترمذي وابن ماجه ومسلم. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة عن أبي هريرة (رقم 1054) ولفظه: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» وفي لفظ له آخر: «كفافاً» كما في كتاب الزهد والرقائق. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة، عن أبي هريرة (رقم 4139) ولفظه: «اللهم ارزق آل محمد قوتاً». وفي اللسان: «القوت ما يمسك الرمق من الرزق». وقيل: «هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام» كما عرفه الجوهري في الصحاح.

قال بعضهم: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ مما متع به هؤلاء من زهرة الحياة الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ ﴾ وأهله في هذا الموضع أمته. ﴿ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً ﴾ أي لا نسألك على ما أعطيناك من النبوة رزقاً. وتفسير الحسن في ذلك في التي في والذاريات: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ [الذاريات: 17] أي: أن يرزقوا أنفسهم. قال بعضهم: فإن كانت هذه عند الحسن مثلها فهو لا نسألك رزقاً أي: أنت ترزق نفسك. وهذا أعجب إليّ.

﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي: لأهل التقوى، والعاقبة الجنة. كقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 35].

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ يَأْتِينَا بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ قال الله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ أي: في التوراة والإنجيل.. كقوله عز وجل: ﴿ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف: 157].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَـٰهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ أي من قبل القرآن ﴿ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾ أي هلا أرسلت إلينا رسولاً ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِنْ قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ في العذاب.

قال الله عز وجل للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ أي: نحن وأنتم. كان المشركون يتربّصون بالنبي عليه السلام الموت، وكان النبي عليه السلام يتربّص بهم أن يأتيهم العذاب.

قال الله عز وجل: ﴿ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ﴾ أي الطريق السويّ، أي العدل المستقيم إلى الجنة، وهو الإسلام ﴿ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ أي: فستعلمون أن النبي عليه السلام والمؤمنين كانوا على الصراط السوي وهو طريق الجنة، وأنهم ماتوا على الهدىٰ.

تفسير سورة الأنبياء
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ أي: إن ذلك قريب. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين[1] وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول لها الناس السبابة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: حين بعث إليّ بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه، وقدم رجلاً وأخر أخرى، ينظر متى يومر فينفخ، ألا فاتقوا النفخة الأولى[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ يعني المشركين في غفلة عن الآخرة، معرضون عن القرآن.

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ أي: كلما نزل من القرآن شيء أعرضوا عنه. قال عز وجل: ﴿ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: يسمعونه بآذانهم ولا تقبله عقولهم.

---

(1) حديث صحيح رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن أنس بن مالك وعن سهل بن سعد وعن جابر ابن عبد الله. أخرجه البخاري مثلاً في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين. وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، (رقم 2950 و 2951) ولفظه عند مسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وفي رواية له: «بعثت أنا والساعة هكذا».

(2) أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مشابهة عن أبي سعيد الخدري، وفيه: «كيف أنعمُ وصاحب الصور قد التقمه...».

قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية قال أناس من أهل الضلالة: زعم صاحبكم أن الساعة قد اقتربت؛ فتناهوا قليلاً؛ قال: ليس يعني عن شركهم، ثم قال أناس من أهل الضلالة: يزعم هذا الرجل أنه قد أتى أمر الله؛ فتناهوا قليلاً ثم عادوا، فأنزل الله في سورة هود: ﴿ وَلَئِن أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ [هود: 8] قال الله عز وجل: ﴿ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾ يعني العذاب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: غافلة قلوبهم عنه.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: الذين أشركوا، أسرّوا ذلك فيما بينهم، يقوله بعضهم لبعض[1]. ﴿ هَلْ هَٰذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ، ﴿ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ ﴾ يعنون القرآن، أي: أفتصدّقون به ﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنه سحر.

قال الله عز وجل للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ رَّبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ ﴾ يعني السّرّ ﴿ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

ثم قال عز وجل: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ﴾ أي كذب أحلام ﴿ بَلِ افْتَرَٰهُ ﴾ محمد ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ أي: محمد شاعر ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِئَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ أي: كما أرسل موسى وعيسى فيما يزعم محمد.

قال الله عز وجل: ﴿ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي أن القوم إذا كذّبوا رسلَهم وسألوه الآية فجاءتهم الآيةُ ثمّ لم يؤمنوا بها أهلكهم الله؛ أفهم يؤمنون إن جاءتهم الآية؟ أي: لا يؤمنون، إن جاءتهم الآية.

قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَىٰ إِلَيْهِم فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ وهم أهل الكتاب، عن ذلك. وهم أهل التوراة والانجيل في تفسير بعضهم، يعني من

(1) انظر إعراب هذه الجملة: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 34. وقال أبو عبيدة: «(وأسرّوا) من حروف الأضداد، أي أظهروا».

آمن منهم: عبد الله بن سلام وأصحابه المؤمنين[1].

قوله عز وجل: ﴿ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهم لا يعلمون. وهي كلمة عربية معقولة[2]. يقول: إن كنت لا تصدق فاسأل. وهو يعلم أنه قد كذب.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ يعني النبيين. ولكن جعلناهم جسداً يأكلون الطعام. وقد قال المشركون: (مَا لِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) [الفرقان: 7].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانُوا خَـٰلِدِينَ ﴾ أي ما كانوا يخلدون في الدنيا لا يموتون.

قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ الْوَعْدَ ﴾ كانت الرسل تحذّر قومَها عذاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة إن لم يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا صدَق اللهُ رسلَه الوعدَ فأنزل العذاب على قومهم.

قال: ﴿فَأَنْجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَاءُ ﴾ يعني النبي والمؤمنين ﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ يعني المشركين.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَـٰباً﴾ أي القرآن ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ أي: فيه شرفكم، يعني قريشاً، أي لمن آمن به ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ أي: أهلكنا ﴿ مِنْ قَرْيَةٍ كَانَت ظَّالِمَةً ﴾ أي مشركة، يعني أهلها. ﴿ وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا ﴾ أي: وخلقنا بعدها ﴿ قَوْماً ءَاخَرِينَ﴾.

قال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ أي عذابنا، يعني قبل أن يُهلكوا، رجع

---

(1) وقيل أهل الذكر هم أهل القرآن. وقد رُوِي عن جابر الجعفي أنه قال: لما نزلت الآية قال الإمام علي: نحن أهل الذكر.

(2) كذا في ب و ع: «معقولة» ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً، ولعلها «مقولة». وسقطت الكلمة من سع.

إلى قصة من أهلك ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا ﴾ أي: من القرية ﴿ يَرْكُضُونَ ﴾ أي: يفرون من العذاب حين جاءهم.

يقول الله عز وجل: ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ أي: لا تفروا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ يعني نعيمهم الذي كانوا فيه ﴿ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ أي: من دنياكم شيئاً. أي: لا تقدرون على ذلك ولا يكون ذلك، يقال لهم هذا استهزاءً بهم[1].

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا ﴾ وهذا حين جاءهم العذاب ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ [يعني قولهم يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ][2]، ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَـٰمِدِينَ ﴾ يعني قد هلكوا[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَـٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ أي: إنما خلقناهما للبعث والحساب والجنة والنار.

قوله عز وجل: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً ﴾ واللهو المرأة بلسان اليمن فيما قال الحسن[4]. وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله. وقد قال في سورة الأنعام: (بَدِيعُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ) [الأنعام: 101].

قال عز وجل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَـٰطِلِ ﴾ بالحق، أي بالقرآن على

---

(1) وقع اضطراب في هذه الجمل الأخيرة في ب و ع فأثبت صحتها من ز ورقة 213.

(2) زيادة من سع ورقة 32 ظ.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 36: «والحصيد: مجازه مجاز المستأصل، وهو يوصف بلفظ الواحد والاثنين والجميع من الذكر والأنثى سواء، كأنه أجرى مجرى المصدر الذي يوصف به الذكر والأنثى والإثنان والجميع منه على لفظه، وفي آية أخرى: (كَانَتَا رَتْقاً) مثله».

(4) وفي معاني الفراء ج 2 ص 200 ما يلي: «حدثني حبّان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: اللهو: الولد بلغة حضرموت. وقوله: (إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) جاء في التفسير: ما كنا فاعلين. و (إنْ) قد تكون في معنى (ما) كقوله: (إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ) وقد تكون (إن) التي في مذهب جزاء، فيكون: إن كنا فاعلين ولكنّا لا نفعل. وهو أشبه الوجهين بمذهب العربية، والله أعلم».

باطلهم، أي شركهم ﴿ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ أي ذاهب. قال تعالى: ﴿ وَلَكُمُ الوَيْلُ ﴾ أي: العذاب ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ أي: مما تكذبون، لقولهم إن الملائكة بنات الله.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ يعني الملائكة ﴿ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[1] أي: ولا يُعيَوْن. ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس في تفسيرها قال: انظر إلى بصرك هل يؤودك[2]، أي: هل يثقل عليك، وانظر إلى سمعك هل يؤودك، وانظر إلى نَفَسك[3] هل يؤودك، فكذلك الملائكة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أطّت السماء وحُقّ لها أن تئط؛ ليس فيها موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد[3].

ذكروا عن عطاء قال: ليس في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد.

قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾ أي: هم يحيون الموتى، على الاستفهام. أي: قد اتخذوا آلهة لا ينشرون أي لا يحيون الموتى.

قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أي في السماوات

---

(1) «(لا يَسْتَحْسِرُونَ) أي: لا يفترون ولا يُعيَوْن ولا يملّون. ويقال: حسرتُ البعير». هذا ما جاء في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 36.

(2) في ب وع: «يؤذيك»، وهو خطأ ولا شك صوابه ما أثبته.

(3) في ب وع. وفي سع ورقة 32 ظ: «وانظر إلى نَفْسك هل تؤودك». والصواب ما أثبته: «إلى نَفَسِك هل يؤودك» وهو أنسب وأبلغ.

(4) أخرجه يحيى بن سلام من طرق عن محمد بن المنكدر وعن قتادة مرسلاً. وانظر ما سلف ج 2 ص 47.

والأرض (آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ) أي غير الله (لَفَسَدَتَا) أي: لهلكتا[1]. ﴿ فَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزه نفسه عما يقولون، عما يصفون، أي: عما يكذبون.

قوله عز وجل: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ أي: لا يُسأل عما يَفعل بعباده، وهم يُسألون عن أعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ وهذا وأشباهه استفهام على معرفة. ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ أي: بيّنتكم، في تفسير مجاهد. وقال الحسن: حجّتكم على ما تقولون إن الله أمركم أن تتخذوا من دونه آلهة. أي: ليس عندكم بذلك بيّنة ولا حجّة.

قوله عز وجل: ﴿ هَـٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ﴾ يعني القرآن، يعني ما فيه من الحلال والحرام ﴿ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ﴾ من أخبار الأمم السالفة وأعمالهم، يعني من أهلك الله من الأمم ومن نجّى من المؤمنين، ليس فيه اتخاذ آلهة دون الله. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ يعني بقوله: (أَكْثَرُهُمْ) يعني جماعتهم، وقوله عز وجل: (فَهُم مُّعْرِضُونَ) أي: عن القرآن.

قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ أي: لا تعبدوا غيري، بذلك أرسل الرسل جميعاً.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَداً ﴾ قال بعضهم: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت من بينهم الملائكة.

قال الله عز وجل: ﴿ سُبْحَـٰنَهُ ﴾ ينزّه نفسه عما يقولون. ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ يعني الملائكة، هم كرام على الله[2]. ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ فيقولون شيئاً لم يقبلوه عن الله ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم ﴾ من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 200: « (إلّا) في هذا الموضع بمنزلة سوى، كأنك قلت: لو كان فيهما آلهة سوى الله أو غير الله لفسد أهلهما (يعني أهل السماء والأرض) ».

(2) وقيل المعنى: أكرمهم الله بعبادته، كما رواه الطبري في تفسيره ج 17 ص 16 عن قتادة.

أي: من أمر الدنيا إذا كانت الأخرة. [وقال بعضهم: يعني يعلم ما كان قبل خلق الملائكة وما كان بعد خلقهم][1]. ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ أي: لمن رضي عنه ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون.

قوله: عز وجل: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ﴾ نزلت هذه الآية في إبليس خاصة، دعا إلى عبادة نفسه.

وقال الحسن: ومن يقل ذلك منهم، إن قالوه، ولا يقوله أحد منهم. وكان يقول: إن إبليس لم يكن منهم.

قوله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هذا على الخبر في تفسير الحسن ﴿ أَنَّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ أي: كانتا ملتزقتين إحداهما على الأخرى في قول الحسن، فوضع الأرض ورفع السماء.

وقال الكلبي: إن السماء كانت رتقاً لا ينزل منها ماء ففتقها الله بالماء وفتق الأرض بالنبات[2].

وقال بعضهم: كانتا جميعاً ففصل الله بينهما بهذا الهواء فجعله بينهن.

وقال مجاهد: كن مطبقات ففتقهن، أحسبه قال بالمطر. وقال مجاهد: ولم تكن السماء والأرض متماسّتين.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني المشركين. وكل شيء حيّ فإنما خلق من الماء.

ذكروا عن أبي هريرة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقرّت عيني، فأنبئني عن كل شيء، فقال: كل شيء حيّ خلق من

(1) زيادة من ز ورقة 214، والقول للسدي.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 37: «(كَانَتَا رَتْقاً) مجازه مجاز المصدر الذي يوصف بلفظه الواحد والاثنان والجميع من المذكر والمؤنث سواء. ومعنى الرتق الذي ليس فيه ثقب، ثم فتق الله السماء بالمطر، وفتق الأرض بالشجر».

الماء. فقلت: أنبئني بعمل إذا قمت به دخلت الجنة. قال: أفش السلام، وأطب الكلام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ يعني الجبال ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي لئلا تحرك بهم. ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً ﴾ أي: أعلاماً طرقاً ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي يهتدوا.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً ﴾ [على من تحتها][2] محفوظاً من كل شيطان رجيم؛ كقوله: (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ) [الحجر: 17] وإنما كانت ها هنا محفوظاً لأنه قال عز وجل: سقفاً محفوظاً، فوقع الحفظ فيها على السقف. وفي الآية الأخرى على السماء. قال بعضهم: سقف محفوظ، وموج مكفوف.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا ﴾ أي: الشمس والقمر والنجوم ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكرون فيما يرون فيها فيعرفون أن لهم معاداً فيؤمنوا. وقد قال عز وجلّ في ءاية أخرى: (قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾.

ذكروا أن السماء خلقت مثل القبّة، وأن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء لازق بالسماء، وأنها تجري في فلك دون السماء، وأن أقرب الأرض إلى السماء بيت

---

(1) أخرجه ابن سلّام من طريق همام عن قتادة عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد وابن حبان والحاكم، وأخرجه ابن ماجه من طريق آخر عن عبد الله بن سلام في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل (رقم 1334) ولفظه: «يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام». وانظر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: (رقم 569، و 571).

(2) زيادة من سع ورقة 33 و.

المقدس باثني عشر ميلاً، وأن أبعد الأرض من السماء الأُبُلّة[1].

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: الشمس والقمر وجوههما إلى السماء واقفاؤهما إلى الأرض يضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض. ثم تلا هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ [نوح: 15 - 16].

ذكروا أنه قيل لعبد الله بن عمرو: ما بال الشمس تصلانا أحياناً وتبرد أحياناً؟ قال: أما في الشتاء فهي في السماء الخامسة، وأما في الصيف فهي في السماء السابعة، قيل له: فما كنا نراها إلا في هذه السماء الدنيا، قال: لو كانت في هذه السماء الدنيا لم يقم لها شيء.

ذكر بعضهم قال: إن الشمس أدنيت من أهل الأرض في الشتاء لينتفعوا بها، ورفعت في الصيف لئلا يؤذيهم حرها[2].

قوله: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ قال مجاهد: يدورون كما يدور فلك المغزل. وقال بعضهم: يجرون كهيئة حديد الرحى. وقال الحسن: إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فلكة المغزل يدورون فيها؛ ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تجر.

وقال الكلبي: ﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾: يجرون. وقال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: 5] قال: حسبان كحسبان الوحي، يعني قطب الرحى الذي تدور عليه الرحى[3].

---

(1) كذا في سع ورقة 33: «الأُبُلّة» وهو الصحيح، وهي مدينة قرب البصرة من جانبها البحري، انظر البكري، معجم ما استعجم ج 1 ص 98. وفي ب و ع وردت الكلمة هكذا: «لايلة» و «لايلت»، وفيهما تصحيف.

(2) كذا وردت هذه الأخبار منسوبة إلى نوف البكالي، وإلى عبد الله بن عمرو، وهي لا تمت إلى العلم بصلة. ولم يثبت فيها عن المصطفى ﷺ حديث صحيح.

(3) الرحى. هكذا ترسم بألف مقصورة. والألف فيها منقلبة عن الياء، تقول: رحيان وتجمع على =

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الخَـٰلِدُونَ﴾ على الاستفهام، أي: لا يخلدون.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكم بالشَّرِّ وَالخَيْرِ ﴾ أي: بالشدّة والرّخاء ﴿ فِتْنَةً ﴾ أي: بلاء واختباراً. ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ وإِذَا رَءَاكَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقوله للنبي عليه السلام ﴿ إن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُؤاً أَهَذَا الذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ يقولها بعضهم لبعض، أي: يعيبها ويشتمها. قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

قوله: ﴿ خُلِقَ الإِنْسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ يعني آدم، خلق آخر ساعات النهار من يوم الجمعة بعدما خلق الخلق، فلما دخل الرّوح عينيه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال: رب استعجل بخلقي قد غربت الشمس. هذا تفسير مجاهد. وقال بعضهم: (مِنْ عَجَلٍ) أي: خلق عجولاً[1].

قال الله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي عليه السلام من العذاب لما خوفهم به. وذلك منهم استهزاء وتكذيب. قال الحسن: يعني الموعد الذي وعده الله في الدنيا: القتل لهم والنُّصرة عليهم، والعذاب في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ هذا قول المشركين للنبي عليه السلام، متى هذا الوعد الذي تعدنا به من أمر القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ وفيها تقديم؛ أي: إن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون.

= أرحاء، والكلمة مؤنثة.

(1) وهذا القول أصح وأحسن تأويلاً، وما فسّر القرآن مثل القرآن، يقول الله: (وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً) [الإسراء: 11].

قوله: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ﴾ يعني القيامة ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ مباهتة، أي تحيّرهم ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ أي: ولا هم يؤخّرون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم ﴾ [أي: كذّبوهم واستهزأوا بهم][1] ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾. أي: العذاب الذي كانوا يكذبون به ويستهزءون بالرسل إذا خوّفوهم به.

قوله: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: من يحفظكم ﴿ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: هم ملائكة من الرحمٰن، كقوله: (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [الرعد: 11] أي: هم من أمر الله، وهم ملائكة الله، وهم حفظاء الله لبني آدم ولأعمالهم، يتعاقبون فيهم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الصبح، وعند صلاة العصر[2]. يحفظون العباد مما لم يقدر عليهم ويحفظون عليهم أعمالهم.

ذكروا عن مجاهد قال: ما من آدمي إلا ومعه ملكان يحفظانه في ليله ونهاره، ونومه ويقظته من الجن والإنس والدواب والسباع والهوام والطير، كلما أراده شيء قالا: إليك حتى يأتي القدر.

وذكر بعض أصحاب النبي ﷺ قال: ما من آدمي إلا ومعه ملكان أحدهما يكتب عمله والآخر يقيه ما لم يقدر له.

قال الحسن: هم أربعة أملاك يتعاقبونهم بالليل والنهار.

قوله عز وجل: ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ يعني المشركين، هم عن القرآن معرضون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ أي: قد اتخذوا آلهة لا

---

(1) زيادة من سع ورقة 33 ظ، ومن ز ورقة 215.

(2) هذه بعض ألفاظ حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وتمامه. . . ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون.

تمنعهم من دوننا ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: لا تستطيع الآلهة لأنفسه نصراً. ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [أي: لا يصحبون من الله بخير في تفسير قتادة][1].

وقال الحسن: يعني لا تمنعهم من الله إن أراد عذابهم. وكان يقول: إنما تعذب الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأصنام ولا تعذب الأصنام. (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ) يقول: لا تستطيع تلك الأصنام نصر أنفسها إن أراد أن يعذبها. (وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ) قال الكلبي: يقول: ولا من عبدها منا يُجارون.

قوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ يعني قريشاً ﴿ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ أي: لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمد عليه السلام.

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾. قال ابن عباس: موت فقهائها وعلمائها. ذكر بعضهم قال: موت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد[2]..

وقال الحسن: (نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتوح على النبي ﷺ أرضاً فارضاً. ألا تسمعه يقول: ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ أي: ليسوا بالغالبين، ولكن رسول الله ﷺ هو الغالب.

وقال الحسن: إن الله يبعث قبل يوم القيامة ناراً تطرد الناس من أطراف الأرض إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترحل معهم إذا رحلوا، فتقوم عليهم القيامة بالشام، وهو قوله: (نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا).

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾ أي: بالقرآن، أي أنذركم به عذاب الدنيا والآخرة، يعني المشركين. قوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ الصمُّ ها هنا الكفار، صمّوا عن الهدى.

---

(1) في مخطوطتي ب و ع اضطراب ونقص في تفسير الآية، فأضفت هذه الزيادة من سع ورقة 33 ظ للإيضاح، وأتممت التصحيح من ز.

(2) أورد المؤلف في تفسير الآية على نحو ما فسّرها به ابن عباس حديثاً مرسلاً عن الحسن. «قال: قال رسول الله ﷺ: موت عالم ثُلمة في الإسلام لا يسدّها شيء أبداً». ولم أجده فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث حتى أتحقق من صحته.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ أي عقوبة ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ يعني النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة بكفرهم وجحودهم ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾ أي إذا جاءهم العذاب: ﴿يَـٰوَيْلَنَـا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾. وهي مثل الآية الأولى التي في سورة الأعراف: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَيٰهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ أي عذابنا (إِلَّآ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأعراف: 5].

قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ ﴾ أي العدل ﴿ لِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ﴾.

ذكر الحسن أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل يذكر الرجل حميمه يوم القيامة؟ فقال: ثلاثة مواطن لا يذكر الرجل فيها حميمه: عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا يجوز، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ صحيفته أم بشماله[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾ أي: لا ينقص المؤمن من حسناته ولا يزاد عليه من سيئات غيره، ولا يزاد على الكافر سيئات غيره ولا يجازى في الآخرة بحسنة قد استوفاها في الدنيا.

قال: ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ أي: عالمين. وقال الحسن: لا يعلم مثقال الذرّ والخردل إلّا الله، ولا يحاسب العبدَ إلا هو.

ذكروا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يأكلون طعاماً فنزلت هذه الآية: (فَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) [الزلزلة: 8 - 7]. فأمسك أبو بكر وقال: يا رسول الله، ما من خير عملته إلا رأيته، ولا شراً عملت إلا رأيته؟ فقال: يا أبا بكر، أما ما رأيت مما تكره في الدنيا فمثاقيل الشر، وأما مثاقيل الخير فتلقاك يوم القيامة، ولن يهتك الله ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير[2].

---

(1) انظر ما سلف ج 2 ص 196.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 30 ص 268 عن أنس بن مالك، وأخرجه المروزي بمعناه =

وقال بعضهم: وبلغني في الكافر أنه ما عمل من مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا، وما عمل من مثقال ذرة شرّاً يره في الآخرة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يا أيها الناس لا تغترّوا بالله، فإن الله لو كان مغفلاً شيئاً لأغفل الذرة والبعوضة والخردلة[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ ﴾ يعني التوراة. وفرقانها أنه فرّق فيها حلالها وحرامها. ﴿ وَضِيَاءً ﴾ أي ونوراً ﴿ وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي يذكرون به الآخرة.

قوله عزّ وجل: ﴿ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ ذكروا عن مجاهد في قوله عز وجل: (هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) [سورة قٓ: 32 - 33] قال: أي يذكر الرجل منهم ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها، وَيَوْجل منها قلبه.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون وجلون من شر ذلك اليوم؛ وهم المؤمنون.

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَٰهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ يعني المشركين، على الاستفهام، أي: قد أنكرتموه.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: هديناه صغيراً، في تفسير مجاهد. وقال الحسن: النبوة. ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَٰلِمِينَ ﴾ أي: أنه سيبلّغ عن الله

= في مسند أبي بكر الصديق (رقم 20) ص 57، 59. وأورده ابن سلام عن النضر بن سعيد أو محمد بن سيرين (كذا) مرسلاً بلفظ: «بينا رسول الله ﷺ يأكل طعامه ومعه أبو بكر إذ نزلت...». ولم يرد ذكر لعمر معهما إلا في مخطوطتي ب و ع.

(1) أخرجه ابن سلام بالسند التالي: «أبو أمية بن يعلى الثقفي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة والديلمي عن أبي هريرة كما في الدر المنثور ج 1 ص 41 - 42.

الرسالة ويمضي لأمره. وهو كقوله: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاَتِهِ ﴾ [الأنعام: 124].

قوله عزّ وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾ أي: الأصنام ﴿ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴾ أي: لها عابدون. ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن. ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّـٰعِبِينَ ﴾ أي: أهزؤ هذا الذي جئتنا به أم حق منك؟.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: خلقهن وليست هذه الآلهة التي تعبدونها ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾ أي: أنه ربكم. ﴿ وَتَاللَّهِ ﴾ يمين، أقسم به ﴿ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾.

كانوا استدعوه ليوم عيد لهم يخرجون فيه من المدينة، فـ ﴿ قَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: 89] أي: اعتلّ لهم بذلك، ثم قال لما ولّوا: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾. فسمع وعيدَه لأصنامهم رجل منهم استأخر. وهو الذي قال: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ ﴾.

قال عزّ وجل: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾ أي: قطعاً قطعاً؛ قطع أيديها وأرجلها، وفقأ أعينها، ونجر وجوهها. ﴿ إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ ﴾ أي أكبر الآلهة وأعظمها في نفوسهم؛ ثم أوثق الفأس في يد كبير تلك الآلهة. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: كادهم بذلك لعلّهم يبصرون فيؤمنوا.

فلما رجعوا ورأوا ما صُنع بأصنامهم ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَـٰذَا بِئَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ قال الذي استأخر منهم وسمع وعيد إبراهيم للأصنام ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ [أي: يعيبهم][1] ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَٰهِيمَ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ

(1) زيادة من ز ورقة 216. قال الفراء في المعاني ج 2 ص 203: «(قوله سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ. .) أي

﴿ يَشْهَدُونَ ﴾ أي: أنه كسرها، فتكون لكم الحجة عليه[1]؛ كأنهم كرهوا أن يأخذوه إلا ببيِّنة. فجاءوا به.

فـ ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِئَالِهَتِنَا يَٰإِبْرَٰهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾.

قال الحسن: إن كذِبَه في مكيدته إياهم موضوع عنه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث الشفاعة حين يأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمداً ﷺ، فذكر ما يقول كل نبيّ منهم. فذكر في قول إبراهيم حين سألوه أن يشفع لهم: إني لست هناكم. ويذكر ثلاث كذبات. قوله: (إني سقيم)، وقوله: (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا)، وقوله لامرأته سارّة إن سألوك فقولي: إنه أخي.

وهذا ليس من قول المسلمين، وهذه رواية ليس بالمجتمع عليها. والكذب منفي عن خليل الرحمٰن. وأما قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) فممّا يعملون من المعاصي، وقد أمرهم بغير ذلك، مثل ما يقول القائل: أسقمني هذا الكلام إذا فعل خلاف ما أمره به. وأما قوله لامرأته سارّة: إن سألوك فقولي إنه أخي، فهي أخته في الدين، وهي أيضاً أخته لأنها ابنة آدم، وهو ابن آدم. وأما قوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا)، فتوبيخ، ولا يقع الكذب في التوبيخ. فهذا أولى التأويل بالنبي عليه السلام مما أوردت الرواة إنه كذب ثلاث كذبات[2].

= يعيبهم وأنت قائل للرجل: لئن ذكرتني لتندمَنّ، وأنت تريد: بسوء. قال عنترة:

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ ... فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأَشْهَبِ

أي: لا تعيبيني بأثرة مهري، فجعل الذكر عيباً».

(1) ويقال: لعلّهم يشهدون أمره وما يُفعل به.

(2) هذه الفقرة كلها غير واردة في سع ولا ز، فهي ولا شك زيادة من زيادات الشيخ الهواري في تأويل هذه الكذبات. أما الطبري فيتأول الكذبات على ظاهرها، ويرد على «من لا يصدّق بالآثار» قائلاً: «وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن إبراهيم لم يكذب =

قوله عزّ وجل: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ ﴾ أي: خزايا[1]، قد حجّهم، أي: غلبهم في المحاجة. وقال بعضهم: أصاب القومَ خزية سوء[2].

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ يعني أصنامهم. ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: إنها لا تنفعكم.

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾ بالنار ﴿ وَانْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾.

قالوا: فجمعوا الحطب زماناً، حتى أن الشيخ الكبير الفاني الذي لم يخرج من بيته قبل ذلك زماناً كان يجيء بالحطب فيلقيه، يتقرّب به إلى آلهتهم، فيما يزعم. ثم جاءوا بإبراهيم فألقوه في تلك النار. فبلغنا أنهم رموا به في المنجنيق، فكان ذلك أول ما وضع المنجنيق.

فقال الله عزّ وجل: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً ﴾ فكادت أن تقتله من البرد. فقال عزّ وجل: ﴿ وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي: لا تضرّ.

وذكر بعضهم قال: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس شرقاً ولا غرباً، ولا أحرقت منه يومئذ إلا وَثَاقه. وبلغنا في حديث آخر أنه لم يطبخ بالنار يومئذ في الأرض كلها.

قال بعضهم: وذكر لنا أنه لم يبق في الأرض دابة إلا كانت تطفىء عن إبراهيم

= إلا ثلاث كذبات كلها في الله». وعددها الطبري فقال: «وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك ليقرّع قومه به، ويحتجّ به عليهم، ويعرّفهم موضع خطئهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، كما قال مؤذن يوسف لإخوته: (أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) [يوسف: 70] ولم يكونوا سرقوا شيئاً». انظر تفسير الطبري ج 17 ص 41.

(1) في ب و ع: «حيارى» وأثبت ما جاء في سع ورقة 34 ظ، وفي ز ورقة 216: «خزايا» فهو أنسب وأبلغ.

(2) كذا في المخطوطات وفي سع: «خزية سوء». وفي تفسير الطبري ج 17 ص 42: «حيرة سوء».. وقد سقطت من كل المخطوطات الآية 64 من هذه السورة، وهي قوله عز وجل: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

النار، إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ عليه، فأمر رسول الله ﷺ بقتلها[1].

قال الله عز وجل: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً ﴾ أي بحرقهم إياه ﴿ فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ أي: في النار، خسروا أنفسهم، وخسروا الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [يعني الأرض المقدّسة][2]، أي: هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام.

قوله عز وجل: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ النافلة: ابن الابن. وقال الحسن: (نَافِلَةً): عطية. قال عز وجل: ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي: يدعون بأمرنا أي: يُقْتدَىٰ بهم في أمر الله. قوله عزّ وجل: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾ أي: الأعمال الصالحة ﴿وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ أي: مقرّبين بعبادتهم.

قوله عز وجل: ﴿ وَلُوطاً ءَاتَيْنَٰهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ أي: النبوة. ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَٰئِثَ ﴾ يعني أن أهلها كانوا يعملون الخبائث. وكان مما يعملون إتيان الرجال في أدبارهم. قال عزّ وجل: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ أي: مشركين. والشرك أعظم الفسق.

قال عز وجل: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ أي في الجنة، يعني لوطاً. ﴿ إِنَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ والصالحون أهل الجنة.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ وهذا حيث أمر بالدعاء على قومه ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أي من الغرق والعذاب. وقال بعضهم: نجّى مع نوح في السفينة امرأته وثلاثة بنين له، ونساءهم، فجميعهم ثمانية.

---

(1) روى ابن سلام هذا الخبر بسند يرفعه إلى النبي عليه السلام من طريق عائشة رضي الله عنها.

(2) زيادة من سع، ورقة 34 ظ.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ أي: على القوم ﴿ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ كقوله عز وجل: (رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) [المؤمنون: 26] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فأغرقهم الله.

قال عز وجل: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ ﴾ أي: وقعت فيه غنم القوم ليلاً فأفسدته. قال بعضهم: النفش بالليل والهمل بالنهار[1].

وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً، فرفع ذلك إلى داود فقضى بالغنم لصاحب الزرع. فقال سليمان: [ليس كذلك ولكن][2] له نسلها ورِسلها[3] وعوارضها[4] وجزازها، ويُزرع له مثل ذلك الزرع، حتى إذا كان من العام القابل كهيئته يوم أُكِل دُفِعت الغنم إلى صاحبها وقبض صاحب الزرع زرعه، فقال الله عز وجل: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ).

وتفسير الكلبي أن أصحاب الحرث استعدوا[5] على أصحاب الغنم، فنظر داود ثمن الحرث فإذا هو قريب من ثمن الغنم فقضى بالغنم لأهل الحرث. فمرّوا بسليمان فقال: كيف قضى بينكم نبيُّ الله؟ فأخبروه. فقال: نِعمَ ما قضى، وغيره كان أرفق بالفريقين كليهما. فدخل أصحاب الغنم على داود فأخبروه. فأرسل إلى سليمان فدخل عليه، فعزم عليه داود بحق النبوة وبحق الملك وبحق الوالد لَمَا حدثتني كيف رأيتَ فيما قضيتُ. قال سليمان: قد عدل النبي وأحسن، وغيره كان أرفق. قال: ما هو؟ قال: تدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بسمنها ولبنها وأصوافها وأولادها عامهم، وعلى أهل الغنم أن يزرعوا لأهل الحرث مثل الذي أفسدت غنمهم. فإذا كان

(1) قال أبو عبيدة: «النفش أن تدخل في زرع ليلاً فتأكله».
(2) زيادة من سع ورقة 35 و.
(3) الرِّسْل: اللبن، يقال: «أرسل القوم إذا كان لهم اللبن من مواشيهم».
(4) العوارض، جمع عريض، قيل: هو الذي أتى عليه من المعز سنة. انظر اللسان: (عرض).
(5) أي: استنصروا القاضي واستعانوه لينصفهم من أصحاب الغنم.

مثله يوم أفسد قبضوا غنمهم. فقال له داود: نِعمَ ما قضيته. قال الكلبي: وكان الحرث عِنَباً.

وقال مجاهد: إن داود أعطى أصحاب الحرث الغنم بأكلها الحرث، وحكم سليمان بجز الغنم وألبانها لأهل الحرث. وعلى أهل الحرث رِعيتُها، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون كهيئته يوم أكل، ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴾ يعني داود وسليمان، أي لقضائهم شاهدين، ﴿ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ﴾ أي: عدل القضية.

وكان هذا القضاء يومئذ. وقد تكون لأمة شريعة، ولأمة أخرى شريعة أخرى وقضاء غير قضاء الأمة الأخرى.

وقد ذكروا عن سعيد بن المسيب أن ناقة البراء بن عازب وقعت في حائط رجل من الأنصار فأفسدت فيه، فرفع ذلك إلى النبي عليه السلام فقال: ما أجد لكم إلا قضاء سليمان بن داوود[1]. وقضى بحفظ أهل المواشي على أهلها بالليل، وقضى على أهل الحوائط بحفظ حوائطهم بالنهار.

قال بعضهم: فإنما يكون في هذا الحديث أن يضمن ما كان من الماشية بالليل، وليس فيه كيف القضاء في ذلك. وإنما القضاء في ذلك الفساد ما بلغ الفساد من النقصان.

ذكروا عن شريح قال في شاة دخلت بيت حائط نهاراً فأفسدت عمله فاختصما إليه فقال: (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ)

(1) هذا حديث رواه أغلب الرواة مرسلاً، ورفعه قلة منهم، إلا أنه على إرساله حديث مشهور، حدث به الثقات وجرى العمل به في المدينة. انظر تفصيل هذا في تفسير القرطبي ج 11 ص 314. وانظر في كتاب الجامع للشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن بركة البهلوي، ج 2 ص 443، 445، مسألة في مضار الدواب.

والنفش لا يكون إلا بالليل، [إن كان ليلاً ضمن وإن كان نهاراً لم يضمن][1]، ولم يجعل فيه شيئاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الدابة العجماء جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس[2]. قال بعضهم: وهذا عندنا في حديث النبي عليه السلام في ناقة البراء بن عازب أنه بالنهار، وأما إن أفسدت بالليل فصاحبها ضامن والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ أي فهماً وعقلاً، يعني داوود وسليمان.

قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾. كانت جميع الجبال وجميع الطير تسبح مع داوود بالغداة والعشي، أي: يصلين، ويفقه ذلك داوود[3]. قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ أي قد فعلنا ذلك بداوود.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ يعني دروع الحديد ﴿ لِيُحْصِنَكُم ﴾ أي: ليجنّكم ﴿ مِّن بَـأْسِكُمْ ﴾ والبأس القتال ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴾، فكان داوود أول من عمل الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح[4].

قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي: وسخّرنا لسليمان الريح عاصفة، أي لا تؤذيه. ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ أي: مسخّرة تجري بأمره. ﴿ إِلَى الأَرْضِ

---

(1) زيادة من سع ورقة 35 و.

(2) حديث صحيح أخرجه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب في الركاز الخمس. وأخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار عن أبي هريرة (رقم 1710) وأوله: العجماء جَرحها جبار، والبئر جبار. . . وانظر أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب الأموال ص 420.

(3) كذا في ب و ع، وفي سع: «ويفقه تسبيحها».

(4) وجاء في ز، ورقة 217: «قال قتادة: كانت قبل داود صفائح وأول من صنع هذه الحَلَق وسمَّرَها داود».

التِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ وهي أرض الشام، وأفضلها فلسطين ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾.

قال بعضهم: ما ينقص من الأرض تراه بالشام، وما ينقص بالشام تراه في فلسطين. [وذلك أنه يقال: إنها أرض المحشر والمنشر، وبها يجتمع الناس][1].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ وهذا على الجماعة ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: عملاً دون الغوص، وكانوا يغوصون في البحر ويخرجون اللؤلؤ. وقال في آية أخرى: (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) [سورة صٓ: 37][2].

قال بعضهم: ورث سليمان داوود نبوته وملكه، وزاد سليمان على ذلك أن سخر له الريح والشياطين.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴾ أي: حفظهم الله لا يذهبون ويتركونه، وكانوا مسخّرين له[3].

وقال الحسن: لم يسخر له في هذه الأعمال وفيما يصفد، يجعلهم في السلاسل، من الجن إلا الكفار منهم. واسم الشيطان لا يقع إلا على الكافر من الجن.

وذكر بعضهم قال: أمر سليمان ببناء بيت المقدس فقالوا له: زوبعة الشيطان له عين في جزيرة في البحر، يَرِدها في كل سبعة أيام يوماً. فنزحوها، ثم صبوا فيها خمراً، فجاء لوِرده. فلما أبصر الخمر قال في كلام له: ما علمت، إنك إذا شربك

(1) زيادة من سع ورقة 35 و.

(2) انظر هذه القصة بألفاظ وروايات أخرى في كتب التاريخ والأدب. انظر مثلاً: النويري، نهاية الأرب، ج 14 ص 108.

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 209: «وقوله: (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) للشياطين. وذلك أنهم كانوا يُحفَظون من إفساد ما يعملون. فكان سليمان إذا فرغ بعض الشياطين من عمله وَكَله بالعمل الآخر، لأنه كان إذا فرغ مما يعمل فلم يكن له شغل كرَّ على تهديم ما بنى، فذلك قوله: (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) ».

صاحبك لَمَماً يظهر عليه عدُوُّه، في أساجع له [لا أذوقك اليوم][1]. فذهب ثم رجع لظِمء آخر[2]. فلما رآها قال كما قال أول مرة، ثم ذهب فلم يشرب حتى جاء لظمء آخر. [قال: ما علمت إنك لتذهبين الهمَّ في سجع له][1] فشرب منها فسكر. فجاءوا إليه، فأروه خاتم السخرة، فانطلق معهم إلى سليمان. فأمرهم بالبناء، فقال زوبعة: دُلّوني على عُشّ الهدهد. فدُلَّ على عُشّه. فأكبَّ عليه جمجمة، يعني زجاجة. فجاء الهدهد، فجعل لا يصل إليه. فانطلق فجاء بالماس الذي يثقب به الياقوت، فوضعه عليها فَقَطَّ الزجاجة نصفين. ثم ذهب ليأخذه فأزعجوه، فجاءوا بالماس إلى سليمان. فجعلوا يستعرضون به الجبال كأنما يخطّون في نواحيها في الطين.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي: المرض. وقال الحسن: هو كقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة صٓ: 41].

قال الحسن: إن إبليس قال: يا ربِّ، هل من عبيدك عبد إن سلطتني عليه امتنع مني؟ قال: نعم، عبدي أيوب. قال: فسلّطني عليه. قال: فسلّطه عليه ليجهد جهده ويضلّه بخباله وغروره، فامتنع منه. قال إبليس: يا ربِّ، إنه قد امتنع مني، فسلّطني على ماله. فسلّطه على ماله فجعل يُهلك ماله صنفاً صنفاً، ويأتيه فيقول له: يا أيوب، هلك مالك في كذا وكذا، فيقول: الحمد لله، اللّهم أنت الذي أعطيتني، وأنت الذي أخذته منّي، إن تبق لي نفسي أحمدك على بلائك. فقال إبليس: يا ربِّ، إن أيوب لا يبالي بماله، فسلّطني على ولده، [فسلطه الله عليهم][3] فجعل يهلكهم واحداً واحداً حتى هلكوا جميعاً. فقال إبليس: يا رب، إن أيوب لم يبال بولده، فسلّطني على جسده، فسلّطه الله عليه. فمكث سبع سنين وأشهراً حتى وقعت الأكلة في جسده. وبلغنا أن الدودة كانت تقع من جسده فيردّها في مكانها فيقول: كُلِي مما رزقك الله من

(1) زيادة من سع ورقة 35 ظ.

(2) الظِّمْء، بكسر الظاء: ما بين الشربتين والوردين، وذلك في ورد الإبل وغيرها، والجمع أظماء. وأسماؤها تكون مكسورة الأول دائماً: الرِّبع والخِمس والسِّدس... إلى العِشر.

(3) زيادة يقتضيها السياق.

لحمي. قال الحسن: فدعا ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة صٓ: 41] وقال في هذه الآية: إنّي مسّني الضرّ ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ﴾.

فأوحى الله إليه أن اركض برجلك. فركض برجله ركضة فإذا هو يستطيع القيام، وإذا عين فاغتسل منها، فأذهب الله تبارك وتعالى ظاهر دائه. ثم مشى على رجليه أربعين ذراعاً، ثم قيل له: اركض برجلك أيضاً ركضة، فركض ركضة أخرى [فإذا عين فشرب منها][1]، فأذهب الله تبارك وتعالى باطن دائه، وردّ عليه أهله وأولاده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيء أهلك بعينه. ثم أبقاه الله فيها حتى وهب الله له من نسولها أمثالها. فهو قوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾.

وقال الحسن: إن الله أحيى أولاد أيوب بأعيانهم، وكانوا ماتوا قبل آجالهم، وإن الله أبقاهم حتى أعطاه من نسولهم مثلهم. ثم إن إبليس قال: يا أيوب، وهو يأتيه عياناً، اذبح لي سخلة من غنمك، قال: لا، ولا كفّاً من تراب.

ذكروا عن ابن مسعود أنه كان يقول: لا يبلغ العبد الكفر والإشراك بالله حتى يصلي لغير الله، أو يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله.

ذكروا عن الحسن أنه قال: إن الله تبارك وتعالى يحتج على الناس يوم القيامة بثلاثة من الأنبياء، فيجيء العبد فيقول: رب أعطيتني في الدنيا جمالاً فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول الله: الجمال الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الجمال الذي أعطي يوسف؟ فيقول العبد: بل الجمال الذي أعطي يوسف. فيقول الله: إن يوسف كان يعمل بطاعتي فيحتج عليه بذلك. ويأتي العبد فيقول: يا رب، ابتليتني في الدنيا، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول البلاء: أالبلاء الذي ابتليت به في الدنيا أشد أم البلاء الذي ابتلي به أيوب؟ فيقول العبد: بل البلاء الذي ابتلي به أيوب. فيقول الله: قد كان أيوب يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك. ويجيء العبد

(1) زيادة من سع، ورقة 35 ظ.

فيقول: يا رب، أعطيتني ملكاً في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول الله تبارك وتعالى: أالملك الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الملك الذي أعطي سليمان بن داوود؟ فيقول العبد: بل الملك الذي أعطي سليمان بن داوود. فيقول الله: قد كان سليمان يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.

ذكر الحسن أن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبيّاً ما ابتلي بالذي ابتلي به. فدعا الله فقال: اللهمّ إنك تعلم[1] أني لم أعمل حسنة في العلانيـة إلا عملت مثلها في السرّ، فاكشف ما بي من الضر، وأنت أرحم الراحمين. فاستجاب الله له، فوقع ساجداً، وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعه.

قوله عز وجل: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ أي أن الذي كان ابتلي به أيوب لم يكن من هوانه على الله، ولكن أراد الله كرامته بذلك. وجعل ذلك عزاء للعابدين بعده فيما يبتلون به. وهو قوله عزّ وجل: (وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ).

قوله عز وجل: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ ذكروا أن ذا الكفل لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً تكفّل بعمل رجل صالح عند موته، كان يصلّي لله كل يوم مائة صلاة، فأحسن الله عليه الثناء[2].

وذكروا عن مجاهد أنه قال: ذو الكفل كان رجلاً صالحاً، وليس بنبي. تكفل لنبي بأن يكفل له[3] أمر قومه ويقيمه لهم، ويقضي بينهم بالعدل.

---

(1) كذا في ب وع: «إنك تعلم»، وفي سع ورقة 36 و: «إن كنت تعلم».

(2) وذهب بعض المفسّرين كالحسن وعطاء إلى أنه كان نبيّاً. ومال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج 4 ص 583 إلى هذا القول وقال: «إنه ما قُرن مع الأنبياء إلا وهو نبي». والله أعلم. وصرح الإمام ابن عاشور أنه نبي وإن اختلف في تعيينه؛ هل هو إلياس، أو هو خليفة اليسع في نبوءة بني إسرائيل. وعلى كل فهو نبي من أنبياء بني إسرائيل. انظر ابن عاشور التحرير والتنوير ج 17 ص 129.

(3) كذا في ب وع وسع: «بأن يكفل». وفي تفسير الطبري ج 17 ص 74: «بأن يكفيه أمر قومه».

قوله عز وجل: ﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ والصالحون هم أهل الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ يعني يونس. وقال عزّ وجل في آية أخرى: ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [سورة نٓ: 48]. والحوت هو النون. ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِباً﴾ أي: لقومه[1] ﴿ فَظَنَّ أن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أي: أن لن نعاقبه[2].

وبلغنا والله أعلم أن يونس دعا قومه زماناً إلى الله عز وجل. فلما طال ذلك وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا. فلما دنا الوقت تنحّى عنهم. فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول: يأتيكم العذاب غداً. فسمعه رجل منهم فانطلق إلى الملك، فأخبره أنه سمع يونس يبكي ويقول: يأتيكم العذاب غداً.

فلما سمع الملك ذلك دعا قومه فأخبرهم بذلك وقال: إن كان هذا حقاً فسيأتيكم العذاب غداً، فاجتمِعوا حتى ننظر في أمرنا، فاجتمعوا، فخرجوا من المدينة من الغد، فنظروا فإذا بظلمة سوداء وريح شديدة قد أقبلت نحوهم، فعلموا أنه الحق. ففرّقوا بين الصبيان وبين أمهاتهم، وبين البهائم وبين أمّهاتها، ولبسوا الشعر، وجعلوا التراب والرماد على رؤوسهم تواضعاً لله، وتضرّعوا إليه وبكوا وآمنوا. فصرف الله عليهم العذاب. فاشترط بعضهم على بعض ألا يكذب أحد كذبة إلا قطعوا لسانه.

---

(1) كذا في المخطوطات، وهو وجه صحيح من التأويل ذكره بعض المفسّرين مثل ابن عباس والضحاك. وقال بعضهم: ذهب مغاضباً لربّه، وهو ما ذهب إليه الحسن وسعيد بن جبير. أي: مغاضباً من أجل ربه. واقرأ ما ذهب إليه ابن قتيبة في تأويل هذه المغاضبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، ص 402 - 408. وانظر كذلك تفسير الطبري ج 17 ص 76 - 78.

(2) وقيل في تفسيره أي: أن لن نضيق عليه من باب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ أي: ضيّق عليه واقرأ في هذا الموضوع واختلاف المفسرين في عصمة الأنبياء تنبيهاً مهماً كتبه الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل ج 7 ص 284 - 287. وانظر تفسير الطبري ج 17 ص 78.

فجاء يونس من الغد، فنظر فإذا المدينة على حالها، وإذا الناس داحلون وخارجون، فقال: سبحان الله، أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم فلم يأتهم، فكيف ألقاهم. فانطلق حتى انتهى إلى ساحل البحر، فإذا سفينة في البحر، فأشار إليها، فأتوه فحملوه، وهم لا يَعْرِفونه. فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنّع فرقد. فما مضوا إلا قليلاً حتى جاءتهم ريح فكادت السفينة أن تغرق. فاجتمع أهل السفينة فدعوا الله، ثم قالوا: أيقظوا الرجل يدعو الله معنا، ففعلوا. فدعا الله معهم، فرفع الله عنهم تلك الريح. ثم انطلق إلى مكانه فرقد. فجاءت ريح، فكادت السفينة أن تغرق، فأيقظوه، فدعوا الله ودعا معهم، فرفع الله تبارك وتعالى عنهم الريح.

فتفكر العبد الصالح يونس فقال: هذا من أجل خطيئتي، أو قال: من ذنبي، أو كما قال. فقال لأهل السفينة: شدّوني وثاقاً وألقوني في البحر، فقالوا: ما كنا لنفعل هذا بك وحالك حالك. ولكنا نقترع، فمن أصابته القرعة ألقيناه في البحر. فاقترعوا فأصابته القرعة. فقال: قد أخبرتكم، فقالوا: ما كنا لنفعل. ولكن اقترعوا الثانية، فاقترعوا فأصابته القرعة؛ وهو قول الله عز وجل: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ [الصافات: 141] أي: من المقروعين، ويقال: من المسهومين. فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي نفسه في البحر، فإذا هو بحوت فاتح فاه. ثم انطلق إلى ذنب السفينة، فإذا هو بحوت فاتح فاه، ثم جاء إلى جانب السفينة فإذا هو بحوت فاتح فاه[1]. فلما رأى ذلك ﷺ ألقى نفسه في البحر، فالتقمه الحوت. فأوحى الله تبارك وتعالى إلى الحوت إني لم أجعله لك رزقاً، ولكن جعلت بطنك له سجناً؛ فلا تكسِرَنّ له عظماً، ولا تقطعَنّ له شعراً. فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ كما قال الله: ﴿ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾. قال الله: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فأوحى الله إلى الحوت أن يلقيه إلى

(1) كذا في ب و ع. وفي سع: «بالحوت فاتح فاه» والصواب: «بالحوت فاتحاً فاه»، وهو أصح وأدق تعبيراً حتى يفيد أن ذلك الحوت نفسه هو الذي كان يتنقل من صدر السفينة إلى مؤخرها ثم إلى جانبها.

البرّ. قال الله: (فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) [الصافات: 145] أي: وهو ضعيف مثل الصبي الرضيع. فأصابته حرارة الشمس، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهي القرعة، فأظلته فنام، فاستيقظ وقد يبست. فحزن عليها، فأوحى الله إليه: أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن تهلك مائة ألف أو يزيدون من خلقي؟ فعلم عند ذلك أنه ابتُلِيَ. فانطلق فإذا هو بذود من غنم[1]، فقال للراعي: اسقني لبناً. فقال: ما ها هنا شاة لها لبن. فأخذ شاة منها فمسح بيده على ظهرها[2]، فدرّت، فشرب من لبنها. فقال له الراعي: من أنت يا عبد الله، لَتُخْبِرَنِّي. فقال: أنا يونس، فانطلق الراعي إلى قومه، فبَشّرهم به، فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم، فلم يجدوا يونس. فقالوا: إنا شرطنا لربّنا ألا يكذب منا أحد إلا قطعنا لسانه. فتكلمت الشاة بإذن الله فقالت: قد شرب من لبني، فقالت الشجرة التي استظل بها: قد استظل بي. فطلبوه فأصابوه، فرجع إليهم، فكان فيهم حتى قبضه الله، وهي مدينة يقال لها نينوى[3] من أرض الموصل، وهي على دجلة.

وبلغنا أنه إنما عوقب لأنه إنما خرج من قومه من غير أن يؤذن له بالخروج منهم. وإنما خرج رجاء أن يخافوا فيؤمنوا.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: في دجلة ركب السفينة، وفيها التقمه الحوت، ثم أفضى به إلى البحر، ودار في البحر، ثم رجع في دجلة، فثمّ نبذه الله بالعراء، وهو البَر.

قوله عز وجل: ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَـٰتِ﴾ أي: ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت. ﴿ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ﴾.

(1) الذود: ما بين الثلاث إلى العشر.

(2) كذا في المخطوطات: على ظهرها، ولعل صوابها «على ضرعها» وهذا أنسب، كما فعل نبينا محمد ﷺ بشاة أم معبد الخزاعية في قصته معها وهو ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة.

(3) انظر ياقوت، معجم البلدان ج 5 ص 339.

قال الله عز وجل: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ الغَمِّ ﴾ أي من ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي المُومِنِينَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: دعوة ذي النون التي دعا بها وهو في بطن الحوت لا إلَه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها مسلم ربه قط في شيء إلا استجاب الله له[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَزَكَرِيَّـا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَرِثِيـنَ﴾ فاستجاب الله له.

قال الله عز وجل: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَـىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ قال بعضهم: كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً. وقال بعضهم: كان في لسانها طول. ووهب له منها يحيى.

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْـرٰتِ﴾ أي: في الأعمال الصالحات ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً ﴾ أي: طمعاً ﴿ وَرَهَباً ﴾ أي: خوفاً ﴿ وَكَانُوا لَنَـا خَـٰشِعِينَ﴾ [قال مجاهد: متواضعين][2].

قوله عز وجل: ﴿ وَالتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي: أحصنت جيب درعها أي: عن الفواحش ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾. وذلك أن جبريل عليه السلام تناول بأصبعه جيبها فنفخ فيه فصار[3] إلى بطنها فحملت. قال عزّ وجل: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: أنها ولدته من غير رجل.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: ملتكم ملة واحدة، أي: دين واحد، وهو الإسلام. ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، وأخرجه النسائي، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب عن سعد.

(2) زيادة من سع ورقة 36 ظ، ومن تفسير مجاهد ص 415.

(3) كذا في ب و ع وفي سع: «فصار» وفي ز ورقة 217: «فسار».

قال عز وجل: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني أهل الكتاب.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: افترقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرها في النار، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرها في النار[1].

قوله عز وجل: ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ يعني البعث.

قوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ أي: لعمله ﴿ وَإِنَّا لَهُ كَـٰتِبُونَ ﴾ أي: نكتب حسناته حتى نجازيه بها الجنة.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَحَـٰرَمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لا يتوبون. قال ابن عباس: إنهم لا يرجعون إلى الدنيا.

قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ قد فسّرناه في سورة الكهف[2]. قال عزّ وجل: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ قال بعضهم: من كل أكمة ومن كل نجو[3] يخرجون.

ذكروا أن عبد الله بن عمرو قال: إن الله عَزّ وجلّ خلق الملائكة والجن والإنس فجزأهم عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الملائكة، وجزء واحد الجن والإنس، وجزأ الملائكة عشرة أجزاء؛ تسعة أجزاء منهم الكروبيون الذين يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، وجزء واحد منهم لرسالته وما يشاء من أمره. وجزّأ الجن والإنس عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الجن، وجزء واحد الإنس؛ فلا يولد من الإنس مولود إلا

(1) انظر ما مضى ج 1 ص 303.

(2) انظر ما مضى ج 2 ص 477 - 478.

(3) كذا في ب، وسقطت الكلمة من ع، وفي سع ورقة 37 و: «نجو» ولعل صوابه «نجوة» وهي المكان المرتفع من الأرض أو الجبل الذي تظن أنه نجاؤك أي نجاتك لأن السيـل لا يصل إليه. وهو مناسب للحدَب، وهو كل مكان مرتفع. أو لعل في الكلمة تصحيفاً صوابها: نحو، أي: من كل طريق وناحية.

ولد من الجن تسعة. وجزأ الإنس عشرة أجزاء؛ تسعة منهم ياجوج وماجوج، وسائرهم بنو آدم، يعني ما سوى ياجوج وماجوج من ولد آدم.

وكان الحسن يقول: الإنس كلهم من عند آخرهم ولد آدم. والجن كلهم من عند آخرهم ولد إبليس.

قوله عز وجل: ﴿ وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ ﴾ أي: النفخة الآخرة ﴿ فَإِذَا هِيَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: إلى إجابة الداعي إلى بيت المقدس. ﴿ يَـٰوَيْلَنَا ﴾ أي يقولون: يا ويلنا ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ يعني تكذيبهم بالساعة ﴿ بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ أي: لأنفسنا.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ أي: يُحصَب بهم فيها ﴿ أَنْتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أي: داخلون في تفسير الحسن. يعني الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان، لأنهم بعبادتهم الأوثان عابدون للشياطين، وهو قوله عزّ وجل: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) [يسٓ: 60].

قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ قام مقابل باب الكعبة ثم قرأ هذه الآية، فوجد منها أهل مكة وجداً شديداً. فقال ابن الزِّبعرى: أرأيت هذه الآية التي قرأت آنفاً، أفينا وفي آلهتنا خاصة أم في الأمم وفي آلهتهم معنا؟ قال: لا، بل فيكم وفي آلهتكم، وفي الأمم وآلهتهم[1]. فقال: خصمتك وربِّ الكعبة. قد علمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمّه، وأن طائفة من الناس يعبدون الملائكة. أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟ فسكت رسول الله ﷺ وضحكت قريش وضجّوا. فذلك قول الله عزّ وجل: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أي: يضحكون (وَقَالُوا) يعني قريشاً: (ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف:

(1) أخرج الطبري عن ابن عباس هذا الخبر مختصراً، جاء عن ابن إسحاق مطولاً في سبب نزول هذه الآية، كما أورده السيوطي والواحدي بألفاظ متقاربة. انظر تفسير الطبري، ج 17 ص 96، 97، والدر المنثور ج 4 ص 338، وأسباب النزول ص 315 - 316.

57 - 58]. وقال ها هنا في هذه الآية وفي جواب قولهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ يعني عيسى والملائكة.

وقال بعضهم: إن اليهود قالت: ألستم تزعمون أن عزيراً في الجنة وأن عيسى في الجنة؟ وقد عُبِدا من دون الله. فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾. فعيسى وعزير ممن سبقت لهم الحسنى، وما عبدوا من الحجارة والخشب والجن وعبادة بعضهم بعضاً وكل ما عبدوا، حصب جهنم.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار[1].

وقال بعضهم: ألستم تقرأون: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ قال: أظنهم يمثلان لمن عبدهما في النار، يوبَّخون بذلك.

وفي كتاب الله عز وجل: إن الشمس والقمر يسجدان لله، وهو قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [الحج: 18].

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: إن الشمس تطلع من حيث يطلع الفجر، وتغرب من حيث يغرب الفجر. فإذا أرادت أن تطلع تقاعست حتى تضرب بالعمد، وتقول: يا رب إني إذا طلعت عُبِدت دونك، فتطلع على ولد آدم كلهم، فتجري إلى المغرب، فتسلِّم، ويرد عليها، وتسجد فينظر إليها، ثم تستأذن فيؤذن لها حتى تأتي بالمشرق، والقمر كذلك، حتى يأتي عليها يوم تغرب فيه، فتسلّم فلا يُرَدّ عليها،

(1) في ب: «نوران عفيران» وفيه تصحيف في الكلمتين، والصواب ما أثبته ثوران عقيران. أي: معقوران، وأصل العقر قطع قوائم الفرس أو البعير، ثم اتسع المعنى فاستعمل للنحر والقتل والإهلاك. وقد أورد صاحب اللسان هذا الحديث من «حديث كعب». والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أنس. وقد ضعّف الحديث لوجود يزيد الرقاشي في سنده. وأخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بلفظ: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة». وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار بلفظ: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة».

فتسجد فلا ينظر إليها، ثم تستأذن فلا يؤذن لها. فتقول: يا ربّ إن المشرق بعيد ولا أبلغه إلا بجهد، فتحبس فلا يؤذن له، ثم يقال لهما: ارجعا من حيث جئتما، فيطلعان من المغرب كالبعيرين المقرونين، وهو قوله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي بالموت (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) أي بأمره (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾ [الأنعام: 158] وهو طلوع الشمس من المغرب.

قوله عز وجل: ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ يعني جهنم، أي: ما دخلوها، أي: لامتنعوا بآلهتهم. قال عز وجل: ﴿ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: العابدون والمعبودون.

قوله عز وجل: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ قال الحسن: الزفير: اللهب[1]. ترفعهم بلهبها حتى إذا كانوا بأعلاها ضربوا بمقامع من حديد فهووا إلى أسفلها سبعين خريفاً.

قال بعضهم: إن أهل النار يدعون مالكاً فيذرهم مقدار أربعين عاماً لا يجيبهم ثم يقول: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: 77]. ثم يدعون ربهم فيذرهم مقدار عمر الدنيا مرتين ثم يجيبهم: ﴿ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: 108] قال: فما نبسوا بعدها بكلمة، ولا كان إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبّه أصواتهم بأصوات الحمير أوله زفير وآخره شهيق.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: إن أهل النار خلود، جعلوا في توابيت من نار، ثم سمّر عليها بمسامير من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى، تلك التوابيت في توابيت أخرى، فلا يرون أن أحداً يعذّب في النار غيرهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا

---

(1) كذا وردت الكلمة في ب و ع، وفي سع ورقة 37 ظ: «الزفير اللهب». وهو خطأ ولا شك، والزفير «اغتراق النَّفَس للشدة» كما عرّفه الجوهري في الصحاح، وهو صوت يخرج من أقصى الحلق. وهو «أول صوت الحمار وآخره الشهيق». وانظر ما سلف ج 2 ص 249، تعليق: 2.

يَسْمَعُونَ). قال الحسن: ذهب الزفير بسمعهم فلا يسمعون معه شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ أي: صوتها في قول الحسن. وقال ابن عباس: حسيسها: حسّها. قال: ولا صوتاً. وإنها تلظّى على أهلها.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَت أَنْفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ .

قال بعضهم: بلغنا أن أهل الجنة يكون في في أحدهم الطعام فيخطر على قلبه طعام آخر، فيتحوّل في فيه ذلك الطعام الذي اشتهى. وقال في آية أخرى: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [الزخرف: 71].

قوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ أي: النفخة الآخرة. قال بعضهم: إذا أيقن أهل النار بالخلود، فعند ذلك يقولون: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) أي من النار (فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰالِمُونَ). فيقـول الله: (اِخْسَأُوا فِيهَـا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنـون: 107 - 108]. فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد، فذلك قوله: (الفَزَعُ الأَكْبَرُ).

قوله: ﴿ وَتَتَلَقَّـٰهُمُ المَلَـٰئِكَةُ ﴾ قال الحسن: تتلقاهم بالبشارة حين يخرجون من قبورهم، وتقول لهم: ﴿ هَذَا يَوْمُكُمُ الذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُـبِ﴾ يعني كطيّ الصحيفة التي فيها الكتاب[1].

ذكروا عن الحسن قال: إن السماء تطوى من أعلاها كما يطوي الكاتب الصحيفة من أعلاها إذا كتبت.

---

(1) هذا هوالصواب الصحيح إن شاء الله، والكتاب بمعنى: ما كُتِب. قال الفرّاء في المعاني ج 2 ص 213: «السجلّ: الصحيفة». وكذلك قاله مجاهد في تفسيره ص 214. وقال ابن جرير الطبري في تفسيره ج 17 ص 100: «واللام التي في قوله: (لِلْكِتَابِ) بمعنى على». وقال في ص 101: «كطيّ السجلّ على ما فيه مكتوب».

قوله عزّ وجل: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ أي: كذلك نعيده.

وقال الكلبي إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يبعث الموتى أعاد الناس كُلَّهم نطفاً [ثم علقاً ثم مضغاً][1] ثم عظاماً ثم لحماً، ثم ينفخ فيه أرواحهم. كذلك كان بدؤهم.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ينزل الله مطراً كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض الندى[2]، ثم تلا هذه الآية: (والله الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ) [فاطر: 9] أي: كذلك البعث.

قوله تعالى: ﴿ وَعْداً عَلَيْنَا ﴾ أي: وعداً كائناً، أي: البعث ﴿ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ أي: إنا نحن فاعلون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ أي: الكتب التوراة والإنجيل والفرقان ﴿ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ أي: الكتاب الذي عند الله في السماء، وهو أم الكتاب. هذا تفسير مجاهد[3]. ﴿ أَنَّ الأَرْضَ ﴾ يعني أرض الجنة ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّـٰلِحُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

وقال ابن عباس: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) أي: زبور داوود (مِن بَعْدِ الذِّكْرِ) أي: التوراة. (أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) أي: أمة محمد ﷺ

قوله: ﴿ إِنَّ فِي هَـٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ لَبَلَـٰغاً ﴾ أي: إلى الجنة ﴿ لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴾ أي: الذين يصلون الصلوات الخمس[4].

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال بعضهم: من آمن بالله ورسوله تمّت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله ورسوله عوفي مما عذبت به الأمم

(1) زيادة من سع ورقة 38 و.

(2) كذا في ع، وفي سع وز: «كما تنبت الأرض من الثرى».

(3) وقع بعض الاضطراب والفساد في المخطوطة ب و ع، أثبت تصحيحه من سع ورقة 38 و.

(4) كذا في ع، وفي سع: «عن قتادة»، (لقوم عابدين) أي: عاملين.

السالفة، وله في الآخرة النار؛ قال: لأن الله أخّر عذاب كفار هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم.

قوله: ﴿قُل إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ وكذلك جاءت الرسل قبل محمد عليه السلام؛ وهو قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25] أي: لا تعبدوا غيري.

قوله: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: كفروا ﴿ فَقُل ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ قال بعضهم: على مهل.

قال الحسن: من كذب بي فهو عندي سواء، يعني أن جهادهم كلهم سواء عندي[1]. وهو كقوله: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) [الأنفال: 58]، أي: ليكون حكمك فيهم سواء: الجهاد والقتل لهم أو يؤمنوا. وهؤلاء مشركو العرب. وأما أهل الكتاب فإنه يقاتلهم حتى يُسلموا أو يُقروا بالجزية. وجميع المشركين ما خلا العرب بتلك المنزلة. وأما نصارى العرب فقد فسّرنا أمرهم في غير هذه السورة[2].

وقال بعضهم: (عَلَىٰ سَوَاءٍ): على أمر بيّن.

قوله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ يعني به الساعة.

قال: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ أي: ما تسرّون.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 43: «(آذنتكم على سواء) إذا أنذرت عدوك وأعلمته ذلك ونبذت إليه الحرب حتى تكون أنت وهو على سواء وحذر، فقد آذنته على سواء». وهذا غاية في الإيضاح مع الإيجاز، وهو أولى بالتأويل.

(2) انظر ما سلف ج 2 ص 125 وج 1 ص 240. وانظر في معاملة نصارى العرب ما كتبه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص 34 - 39. وانظر أبو يوسف، كتاب الخراج ص 249 - 251.

قوله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾. قال الحسن: أي: لعل ما أنتم فيه من الدنيا، أي: من السعة والرخاء، وهو منقطع زائل، فتنة لكم، أي: بلية لكم ﴿وَمَتَـٰعٌ﴾ أي: تستمتعون به، يعني المشركين ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: (إِلَىٰ حِينٍ) أي: إلى الموت.

قوله: ﴿ قُل رَّبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ قال بعضهم: كان النبي عليه السلام إذا دعا على قومه أن يحكم بينه وبين قومه بالحق هلكوا. وقال الحسن: أمره الله أن يدعو أن ينصر أولياءه على أعدائه فنصره الله عليهم.

قوله: ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: على ما تكذبون، يعني المشركين.

تفسير سورة الحج

وهي كلها مدنية إلا أربع آيات مكيات[1]

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ ﴾ أي: تعرض[2] ﴿ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَـٰرَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾ وهذه النفخة الآخرة.

ذكروا عن الحسن قال: بينما رسول الله ﷺ في مسير له، قد فرّق بين أصحاب له السير، إذ نزلت هذه الآية. فرفع رسول الله ﷺ بها صوته فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) حتى انتهى إلى قوله: (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾.

فلما سمعوا صوت نبيّهم اعصوصبوا به[3]، فتلاها عليهم، ثم قال: هل تدرون أي يوم ذلكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلكم يوم يقول الله لآدم: يا آدم قم

---

(1) في بعض المخطوطات وفي ز ورقة 219 إشارة إلى هذه الآيات المكيّات، وهي من قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ . . .) إلى قوله: (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) الآيات: 52 - 55.

(2) كذا في المخطوطات وفي سع وفي ز: «(تذهل) أي: تعرض». وأصح منه وأحسن تأويلاً ما قاله أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 44: «أي: تسلو وتنسى». وما أكده ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 290 إذ قال: «تسلو عن ولدها وتتركه».

(3) اعصوصبوا، أي: اشتدوا إليه وتجمّعوا حوله. وانظر اللسان: (عصب).

ابعث بعث النار. قال: ربِّ، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إنساناً إلى النار، وواحد إلى الجنة.

فلما سمعوا ما قال نبيّهم أبلسوا[1] حتى ما يُجلى أحدهم عن واضحة[2] فلما رأى ما بهم قال: اعملوا وأبشروا [فوالذي نفسي بيده][3] ما أنتم في الناس إلا كالرقمة في ذراع الدّابة، أو كالشامة في جنب البعير، وإنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه: ياجوج وماجوج ومن هلك [يعني من كفر] من بني إبليس[4]، وتكمل العدّة من المنافقين. فهنالك يهرم الكبير ويشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها. . . إلى آخر الآية[5].

قال بعضهم: وبلغني أن الكبير يحط يوم القيامة إلى ثلاث وثلاثين [سنة، ويرفع الصغير إلى ثلاث وثلاثين سنة][6].

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعني المشرك، يلحد في الله، فيجعل معه آلهة بغير علم أتاه من الله. ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ أي: اجترأ بالمعصية على الله، والشياطين هي التي أمرتهم بعبادة الأوثان.

---

(1) أبْلسوا: سكتوا من كثرة الحيرة وشدّة الحزن. ومن معاني الإبلاس: اليأس.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع وفي ز: «ما يجلى أحدهم بواضحة». وفي بعض التفاسير: «حتى ما أوضحوا بضاحكة» ومعنى العبارات: حتى ما يُبين ولا يكشف عن سنّ ضاحكة، وهي كناية عن الوجوم وعدم التبسم أو الضحك يقال: «فلان ضحوك السّنّ». وفي الدعاء: «أضحك الله سنّك». انظر اللسان: (وضح) و (ضحك).

(3) زيادة من ز، ورقة 219.

(4) في ب و ع: «من بني إسرائيل» وهو خطأ، صوابه ما أثبته: «من بني إبليس». والتصحيح من سع 38 ظ، ومن ز ورقة 219، ومن تفسيري الطبري والقرطبي.

(5) حديث صحيح أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير، سورة الحج، عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم من طرق مختلفة عن عمران بن حصين، وأنس، وابن عباس، بألفاظ متقاربة.

(6) زيادة من سع، ورقة 38 ظ.

قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ﴾ تـولى إبليس أي: اتبعه ﴿ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾ تفسير الكلبي: الله يضله[1]. ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ والسعير اسم من أسماء جهنم.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ ﴾ أي: في شكّ ﴿ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ وهذا خلق آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي: نسل آدم ﴿ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ[2] وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ يعني (بغير مُخَلَّقةٍ) السقط. وقال مجاهد: هما السقط جميعاً؛ مخلّق وغير مخلّق. (وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ) إلى التّمام.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً، ثم يكون علقة أربعين يوماً، ثم يكون مضغة أربعين يوماً، ثم يؤمر المَلَك، أو قال: يأتي الملك، فيؤمر أن يكتب أربعاً: رزقه وعمله وأثره[3]، وشقياً أو سعيداً.

ذكروا عن أبي ذرّ أن المني إذا مكث في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الربّ تبارك وتعالى في راحته، فيقول: يا ربّ، عبدك، أذكر أم أنثى، فيقضي الله فيه ما هو قاض، أشقي أم سعيد، فيكتب ما هو لاق بين عينيه، ثم قرأ أبو ذر من فاتحة سورة التغابن خمس آيات.

قوله: ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ أي: بدو خلقكم ﴿ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ ﴾ أي: أرحام

---

(1) هذا وجه من وجوه التأويل، وللفراء وجه آخر لعلّه أقرب إلى الصواب. قال في المعاني ج 2 ص 215: «وقوله: (كُتِبَ عَلَيْهِ) الهاء للشيطان المريد في (عَلَيْهِ) وفي (أَنَّهُ يُضِلُّهُ) ومعناه: قُضِي عليه أنه يُضِل من اتّبعه». وهو ما ذهب إليه أيضاً الطبري في تفسيره ج 17 ص 116 حيث قال: «وتأويل الكلام: قُضِي على الشيطان أنه يُضِل أتباعَه، ولا يهديهم إلى الحق».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 44: « (مخلّقة) أي: مخلوقة». وقال الفراء: (مُخَلَّقَة وغَيرِ مُخَلَّقةٍ): تِماماً وسَقطاً».

(3) كذا في ب و ع وفي سع و ز: «وأثره» وفي صحيح البخاري «وأجله». وانظر تخريج الحديث فيما سلف ج 2 ص 248.

النساء ﴿ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: الوقت الذي يولد فيه[1]. ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ يعني الاحتلام ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ يعني الهرم[2]. وفيها إضمار، أي: يُتوفّى من قبل أن يردّ إلى أرذل العمر، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ أي: يصير بمنزلة الصبي الذي لا يعقل.

قوله: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ أي: غبراء متهشمة ميتة يابسة. ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ وفيها تقديم، أي: ربت بالنبات وانتفخت، واهتزت بالنبات إذا أنبتت.

قال: ﴿ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ أي: حسن. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. وحسن ذلك النبات أنها تنبت ألواناً من صفرة وحمرة وخضرة وغير ذلك من الألوان.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله. ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: أن الذي أخرج من هذه الأرض الهامدة الميّتة ما أخرج من النبات قادر على أن يحيي الموتى.

قال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: لا شك فيها ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: المشرك يلحد في الله، فيجعل معه الآلهة يعبدها بغير علم أتاه من الله ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ أتاه منه. ﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ أي: قضى بعبادة الأوثان.

---

(1) كذا في سع، وفي ز: «إلى منتهى الولادة»، وفي ب و ع: «أي الوقت الذي يوقّته».

(2) كذا في المخطوطات. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 45: « (أَرْذَلِ الْعُمُرِ) مجازه أن يذهب العقل ويخرف». وهذا أقرب إلى الصواب وأحسن تأويلاً.

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ أي: ثاني رقبته[1]. تفسير مجاهد، يقول: هو معرض عن الله وعن رسوله ودينه. ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ أي: القتل ﴿ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ أي: عذاب جهنم، أي: يحترق بالنار. وقال الكلبي: إنها نزلت في النضر بن الحارث فقتل، أحسبه قال: يوم بدر.

﴿ قَالَ: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ أي: على شك[2] ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اِطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ [يقول رضي به][3] ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ هذا المنافق إذا رأى في الإسلام رخاء وطمأنينة طابت نفسه لما يصيبه من ذلك الرخاء، وقال: أنا منكم ومعكم، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بلية لم يصبر على بليتها، ولم يَرْجُ عاقبتها، (اِنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ) أي: كافراً. قال الله: ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا) أي: ذهبت عنه وزالت ﴿ وَالأَخِرَةَ ﴾ أي: وخسر الآخرة فلم يكن له فيها نصيب[4]. قال الله: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾.

قوله: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ﴾ يعني الوثن ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَـٰلُ البَعِيدُ ﴾.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 45: «يقال: جاءني فلان ثاني عطفه، أي: يتبختر من التكبر».

قال الشماخ:

نُبِّئْتُ أَنَّ رُبَيْعـاً أَنْ رَعَىٰ إِبِلِي   يُهْـدِي إِلَيَّ خَنَـاهُ ثَـانِيَ الجِيـدِ»

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ص 46: « (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ): كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم. وتقول: إنما أنت لي على حرف، أي: لا أثق بك».

(3) زيادة من ز ورقة 220 ومن سع ورقة 39 و.

(4) جاء في سع ورقة39 و ما يلي: «وقال قتادة: يقول: إن أصاب خصباً ورفاهة في العيش وما يشتهي اطمأن إليه وقال: أنا على حق، وأنا أعرف الذي أنا عليه، (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ) أي: ترك ما كان عليه من الحق وأنكر معرفته. .».

قال: ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾ يعني الوثن، ينفق عليه وهو كلٌّ عليه. يقول الله: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ ﴾ أي: الولي ﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ أي: الصاحب، يعني الوثن.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾. قد فسّرناه قبل هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَّنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾. يعني المنافق. أي: إنه يئس من أن ينصر الله محمداً عليه السلام، أي: لا يصدق بما وعد الله رسوله من نصره في الدنيا والآخرة، ونصره في الآخرة الجنة.

قال عزّ وجلّ: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ أي: بحبل إلى السماء، أي: سماء البيت، أي: سقف البيت، أي: فليعلّق حبلاً من سقف البيت فليختنق حتى يموت. يعني بقوله عز وجل: (ثُمَّ لِيَقْطَعْ) فليختنق. قال: فلينظر هل يذهبن ذلك غيظه، أي: إن ذلك لا يذهب غيظه.

وقال مجاهد: (أَن لَّنْ يَّنصُرَهُ اللهُ) أي: أن لن يرزقه الله[2].

قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَـٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: الحلال والحرام والفرائض والأحكام ﴿ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يُّرِيدُ ﴾.

---

(1) انظر مثلاً وصف الجنة فيما سلف ج 2 ص 312.

(2) هذا أولى بالتأويل وأحق بالصواب. وهذا ما ذهب إليه أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 46. قال: «(مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَّنصُرَهُ اللهُ) مجازه أن لن يرزقه الله وأن لن يعطيه الله. قال وقف علينا سائل من بني بكر على حلقة في المسجد الجامع فقال: من ينصرني نصره الله. أي: من يعطيني أعطاه الله. ويقال: نصر المطر أرض كذا. أي: جادها وأحياها.

وقال الراعي:

أَبُوكَ الذِي أَجْدَىٰ عَلَيَّ بِنَصْرِهِ ... فَأَنْصَتَ عَنِّي بَعْدَهُ كُلُّ قَائِلِ

أي: بعطيته».

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَالذِينَ هَادُوا ﴾ أي: اليهود تهوّدوا ﴿وَالصَّـٰبِئِينَ﴾ هم قوم كانوا يعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور ﴿وَالنَّصَـٰرَىٰ﴾ أي: تنصرّوا. وإنما يقال لهم نصارى لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة. ﴿ وَالمَجُوسَ ﴾ وهم عبدة الشمس والقمر والنار ﴿ وَالذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أي: عبدة الأوثان ﴿ إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ﴾ أي: فيما اختلفوا فيه في الدنيا، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل جميع هؤلاء النار، على ما أعد لكل قوم، وقد ذكرنا ذلك في سورة الحجر في قوله تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) [الحجر: 44].

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على كل شيء، وشاهد كل شيء.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني أن جميع من في السماوات يسجدون له، وبعض أهل الأرض، يعني الذين يسجدون له وكان الحسن لا يعدّ السجود إلا من المسلمين، ولا يعدّ ذلك من المشركين. وقال مجاهد: يسجد المؤمن طائعاً ويسجد كل كافر كارهاً[1]. ﴿ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾ كلها ﴿ وَالجِبَالُ ﴾ كلها ﴿ وَالشَّجَرُ ﴾ كلها ﴿ وَالدَّوَابُّ ﴾ كلها. ثم رجع إلى صفة الإنسان فاستثنى فيه فقال:

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ ﴾ يعني من لم يؤمن. قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُهِنِ اللهُ ﴾ فيدخله النار ﴿ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ فيدخله الجنة ﴿ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾.

قوله: ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾. قال بعضهم: اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نبيُّنا قبل نبيّكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خير منكم. وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبينا خاتم

(1) انظر ما سلف ج 2 ص 301.

النبيين، ونحن أولى بالله منكم، فأفلج[1] الله أهل الإسلام فقال: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ. . . ﴾ إلى آخر الآية، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً. . . ﴾ إلى آخر الآية.

ذكروا عن الحسن في قوله: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا ﴾ قال: أهل الكتاب خصم والمؤمنون خصم؛ اختصموا، يعني جماعتهم، كل مؤمن وكافر إلى يوم القيامة قد اختصموا في الله وإن لم يلتقوا في الدنيا قط لاختلاف الملتين. أما المؤمن فوحد الله وعمل بفرائضه فأخبر الله بثوابه، وأما الكافر فألحد في الله وعبد غيره، فأخبر الله بعقابه.

وقال بعضهم: نزلت في ثلاثة من المؤمنين وثلاثة من المشركين الذين تبارزوا يوم بدر. فأما الثلاثة من المؤمنين فعبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم. وأما الثلاثة من المشركين فعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

قوله: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾. وقال في آية أخرى: ﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ أي: قمصهم ﴿ مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم: 50] قال الحسن: القطران الذي يطلى به الإبل. وقال مجاهد من صفر. قال الحسن: وهي من نار.

قوله: ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ وهو الحار الشديد الحر. ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ أي: ويحرق به الجلود. وقال الحسن: أي: يقطع به. وقال مجاهد: يذاب به. وقال الكلبي: ينضج به. وهو كله نحو واحد. قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾ [النساء: 56] وقال: ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: 181].

---

(1) يقال: فلج الرجل على خصمه يفلُج، ظفر وانتصر، والفَلْج: الظفر والفوز. وفي المثل: من يأت الحكَمَ وحده يفلُج. وأفلجه الله عليه: غلبه عليه وأظفره. انظر اللسان: (فلج).

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ أي: من نار. يقمع رأسه بالمِقمعة فتخرق رأسه فيُصبُّ فيه الحميم حتى يبلغ جوفه[1].

ذكر أن أبا العوام سادن بيت المقدس قرأ هذه الآية: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) [المدثر: 30] فقال [للقوم: ما تقولون؟][2] تسعة عشر ملكاً أو تسعة عشر ألف ملك. فقالوا: الله أعلم. فقال: هم تسعة عشر ملكاً، بيد كل ملك مرزبة من حديد لها شعبتان، فيضرب بها الضربة فيهوى بها سبعين ألف عام في النار[3].

قوله: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ قال الحسن: ترفعهم بلهبها فإذا كانوا في أعلاها قمعتهم الملائكة بمقامع من حديد من نار، فيهوون فيها سبعين خريفاً. قال الله: ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً ﴾. ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ؛ وهو قوله: (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً) وقال في آية أخرى: (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) [الإنسان: 21].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إنّ الرجل من أهل الجنة إذا بدا سواره يغلب ضوءه على ضوء الشمس[4].

قوله: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ وقال في آية أخرى: (وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) [الكهف: 31].

قوله: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ أي: إلى لا إله إلا الله، في تفسير

(1) كذا في ب وفي سع ورقة 39 ظ، وفي ع: «حتى يغلي حتى يبلغ جوفه».
(2) زيادة من سع، ورقة 39 ظ.
(3) كذا في ب و ع، وفي سع: «فيهوى بها سبعون ألفاً، أي من أهل النار».
(4) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 461.

الكلبي. وقال الحسن: إلى الإيمان في الدنيا، وهو واحد. قال: ﴿ وَهُدُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ الحَمِيدِ ﴾ وهو الله. وهو كقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة (صِرَاطِ اللهِ) [الشورى: 52 - 53] أي: طريق الله الذي هدى به عباده المؤمنين إلى الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: الهدى، يعني المشركين. ﴿ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ أي: ويصدّون عن المسجد الحرام ﴿ الذِي جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي: قبلة ونسكاً. وقوله: ﴿ سَوَاءٌ العَاكِفُ فِيهِ ﴾ أي: الساكن فيه ﴿ وَالبَادِي ﴾.

قال بعضهم: العاكف فيه أهل مكة، والبادي من يقصده، أي: ينتابه من الناس للحج والعمرة، وهما سواء في حرمه ومناسكه وحقوقه.

قوله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ أي: بشرك ﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

قال بعضهم: من لجأ إلى حرم الله ليعبد فيه غير الله عذّبه الله. تفسير الكلبي: الإلحاد: الميل عن عبادة الله إلى الشرك[1].

قوله: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيـمَ مَكَانَ البَيْتِ ﴾ ذكروا عن ابن عباس أنه قال: موضع البيت [ربوة بيضاء حولها][2] حجارة موسومة حولها حرجة[3] من سَمُر نابت. فهو قوله: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيـمَ) أي: أعلمناه (مَكَانَ البَيْتِ).

قوله: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ أي: من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي.

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 48: «(وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) مجازه ومن يرد فيه إلحاداً. والباء من حرف الزوائد، وهو الزيغ والجور والعدل عن الحق...».

(2) بادة من سع، ورقة 39 ظ.

(3) حرَجَة، بفتح الراء والجيم موضع شجر ملتف كالغيضة. وقيل: هو مجتمع الشجر من السَّمُر والطَّلح والسَّلَم والسِّدر وغير ذلك من الشجر.

ذكروا أن عائشة قالت: كسوة البيت على الأمراء، ولكن طيِّبوا البيت فإن ذلك من تطهيره.

قوله: ﴿ لِلطَّائِفِينَ وَالقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (لِلطَّائِفِينَ) يعني أهل الطواف، (والقَائِمِينَ) يعني أهل مكة، (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) يعني أهل الصلاة يصلّون إليه.

وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾[1] ذكروا أن إبراهيم نادى: يا أيها الناس، إن لله بيتاً فحُجوه، فأسمع ما بين الخافقين أو المشرقين، فأقبل الناس يقولون: لبّيك لبّيك؛ وبلغنا أنه أجابه يومئذ من كان حاجاً إلى يوم القيامة.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: قام إبراهيم عند البيت فأذّن في الناس بالحج، فسمعه أهل المشرق والمغرب.

وذكروا عن ابن عباس قال: إن إبراهيم وإسماعيل بنَيَا البيت. فلما أقبل أذّن في الناس بالحج، فجعل لا يمر بأحد إلا قال: يا أيها الناس بني لكم بيت فحجّوه، فجعل لا يسمعه حجر ولا شجر إلا أجابه: لبّيك اللهم لبّيك.

وذكروا عن ابن عباس قال: لما أمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج خفضت الجبال رؤوسها، ورفعت له القرى، فأذّن في الناس بالحج.

قوله: ﴿ يَأْتُوكَ رِجالاً ﴾ أي: مشاة ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾. قال بعضهم: أو يأتوك على كل ضامر، أي: الإبل. قال بعضهم: أي لا تبلغه المطي حتى تَضمُر.

قوله: ﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي: من كل فج بعيد[2]. قال بعضهم: (عَمِيقٍ) ما بين تهامة والعراق، ويؤتى من أبعد من ذلك.

---

(1) الحَجِ، بفتح الحاء وكسرها لغتان فصيحتان قرأ بهما القراء. قال ابن خالويه في الحجة ص 88: الحجة لمن كسر أنه أراد الاسم، والحجة لمن فتح أنه أراد المصدر، ومعناهما في اللغة القصد.

(2) الفج هو المسلك والناحية، وجمعه فجاج.

قوله: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ قال مجاهد: الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا. وذلك أنهم كانوا يتبايعون في الموسم، فكانت لهم في ذلك منفعة. وقال في آية أخرى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ) [البقرة: 198] أي: التجارة في الموسم.

قوله: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ وهي عشر ذي الحجة، آخرها يوم النحر. ﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَٰمِ ﴾ أي: يسمّي إذا ذبح أو نحر. والأضحى ثلاثة أيام: يوم النحر ويومان بعده. ويوم النحر أفضلها.

وقال بعضهم: هذا بمكّة؛ الأضحى ثلاثة أيام، سعةً لمن لم يجد البُدن في يوم النحر، فوسّع لهم، فجعل الأضحى ثمَّ ثلاثة أيام. فأما بغير مكة، فالأضحى يوم النحر، وهو يوم واحد لا غير[1].

قوله: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ قال مجاهد: الضعيف الفقير. وقال بعضهم: الفقير الذي به زمانة.

وذكروا عن جعفر بن محمد عن أبيه[2] قال: أُطعِمُ البائس الفقير ثلثاً، والقانع والمعتر ثلثاً، وأهلي ثلثاً.

وذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه بعث بهديه مع علقمة فأمره أن يأكل هو وأصحابه ثلثاً، وأن يبعث إلى أهل عتبة بن مسعود ثلثاً، وأن يطعم المساكين ثلثاً.

وذكروا عن سعيد بن المسيب قال: ليس لصاحب البدنة إلا ربعها، وذكروا عن الحسن أنه قال: لا يطعم من الضحية إلا ربعها[3].

---

(1) هذه الفقرة غير واردة في سع ولا في ز، ولعلها من زيادات الشيخ هود الهواري. وقد جاءت العبارة في ب و ع هكذا: «فالأضحى يوم وحد» والصواب ما أثبته إن شاء الله.

(2) هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة 80 للهجرة وتوفي بالمدينة سنة 148 هـ.

(3) كذا في ع، وفي سع ورقة 40 و: «لا يطعم من الأضحية أقل من الربع».

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يقول: فكلوا منها وأطعموا منها، وأطعموا منها وكلوا منها سواء؛ لا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل.

ذكروا عن الحسن قال: هذه مقدمة مؤخرة: فكلوا منها وأطعموا منها، وأطعموا منها فكلوا؛ لا بأس أن يطعم قبل أن يأكل [وإن شاء لم يأكل][1].

ذكروا عن عائشة، ابنة سعد بن مالك، أن أباها كان يأكل من بدنته قبل أن يطعم.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قِدر، فطبخت. فأكل هو وعلي من لحمها وحسوا من مرقها.

قوله: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ قال بعضهم: التفث حلق الرأس. وقال عطاء: التفث حلق الشعر وقطع الأظفار. وقال مجاهد: التفث حلق الرأس وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط وحلق العانة، ورمي الجمار. ذكر بعضهم قال: التفث دلك الشعث ودلك القشف[2].

وفي تفسير عمرو عن الحسن: [إزالة][3] قشف الإحرام، برميهم الجمار يوم النحر فقد حل لهم كل شيء غير النساء والطيب.

ذكروا عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان يقول: من رمى الجمار يوم النحر فقد حلّ له كل شيء إلا النساء والطيب.

قوله: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ قال بعضهم: أيام عظّمها الله، تحلـو فيها الأشعار، ويوفى فيها بالنذر، وتذبح فيها الذبائح.

---

(1) زيادة من سع، ورقة 40 و.

(2) في المخطوطات وفي سع تصحيف وفساد في الكلمات؛ ففي بعضها: «ذا الشعب»، و «التقشف» والصواب ما أثبته إن شاء الله. وهو «دلك الشعث، ودلك القشف». والقشف: «قذر الجلد» كما جاء في اللسان. فيكون المعنى: إزالة ذلك بالدّلك. انظر اللسان: (تفث) و (قشف).

(3) زيادة من تفسير القرطبي، لا بد منها ليتضح المعنى.

ذكروا أن مجاهد قال: نذر الحج والهدي، وما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحج.

قوله: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾. قال بعضهم: أعتقه الله من الجبابرة. وقال بعضهم: كم من جبّار مترف قد صال[1] إلىه يريد أن يهدمه، فحال الله بينه وبينه.

ذكر الحسن بن مسلم قال: قلت لمجاهد: لم سمّى البيت العتيق؟ قال: لم يُرِده أحد بسوء إلا هلك. قال الحسن: البيت العتيق أول بيت وضع للناس.

قال بعضهم في قوله: (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ). قال: هو الطواف الواجب. ذكروا عن عطاء أنه كان لا يرى بأساً أن يطاف الطواف الواجب بالليل.

وقال مجاهد: هو طواف يوم النحر. قال مجاهد: إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه فأفاضوا نهاراً يوم النحر، وأفاض هو ليلاً لحال نساء كن معه. فما أفاض منا أحد حتى كان النفر الآخر[2].

قوله: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ قال مجاهد: الحرمات: مكة والحج والعمرة، وما يخفى الله عنه من معاصيه كلها.

قوله: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ في سورة المائدة، أي: من (الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةِ وَالْمَوْقُوذَةِ وَالْمُتَرَدِّيَةِ وَالنَّطِيحَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) [المائدة: 3] وقد فسّرنا ذلك في سورة المائدة[3].

قوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَـٰنِ ﴾ يقول: اجتنبوا الأوثان فإنها رجس.

(1) في ع: «طال» وفي ز: «صار»، وفي سع ورقة 40 ظ صال. ولكل كلمة وجه، ولكن ما أثبته أنسب وأبلغ.

(2) أي: بعد أيام التشريق الثلاثة. وهو الإفاضة من منى.

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 443 - 444.

﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ الكذب على الله، يعني الشرك[1].

قال: ﴿ حُنَفَاءَ للهِ ﴾ أي: مخلصين لله، وقال بعضهم: حجّاجاً لله مخلصين. ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: سقط من السماء، أي: من البعد من الله ﴿ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي: في مكان بعيد.

قال الحسن: شبه الله أعمال المشركين بالشيء يخر من السماء فتخطفه الطير فلا يصل إلى الأرض، أو تهوي به الريح في مكان سحيق، أي: بعيد، فيذهب فلا يوجد له أصل، ولا يرى له أثر. يعني أنه ليس[2] لأعمال المشركين عند الله قرار لهم به عنده خير في الآخرة.

قوله: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰئِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ تفسير مجاهد: استعظام البدن واستسمانها واستحسانها.

ذكروا أن رجلاً سأل ابن عمر عن أعظم الشعائر فقال: أوفي شك أنت منها، هذا أعظم الشعائر، يعني البيت. وتفسير الحسن (شَعَائِرَ اللهِ) يعني دين الله كله.

قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ذكر عطاء عن ابن عباس قال: الأجل المسمى إلى أن تُقلَّد وتُشْعَر، وهي البُدْن ينتفع بظهرها ويستعان بها.

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا ﴾ أي: إذا قلدت وأشعرت ﴿ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾. وقال مجاهد أيضاً: هي البدن ينتفع بها حتى تقلد.

---

(1) ليسا شيئاً واحداً. وقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره ج 17 ص 154 بسند: «عن أيمن بن خريم أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: أيها الناس عُدِلَت شهادة الزور بالشرك بالله، مرتين، ثم قرأ رسول الله ﷺ: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)».

(2) كذا وردت هذه الجملة في كل من ب، وع، وز ورقة 222 وسع: «ليست لأعمال المشركين» والصحيح ما أثبته: «ليس».

ذكروا أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال: اركبها، قال: إنها بدنة، قال: اركبها، قال: إنها بدنة، قال: اركبها ويحك![1].

ذكر عطاء قال: كان رسول الله ﷺ يحمل على بدنته العقب.

ذكروا أن جابر بن عبد الله سئل عن ركوب البدنة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اركبها بالمعروف حتى تجد ظهراً[2].

ذكروا عن هشام بن عروة عن أبيه قال: البدنة إن احتاج سائقها فإنه يركبها غير فادح، ويشرب من فضل فصيلها.

ذكروا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أشعر بدنته من جانب السنام الآيمن، ثم سلت عنها الدم، ثم قلّدها نعلين[3].

ذكروا عن ابن عمر أنه أشعر الهدي من جانب السنام الأيسر، إلا القلوصين الصعبين فإنه كان يطعنهما بالحربة، هذا من الأيمن وهذا من الأيسر.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ ﴾. ذكروا عن عطاء قال: كل هدي دخل الحرم ثم عطب فقد بلغ مِحِلّه إلا هدي المتعة فإنه لا بد أن يهرق دماً يوم النحر. وروى بعضهم عن عطاء قال: إلا هدي المتعة وهدي المحصر بالحج.

---

(1)حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب ركوب البدن، عن أبي هريرة وعن أنس. وفيه: «اركبها ويلك أو ويحك!» وأخرجه مسلم في كتاب الحج أيضاً، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، (رقم 1322 - 1323) عن أبي هريرة وعن أنس.

(2)حديث صحيح أخرجه مسلم في نفس الباب (رقم 1324) من طريقين عن جابر، وفي أحدهما: «اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها حتى تجد ظهراً».

(3)رواه مسلم في كتاب الحج، باب تقليد الهدي وإشعاره عند الإحرام عن ابن عباس (رقم 1243) والإشعار هو جرح البدنة المهداة حتى يُعلم أن تلك البدنة هَدْيٌ، فإذا ضلت رُدت ولا تمس بسوء وإذا اختلطت بالإبل تميّزت فَرُدت. وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب في الإشعار عن ابن عباس (رقم 1752).

ذكروا عن عائشة أنها قالت: إذا عطب الهدي فكلوه، ولا تدعوه للكلاب والسباع؛ فإن كان واجباً فاهدوا مكانه هدياً آخر، وإن لم يكن واجباً فإن شئتم فاهدوا، وإن شئتم فلا تهدوا.

ذكروا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بالبدن مع رجل، وأمره فيها بأمره. فلما قفّى[1] رجع فقال: ما أصنع بما أزحف[2] منها؟ قال: انحرها واصبغ أخفافها في دمها، ثم اضرب به صفحتها؛ وربما قال اليمنى، وربما لم يقل، ثم لا تأكل منها أنت ولا رفقتك، وخلِّ بينها وبين الناس يأكلونها[3]. وهذا في التطوع.

وذكر ذلك غير واحد عن ابن عباس إلا أن بعض رواة ابن عباس قال في البدنة التطوع إذا أصيبت: ينحرها ويجعل أخفافها في دمها ولا يأكل منها. وذكر مجاهد عن ابن عباس قال: إذا أكلت من التطوع فأبدل[4].

قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً ﴾ أي: حجاً وذبحاً ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَـٰمِ ﴾. وقد فسّرناه في الآية الأولى[5].

قوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُـمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ يقوله للمشركين. قوله: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ تفسير الحسن أن المخبتين هم الخاشعون. والخشوع المخافة الثابتة في

---

(1) في ب: «أقفى»، وفي سع ورقة 41 و: «قفا» والصحيح ما أثبته من اللسان: «قفّى» أي ذهب مولياً.

(2) أزحف البعير وزحف إذا أعيا ووقف من الكلال.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك من طريقين باب في الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ (رقم 1762) وأخرجه مسلم في الحج، باب ما يفعل بالهدي إذا عطب في الطريق عن ابن عباس (رقم 1325 و 1326) ولفظه: «إن عطب منها شيء فخشيت عليه موتاً، فانحرها ثم اغمس نعلها في دمها، ثم اضرب به صفحتها، ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك». وانظر ترجمة ذؤيب، والد قبيصة، في الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 464، وكان ذؤيب هذا صاحب بدن رسول الله ﷺ، كان يبعث معه الهدي.

(4) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 41 و نسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب.

(5) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 110.

القلب. وقال بعضهم: المخبتون المطمئنون بالإيمان كقوله: (فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ) [الحج: 45] أي: خافت قلوبهم، أي: فتطمئن قلوبهم. وقال: (الذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) [الرعد: 28].

قوله: ﴿ الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خافت قلوبهم. ﴿ وَالصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالمُقِيمِي الصَّلَوٰةِ ﴾ أي: المفروضة، وهي الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: الزكاة المفروضة.

قوله: ﴿ وَالبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ أي: أجر في نحرها والصدقة منها، تتقربون إلى الله.

قوله: ﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: مخلصين لله؛ فهي على هذا المقرإ [غير][1] مثقلة على هذا التفسير. وكان مقرأ الحسن ـ فيما ذكروا عنه ـ: صوافِيَ، أي: صافية لله تعالى.

ذكروا عن مجاهد قال: (صَوَافَّ): معلقة قياماً.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان ينحرها وهي قائمة، تصف بين أيديها بالقيود؛ ويتلو هذه الآية: (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ). وهي على هذا التفسير [غير][2] مخففة: صوافّ، أي: مصفوفة بالحبال، معقولة يدها اليمنى، وهي قائمة على ثلاث، كذلك ينحرها من نحرها في دار المنحر بمنى.

وهي قراءة ابن مسعود: (صوافن)[3]. يعني مثل قوله تعالى: (الصَّافِنَاتُ

(1) سقطت هذه الكلمة في ب و ع وسع. فأثبتها ليصح معنى الإخلاص، فإنها جمع «صَوَافٍ»..

(2) وسقطت هذه الكلمة أيضاً من المخطوطات، والصواب إثباتها. انظر معاني الفراء ج 2 ص 226، وابن جني، المحتسب ج 2 ص 81 - 82، واللسان: (صفف).

(3) نسبت هذه القراءة أيضاً إلى ابن عباس وابن عمرو وآخرين. وفي مخطوطة ز، أوضح ابن أبي زمنين في ورقة 222 هذه القراءات فقال: «من قرأ «صوافّ» مشددة فالمعنى صفت قوائمها، =

الجِيَاد) [سورة صٓ: 31]؛ يعني الفرس إذا صفن، أي: رفع إحدى رجليه فقام على طرف الحافر.

ذكروا عن عمرو بن دينار قال: رأيت عبد الله بن الزبير على برذون له أشعر أوجرها الحربة[1] وهي قائمة. قال: ورأيت ابن عمر ينحر البدن وهي باركة، ورجل يعينه.

ذكروا عن عائشة بنت سعد [بن مالك][2] أن أباها كان ينحرها وهي باركة.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ نحر من بدنه بيده ثلاثاً وستين، ثم أعطى علياً الحربة فنحر ما بقي.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن ينحرها استقبل بها القبلة ونزع عنها جلالها لكي لا تخضب بالدم، وكان يحب أن يلي نحرها بنفسه.

قوله: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ أي: إذا نحرت فسقطت جنوبها على الأرض من قيام أو بروك.

ذكروا عن القاسم بن محمد[3] أنه كان إذا أراد أن ينحرها يصف بين أيديها وهي قائمة، ويمسك رجل بخطامها ورجل بذنبها، ثم يطعنها بالحربة، ثم يجبذانها حتى يصرعاها، وكان يكره أن تعرقب.

= والنصب فيها على الحال ولا تنوّن لأنها لا تنصرف. ومن قرأ «صوافن» فالصافن الذي يقوم على ثلاث، يقال: صفن الفرسُ، إذا رفع إحدى رجليه فقام على طرف الحافر، والبعير إذا أرادوا نحره تعقل إحدى يديه، فهو الصافن، والجمع صوافن. وقرئت صوافِيَ بالياء والفتح بغير تنوين. وتفسيره خوالص، أي: خالصة لله لا يشرك بالله جل وعز في التسمية على نحرها أحد. وقد ذكر يحيى هذه القراءات ولم يلخصها هذا التلخيص».

(1) أي: طعنها بها، والضمير راجع إلى البدن.

(2) زيادة من سع ورقة 41 و، ولعلها بنت أبي سعيد الخدري فإن اسمه سعد بن مالك بن سنان.

(3) هو أبو محمد أو أبو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق المدني. قال عنه يحيى ابن سعيد: ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم. قيل: توفي سنة إحدى أو اثنين ومائة وقيل: بعد ذلك.

قوله: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾. قال بعضهم: القانع: القاعد في بيته لا يسأل الناس، والمعتر الذي يتعرض لك يسألك؛ ولكل عليك حق.

وقال مجاهد: القانع: السائل الذي يقنع بما أعطى، والمعتر: القاعد في بيته لم يشعر بما اعتراه[1]. وقد فسّرنا إطعامهم في الآية الأولى[2].

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا.

قوله: ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾ وقد كان المشركون يذبحون لأصنامهم، ثم ينضحون دماءها حول البيت.

قال: ﴿ وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ يعني من آمن بالله. ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾ أي: الأنعام ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللهَ ﴾ أي: لتعظموا الله ﴿ عَلَىٰ مَا هَدَيٰكُمْ ﴾ وقال في الآية الأخرى: (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) [الحج: 28] أي: إذا ذبحوا.

والسنّة إذا ذبح أو نحر أن يقول: باسم الله وبالله والله أكبر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين عظيمين، يذبحهما بيده، ويطأ على صفاحهما، ويسمّي ويُكبِّر[3].

ذكروا عن الحسن أنه كان إذا ذبح الضحية قال: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وإليك.

قال: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: بالجنة.

---

(1) في ع: «لم يشعر باعتراه». وفي سع ورقة 41 ظ: «لم يشعر به اعتراه»؛ وصواب العبارة ما أثبته: لم يشعر بما اعتراه، أي لا يعلم حاله وما ينتابه من فقر.

(2) انظر ما مضى قريباً في هذا الجزء ص 110 - 111.

(3) روى ابن سلام في سع ورقة 41 ظ خبر هذا نصه: «عن أنس بن مالك قال: أهدى للنبي عليه السلام كبشان أملحان أقرنان فضحى بهما فذبحهما بيده فوضع رجله اليمنى على كتف الكبش اليمنى ثم قال: بسم الله والله أكبر، منك ولك عني وعن أمتي».

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَٰفِعُ عَنِ الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ قال الحسن يدافع عنهم فيعصمهم من الشيطان في دينهم. قال بعضهم: والله ما ضيّع الله رجلاً قط حفظ له دينه.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ذكروا عن الحسن في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً لِّيُعَذِّبَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ) [الأحزاب: 72 - 73] قال: والله إن اللذين ظلماها، والله إن اللذين خاناها المنافق والمشرك[1]. وهي خيانة دون خيانة.

قوله: ﴿ أُذِنَ لِلذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ أي: ظلمهم المشركون فأخرجوهم من ديارهم، أي: من مكة في تفسير الحسن[2]. على هذا خرجوا من مكة إلى المدينة مهاجرين. وكانوا يمنعون من الخروج إلى المدينة، فأدركهم المشركون، فأذن للمؤمنين بقتالهم فقاتلوهم.

[قال بعضهم][3]: وكان من كان يومئذ بمكة من المسلمين قد وضع عنهم القتال. فهو قوله: (أُذِنَ لِلذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) أي: أذن لهم بالقتال بعدما أخرجهم المشركون وشرّدوا حتى لحق طوائف منهم بالحبشة.

قال الله: ﴿ وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[4].

---

(1) جاءت العبارة في ب و ع هكذا: «ظلما أنفسهما... خاناهما المنافق والمشرك». وأثبت ما جاء في سع ورقة 41 ظ: «ظلماها... خاناها» حتى يعود الضمير إلى الأمانة. وهذا أحسن تأويلاً وأصح تعبيراً.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 42 و: «في تفسير مجاهد. وبالمقارنة مع ما أورده الطبري في تفسيره ج 17 ص 173 وما جاء في تفسير مجاهد ص 426 تبين أن الجملة الأولى من هذه الفقرة للحسن والأخيرة لمجاهد.

(3) زيادة لا بد منها لأن هذه الفقرة من رواية يحيى بن سلام لكلام قتادة، كما جاء في سع ورقة 42 و.

(4) سقطت هذه الجملة من كل المخطوطات، ومن سع أيضاً. وكأن الناسخ الأول لم يثبتها سهواً فتبعه من جاء بعده. وجاء في ز ورقة 223 قول لقتادة في تفسير هذه الآية آخره: «وقيل إنها أول =

قوله: ﴿ الذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَـٰرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ يقول: لما قال المسلمون لا إلٓـه إلا الله أنكرها المشركون وضاق بها إبليس وجنوده.

قال الحسن: والله ما سفكوا لهم من دم، ولا أخذوا لهم من مال، ولا قطعوا لهم من رحم، وإنما أخرجوهم لأنهم قالوا ربنا الله. كقوله: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) [البروج: 8].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْـعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي: يدفع عن المؤمنين بدينهم، ويدفع عن الكافرين بالمؤمنين. وقال بعضهم: يبتلي المؤمن بالكافر، ويعافي الكافر بالمؤمن[1].

قوله: ﴿ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ﴾ قال مجاهد: صوامع الرهبان، وقال بعضهم: الصوامع للصابين، قوله: ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ أي: وكنائس النصارى، ﴿ وَصَلَوَاتٌ ﴾ أي: صلوات اليهود، أي: كنائسهم. ﴿ وَمَسَاجِدُ ﴾ يعني مساجد المسلمين ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ﴾ يعني في المساجد.

قوله: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَّنْصُرُهُ ﴾ أي: ولينصرن الله من ينصر دينه، يعني النصر في الدنيا، والحجة في الآخرة. ﴿ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي: قوي في سلطانه، عزيز في نقمته.

قوله: ﴿ الذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني أصحاب النبي عليه السلام. ﴿ أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بعبادة الله ﴿ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ﴾ أي: عن عبادة الأوثان ﴿ وَللهِ عَـٰقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أي: إليه تصير الأمور. كقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) [مريم: 40].

= آية نزلت في القتال» وانظر تفسير الطبري ج 17 ص 173.

(1) انظر اختلاف المفسرين في هذه الآية، في تأويل دفع الله الناس، وفي معنى الصوامع والبيع والصلوات في تفسير الطبري، ج 17 ص 174 - 178. وقد رجح الطبري أخيراً ما جاء في هذا التفسير تقريباً.

قوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴾ يعني الذين بعث الله إليهم شعيباً. قال: ﴿ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾ أي: كذّبه فرعون وقومه ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ والذين كفروا، يعني جميع هؤلاء لم أهلكهم عند تكذيبهم رُسُلهم، حتى جاء الوقت الذي أردت أن أهلكهم فيه. ﴿ ثُمَّ أَخَذتُهُمْ ﴾ أي: بالعذاب حين جاء الوقت ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: عقابي، أي: كان شديداً. يحذّر بذلك المشركين.

قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ أي: فكم من قرية ﴿ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ يعني أهلكنا أهلها. ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ أي: فالقرية خاوية ليس فيها أحد. قد هلك أهلها. فهي خاوية ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أي: على بنيانها. وبعضهم يقول: العروش السقوف، صار أعلاها أسفلها ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ أي: باد أهلها فعطّلت ﴿ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ أي: مبني معطّل. [معطوف][1] على قوله معطّلة. وقال الكلبي: المشيد الحصين[2].

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أي: لو ساروا وتفكروا لعاينوا ما نزل بإخوانهم من الكفار فيتوبون لو كانت لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها. ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: إنما أوتوا من قِبَل قلوبهم. ولو أن رجلاً كان أعمى بعد أن يكون مؤمناً لم يضرّه شيء وكان قلبه بصيراً.

وقال بعضهم: إنما هذه الأبصار التي في الرؤوس جعلها الله منفعة وبلغة، وأما

---

(1) زيادة لا بد منها للإيضاح.

(2) كذا قال الكلبي. وما ذكره أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 53. أوفى شرحاً وأدقّ تعبيراً. قال: «(وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) مجازه مجاز مفعول من «شِدت تَشِيد» أي: زينته بالشِّيد، وهو الجصّ والجَيّار والمِلاط. الجيّار الصاروج، وهو الكلس. وقال عدي بن زيد العِبادي:

شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْـ ـساً فَلِلطَّيْرِ في ذُرَاهُ وُكُورُ

وهو الكلس. وقال:

كَحَيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطَّيِّ وَالشِّيدِ»

وانظر اللسان: (شيد) فقد أورد فيه ابن منظور تحقيقاً لغوياً مفيداً.

البصر النافع فهو في القلب. وذكر لنا أنها نزلت في عبد الله بن زائدة[1].

ذكروا عن مجاهد قال: لكل عين، يعني نفساً، أربعة عيون: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته. فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه لم يضره عماه شيئاً. وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه لم ينفعه [بصره][2] شيئاً إذا عميت عينا قلبه. قال الله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ وذلك منهم استهزاء وتكذيب، أي: فإنه لا يكون. ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ قال الحسن: يعني هلاكهم بالساعة قبل عذاب الآخرة.

قال: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: إن يوماً من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا.

قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: وكم من قرية ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ إلى الوقت الذي أخذتها فيه ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: وهي مشركة، يعني أهلها ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ أي: بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: وإلى الله المصير في الآخرة.

قوله: ﴿قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي: لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ﴾ أي: كذبوا بآياتنا معاجزين أي: يظنون أنهم يعجزوننا فيسبقوننا في الأرض حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم، هذا تفسير

---

(1) في ب و ع جاء الاسم هكذا: «عبد الله بن سعيد»، وفي سع ورقة 42 و: «عبد الله بن زيد» وكلاهما خطأ؛ والصواب ما أثبته إن شاء الله. فقد جاء في الدر المنثور ج 4 ص 365 ما يلي: «عبد الله بن زائدة، يعني ابن أم مكتوم». والقول لقتادة. وأنا أستبعد نزول الآية في الصحابي الجليل ابن أم مكتوم الذي شهد الله له بالخشية في سورة عبس [الآية: 9]، والآية هنا في معرض الذم، اللهم إلا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾، والله أعلم.

(2) زيادة يقتضيها سياق الكلام. والعبارة: «إذا عميت عينا قلبه» تكرار لا لزوم له ورد في ب و ع دون سع.

الحسن. وتفسير مجاهد: معاجزين، أي: مبطئين عن الإيمان[1]. ﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ ﴾ والجحيم اسم من أسماء جهنم.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ ﴾ أي: إذا قرأ، في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: إذا قال. وقال الكلبي: إذا حدّث نفسه.

وقال بعضهم: كان النبي قائماً في المسجد الحرام يصلّي وهو يقرأ سورة النجم؛ فلما أتى على هذه الآيات: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ) [النجم: 19 - 20] ألقى الشيطان على لسانه: إنهن من الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لتُرتجىٰ. فأعجب ذلك المشركين؛ فقرأ السورة حتى ختمها، فسجد وسجد أهل مكة؛ المؤمنون والمشركون، والجن والإنس؛ فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ).

قال الله: ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَـٰنُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَـٰتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني المشركين. قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: لفي فراق بعيد أي: إلى يوم القيامة، يعني فراقهم عن الحق[2].

---

(1) كذا في ب و ع و سع. وفي ز ورقة 223: «مبطئين للناس عن الإيمان». وفي تفسير مجاهد، ص 427: «يقول: يبطئون الناس عن اتباع محمد ﷺ».

(2) روى ابن سلام في مخطوطة سع ورقة 42 و ما بعدها حديث الغرانيق هذا بسند واه عن أبي العالية الرياحي، وعن قتادة، وعن الكلبي. وهي روايات كلها مرسلة، وأورد الطبري كذلك في تفسيره روايات مماثلة عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وعن سعيد بن جبير وغيرهم؛ مما يدل دلالة واضحة على أن الحديث موضوع، لا أصل له، ولا يُعتَدُّ به، ولا يجب التصديق به، لأنه يقدح في عصمة الصادق المصدوق ﷺ. وقد نقد المحققون من علماء التفسير قديماً وحديثاً قصة الغرانيق هذه وبيّنوا علل ضعفها وأثبتوا وضعها، مما لا يدع مجالاً للشك في أنها من كيد الدساسين أو من روايات الجهلة المغفلين، ولا يوهمنّك كثرة الرواة لها في كتب التفسير فإن أغلبهم نَقَلَة لما قال غيرهم بدون نقد أو تمحيص. وممن جمع هذه الردود المتينة وأوضحها بجلاء العلاّمة محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل، ج 12 ص 38 - 57. فاقرأها هناك يتبين له وجه الحق والصواب إن شاء الله.

قوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: القرآن ﴿ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ أي: فيصدّقوا به ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: فتطمئن له قلوبهم، في قول الكلبي. وقال الحسن: فتخشع له قلوبهم. قوله: ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿ وَلاَ يَزَالُ الذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في شك من القرآن ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة. قال الحسن: يعني الذين تقوم عليهم الساعة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه.

قوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ أي: يوم بدر، قبل قيام الساعة. وقال بعضهم: (يَوْمٍ عَقِيمٍ) أي: قوم لا غد له، أي: يهلكون فيه. وقال الحسن: (عَقِيم) أي: شديد.

قوله: ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ للهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يوم القيامة؛ (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) أي: بين المؤمنين والكافرين.

قال: ﴿ فَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي: من الهوان.

﴿ وَالذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا ﴾ أي: بعد الهجرة ﴿ أَوْ مَاتُوا ﴾ على فرشهم بعد الهجرة ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾ أي: الجنة ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرٰزِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً[1] يَرْضَوْنَهُ ﴾ في الجنة. ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ﴾ يعني مشركي العرب، إنهم عوقبوا فقتلهم الله بجحودهم النبي عليه السلام، وبظلمهم إياه وأصحابه، وبغيهم عليهم. قال: ﴿ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ النصر في الدنيا: الظهور على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة؛ هو كقوله: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: «(لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً) الميم مضمومة لأنها من (أدخلت). والخاء مفتوحة: وإذا كانت من دخلت فالميم والخاء مفتوحتان».

وَالذِينَ ءَامَنُوا فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) [غافر: 51] أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ الَّيْـلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله. قوله: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ ﴾. قال الحسن: الأوثان. وقال بعضهم: إبليس ﴿ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ ﴾ أي: الرفيع فلا أعلى منه ولاأرفع. ﴿ الكَبِيرُ ﴾ أي: لا شيء أكبر منه.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ يعني نباتها، ليس يعني من ليلتها، ولكن إذا أنبتت. ﴿ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ ﴾ أي: بخلقه فيما رزقهم. ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بأعمالهم.

قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُو الغَنِيُّ ﴾ أي: عن خلقه ﴿ الحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمد إلى خلقه، استحمد إليهم، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ ﴾ كقوله: (هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) [البقرة: 29]، ﴿ وَالفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ﴾ أي: لئلا تقع على الأرض ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَحْيَاكُمْ ﴾ أي: من نطفة ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يعني البعث. وهو كقوله: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [البقرة: 28]، ﴿ إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ يعني الكافر.

قوله: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً ﴾ أي: حجّاً وذبحاً، في تفسير بعضهم[1].

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 230: «وقوله: (منسَكاً، ومنسِكاً) قد قرىء بهما جميعاً. والمنسِك لأهل الحجاز، والمنسَك لبني أسد. والمنسَك في كلام العرب: الموضع الذي تعتاده وتألفه. ويقال: إن لفلان منسِكاً يعتاده، في خير كان أو غيره. والمناسك بذلك سمّيت ـ والله أعلم ـ لترداد الناس عليها بالحج والعمرة.

قوله: ﴿ هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ قال مجاهد: يعني إهراق الدماء، [دماء الهدي][1] وقال بعضهم: يعني النسك.

قوله: ﴿ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ﴾ أي: لا يحوِّلَنَّك المشركون عن هذا الدين الذي أنت عليه، يقوله للنبي عليه السلام. ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ﴾ أي: إلى الإخلاص له قوله: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: على دين مستقيم، وهو الإسلام، يستقيم بك حتى يهجمُ[2] بك على الجنة.

قوله: ﴿ وَإِنْ جَٰدَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يعني ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون، فيكون حكمه فيهم أن يدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: قد علمت أن الله يعلم ما في السماء والأرض. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [أي: هيِّن حين كتبه][3].

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰناً ﴾ أي: حجة بعبادتهم ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: إن الأوثان ما خلقت مع الله شيئاً ولا رزقت شيئاً ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مِن نَّصِيرٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: القرآن ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: يكادون يقعون بهم، أي: بأنبيائهم فيقتلونهم، في تفسير الحسن. قال: وهو كقوله: (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) [غافر: 5] أي: ليقتلوه. وقال مجاهد: يعني كفار قريش.

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 428.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 43 و: «حتى يهجم بك» ولست مطمئناً للكلمة، وإن كان المعنى واضحاً.

(3) زيادة من ز، ورقة 224.

قوله: ﴿ قُل أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ يعني بشرٍّ من قتل أنبيائهم ﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ أي: النار.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ أي: أن الذّباب يقع على تلك الأوثان، فينقر أعينها ووجوهها، فيسلبها ما أخذ من وجوهها وأعينها. وقال بعضهم: إنهم كانوا يطلونها بخَلُوق.

قال الله: ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ ﴾ يعني الوثن ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ أي: الذباب.

قوله: ﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي: ما عظّموا الله حقّ عظمته بأن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها الذباب الضعيف شيئاً لم تستطع أن تمتنع منه. ﴿ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي: بقوته وعزته ذل من دونه.

قوله: ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَـٰئِكَةِ رُسُلاً ﴾ أي: يختار من الملائكة رسلاً[1] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: من أمر الدنيا [إذا كانا في الآخرة][2] ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ يعني الصلاة المكتوبة[3] ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: لا تعبدوا غيره ﴿ وَافْعَلُوا الخَيْرَ ﴾ أي: في وجهتكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: لكي تفلحوا.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 230: «(اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا) اصطفى منهم جبريل وميكائيل وملك الموت وأشباههم. ويصطفي من الناس الأنبياء».

(2) زيادة من ز ورقة 224، ومن سع ورقة 43 و.

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 231: «(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُـوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا): كان الناس يسجدون بلا ركوع، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع قبل السجود».

قوله: ﴿ وَجَـٰهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ وهو مثل قوله: (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) [آل عمران: 102]. وهما منسوختان؛ نسختهما الآية التي في التغابن: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: 16].

قوله: ﴿ هُوَ اجْتَبَـٰكُمْ ﴾ أي: هو اصطفاكم. ويقال: هو اختاركم لدينه، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي: من ضيق.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خير دينكم أيسره[1].

وقال [قتادة][2]: إن كتاب الله قد جاءكم بذلك ورب الكعبة: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: 185].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما اجتمع أمران في الإسلام إلا كان أحبُّهما إلى الله أيسَرَهما[3].

ذكروا عن عروةبن الزبير عن عائشة قالت: ما عرض لرسول الله أمران إلا أخذ بأيسرهما ما لم يكن إثماً، وكان أبعد الناس من المآثم.

قوله: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّـٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: الله هو سمّاكم المسلمين[4] ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل هذا القرآن، أي: في الكتب الأولى وفي الذكر. ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ القرآن.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه البخاري في الأدب، والطبراني عن محجن بن الأدرع الأسلمي. ورواه الطبراني أيضاً من طريق عمران بن حصين.

(2) زيادة لا بد من إثباتها كما جاءت في سع ورقة 43. حتى لا يتوهم القارىء أن ما يلي من تمام الحديث.

(3) أخرجه يحيى بن سلام هكذا: «أبو أمية عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ. ..» ولم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.

(4) هذا هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين. وقد ذهب آخرون إلى أن الضمير (هو) يعود على =

قوله: ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ﴾ أي: بأنه قد بلّغ ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي: على الأمم بأن الرسل قد بلغت قومها.

ذكروا أن كعباً قال: إن الله أعطى هذه الأمة ثلاثاً لم يعطهن قبلهم إلا نبياً مرسلاً؛ كان يبعث النبي فيقول: أنت شاهدي على أمتك، وإن الله جعلكم شهداء على الناس. ويبعث النبي فيقول: ادعني أستجب لك. وقال: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: 60]. ويبعث النبي فيقول: ليس عليك في الدين من حرج، وقال الله: (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ).

قوله: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ إنهما فريضتان واجبتان؛ أما الصلاة فالصلوات الخمس يقيمونها على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. وأما الزكاة فقد فسّرناها في أحاديث الزكاة على ما سنّ رسول الله ﷺ فيها[1].

قوله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ ﴾ أي: بدين الله، فهو اعتصامكم بالله في قول الحسن. وقال الكلبي: بتوحيد الله وبفرائضه، وهو واحد.

قوله: ﴿ هُوَ مَوْلَيْكُمْ ﴾ أي: وليّكم ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ وعدهم النصر على أعدائهم من المشركين.

= (إبراهيم) ونزع بقوله تعالى من سورة البقرة [آية: 128]: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ). وقد ردّ الطبري على هذا الرأي الأخير، واحتج لما ذهب إليه الجمهور بحجة قوية. انظر تفسير الطبري ج 17 ص 208.

(1) لعله يشير إلى كتابه «الجامع» الذي هو كتاب في الحديث لم نعرف عنه إلا عنوانه، ولم يتحدث عنه من ترجموا لابن سلام، ولعلهم لم يطلعوا عليه.

تفسير سورة المؤمنون[1]
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: قد سَعِد المؤمنون، والسعداء أهل الجنة.

ذكروا أن كعباً قال: [لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة؛ خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده][2] ثم قال لها تكلمي، فقالت: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُومِنُونَ).

وذكر بعضهم أن الله خلق الجنة فجعل لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها، يعني أرضها[3]، مسكاً. ثم جعل فيها ما جعل، ثم نظر إليها ثم قال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُومِنُونَ)، ثم أغلق بابها، فليس يعلم ما فيها مَلَك مقرَّب ولا نبيّ مرسَل، فالذي تجد من برد السَّحَر وطيبه فهو ما يخرج من خلل الباب.

قوله: ﴿ الذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾. والخشوع هو الخوف الثابت في القلب.

وذكر لنا أن أحدهم كان يرفع بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية غضّوا أبصارهم، فكان أحدهم ينظر إلى موضع سجوده.

---

(1) في ب و ع: «سورة قد أفلح»، وفي سع و ز: «سورة المؤمنين» وأثبت ما جاء في مصاحفنا المطبوعة على الرسم العثماني.

(2) زيادة من سع ورقة 44 ظ.

(3) هذا الشرح للملاط غير وارد في سع، ويبدو أنه من زيادات بعض النساخ. والصحيح أن الملاط هو الطين الذي يجعل بين اللبن أو يملط، أي يطلى، به الحائط.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾. واللغو هو الباطل، ويقال: الكذب، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ أي: يؤدون الزكاة المفروضة.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ أي: من الزنا ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَٰجِهِـمْ﴾ أي: إن شاء تزوّج واحدة، وإن شاء اثنتين، وإن شاء ثلاثاً، وإن شاء أربعاً، ولا يحل له ما فوق ذلك.

قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾ أي: يطأ بملك يمينه كم شاء. قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ أي: في أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، لا لوم عليهم في ذلك، أي: لا إثم عليهم في ذلك.

قوله: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: وراء أزواجه أو ما ملكت يمينه ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾ أي: الزناة، تعدّوا الحلال إلى الحرام.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُـونَ﴾ أي: يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَـوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أي: يحافظون على الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها.

قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الوَٰرِثُـونَ﴾ أي: إنه ليس من أحد إلا وقد أعدّ الله له منزلاً وأهلاً في الجنة، فإن أطاع الله صار إلى ما أعد الله له، وإن عصاه صرف ذلك المنزل عنه إلى غيره، فأعطاه الله المؤمن مع ما أعد الله للمؤمنين، فورث المؤمن تلك المنازل والأزواج، وهو قوله: (أُولَٰئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ).

قوله: ﴿ الذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ والفردوس اسم من أسماء الجنة، في تفسير الحسن. قال بعضهم: وبلغنا أنها بالرومية[1].

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 231: «وقوله (الفِرْدَوْسُ) قال الكلبي: هو البستان بلغة الروم. =

ذكر بعضهم [عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ][1] قال: هي ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها[2]. وقال بعضهم: الفردوس جبل في الجنة تتفجّر منه أنهار الجنة.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ والسلالة النطفة تسلّ من الرجل، وكان بدء ذلك من طين. خلق الله آدم من طين، ثم جعل نسله بعد من ماء مهين، أي: ماء ضعيف، يعني النطفة.

قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ أي: في الرحم.

قوله: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ [يكون في بطن أمه نطفة أربعين ليلة، ثم يكون علقة أربعين ليلة، ثم يكون مضغة أربعين ليلة][3].

قال: ﴿ فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَـٰماً﴾ وبعضهم يقرأها (عَظْماً) يعني جماعة العظام. ﴿ فَكَسَوْنَا العِظَـٰمَ لَحْماً ﴾ وبعضهم يقرأها: (فَكَسَوْنَا العَظْمَ لَحْماً). وهي مثل الأولى. قال: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَـٰهُ خَلْقاً آخَـرَ ﴾ قال بعضهم: أنشأ عليه الشعَر. وقال الحسن: الروح. وقال بعضهم: ذكراً أو أنثى. وقال الكلبي: الروح، وهو في بطن أمه.

قال: ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ ﴾. هو من باب البركة كقوله: (فَتَعَـالَى اللهُ) [الأعراف: 190] ﴿ أَحْسَنُ الخَـٰلِقِينَ﴾ ، أي: أن العباد قد يعملون ما يشبهون بخلق

= قال الفراء: وهو عربي أيضاً. العرب تسمّى البستان الفردوس». وانظر الجواليقي: المعرب ص 288 - 299 ففيه تفصيل واف في أصل الكلمة ومعانيها.

(1) زيادة لا بد منها لأن ما يلي حديث أورده ابن سلام بسند كما جاء في سع ورقة 44 ظ.

(2) حديث صحيح أخرجه الطبراني عن سمرة بلفظ: «الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها». وأخرجه ابن جرير الطبري أيضاً عن سمرة بن جندب. وشرح به حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال للربيع ابنة النضر: «يا أم حارثة، إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى». انظر تفسير الطبري، ج 16 ص 38، وانظر صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار.

(3) زيادة من ز ورقة 225، ومن سع ورقة 45 و.

الله[1]، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: قال الله: من أظلم ممن يخلق كخلقي، فليخلقوا ذباباً أو ذرة أو بعوضة[2].

ذكروا أن النبي ﷺ قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله[3].

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: وافقني ربي، أو وافقت ربي في أربع: قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى، فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]. ولما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ قلت: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ختمها الله بما قلت[4]. [وقلت: يا رسول الله، لو حجبت نساءك، فإنه يدخل عليهن الصالح وغيره، فأنزل الله آية الحجاب. وكان بين نبي الله وبين نسائه شيء، فقلت لتنتهن أو ليبدلنّه

---

(1) كذا في ب و ع، وفي ز ورقة 225 وسع ورقة 45 و: «إن العباد قد يخلقون ويشبهون بخلق الله...».

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب نقض الصور، وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (رقم 2111) كلاهما يرويه عن أبي هريرة. ولفظه عند مسلم: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة».

(3) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي وغيرهم عن عائشة، أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، (رقم 2107) ولفظه: يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

(4) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبي الخليل أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر» كما ورد في الدر المنثور ج 5 ص 6.

الله أزواجاً خيراً منكن، فأنزل الله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: 5] (1).

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدما ينفخ فيه الروح ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ أي: إذا جاء أجلكم. قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سبع سماوات، طبقة طبقة، بعضها فوق بعض، كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمْوَاتٍ طِبَاقاً﴾ [نوح: 15] أي: طبقاً طبقاً، بعضها فوق بعض. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ﴾ أي: إذ ننزل عليهم ما يحييهم ويصلحهم من هذا المطر.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: ما من عام بأكثر من عام مطراً، ولكن الله يصرفه في الأرض حيث يشاء، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الفرقان: 50].

ذكروا أن علياً قال: إن هذا الرزق يتنزّل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما كتب الله لها.

وبلغنا عن ابن مسعود أنه قال: كل النخل ينبت في مستنقع الماء الأول إلا العجوة فإنها من الجنة.

قال: ﴿فَأَسْكَنَّـٰهُ فِي الْأَرْضِ﴾. قال الكلبي: يعني الأنهار والعيون والركي(2)، يعني الآبار. قال تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ﴾ أي: على أن نذهب بذلك الماء ﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾.

قوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ أي: فجعلنا لكم بذلك الماء ﴿جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ أي: في تلك الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سع ورقة 45 و، إتماماً لقول عمر، فإن مخطوطتي ب و ع لم تذكرا إلا مسألتين من مسائل عمر الأربع.

(2) الركيّ، جمع ركيّة، وهي «البئر تحفر» كما في اللسان، وتجمع أيضاً على ركايا.

قوله: ﴿ وَشَجَرَةً ﴾ أي: وأنبتنا لكم بذلك الماء شجرة ﴿ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وهي الزيتونة. والطور الجبل، وسيناء: الحسن، كقوله: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [التين: 6] الجبل الحسن. وبعضهم يقول: سيناء: المبارك، أي: الجبل المبارك[1]، يعني جبل بيت المقدس.

قوله: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [قال مجاهد: تثمر بالدهن][2] ﴿ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ أي: هو دهن يدهن به، وهو صبغ يصبغ به الآكلون. [أي: يأتدمون به][3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الزيت من شجرة مباركة فائتدموا به وادهنوا به[4].

قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ أي: لآية ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ يعني اللبن. ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي: في ألبانها وظهورها، وكل ما ينتفع به منها. قوله: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ يعني لحومها.

قوله: ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ أي: وعلى الإبل ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ أي: السفن ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾ وقد يقال: إنها سفن البرّ. وقال في آية أخرى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا

---

(1) أورد ابن جرير الطبري في تفسيره ج 18 ص 14 هذين التأويلين لكلمة سيناء بأنها الحسن والمبارك، فلم يرتضهما، ورد على ذلك بما يلي: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إلى الطور، يُعرف به. كما قيل: جبلا طيء، فأضيفا إلى طيء. ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه: حسن، لكان الطور منوّناً، وكان قوله: ﴿سِينَاءَ﴾ من نعته، على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله، كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء مَعنى مبارك».

(2) زيادة من ز ورقة 226، ومن تفسير مجاهد.

(3) زيادة من ز، ورقة 226. وفي اللسان: «صبغ اللقمة يصبُغها صبغاً، دهنها وغمسها. . . وكل ما غمس فقد صبغ».

(4) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الزيت (رقم 3319) «عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ائتدموا بالزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة». وأخرجه الترمذي، في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت ولفظه: «كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) أي: الموقر، (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) [سورة يسٓ: 41 - 42] يعني الإبل. عدلت بالسفن. وقال في آية أخرى: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) [الزخرف: 12].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ يقوله بعضهم لبعض: ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: بالرسالة، وما له عليكم من فضل.

قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ ولو أنزل ملائكة لآمنا بهم. ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: أن رجلاً ادّعى النبوّة.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ أي: جنون ﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ قال بعضهم: حتى يموت، وقال بعضهم: حتى يستبين جنونه[1].

﴿ قَالَ ﴾ أي: نوح ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ وقال في آية أخرى: (إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) [القمر: 10].

قال: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا ﴾ أي: فاحمل فيها ﴿ مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في سورة هود[2].

قوله: ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ أي: واحمل فيها أهلك ﴿ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ أي: ابنه الذي غرق. والقول: الغضب ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: [ولا تراجعني في الذين ظلموا][3] ﴿ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ وكان معه امرأته، وثلاثة

(1) كذا في ب وسع ورقة 25 ظ. وفي ع: «حتى يشتهر جنونه».
(2) انظر ما سلف ج 2 ص 222 - 231.
(3) زيادة من ز، ورقة 226، ومن سع، ورقة 45 و.

بنين له: سام وحام ويافث، ونساؤهم، فجميع من كان في السفينة ثمانية. ﴿ فَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الذِي نَجَّـٰنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين. وقال في آية أخرى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: 41].

قال بعضهم: قد بيَّن الله لكم ما تقولون إذا ركبتم في البر، وما تقولون إذا ركبتم في البحر، إذا ركبتم في البرّ قلتم: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) [الزخرف: 13 - 14] وإذا ركبتم في البحر قلتم: (بِسْمِ اللهِ مَجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾. قال مجاهد: [يقول الرب عز وجل][1] لنوح عليه السلام حين نزل من السفينة. وقال بعضهم: سمعت الناس إذا نزلوا منزلاً قالوا هذا القول.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: من أمر قوم نوح وغرقهم ﴿ لَأَيَـٰتٍ ﴾ لمن بعدهم. قال: ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ أي: بالدين، يعني ما أرسل به الرسل من عبادته، وهو تفسير الحسن.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد الهالكين من قوم نوح. ﴿ قَرْناً ءَاخَرِينَ ﴾ يعني عاداً. ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُم ﴾ يعني هوداً ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: الله، أي: فاتقوا الله.

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: وسّعنا عليهم في الرّزق. ﴿ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ ﴾ أي: فيما يدعوكم إليه ﴿ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ﴾ أي: لعجزة.

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 430. وقد جاءت العبارة في ب و ع مضطربة فأثبت صحتها من سع ورقة 45 ظ. وفيه: «قال: منزلاً مباركاً لنوح حين نزل من السفينة. قال يحيى: وسمعت الناس إذا نزلوا. . .».

﴿ أَيَعِدُكُمْ ﴾ يقوله بعضهم لبعض على الاستفهام ﴿ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ أي: مبعوثون، أي: قد وعدكم ذلك، تكذبون بالبعث. ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [أي: تباعد البعث في أنفس القوم][1] أي: لا تبعثون، يقوله بعضهم لبعض.

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: نموت ونولد ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ﴾ يعنون هوداً ﴿ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ أي: يزعم أن الله أرسله ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بمصدّقين.

﴿ قال رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ﴿ قَالَ ﴾ الله ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالحَقِّ ﴾ أي: العذاب ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَاءً ﴾ أي: كالشيء البالي المتهشّم في تفسير مجاهد[2]. وقال بعضهم: مثل النبات إذا صار غثاء فتهشّم بعد أن كان أخضر. قال: ﴿ فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد الهالكين ﴿ قُرُوناً ءَاخَرِينَ ﴾.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ يعني الوقت الذي يهلكها فيه ﴿ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ أي: عن الوقت ساعة ولا يستقدمون ساعة قبل الوقت.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ﴾ أي: تِباعاً، بعضهم على أثر بعض. ﴿ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً ﴾ يعني العذاب الذي أهلكهم به، أمة بعد

---

(1) زيادة من سع ورقة 46 و.

(2) وقال الفراء في المعاني: ج 2 ص 236: «وقوله: (فَجَعَلْنَاهُم غُثَاءً) كغثاء الوادي: يُبَّساً بالعذاب. وتعبير أبي عبيدة في المجاز ج 2 ص 59 أدق وأوفى. قال: « (فَجَعَلْنَاهُم غُثَاءً) وهو ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل وما أشبه ذلك مما لا ينتفع به في شيء».

أمة حين كذّبوا رسلهم ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ أي: لمن بعدهم[1]. ﴿ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِئَايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: وحجّة بينة. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ﴾ يعني قومه ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ﴾ أي: مشركين. وقال الحسن: مستكبرين في الأرض على الناس.

﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ﴾ كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل ووضعوا عليهم الجزية، [وليس يعني أنهم يعبدوننا][2].

قال الله: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ أي: فأهلكهم الله بالغرق.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَـٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي يهتدوا.

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً ﴾ يقول: خُلِقَ لا والد له، فهو آية. ووالدته ولدته من غير رجل، فهي آية[3].

قال: ﴿ وَءَاوَيْنَـٰهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ قال بعضهم: الرّبوة بيت المقدس. وقال بعضهم: بلغنا أن كعباً قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ص 59: «(فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) أي: يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً».

(2) وقع اضطراب في تفسير هذه الآيات في ب و ع وسع فأثبت التصحيح والزيادة من ز، ورقة 226.

(3) جاء في كتاب الفاخر لأبي طالب المفضّل بن سلمة ص 242 - 243 ما يلي: «الآية العلامة التي تدل على الشيء... والآية أيضاً المَثل. فيراد به أنه يُتمثّل به في الشيء الذي يُنسب إليه من خير أو شر. وقال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) فيكون المعنى ـ والله أعلم ـ أنهما مَثَلٌ في كل ما يُتعجّب منه. وتكون أيضاً بمعنى العلامة، أي: هما علامة تدل على قدرة الله جلّ وعزّ».

وقال مجاهد: الربوة بقعة في مكان مرتفع يستقر فيه الماء. وقال الحسن: الربوة: دمشق. قال: (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ): (قَرَارٍ) يعني المنازل، و(مَعِينٍ) يعني الماء الذي أصله من العيون، الظاهر الجاري. وقال عكرمة: المعين: الظاهر. وقال الكلبي: المعين: الجاري، وغير الجاري الذي نالته الدلاء[1].

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَـٰتِ ﴾ أي: الحلال من الرزق ﴿ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ أي: هكذا أمر الله الرسل[2].

قوله: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ قال بعضهم: ملة واحدة. وقال بعضهم: أي: دينكم دين واحد؛ يعني الإسلام، وإن كانت الشرائع مختلفة. قال الله: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [المائدة: 48] قال: ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ أي: لا تعبدوا غيري[3].

قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً ﴾ هم أهل الكتاب، تقطّعوا كتاب الله بينهم وحرّفوه، وبدّلوا كتاباً كتبوه على ما حرّفوا. وهي تقرأ على وجهين: زبَراً وزبُراً. فمن قرأها زبَراً: [بفتح الباء] قال: قطعاً. ومن قرأها زبُراً [بضم الباء] قال: كتباً. وهي كقوله: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً) [الأنعام: 159].

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي: بما عندهم مما اختلفوا فيه ﴿ فَرِحُونَ ﴾ أي: راضون.

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «أي تلك الربوة لها ساحة وسَعَةٌ أسفل منها، وذات معين أي ماء جار ظاهر بينهم».

(2) هذا وجه من التأويل. وللفراء في المعاني ج 2 ص 237 وجه آخر إذ قال: «أراد النبي، فجمع، كما يقال في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفّوا عنّا أذاكم. ومثله: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) [آل عمران: 173] الناس واحد معروف، كان رجلاً من أشجع يقال له نُعيم بن مسعود». وقد نقل الطبري في تفسيره، ج 16 ص 28 هذا الكلام نقلاً يكاد يكون حرفياً، ولكنه جعل الكلام موجهاً لعيسى بن مريم.

(3) كذا في ب و ع: «أي لا تعبدوا غيري»، وفي سع ورقة 46 و: «أن تعبدوا غيري». أي: فاتقوا أن تعبدوا غيري.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: افترقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرها في النار، ولتفترقن هذه الأمة على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرها في النار[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر، حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه. قيل: يا رسول الله، أهم اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذاً[2].

قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ أي: في غفلتهم، يعني ضلالهم [﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ يعني إلى آجالهم][3]، وهي منسوخة، نسخها القتال.

قوله: ﴿ أَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ ﴾ أي: ما نزيدهم ونعطيهم ﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَٰتِ ﴾ أي: ليس لذلك نمدهم بالمال والولد، يعني المشركين ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ أنا لا نعطيهم ذلك مسارعة لهم في الخيرات وأنهم يصيرون إلى النار، إن ذلك شر لهم[4].

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون وجلون. ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: القرآن، يصدقون به. ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾.

---

(1) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. انظر ما سلف ج 1 ص 303، واقرأ تحقيقاً قيّماً في تخريج هذا الحديث كتبه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (الحديث رقم 203).

(2) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي سعيد، وأخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، وانظر ما سلف ج 1 ص 306.

(3) سقط ما بين المعقوفين في ب و ع وأثبته من سع ورقة 46 ظ.

(4) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 238: «وقوله: (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) يقول: أيحسبون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والبنين أنا جعلناه ثواباً لهم. ثم قال: (بَل لَّا يَشْعُرُونَ) إنما هو استدراج منا لهم.

قال: ﴿ وَالذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا ﴾ [ممدودة][1] ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أي: خائفة [﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُـونَ﴾ .

تفسير الحسن قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون ألا يُنجيهم ذلك من عذاب ربهم. وقال مجاهد: يعملون ما عملوا من الخير وهم يخافون ألا يقبل منهم.

ذكر عن ابن عباس وعائشة أنهما كانا يقرآن هذا الحرف (وَالذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوا) خفيفة بغير مدّ. أي: يعملون ما عملوا مما نهوا عنه وقلوبهم وجلة خائفة][2] أن يؤخذوا به.

قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي الخَيْـرَٰتِ﴾ أي: في الأعمال الصالحة. قال الحسن: أي: فيما افترض الله عليهم، وهو واحد. قال: ﴿ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ أي: وهم للخيرات مدركون في تفسير الحسن. وقال بعضهم: (وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ) أي: سابقون بالخيرات[3].

قوله: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي: لا يكلف الله نفساً إلا طاقتها؛ لا يكلّف الله المريض القيام، ولا الفقير الزكاة ولا الحج.

قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: لا يظلم عندنا أحد.

قوله: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ أي: في غفلة من هذا، أي: مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى. ﴿ وَلَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ أَعْمَـٰلٌ مِّنْ دُونِ

(1) زيادة من ز، ورقة 227 للإيضاح، أي: الهمزة ممدودة في قوله: (ءَاتَوا).
(2) ما بين المعقوفين كله ساقط من ب و ع لتكرار كلمة خائفة، وأثبته باختصار من سع ورقة 46 ط، ومن ز.
(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 238: «وقوله: (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ) يبادرون بالأعمال، (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) يقول: إليها سابقون، وقد يقال: (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) أي: سبقت لهم السعادة». وهذا اللفظ الأخير هو تفسير ابن عباس كما جاء في صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله.

ذَٰلِكَ ﴾ [أي: دون أعمال المؤمنين، أي: شرّ من أعمال المؤمنين ﴿ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ﴾ أي: لتلك الأعمال.

وتفسير مجاهد: (فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا) يعني القرآن (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ)[1]] أي: خطايا من دون الحق. وقال بعضهم: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

ذكر سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أنه قال: يا رسول الله، أنعمل لما قد فرغ منه، أو لما يستأنف[2]؟ قال: بل لما قد فرغ منه. فقال: ففيم العمل إذاً؟ قال: اعملوا، فكل لا ينال إلا بالعمل[3]. قال هذا حين نجتهد.

ذكر بعض السلف قال: لم تُوكَلُوا إلى القدر وإليه تصيرون.

قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ﴾ يعني أبا جهل وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر. نزلت هذه الآية قبل ذلك بمكة. قال: ﴿ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾ قال بعضهم: إذا هم يجزعون[4].

﴿ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ﴾ أي: لا تجزعوا اليوم، وهو يوم بدر ﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع، فأثبته من سع ورقة 46 ظ.

(2) كذا في ب و ع: «يستأنف»، وفي سع ورقة 46 ظ: «لما نأتنف». وكلاهما بمعنى: أخذ أوله وابتدأه. كما في اللسان (أنف).

(3) لم أجده بهذا اللفظ وبهذا السند. وقد رواه ابن سلام هكذا: «بحر السقاء عن الزهري عن سعيد ابن المسيب أن عمر قال. . .» والحديث صحيح أوردته كتب السنة بألفاظ متشابهة. أشهرها: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». أخرجه البخاري ومسلم في كتاب القدر، عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له، أو لما يسّر له. واللفظ للبخاري في كتاب القدر، باب: جفّ القلم على علم الله. وأخرجه الطبراني في الكبير عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أنعمل على أمر قد فرغ منه أم على أمر مؤتنف؟ قال: بل على أمر قد فرغ منه. فقلت: ففيم العمل يا رسول الله، قال: كل ميسر لما خلق له.

(4) قال أبوعبيدة في المجاز، ج 2 ص 60: «(إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) أي: يرفعون أصواتهم كما يجأر الثور».

تَنْصَرُونَ ﴾ أي: لا يمنعنكم منا أحد. قال الحسن: (إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) أي: إذا هم يصرخون إلى الله بالتوبة فلا تُقبَل منهم.

﴿ قَدْ كَانَت ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ أي: تستأخرون عن الإيمان[1].

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ﴾ أي: بالحرم. ﴿سَـٰمِراً تَهْجُرُونَ ﴾ أي: تتكلمون بهجر القول ومنكره. قال الحسن: مستكبرين بحرمي (سَامِراً تَهْجُرُونَ) أي: تَهجُرون رسولي وكتابي.

وتفسير الكلبي: (سَامِراً تُهْجِرُون) أي: سمّراً حول البيت، وكذلك يقرأها الكلبي: سُمَّراً[2].

[وقال قتادة: يعني بهذا أهل مكة. كان سامرهم لا يخشى شيئاً؛ كانوا يقولون: نحن أهل الحرم فلا نُقْرَب، لما أعطاهم الله من الأمن، وهم مع ذلك يتكلّمون بالشرك والبهتان، والقراءة على تفسير قتادة بضم التاء وكسر الجيم][3].

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمْ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين.

قوله: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ أي: الذين أرسل إليهم، يعني محمداً ﷺ. ﴿ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ أي: بل يعرفونه ويعرفون نسبه. ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ أي: بمحمد جنون، أي قد قالوا ذلك.

---

(1) كذا في ز، وسع ورقة 47 و: تستأخرون عن الإيمان، وفي ب و ع: تستأخرون عن الأعمال.

(2) السَّمَر هو الحديث بالليل خاصة. والسَّامر: الجماعة من الحي يَسْمُرون. وهو اسم للجمع، والواحد سامر وهم سُمّار، وسُمَّر، وسَمَرَة، يقال قوم سامر وسُمَّر. وقد يطلق السامر لمجلس السمّار، وللموضع الذي يجتمعون فيه للسمر. انظر اللسان (سمر).

(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 227، وقد جاءت جملة منه مضطربة في ب و ع.

قال الله: ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾ أي: القرآن. ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ يعني جماعة من لم يؤمنوا منهم.

قوله: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: أهواء المشركين ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ أي: لهلكت السماوات والأرض ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ يقول: لو كان الحق في أهوائهم لوقعت أهواؤهم على هلاك السماوات والأرض ومن فيهن. قال بعضهم: الحق ها هنا الله.

قال الله: ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ أي: بشرفهم، أي: بشرف من آمن منهم به. قال الحسن: يعني القرآن، أنزلنا عليهم فيه ما يأتون وما يذرون، وما يُحِلُّون وما يُحرِّمون. ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي: عما بيّنّا لهم معرضون. وقال في آية أخرى: (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ) [الأنبياء: 10] أي: فيه شرفكم، أي: من آمن به منهم.

قوله: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً ﴾ أي: جُعْلاً على ما تدعوهم إليه، أي: إنك لا تسألهم عليه أجراً. ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ ﴾ أي: ثوابه في الآخرة ﴿ خَيْرٌ ﴾ من أجرهم لو أعطوك في الدنيا أجراً. قال: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

وقد جعل الله رزق العباد بعضهم من بعض، يرزق الله إياهم، فقسم رزق هذا على يد هذا.

ذكر عن أم الدرداء[1] قالت: ما بال أحدكم يقول: اللهم ارزقني وقد علم أن الله لا يمطر عليه من السماء دنانير ولا دراهم، وإنما يرزق بعضهم من بعض. فمن أتاه الله برزق فليقبله، وإن لم يكن إليه محتاجاً فليعطه أهل الحاجة من إخوانه، وإن

(1) هي أم الدرداء الكبرى، زوجة أبي الدرداء، واسمها خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي. وقد حفظت عن النبي ﷺ ومن زوجها أبي الدرداء، عويمر الأنصاري، وكانت من الصحابيات الفضليات، ذات رأي وعقل وكثرة عبادة. وقد توفيت بالشام في خلافة عثمان. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ج 4 ص 1934.

كان محتاجاً استعان به على حاجته، ولا يرد على الله رزقه الذي رزقه[1].

ذكروا عن عمران القصير[2] قال: لقيت مكحولاً بمكة فأعطاني شيئاً فانقبضت عنه. فقال: خذه فإني سأحدثك فيه بحديث، فقلت: حدثني به، فما شيء أحب إليّ منه. قال:

أعطى رسول الله ﷺ عمر شيئاً، فكأنه انقبض عن أخذه، فقال له رسول الله ﷺ: إذا أتاك الله بشيء لم تطلبه ولم تعرض له فخذه؛ فإن كنت محتاجاً إليه فأنفقه، وإن لم تكن محتاجاً إليه فضعه في أهل الحاجة[3].

قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى دين مستقيم، وهو الطريق المستقيم إلى الجنة. قوله: ﴿ وَإِنَّ الذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَـٰكِبُونَ﴾ أي: لجائرون، وقال بعضهم: لتاركون، أي: لتاركون له. وقال الكلبي: معرضون عنه؛ وهو واحد.

قوله: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ ﴾ يعني أهل مكة، وذلك حين أخذوا بالجوع، فقال الله: (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ)، ﴿ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: في ضلالتهم يتمادون في تفسير الحسن. وبعضهم يقول: يلعبون.

---

(1) وقع اضطراب ونقص في هذا الخبر في مخطوطتي ب و ع، فأثبت تصحيحه من سع ورقة 47 و.

(2) في ب و ع: «عمران بن حصين»، وهو خطأ محض. والصواب ما أثبته من سع ورقة 47 ظ: «عمران القصير». ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، ج 3 ص 245، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين، ج 2 ص 123، وهو أبو بكر عمران بن مسلم القصير المنقُري. أما عمران بن حصين فهو الصحابي العالم الذي بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، وتولى القضاء بها. وتوفي سنة اثنتين وخمسين للهجرة. ولا يمكن أن يروي عن مكحول، إمام أهل الشام، المتوفى سنة ثلاث عشرة بعد المائة للهجرة.

(3) حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس «عن ابن عمر قال: سمعت عمر يقول: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني فقال: خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك».

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ ﴾ يعني ذلك الجوع في سبع سنين. ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ يقول: لم يؤمنوا، وقد سألوا أن يرفع ذلك عنهم فيؤمنوا. فقالوا: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ) [الدخان: 10] وهو ذلك الجوع (إِنَّا مُومِنُونَ). فكشف الله عنهم فلم يؤمنوا.

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ يعني يوم بدر؛ أي: القتل بالسيف، نزلت بمكة قبل الهجرة، فقتلهم الله يوم بدر. قال: ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ أي: يئسون [يئسوا من كل خير][1].

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـٰرَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ يعني سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم ﴿ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلّكم من يشكر، أي: من يؤمن.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي ذَرَأَكُمْ ﴾ أي: خلقكم ﴿ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَـٰفُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يذكّرهم نعمته عليهم؛ يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، والذي يحيي ويميت، والذي له اختلاف الليل والنهار قادر على أن يحيي الموتى.

قال: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ﴾. ثم أخبر بذلك القول فقال: ﴿ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: وعدنا أن نبعث نحن وآباؤنا فلم نبعث، كقوله: (فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الدخان: 36]. قوله: ﴿ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم. فأمر الله نبيّه أن يقول لهم:

﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال: ﴿ سَيَقُولُونَ للهِ فَقُل ﴾

(1) زيادة من ز، ورقة 228.

أي: وإذا قالوا ذلك فقل ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتؤمنوا وأنتم تُقِرّون أن الأرض ومن فيها لله.

ثم قال: ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ مَن رَّبُّ السَّمَـٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ قال: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلهِ ﴾ فإذا قالوا ذلك ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وأنتم تقرون أن الله خالق هذه الأشياء، وهو ربها. وقد كان مشركو العرب يقرّون بهذا كله.

ثم قال: ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ (مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) أي: ملك كل شيء وخزائنه. (وَهُوَ يُجِيرُ) من يشاء، فيمنعه فلا يوصل إليه (وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) أي: من أراد أن يعذّبه لم يستطع أحد منعه ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

ثم قال: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلهِ ﴾ فإذا قالوا ذلك ﴿ فَقُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ أي: عقولكم، يشبّههم بقوم مسحورين، ذاهبة عقولهم[1].

ثم قال: ﴿ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن، أنزله الله على النبي عليه السلام ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ ﴾ وذلك لقول المشركين: الملائكة بنات الله. قال: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾. وذلك لما عبدوا من الأوثان واتخذوا مع الله الآلهة قال: ﴿ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [يقول: لو كان معه آلهة إذاً لذهب كل إله بما خلق][2] ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: لطلب بعضهم هلاك ملك بعض، حتى يعلو عليه كما يفعل ملوك الدنيا.

﴿ سُبْحَـٰنَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يكـذبون. ﴿ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ قال الحسن: الغيب ها هنا ما لم يجىء من غيب الآخرة، والشهادة ما

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 241: «وقوله: (فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ): تُصرفون، ومثله توفكون. أُفِك وسُحِر وصُرِف، سواء».

(2) زيادة من سع، ورقة 47 ظ للإيضاح.

أعلم العباد. ﴿ فَتَعَـٰلَىٰ﴾ أي: ارتفع الله ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ رفع نفسه عما قالوا.

قوله: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ أي: من العذاب ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: لا تهلكني معهم إن أريتني ما يوعدون.

قال: ﴿ وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ لَقَـٰدِرُونَ﴾.

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ [يقول: ادفع بالعفو والصفح القول القبيح والأذى][1]. وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم. ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ أي: بما يكذبون.

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَـٰزَاتِ الشَّيَـٰطِينِ ﴾ وهو الجنون[2] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أي: فأطيع الشياطين فأهلك. أمره الله أن يدعو بهذا.

قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾. قال الحسن: ليس أحد من خلق الله ليس لله بولي إلا وهو يسأل الله الرجعة إلى الدنيا عند الموت بكلام يتكلّم به، وإن كان أخرسَ لم يتكلّم في الدنيا بحرف قط، وذلك إذا استبان له أنه من أهل النار سأل الله الرجعة إلى الدنيا ولا يسمعه من يليه.

قوله: ﴿ لَعَلِّيَ أَعْمَلُ صَـٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ أي: فيما صنعت.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لست براجع إلى الدنيا. وهو مثل قوله: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) [المنافقون: 10].

---

(1) زيادة من سع ورقة 48 و.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل همز الشيطان، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من فسره بالجنون، كأنه أراد صاحبه ما يُؤدِّي إليه هَمز الشيطان من المس والجنون أحياناً. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 61: «وهمز الشيطان غمزه الإنسانَ وقمعه فيه». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 300: «وهمزات الشياطين نخسها وطعنها. ومنه قيل للعائب هُمَزة كأنه يطعن وينخس إذا عاب».

قال: (كَلَّا) ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ أي: هذه الكلمة: (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّيَ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا احتضر الإنسان جمع كل شيء كان له يمنعه من الحق فيجعل بين عينيه، فيقول عند ذلك: (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّيَ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)[1].

قال: ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾. قال مجاهد: البرزخ ما بين الموت إلى البعث[2]. وقال بعضهم: أهل القبور في البرزخ، وهو الحاجز بين الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: البرزخ ما بين النفختين.

قوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾. والصور قرن. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مواطن لا يسأل فيهن أحد أحداً: إذا وضعت الموازين حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت الصحف حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز[3].

وفي تفسير عمرو عن الحسن أن أنسابهم يومئذ قائمة معروفة. قال: يقول الله: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) [عبس: 34 - 36]. وقال بعض

(1) رواه يحيى بن سلام عن خالد وإبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم عن سليمان بن عطاء عن رجل من بني حارثة قال: قال رسول الله ﷺ. . . ورواه السيوطي عن الديلمي بدون سند في الدر المنثور، ج 5 ص 15. من حديث جابر بن عبد الله.

(2) وهو ما ذهب إليه الفراء في المعاني ج 2 ص 242 حيث قال: «البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث». وقال أبو عبيدة المجاز، ج 2 ص 62: «(وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ) أي: أمامهم وقدامهم. قال الشاعر:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

وما بين كل شيئين برزخ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ».

(3) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 196.

الكوفيين في قوله تعالى: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ [المعارج: 11]. أي: يرونهم، يقول: يعرفونهم في مواطن ولا يعرفونهم في مواطن.

وقال الحسن: ﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ يتعاطفون عليها كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا، ﴿ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ عليها أي: أن يحمل بعضهم عن بعض كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهم، كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم.

قوله: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء. وهم أهل الجنة ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي: أن يغنموها فصاروا في النار. وقال: ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ أي: لا يخرجون منها ولا يموتون.

قال: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: مثل الرأس المشيط.

ذكر أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: شفته السفلى ساقطة على صدره، والعليا قالصة قد غطت وجهه(1).

قوله: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ يقال لهم ذلك في النار. ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ قال مجاهد: أي: التي كتبت علينا ﴿ وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ﴾.

قوله: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ أي: من النار ﴿ فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يدعونه فيردّ عليهم: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: 77] ثم ينادون ربهم:

---

(1) أخرجه ابن سلام هكذا: «وأخبرني صاحب لي عن يحيى بن عبد الله المدني عن أبيه عن أبي هريرة. وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير في سورة المؤمنين، وأخرجه الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «تشويه النار فتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرّته».

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) أي: من النار (فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) فيمسك عنهم قدر عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم:

﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾. قال: فوالله ما ينبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق.

ذكر بعضهم أنهم يدعون ـ قبل أن يدعوا مالكاً ـ خزنة جهنم عشرين عاماً فلا تجيبهم. ثم تجيبهم: (أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [غافر: 50]، ثم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يجيبهم: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ). ثم يدعون ربهم فيذرهم قدر عمر الدنيا مرّتين ثم يجيبهم: (اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) أي: اصغروا فيها. والخاسىء الصاغر. وقال بعضهم: الخاسىء الذي لا يتكلم بشيء، ليس إلا الزفير والشهيق.

قوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي ﴾ يعني المؤمنين ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أي: أفضل من رحم. وقد يجعل الله الرحمة في قلوب من يشاء، وذلك من رحمة الله، وهو أرحم الراحمين.

ذكروا عن سلمان الفارسي قال: خلق الله مائة رحمة، كل رحمة منها طباقها السماوات والأرض. فأنزل الله منها رحمة واحدة؛ فبها يتراحم الخلائق حتى ترحم الوالدة ولدها والبهيمة بهيمتها. فإذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسع والتسعين رحمة فكملها مائة رحمة، ثم نصبها بينه وبين خلقه. فالمحروم من حرم تلك الرحمة[1].

قوله: ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً ﴾ يقوله لأهل النار ﴿ حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ

(1) هذا نص حديث رواه أحمد ومسلم عن سلمان الفارسي، ورُوِي عن أبي هريرة أيضاً، ورواه ابن ماجه وأحمد عن أبي سعيد. ولفظ مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تبارك وتعالى... (رقم 2752): «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوامّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون. وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».

مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ أي: كانوا يسخرون بأصحاب[1] الأنبياء ويضحكون منهم. (حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي) ليس يعني أن أصحاب الأنبياء أنسوهم ذكر الله فأمروهم ألا يذكروه، ولكن جحودهم واستهزاؤهم وضحكهم هو الذي أنساهم ذكر الله، فأضاف ذلك إلى أصحاب النبي فقال: (حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي) أي: هم كانوا أسباب نسيانكم لذكري. كقوله: (فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) [التوبة: 124 - 125] فأضاف رجسهم إلى السورة لأنها كانت سبب كفرهم. وهذا من المضاف، كقول القائل: أنساني فلان كل شيء، وفلان غائب عنه، بلغه عنه أمر، فشغل ذلك قلبه. وهي كلمة عربية معروفة في اللغة.

قوله: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ [أي: بأنهم][2] ﴿ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ أي: الناجون من النار إلى الجنة.

قوله: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ يقوله لهم في الآخرة. أي: كم عدد السنين التي لبثتم في الأرض. يريد بذلك أن يعلمهم قلة بقائهم كان في الدنيا. فتصاغرت الدنيا عندهم. ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وذلك لتصاغر الدنيا عندهم. ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ تفسير مجاهد: الملائكة. وقال قتادة: الحُسَّاب الذين كانوا يحسبون آجالنا][3].

﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أي: إن لبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لابثون في النار كان قليلاً. وهو كقوله: (وَتَظُنُّونَ) أي: في الآخرة ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ) أي: في الدنيا (إِلاَّ قَلِيلاً) [الإسراء: 52].

(1) كذا في المخطوطات: «يسخرون بأصحاب الأنبياء»، يقال سخر به وسخر منه. وقال الفراء: سخرت منه ولا يقال سخرت به، وأجازه الأخفش. ولا شك أن أفصح اللغتين هي سخر منه لأنها العبارة التي وردت في القرآن في آيات كثيرة، كقوله تعالى في سورة هود: 38: (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ).

(2) زيادة من ز، ورقة 229، قراءة الجمهور بفتح همزة (أَنَّهُمْ) وكسر الهمزةَ حمزة والكسائي على الاستئناف.

(3) زيادة من سع، ورقة 48 ظ.

قوله: ﴿ لَو أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لو أنكم كنتم علماء لم تدخلوا النار، والمشركون والمنافقون هم الذين لا يعلمون. كقوله: (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: 95] وأشباه ذلك.

قوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثاً ﴾ أي: لغير بعث ولا حساب. ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وهو على الاستفهام، أي: قد حسبتم ذلك. ولم نخلقكم عبثاً، إنما خلقناكم للبعث والحساب.

قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَىٰ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ وهما اسمان من أسماء الله ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ﴾ على الله. وبعضهم يقرأها: (الكَرِيمُ) بالرفع، يقول: اللهُ الكريمُ رب العرش. وهو مثل هذا الحرف: (ذُو العَرْشِ المَجِيدِ) [البروج: 15] أي: الكريم على الله، على مقرأ من قرأها بالجر، ومن قرأها بالرفع يقول: اللهُ المجيدُ أي: الكريم.

قوله: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِ ﴾ أي: لا حجة له به. وقال بعضهم: لا بَيِّنَةَ له به، أي: بأن الله أمره أن يعبد إلَهاً من دونه. ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ أي: حساب ذلك الذي يدعو مع الله إلَهاً آخر. ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: ذلك حساب الكافرين عند الله: أنهم لا يؤمنون، وأنهم أهل النار. [وهي تقرأ على وجه آخر (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ) أن يدخله النار. ثم قال: (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ)، كلام مستقبل] [1].

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴾ أي: أفضل من رحم. أمر الله النبي عليه السلام بهذا الدعاء.

(1) زيادة من سع، ورقة 49 و.

تفسير سورة النور
وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَـٰهَا﴾ أي: هذه سورة أنزلناها ﴿ وَفَرَضْنَـٰهَا﴾ أي: ما فرض في هذه السورة من فرائضه، وحدَّ فيها من حدوده، وسنَّ فيها من سننه وأحكامه، وهي تقرأ على وجهين: على التخفيف والتثقيل: فرَضناها وفرّضناها. يعني ما فرض الله فيها وسنّ فيها[1]. ﴿وَأَنْـزَلْنَـا فِيهَا ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي تذكروا.

قوله: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وهذا في الأحرار إذا لم يكونا محصنين. فإن كانا محصنين رُجِما، وأما المملوكان فيجلدان خمسين خمسين إذا أحصنا، وليس عليهما رجم.

ولا يقام حدّ الزنا على أحد حتى يشهد عليه أربعة أحرار عدول يأتون جميعاً غير متفرقين. حراً كان الزاني أو مملوكاً. فإن شهد أربعة على امرأة، أحدهم زوجها، ففي ذلك اختلاف؛ فبعضهم يقول: الزوج أجوزهم شهادة، إذا جاءوا معاً رجمت بشهادتهم، وبعضهم يقول: لا ترجم، ويلاعنها زوجها، ويجلد الثلاثة ثمانين ثمانين جلدة.

---

(1) في ب وع اضطراب في هذه الجمل أثبت صوابها من ز ورقة 230 وفيه: «وتُقرأ (فَرَّضْنَاهَا) بالتثقيل يعني بيّنّاها. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 63: (فَرَضْنَاهَا) أي: حدّدنا فيها الحلال والحرام. ومن خففه جعل معناه من الفريضة».

فأما الرجل الزاني فتوضع عنه ثيابه إذا جلد، وأما المرأة فيترك عليها من الثياب ما يصل إليها الجلد.

وإن أقر الرجل على نفسه بالزنا وكان حراً أقيم عليه الحد[1]. والجلد في الزنا بالسوط.

قال بعضهم: بلغنا أن رجلًا أقرّ عند رسول الله بالزنا فدعا بسوط، فأتي بسوط مكسور فقال: فوق هذا، فأتى بسوط [جديد][2] لم تقطع ثمرته فقال: دون هذا. فأتي بسوط قد رُكِبَ به ولان، فأمر به، فجلد جلداً بين الجلدين[3]. وكان بعضهم يقول: الحد في الزنا [المتح][4] الشديد.

وقال: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ ﴾ أي: الجلد الشديد. [سعيد عن الحسن وعطاء قالا: أي: حتى لا تعطل الحدود][5].

ذكر عكرمة عن ابن عباس قال: لا يقام الحد حتى يشهدوا أنهم رأوه يدخل كما يدخل المـرود في المكحلة.

قال بعضهم: وأما الرجم فهو في مصحف أبي بن كعب. وهو في مصحفنا أيضاً في سورة المائدة في قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيئُونَ الذِينَ

---

(1) كذا جاءت العبارة في ب و ع. وفي سع ورقة 49 و جاءت العبارة هكذا: «وإن أقر الزاني على نفسه بالزنا، حراً كان أو ملوكاً، لم يقم عليه الحد حتى يقرّ على نفسه أربع مرات».

(2) زيادة من موطأ الإمام مالك. كتاب الحدود، ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا، ص 715.

(3) رواه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، ما جاء في الرجم، ص 715، عن زيد بن أسلم مرسلًا. وانظر تخريج الحديث في نيل الأوطار، ج 7 ص 171، وفيه: «قوله: لم تقطع ثَمَرَته، أي عذبته وهي طرفه». وقوله «رُكِبَ به أي رَكِبَ به الراكب على الدّابة وضربها به حتى لان» وفي اللسان: «ثمر السياط: عقد أطرافها»، وأورد صاحب اللسان هذه الجملة من الحديث.

(4) سقطت التكملة من ب و ع، وفي سع «المتج» وفيها تصحيف، والصواب ما أثبته إن شاء الله: «المتح» أي الضرب، ففي اللسان: «متحه عشرين سوطاً، عن ابن الأعرابي، ضربه».

(5) ما بين المعقوفين زيادة من سع، ورقة 49 و

أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: 44] حيث رجم رسول الله ﷺ اليهوديين حين ارتفعوا إليه.

ذكروا عن [زرّ بن حبيش قال: قال لي] أبيّ بن كعب: كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال: قط؟ قلت: قط. قال: فوالله لتوازي[1] سورة البقرة، وإن فيها لآية الرجم. قلت: وما آية الرجم، يا أبا المنذر؟ قال: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم[2]. وقد رجم رسول الله ﷺ غير واحد.

قال بعضهم: كان عمر يقول: نزل الرجم في كتاب الله، ورجم عمر ورجم عثمان ورجم علي[3].

وكان علي يقول: إذا قامت البينة رجمت البيّنة[4]. ثم الإمام ثم الناس. فإذا أقر

---

(1) في ع: «لتقارب»، وأثبت ما جاء في ز و سع: «لتوازي».

(2) ورد هذا الخبر مضطرباً ناقصاً في ب و ع، وأثبت تصحيحه من سع ورقة 49 ظ.

(3) أورد ابن سلام في الموضوع خبراً هذا نصه: «المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن أن عمر ابن الخطاب حمد الله ثم قال: أما بعد، فإن هذا القرآن نزل على رسول الله عليه السلام فكنا نقرأ: ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ، وآية الرجم. وإني قد خفت أن يقرأ القرآن قوم يقولون: لا رجم. وإن رسول الله قد رجم ورجمنا، والله لولا أن يقول الناس، إن عمر زاد في كتاب الله لكتبتها ولقد نزلت وكتبناها».

وقد كتب بعض من لم يطّلع على مؤلفات الإباضية زاعماً أن الإباضية أسقطوا حد الرجم وأنهم لا يقولون به، وهذا زعم باطل. والحق أنهم يقولون به. وقد ثبت عندهم ـ كما ثبت عند بعض الفرق الإسلامية ـ بالسنة لا بالقرآن. انظر مثلاً: نور الدين السالمي، جوهر النظام، ج 2 ص 137 - 142.

(4) البيّنة هنا هم الأربعة الشهداء الذين ورد ذكرهم في سورة النور. وجاء في الحديث: «سأل رسول الله ﷺ زبيباً فقال: من بيّنتك؟ قلت: سَمُرة، رجل من بني العنبر ورجل آخر سماه له». انظر الشوكاني، نيل الأوطار ج 8 ص 213 - 215 في حديث القضاء بالشاهد واليمين. وجاء في مسند الربيع بن حبيب في أول باب النكاح، الحديث رقم 510: «لا نكاح إلا بولي وصداق وبيّنة» أي: وشهود. وروى أبو يوسف في كتاب الخراج، ص 244: «أن عمر بن الخطاب كتب =

عند الإمام إقراراً من غير أن يقوم عليه بينة رجم الإمام ثم الناس.

قال بعضهم: لا تحصن الأَمَةُ ولا اليهوديةّ ولا النصرانيةّ، ولا يحصن المملوكُ الحرةَ. ولا يُحصَن الحر إذا كانت له امرأة لم يدخُل بها. ولا تُحصَن المرأة إذا كان لها زوج لم يدخُل بها.

وإذا أحصن الرجل أو المرأة بوطء مرة واحدة، ثم زنى بعد ذلك وليس له امرأة يوم زنى، أو زنت امرأة ليس لها زوج يوم زنت فهما محصنان يرجمان. وهو قول جابر ابن زيد.

وإذا زنى أحد الزوجين وقد أُحصِن أحدهما ولم يُحصن الآخر رُجِم الذي أُحصِن منهما وحُدَّ الذي لم يُحصَن مائة جلدة.

ولا تُحصِن أمُّ الولد وإن ولدت له أولاداً.

فإذا زنى الغلام أو الجارية وقد تزوّجا. ودخل الغلام بامرأته، ودخل على الجارية زوجُها، ولم يكن الغلام احتلم، ولم تكن الجارية حاضت فلا حدّ عليهما؛ لا رجم ولا جلد حتى يحتلم وتحيض، ويغشى امرأتَه بعدما احتلم، ويغشى الجاريةَ زوجُها بعدما حاضت، فحينئذ يكونان محصنين.

وإذا كانت لرجل أم ولد قد ولدت منه فأعتقها فتزوّجها. ثم زنى قبل أن يغشاها بعدما أعتقت فلا رجم عليه، ولا هي إن زنت حتى يغشاها بعد ما أعتقت، وإن كان مملوك تحته حرّة قد دخل بها فعتق فزنى قبل أن يغشاها بعدما أعتق فلا رجم عليه.

وإن كان الزوجان يهوديين أو نصرانيين فأسلما جميعاً، ثم زنى أحدهما أيهما كان قبل أن يغشاها[1] بعدما أسلما فلا رجم عليه حتى يغشاها في الإسلام. وإنما

= إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو بالشام: إذا حضرك الخصمان فعليك بالبيّنات العدول [أي: الشهود العدول] والأَيْمان القاطعة.

(1) كذا في سع ورقة 49 ظ: «قبل أن يغشاها»، وفي ب: «حتى يغشاها»، وفي ع: «قبل أن يغشى» والصواب ما أثبته إن شاء الله.

رجم النبي ﷺ اليهوديين لأنهم تحاكموا إليه[1].

وإحصان أهل الشرك في شركهم ليس بإحصان حتى يغشى في الإسلام.

قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ أي: رحمة ﴿فِي دِينِ اللهِ﴾ أي: في حكم الله ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن كنتم تصدّقون ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: تصدّقون باليوم الآخر الذي فيه جزاء الأعمال. فلا توافوا بالزانية والزاني اللذين نزع الله منهما الرأفة، أي: فلا ترجموهما.

وفي هذا دليل على أنهما ليسا بمؤمنين إذ نزع الله الرأفة التي جعل للمؤمنين منها [نصيباً][2] قال الله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: 43] ووصف نبيّه فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. فلو كانا مؤمنين لم ينزع الرأفة التي جعلها للمؤمنين.

قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليشهد جلدهما طائفة من المؤمنين. قال بعضهم: الطائفة رجل فصاعداً. وقال بعضهم: الطائفة من ثلاثة فصاعداً.

وهذه الآية تشدُّ الأولى، إذ أمر الله المؤمنين أن يحضروا عذاب الزاني، أي: جلده، وهم غير الزاني. فيجوز أن يحضر عذابهما طائفة من الزناة، تحضر الزناة عذاب الزناة[3]...............................

(1) يشير إلى قصة اليهودي الذي زنى وهو محصن، فرفع أحبار اليهود أمره إلى رسول الله ﷺ آملين أن يجدوا عنده رخصة، فحكم رسول الله ﷺ بما جاء في التوراة وهو الرجم. فنزلت في ذلك آيات المائدة: 42 - 48. انظر تفصيل ذلك فيما سلف ج 1 ص 471.

(2) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة. وقد جاءت مضطربة في المخطوطات.

(3) كذا وردت هاتان الجملتان بالإثبات: «يجوز أن يحضر... تحضر الزناة» وفي العبارة شيء من الغموض؛ ويبدو أن كلمات سقطت أثناء النسخ، ولكن المعنى الإجمالي واضح. فالمؤلف ـ وهو هنا الشيخ هود ـ يريد أن يثبت أن الزاني لا يمكن أن يكون مؤمناً، إذ لو كان كذلك لجاز، بمقتضى الآية، أن يحضر الزاني عذاب الزاني، وهذا أمر مناف للحكمة الإلٰهيـة. ويزيد المؤلف هذا المعنى تأكيداً بما يأتي.

ففي هاتين الآيتين دليل لكلّ ذي حجى أو لجى[1] أن الزاني ليس بمؤمن.

وفيها ذكر الحسن عن النبي عليه السلام أنه قال: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يقتل النفس التي حرّم الله وهو مؤمن. فإذا فعل ذلك خلع ربقة الإسلام من عنقه[2].

قوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وذلك أن النبي عليه السلام قدم المدينة، وبها نساء من أهل الكتاب وإماء مشركات من إماء مشركي العرب مؤاجرات مجاهرات[3] بالزنا، لهن رايات مثل رايات البياطرة[4].

قال بعضهم: لا يحل من نساء أهل الكتاب إلا العفائف الحرائر، ولا نساء المشركين من غير أهل الكتاب. وإماء المشركين حرام على المسلمين.

وقال بعضهم في قوله: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً)؛ يعني من كان يزني بتلك المؤاجرات من نساء أهل الكتاب وإماء المشركين وإن كانت حرة من المشركات، لا ينكحها إلا زان من أهل الكتاب أو من مشركي العرب. قال: (وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُومِنِينَ)، أي: تزويجهن.

ثم حرم النساء المشركات من غير أهل الكتاب، زوانِيَ كنَّ أو عفائفَ، فقال:

---

(1) كذا في ق و ب، ولم أجد في معاجم اللغة هذا اللفظ.

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 374.

(3) في ب و ع، وحتى في سع: «مهاجرات» وفيها تصحيف، والصواب ما أثبته بمعنى أنهن يجاهرن بالزنا ويُعلنّه. وقد أورد الطبري في تفسيره ج 18 ص 73 عن عكرمة أسماء تسع إماء من صواحب الرايات وعرّفهن.

(4) «راية البيطار» مما يضرب به المثل في الشهرة فيقال: أشهر من راية بيطار. انظر الثعالبي: ثمار القلوب، رقم 316، ص 240.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾... وقال: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: 221].

هذا كله فيمن تأول الآية على أن النكاح الذي ذكر هو نكاح التزويج.

وقال الآخرون مِمَّن تأوَّل الآية على أن هذا نكاح الوطء لا نكاح التزويج، قال: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: لا يفعل هذا الفعل إلا زان، أي: من أهل التوحيد، أو مشرك من أهل الكتاب، وحُرِّم ذلك، أي: ذلك الفعل على المؤمنين. أي: أنه لم يفعلوه. وهذا حقيقة التأويل. وهذا ما يشدُّ[1] الآيتين اللتين قبل هذه.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: الذين يقذفون المحصنات بالزنا. والمحصنات الحرائر المسلمات، وكذلك الرجل الحر المسلم إذا قذف؛ وإن لم يأت ذكره في الكتاب، فالذكر والأنثى في هذا سواء. ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ يجيئون جميعاً يشهدون عليها بالزنا.

﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ أي: يجلدون بالسوط ضرباً بين الضربين لا توضع عنه ثيابه، ولا يرفع الجلاد يده حتى يُرى بياض إبطه. ويجلد في ثيابه التي قذف فيها؛ [إلا أن يكون][2] الثوب فَرْوا أو قباء محشواً أو جبة محشوّة.

وليس على قاذف المملوك، ولا المكاتب، ولا أمّ الولد، ولا المدبّر[3]، ولا الذميّ، ولا الذّميّة حدٌّ. وكذلك المملوك إذا قذف الحرَّ لا حدَّ عليه، كما لا حدّ على من قذفه.

فإن قذف اليهودي أو النصراني المسلم جلد ثمانين.

---

(1) في ب و ع: «يشدد»، والمعنى واحد، أي يؤيد ويؤكد.

(2) زيادة من سع ورقة 50 و، وقد جاءت العبارة مضطربة فاسدة في ع و ب.

(3) المُدَبَّر هو العبد المملوك الذي يُعتَق عن دُبُر؛ يوصى سيّده ويقول: هو حرٌّ بعد موتي، فيعتق العبد بعد موت سيّده.

ولا يجلد الوالد إذا قذف ولده، ويجلد الولد إذا قذف والده. ولا يجلد المملوكون إذا قذف بعضهم بعضاً.

وإذا أقيم على الرجل أو المرأة الحدّ على الزنا، ثم افترى عليه أحد بعد ذلك فلا حدّ عليه.

وإذا جلد القاذف ثم عاد لقذفه الذي كان قذفه فلا حدَّ عليه إلا حد القذف الأول.

ذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لو افترى أبو بكرة على المغيرة بن شعبة مائة مرّة لم يكن عليه إلا الحدّ الأول[1].

قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الفَـٰسِقُونَ﴾ أي: العاصون وليس بفسق الشرك، ولكن فسق النفاق. وهي كبيرة من الكبائر الموبقات.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: قذف المحصنات من الكبائر[2].

---

(1) هو أبو بكرة الثقفي الطائفي، واسمه نفيع بن الحارث. وإنما لقّب بذلك لأنه تدلّى في حصار الطائف ببَكرة فاراً إلى رسول الله ﷺ فأسلم على يديه. ولما أخبره أنه عبد أعتقه رسول الله ﷺ. فكان أبو بكرة يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ. وأمه سميّة، فهو أخو زياد بن أبيه لأمه. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم. سكن البصرة زمن الأمويين. وكان له معهم مواقف تشهد بقوة إيمانه وصلابة دينه. وقصته في قذف المغيرة بن شعبة وجلد عمر إياه وأخاه نفيعاً وشبل بن معبد قصة مشهورة. فقد شهد الثلاثة على المغيرة ونكل زياد بن أبيه فجلد عمرُ الثلاثةَ حدّ القذف، ولم يُقِم الحدّ على المغيرة. ثم إن عمر استتابهم فتاب الإثنان، وثبت أبو بكرة على شهادته، وأبى أن يتوب. انظر ترجمته ونبذة عن حياته وأخباره في الاستيعاب، لابن عبد البر، ج 4 ص 1614، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج 3 ص 5 - 8 وانظر محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقر عمر ص 552 - 553. وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج 5 ص 256.

(2) أخرجه يحيى بن سلام هكذا: «وحدثني أبو أميمة عن يحيى بن كثير أن رسول الله ﷺ قال. . . ولم أعثر عليه بهذا اللفظ. ولكن قذف المحصنات ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة في كتاب المحاربين من أهل الكفر والرقة، باب: رمي المحصنات، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأوله: اجتنبوا السبع الموبقات. . .»، وفي آخره: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

قال: ﴿ إِلَّا الذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال الحسن وسعيد بن المسيِّب: توبته فيما بينه وبين الله تنفعه، ولا شهادة له. أي: إنهما رجعا إلى أول الآية: (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً).

ذكر سعيد بن المسيِّب أن عمر بن الخطاب قال للذين شهدوا على المغيرة بن شعبة حين جلدهم: من رجع عنكم عن شهادته أجزنا شهادته، ثم تلا هذه الآية: (إِلَّا الذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يعني أن رجوعهم عن الشهادة هي توبتهم. وقال بعضهم: يقوم على رؤوس الناس فيُكذِّب نفسَه.

وذكر عكرمة عن ابن عباس قال: لم تقبل لأبي بكرة شهادة لأنه لم يرجع عن شهادته؛ ولو رجع عن شهادته لقبلت شهادته. ويقول ابن عباس بهذا نأخذ، وعليه نعتمد. وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا. قال أبو عبيدة: شهادة كل من أقيم عليه الحد جائزة إذا تاب وأصلح[1].

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّـٰدِقِينَ. وَالخَـٰمِسَةُ أَنَّ عَلَيْهِ لَعْنَتَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَـٰذِبِينَ﴾.

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا العَذَابَ﴾ أي: عن المرأة، والعذاب: الحدّ، يعني الرجم إن كان دخل بها، أو أحصنت قبله، والجلد إن لم تكن مُحصَنة ﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكَـٰذِبِينَ وَالخَـٰمِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ ﴾ أي: زوجها ﴿ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: في قذفه إياها. [وذلك إذا ارتفعا إلى الإمام، وإن لم يرتفعا إلى الإمام فهي امرأته][2].

وإن ارتفعا إلى الإمام فثبت على قذفها قال أربع مرات عند الإمام: أشهد بالله

(1) نسب مثل هذا القول في سع ورقة 50 و إلى الحسن، لكن جاء في آخره: «إذا تاب غير القاذف».

((2) يادة من سع ورقة 50 و.

إني لصادق، أشهد بالله إني لصادق، أشهد بالله إني لصادق، أشهد بالله إني لصادق، ثم يقول الخامسة: إن لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين. وتقول هي أربع مرات: أشهد بالله إنه لكاذب، أشهد بالله إنه لكاذب، أشهد بالله إنه لكاذب، أشهد بالله إنه لكاذب، تعني زوجها، ثم تقول الخامسة: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم يفرّق بينهما فلا يجتمعان أبداً.

فإن أكذب نفسه قبل أن يفرغا من الملاعنة جلد حدّ القذف، ثمانين، وهي امرأته.

وإن لاعنها في إنكار ولدها ألحق الولد بها إذا لم تكن حبلى قبل أن يلاعنها ولم يعرف أنه دخل بها، وهي عصبته، وعصبتها بعدها[1].

فإن أكذب نفسه وقد بقي من الملاعنة شيء في ذلك قولان: أحدهما أنه يجلد حد القاذف ويفرّق بينهما ولا يجتمعان أبداً، وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا. وقال ابن عبد العزيز[2]: يجلد حدّ القاذف وهي امرأته، وعامة الناس كلهم على هذا القول، والولد ولده في قولهم جميعاً.

وإن أكذب نفسه بعد اللعان جلد ولا سبيل له عليها في قولهم جميعاً. وقال بعضهم: ويلحق الولد بها. وقال بعضهم: بل يردّ إليه ولده وهو قول العامة.

ولا يلاعن الرجل امرأته الأمة ولا اليهودية ولا النصرانية. وإن أنكر الرجل ولده من اليهودية أو النصرانية لزمه الولد. وإن أنكر ولده من الأمة بعدما أقرّ به مرة واحدة لزمه الولد.

---

(1) أي: وعصبة أمه يعصبون الولد الملحق بالأم بعدها إذا لم يكن ذو سهم من النسب. وانظر مزيداً من التفصيل في أجوبة ابن خلفون، ص 28 - 29.

(2) هو من علماء القرن الثاني الهجري ومن تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. وأبي نوح صالح ابن نوح الدهّان. واسمه عبد الله بن عبد العزيز البصري. كان فقيهاً مفتياً من فقهاء الإباضية الأوائل واشتهر بميله إلى القياس في آرائه الفقهية.

وإذا قذف الرجل امرأته الحرّة قبل أن يدخل بها ثم ارتفعا إلى السلطان تلاعنا.

وإذا طلق الرجل امرأته الحرّة مرة واحدة أو اثنتين، ثم قذفها، تلاعنا ما كانت في العدّة إن ارتفعا إلى السلطان، وهذا قول ابن عمر.

وقال ابن عباس: لا يلاعنها لأنها ليست بامرأته حتى يشهد على مراجعتها. قال: ألا ترى أنه لا يدخل عليها إلا بإذن.

وقول ابن عمر أعدل لأنها امرأته ما كانت في العدّة؛ ألا ترى أنه إن مات ورثته، وإن ماتت ورِثها. ألا ترى أنه إن أردفها طلاقاً في العدة وقع عليها؟ وكذلك إن آلى منها أو ظاهر منها؟ فكذلك أيضاً إذا قذفها لاعنها. كل هذه الأحكام لا تلزم الرجل في غير امرأته[1].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ قال بعضهم في قوله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس: 58] قال: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن.

وقال بعضهم: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ) يعني ولولا منّ الله (عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) رحمته ها هنا: نعمته، أي: لأهلك الكاذب من المتلاعنين.

﴿ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ ﴾ على من تاب من ذنبه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: في أمره، إذ جعل للمتلاعنين متاباً ومرجعاً.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ أي: جماعة منكم[2].

---

(1) نسبة القولين إلى ابن عمر وابن عباس وترجيح قول ابن عباس وتعليل هذا الترجيح، كل هذا غير موجود في سع ولا في ز، وهو من رواية الشيخ هود وزيادته، وهذا يدل على فقه الرجل وعلمه.

(2) حديث الإفك هذا حديث مشهور، وفيه من المواعظ والعبر ما يستطيع كل قارىء أن يستفيد منه حسب مستواه وإدراكه. اقرأه بتفصيل في كتب السيرة والحديث. انظر مثلاً سيرة ابن هشام ج 3 ص 297 - 307، ومغازي الواقدي ج 2 ص 426 - 440، وتفسير الطبري ج 18 ص 86 - 95، وفتح الباري ج 8 ص 452 - 489.

قال بعضهم: هذا كان في شأن عائشة وما أذيع عليها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأخذ الناس في الرحيل، فانقطعت قلادة لها، فطلبتها في المنزل ومضى الناس. وقد كان صفوان بن المعطل تخلّف عن المنزل قبل ذلك. ثم أقبل فوجد الناس قد ارتحلوا، وهو على بعيره. فإذا هو بعائشة، فجاءها ببعيره وولّاها ظهره حتى ركبت. ثم قاد بها، فجاء بها وقد نزل الناس. فتكلّم بذلك قوم واتّهموها.

بلغنا أن عبد الله بن أُبَي بن سلول وحسّان بن ثابت ومسطحاً وحمنة بنت جحش هم الذين تكلّموا في ذلك ثم شاع ذلك في الناس. فزعموا أن رسول الله ﷺ لما أنزل الله عذرها جلد كل واحد منهم الحد. وقوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ يعني هؤلاء.

ثم قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ ﴾ يعني عائشة وصفوان، يعني ما قيل فيهما ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من الذين قالوا ما قالوا ﴿ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ﴾ أي: ما اقترف من الذنب على قدر ما أشاع.

﴿ وَالذِينَ تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ أي: الذي بدأ به[1] ﴿ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال بعضهم: هو مسطح، فذهب بصره وهو العذاب العظيم. وقال بعضهم: هو عبد الله ابن أُبيّ بن سلول المنافق، له عذاب عظيم، أي: جهنم، فلا أعظم من ذلك.

قوله: ﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلاّ ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ أي: بإخوانهم خيراً كما كانوا يظنّون بأنفسهم. أي: لو كانوا مكان صفوان ما كان منهم إلا خير. أي: فليظنّ المسلم بأخيه ما يظنّ بنفسه.

فهذا عظة وأدب للمؤمنين قائمان إلى يوم القيامة، إن اتّعظوا بعظة الله، وتأدّبوا بأدب الله الذي أمرهم به، وتقدّم إليهم فيه[2].

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «(تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ) أي: تحمّل مُعظمَه، وهو مصدر الكبير من الأشياء، والأمور وفرّقوا بينه وبين مصدر الكبير السن فضموا هذا فقالوا هو كُبر قومه..».

(2) هذه الجمل الأخيرة في النصيحة والإرشاد من زيادات الشيخ الهواري، وهي غير واردة في سع ولا في ز.

قال: ﴿ وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: كذب بيّن. أي: هلاّ ظنّوا بأنفسهم خيراً، وهلاّ قالوا: هذا إفك مبين، أي: ما خاض فيه القوم.

ثم قال: ﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلاّ ﴿ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ أي: إن كانوا صادقين، وليسوا بصادقين. ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ فضل الله الإسلام ورحمته القرآن. ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الدنيا والآخرة. والإفاضة فيه ما كان يلقى الرجل أخاه[1] فيقول: أما بلغك من أمر عائشة وصفوان.

قوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض[2] ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: القذف قذفان: أحدهما أن تقول: إن فلانة زانية، فهذا فيه الحدّ. والآخر أن تقول: قال الناس إن فلانة زانية، فليس في هذا حد[3].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا ﴾ [أي: لا ينبغي لنا][4] ﴿ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: كذب عظيم. وإذا عظّم الله شيئاً فهو عظيم.

ثم قال: ﴿ يَعِظُكُمُ اللهُ ﴾ [أي: ينهاكم الله][4] ﴿ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم

(1) كذا في ب، وفي ع وفي سع ورقة 51: «يلقى الرجلُ الرجلَ».

(2) قال أبو عبيدة: «مجازه: تقبلونه ويأخذه بعضكم عن بعض...» وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 248: «وقرأت عائشة (إِذْ تَلِقُونَهُ) وهو الوَلْق، أي: تردّدونه. والوَلْق في السير والوَلق في الكذب بمنزلته إذا استمر في السير والكذب فقد وَلَق».

(3) نسب هذا القول في ب و ع إلى رسول الله ﷺ هكذا: «ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ... على اضطراب ونقص في ألفاظه في ع، ونسب في سع ورقة 51 و إلى الحسن. وظاهر لفظه يؤيد ما جاء في سع من أنه من كلام الحسن وليس من كلام النبي عليه السلام.

(4) زيادة من سع ورقة 51 و.

مُؤْمِنِينَ﴾ فاتّعظوا بعظة الله فيما وعظكم، وتأدّبوا بأدب الله فيما أدّبكم. ﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَـٰتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَـٰحِشَةُ فِي الذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: أن يظهر الزنا في تفسير قتادة][1] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ وهم المنافقون. كانوا يحبون ذلك ليعيبوا به النبي عليه السلام ويغيظوه. قال تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

وعذاب الله في الدنيا للمنافقين أن تؤخذ منهم الزكاة كرهاً، وما ينفقون في الغزو كرهاً. قال الله تعالى في براءة: (وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ) [التوبة: 54].

قوله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وهو مثل قوله الأول. أي: لأهلككم واستأصلكم، يعني الذين قالوا ما قالوا. وليس يعني بالفضل والرحمة عبد الله بن أبي ابن سلول فيهم، وقد ذكره بعد هذه الآية أنه في النار. قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: بالمؤمنين. وقد نفى الرحمة على الزاني والزانية في أول السورة لأنهم ليسوا بمؤمنين.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُـوَٰتِ الشَّيْطَـٰنِ﴾ أي: خطايا الشيطان؛ وبعضهم يقول: أمر الشيطان. قال: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ الشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُ﴾ أي: فإن الشيطان ﴿يَأْمُرُ﴾ بالخطيئة ويأمر ﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[2] قال: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وهي مثل الأولى ﴿مَا زَكَا مِنكُم مِّنَ أَحَدٍ﴾ أي: ما صلح منكم من أحد ﴿أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي﴾ أي: يصلح ﴿مَن يَّشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾ أي: ولا يحلف ﴿أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ يعني

---

(1) زيادة من سع ورقة 51.

(2) كذا في ب وع، وفي سع ورقة 51 و: ولعل صوابه: (يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ) أي: بالخطيئة ويأمر (بِالمُنْكَرِ).

الغنى ﴿ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَـٰكِينَ وَالْمُهَـٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ومسطح. وكان بين مسطح وبين أبي بكرة قرابة، وكان يتيماً في حجره، وكان ممن أذاع على عائشة ما أذيع. فلما أنزل الله براءتها وعذرها ائتلى أبو بكر، أي: حلف، ألا يرزأه[1] خيراً أبداً. فأنزل الله هذه الآية، [أي: فكما تحبّون أن يغفر الله لكم فاعفوا واصفحوا][2].

ذكروا أن النبي عليه السلام دعا أبا بكر فتلاها عليه ثم قال: يا أبا بكر، ألا تحبُّ أن يعفو الله عنك؟ قال: بلىٰ، قال: فاعف وتجاوز[3]. فقال أبو بكر: لا جرم والله لا أمنعه معروفاً كنت أوليه إياه قبل اليوم.

ذكروا عن عائشة قالت: كفَّر أبو بكر يمينه لذلك[4].

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَـٰتِ الْغَـٰفِلَـٰتِ﴾ أي: العفائف ﴿الْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ أي: المصدِّقات بالله العاملات بفرائضه ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وإذا عظَّم الله شيئاً فهو عظيم.

ثم قال: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال بعضهم: بلغني أنه يعني عبد الله بن أبي بن سلول في أمر عائشة.

قولهم: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ أي: عملهم الحق، أي: يدانون بعملهم ﴿ وَيَعْلَمُونَ ﴾ يومئذ ﴿ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ والحق اسم من أسماء الله.

---

(1) يقال: «رزأ فلان فلاناً إذا برّه» كما في اللسان. وجاء في صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة النور: قالت [عائشة]: «فحلف أبو بكر ألا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً».

(2) زيادة من سع ورقة 51 و.

(3) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من كتب الحديث، ولكن معناه ثابت في كتب السنة والتفسير، وقد أورده ابن سلام بدون سند.

(4) روى يحيى بن سلام هذا الخبر بالسند التالي: «وحدثني يحيى بن أيوب عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة». انظر سع ورقة 51 و.

قوله: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ أي: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الرجال والنساء للخبيثات من القول والعمل، والطيّبات من القول والعمل للطيّبين من الرجال والنساء، والطيّبون من الرجال والنساء للطيّبات من القول والعمل. وهذا في قصة عائشة. قال: ﴿ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: في الجنة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ [سعيد عن قتادة قال: وهو الاستئذان][1]. ﴿ وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾.

ذكروا عن مجاهد قال: (حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا) أي: حتى تتنحنحوا أو تنخّموا[2]. وقال بعضهم: حتى تسلّموا، وهي مقدمة ومؤخرة، أي: حتى تسلّموا وتستأذنوا[3].

ذكروا أن رجلاً استأذن على النبي عليه السلام فقال لرجل عنده: قم فعلم هذا كيف يستأذن، فإنه لم يحسن يستأذن. فخرج إليه الرجل، فسلّم ثم استأذن[4].

---

(1) زيادة من سع، ورقة 51 ظ.

(2) نسب هذا القول في ب وع إلى ابن عباس، والصحيح أنه لمجاهد كما ورد في تفسير مجاهد ص 439، وفي سع.

(3) نسب هذا القول في التقديم والتأخير إلى ابن عباس، ونسب إليه أيضاً أنه قال: «إنما هي خطأ من الكاتب»، كما أورده الطبري في تفسيره ج 18 ص 109 - 110. والحق أنه لا يمكن أن ينسب مثل هذا إلى ابن عباس انظر الرد على هذا في تفسير القرطبي ج 12 ص 214.

(4) كذا في ع، وفي سع ورقة 51 ظ: «فسمعها الرجل فسلّم ثم استأذن. والحديث أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان. (رقم 5177) ولفظه: «حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهوفي بيت. . . وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 18 ص 110 «عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ألج أو أنلج؟ فقال النبي ﷺ لأمة له يقال لها روضة: قومي إلى هذا فكلميه، فإنه لا يحسن يستأذن، فقولي له يقول: السلام عليكم، أدخل؟ فسمعها الرجل فقالها، فقال: ادخل».

ذكروا عن زيد بن أسلم قال: جئت ابن عمر في داره فقلت: ألج، فأذن لي، فدخلت، فقال: يا ابن أخي، إذا استأذنت فلا تقل: ألج، وقل: السلام عليكم، فإذا قالوا: وعليك فقل: آدخل. فإذا قالوا: ادخل فادخل.

ذكروا عن الحسن قال: استأذن الأشعري على باب عمر ثلاث مرات، فلم يؤذن له، فرجع. فأرسل إليه عمر فقال له: ما ردّك عن بابنا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من استأذن ثلاث مرات فلم يؤذن له فليرجع. فقال له: لَتأتِيَنّي على ذلك بيّنة وإلا عاقبتك[1]. فجاء بطلحة فشهد له.

وفي حديث عمرو عن الحسن في هذا الحديث: الأولى إذن، والثانية مؤامرة، والثالثة عزيمة إن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردّوا.

ذكر بعضهم قال[2]: كنا ونحن نطلب الحديث إذا جئنا إلى باب الفقيه استأذن منا رجل مرّتين، فإن لم يؤذن له تقدّم آخر فاستأذن مرّتين، مخافة أن يستأذن الرجل منا ثلاثاً فلا يؤذن له، ثم يؤذن بعد، فلا يستطيع أن يدخل لأنه لم يؤذن له وقد أذن لغيره.

---

(1) كذا في ب و ع، «وإلا عاقبتك»، وفي سع ورقة 51 ظ: «أو لأجعلنك نكالاً». والحديث صحيح أخرجه أصحاب السنن: أخرجه مثلاً البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، عن أبي سعيد الخدري. وفيه أن الذي قام من المجلس ليشهد لأبي موسى الأشعري عند عمر إنما هو أبو سعيد الخدري، وكان أصغر القوم، وكان ذلك بإشارة من أبي بن كعب، ورواه أبو داود أيضاً في كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان عن أبي سعيد الخدري (رقم 5180) وفيه أن الشاهد هو أبو سعيد، وفي حديث آخر لأبي داود (رقم 5181): «قال اِيتني ببينة على هذا، فذهب ثم رجع، فقال: هذا أبيّ، فقال أبيّ: يا عمر لا تكن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ...» ولم أجد فيما بين يدي من كتب الحديث أن طلحة هو الذي شهد لأبي موسى كما ذكره المؤلف هنا.

(2) هو المؤلف نفسه يحيى بن سلام كما جاء في سع ورقة 51 ظ. وقلّما يتحدث ابن سلام عن نفسه أو عن حياته العلمية، وهذه إشارة عابرة إلى ذلك. وهذا لعمري غاية في آداب التعلّم وتلطُّف حَسَن في طلب الحديث. وليت طلاب اليوم يفقهون هذا فيلتزمون بهذه الآداب حسبما تمليه ظروف العصر الحاضر وتسمح به.

ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: لا تأذن المرأة في بيت زوجها وهو شاهد إلا بإذنه[1].

ذكروا عن عطاء بن يسار قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله، استأذن على أمي؟ [قال: نعم، قال: إني أخدمها، فقال: استأذن عليها][2] فسكت رسول الله ﷺ ثم أعادها عليه. فقال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا. قال: استأذن عليها.

ذكروا عن عطاء قال: كان لي أخوات فسألت ابن عباس: أستأذن عليهن؟ فقال: نعم.

وذكروا أن علياً قال: يستأذن الرجل على كل امرأة إلا على امرأته.

ذكروا أن عمر استأذن على قوم فأُذن له، فقال: ومن معي؟ فقيل له: ومن معك، فدخلوا.

ذكروا عن الحسن أنه قال: ليس في الدور إذن. يعني الدّور المشتركة. التي فيها حُجَر. وليس في الحوانيت إذن. قال بعضهم: إذا وضعوا أمتعتهم، وفتحوا أبوابها، وقالوا للناس هلمّوا.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان إذا استأذن ليدخل في بيوت التجار فقالوا: ادخل بسلام، لم يدخل، لقولهم ادخل بسلام[3].

قوله: ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي تذّكّروا.

(1) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، وقد ضعّف هذا الحديث.

(2) زيادة من سع، ورقة 51 ظ. أخرج الحديث ابنُ جرير الطبري في تفسيره ج 18 ص 112. وأخرجه أيضاً مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ سأله رجل... في الموطأ، كتاب الجامع، باب الاستئذان.

(3) لأن لفظ الإذن هنا يحتمل معنى: ادخل بسلامك لا بشخصك. وقد روى هذا الخبر في واقعة بعينها «أن ابن عمر آذته الرمضاء يوماً فأتى فسطاطاً لامرأة من قريش فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فقالت المرأة: ادخل بسلام، فأعاد، فأعادت. فقال لها: قولي: ادخل. فقالت ذلك، فدخل». انظر تفسير القرطبي ج 12 ص 215.

قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً ﴾ يعني البيوت المسكونة ﴿ فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُم ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾. قال بعضهم: أي: لا تقف على باب قوم ردّوك عن بيتهم، فإن للناس حاجات، ولهم أشغال. قال: ﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ أي: خير لكم ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج، أي: إثم. ﴿ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ يعني الخانات، وهي الفنادق ﴿ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ﴾ أي: ينزلها الرّجلُ في سفره فيجعل فيها متاعَه، فليس عليه أن يستأذن في ذلك البيت لأنه ليس له أهل يسكنونه. [وقال السّديّ: (فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ): منافع لكم من الحرّ والبرد][1]. ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ أي: ما تعلنون ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ أي: ما تسِرّون في قلوبكم.

قوله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [يعني يغضوا أبصارهم عن جميع المعاصي. (مِنْ) ها هنا صلة][2]. وقال بعضهم: أي: عما لا يحل لهم من النظر.

ذكروا عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي عن أبيه قال: سألت رسول الله ﷺ عن النظرة فجأة فقال: غُضّ بصركا[3].

قوله: ﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ أي: عما لا يحل لهم. وهذه الآية في الأحرار والمملوكين. ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ أي: بما يفعلون.

قوله: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ أي: يغضضن أبصارهن عما لا يحل لهنّ من النظر. وهذه في الحرائر والإماء.

---

(1) كذا في ع: «يعني الدور المشتركة. . .» وجاء في سع ورقة 51 ظ ما يلي: «ليس في الدور إذن. قال يحيى: أظنه يعني الدار المشتركة التي فيها حُجَر». وهذه العبارة أوثق رواية وأوضح معنى.

(2) زيادة من سع ورقة 52 و، ومن ز ورقة 232.

(3) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم في كتب الآداب، باب نظر الفجأة (رقم 2159) وأخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر (رقم 2148) ولفظه: سألت رسول الله ﷺ عن نَظْرَةِ الفَجْأَةِ فقال: اصرف بصرك». كلهم يرويه عن أبي زرعة عن جرير بن عبد الله.

قوله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾. قال بعضهم: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا): الثياب. وكذلك قال الحسن. ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما ظهر منها: الكحل والخاتَم.

ذكروا عن عائشة أنها سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت: القُلْب، تعني السُّوار، والفَتَخة، تعني الخاتَم الذي لا فصّ له. وقالت بثوبها على كوعها فسترته[1].

قالت العلماء: هذه الآية في الحرائر؛ وأما الإماء فإن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قِناع فعلاها بالدِّرّة وقال: اكشفي عن رأسك لا تتشبّهي بالحرائر.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كُنّ جواري عمر[2] يخدمننا كاشفاتٍ رؤوسهن تضطرب ثديّهن، بادية خِدامهن[3].

قوله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ أي: تسدل الخمار على جيبها، وهو نحرها. ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ وهذه الزينة الباطنة؛ وهما زينتان، زينة ظاهرة، وقد فسّرناها، وزينة باطنة وسنفسرها إن شاء الله. ﴿ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ أي: أزواجهن ﴿ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ أي: آباء أزواجهن. ﴿ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوِ اخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ المسلمات اللاتي يرين منها ما يراه ذو المحرم؛ ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية. ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾.

---

(1) في ب و ع: «فسترته»، وفي سع ورقة 52 و: «فشدّته». و«الكوع: مفصل اليد». وهذا الشرح للكوع زيادة من أحد النساخ وردت في ب و ع.

(2) كذا وردت هذه العبارة: «كن جواري عمر يخدمننا» في ب و ع، وفي سع. وهي عبارة صحيحة في العربية. فمثلها ورد في صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدىء (رقم 2029) وفيه من حديث أنس قال: «قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثثنني على خدمته. .» وباللفظ نفسه أخرجه الحميدي في مسنده، ج 2 ص 499، في أحاديث أنس بن مالك (رقم 1182).

(3) خدام: جمع خَدَمة، وهي هنا الخلخال، وتجمع أيضاً على خِدَم.

فهذه ثلاث حرم بعضها أعظم من بعض. منهن الزوج الذي يحلّ له كل شيء منها؛ فهذه حرمة ليست لغيره.

ومنهم الأب والابن، والأخ والعم والخال وابن الأخ وابن الأخت، والرضاع في هذا بمنزلة النسب. فلا يحل لهؤلاء في تفسير الحسن أن ينظروا إلى الشعَر والصدر والساق وأشباه ذلك.

[وقال الحسن: لا تضع المرأة خمارها عند أبيها ولا ابنها ولا أخيها][1] وقال ابن عباس: ينظرون إلى موضع القرطين والقلادة والسوارين والخلخالين. فهذه الزينة الباطنة.

وحرمة أخرى، وهي الثالثة؛ منهم أبو الزوج وابن الزوج والتابع الذي قال الله: ﴿ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ أي: غير أولي الحاجة إلى النساء. وهم قوم كانوا في المدينة فقراء، طُبِعُوا على غير شهوة النساء. وقال بعضهم: هو الرجل الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل. وقال الحسن: هو الرجل يتبع الرجل يخدمه بطعام بطنه.

ومملوك المرأة، لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق، وخمار صفيق[2] بغير جلباب.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم منها.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: لا تخلو المرأة مع الرجل إلا أن يكون محرماً، وإن قيل حموها، إنما حموها الموت[3].

---

(1) زيادة من سع، ورقة 52 ظ.

(2) كذا في ز: «درع صفيق، وخمار صفيق» وهو الصحيح، وفي ب و ع: «درع صفيق وخمار جديد»، وفي سع ورقة 52 ط: «في درع ضيق وخمار ضيق» والصحيح ما أثبته. ودرع المرأة قميصها. وقيل: «هو درع تجوب المرأة وسطه، وتجعل له يدين وتخيط فرجيه». والصفيق من الثياب ما كان كثيفاً جَيِّد النسج.

(3) وردت هذه الجملة مضطربة فأثبت صحتها من سع.

وقال بعضهم: لا تضع المرأة خمارها عند مملوكها، فإن فاجاءها فلا بأس. وبعضهم يقول: (أَوْ مَا مَلَكَت أَيْمَانُهُنَّ) يعني الإماء وليس العبيد.

[ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: لا تضع المرأة خمارها عند عبد سيدها][1].

قوله: ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ أي: الذين لم يبلغوا الحلم أو النكاح.

قوله: ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَم مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ وكانت المرأة تضرب برجلها إذا مرت بالمجلس لتسمع قعقعة خلخالها. وقال بعضهم: تضرب إحدى رجليها بالأخرى حتى تسمع صوت الخلخالين؛ فنهين عن ذلك.

قوله: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُومِنُونَ ﴾ من ذنوبكم هذه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة.

قوله: ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ يعني كل امرأة ليس لها زوج[2]. قال الحسن: هذه فريضة.

[عثمان عن محمد بن المنكدر عن سليمان بن يسار أن قوماً نزلوا منزلاً، ثم ارتحلوا، وبغت امرأة منهم، فرفعت إلى عمر بن الخطاب فجلدها عمر الحدّ، وقال: استوصوا بها خيراً وزوّجوها فإنها من الأيامى][3].

---

(1) زيادة من سع، ورقة 52 ظ: ويعني بعبد سيدها عبد زوجها. وقد ورد في القرآن لفظ السيد وأريد به الزوج في قوله تعالى: (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ) [يوسف: 25].

(2) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 251: (وأنكحوا الأيَامىٰ منكم) يعني الحرائر. والأيامى القرابات، نحو البنت والأخت وأشباههما. وما قاله أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 65 أولى بالصواب وأحق بالتأويل، قال: « (الأيَامىٰ) من الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم ولهن، ويقال: رجل أيم، وامرأة أيمة وأيم أيضاً. قال الشاعر:

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحْ وَإِن تَتَأَيَّمِي   وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَىٰ مِنْكُـمْ أَتَـأَيَّمِ »

(3) أثبتُ هذا الخبر زيادة من سع ورقة 52 ظ لما فيه من العبرة والعظة البالغة، ولما يبيّن من سيرة =

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن التبتل. [والتبتل فعل] التي تقيم من النساء بلا زوج، والذي يقيم من الرجال بلا امرأة[1].

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: من تزوج فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي[2].

قوله: ﴿ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ يعني المملوكين المسلمين ﴿ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ أي: وانكحوا من إمائكم المسلمات، وهذه رخصة، وليس على الرجل بواجب أن يزوج أمته وعبده.

قوله: ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: اطلبوا الغنى في هذه الآية: أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله[3].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة، أي: النكاح، والله يقول: (إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِم اللهُ مِنْ فَضْلِهِ).

= عمر الحميدة. فقد كان قوياً في الحق حين أقام عليها الحد، لطيفاً رحيماً بها حين أوصى بها خيراً، متفقّهاً في الدين خبيراً بأحوال الأمة حين اعتبرها أَيِّماً تُزَوَّج، لا بَغِيّـاً تُنبَذ. ولا أدري كيف أسقط الشيخ هود هذه الفقرة المفيدة، فعهدي به يلتقط هذه الدرر والنفائس من بالغ الحكمة والموعظة.

(1) زيادة يقتضيها السياق، وكأن العبارة من زيادة ناسخ شرح بها معنى التبتل، وعبارة ابن سلام في سع ورقة 52 ظ أوفى. قال: «. . . عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ ينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم البشر يوم القيامة».

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس، وأخرجه أيضاً يحيى بن سلام هكذا: حدثني خالد عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ.

(3) رواه يحيى بن سلام عن عبد العزيز بن أبي داود مرسلاً، ولم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث بهذا اللفظ إلا ما أخرجه الديلمي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: التمسوا الرزق بالنكاح، كما جاء في الدر المنثور، ج 5، ص 45، وفي تفسير الطبري ج 18 ص 126: «عن عبد الله بن مسعود قال: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله: (إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ).

قال: ﴿ واللهُ وَٰسِعٌ ﴾ بخلقه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأمرهم.

قوله: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: حتى يجدوا ما يتزوّجون به.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَت أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ أي: إن علمتم عندهم مالاً. وليس بفريضة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه.

وقال بعضهم: إن علمتم منهم صدقاً ووفاءً وأمانة. وقال ابن عباس: إن علمتم عندهم حرفة أو عملاً. ويكره أن يكاتبه وليست له حرفة ولا عمل إلا على مسألة الناس. فإن كان له حرفة أو عمل ثم تصدّق عليه من الفريضة أو التطوّع فلا بأس على سيّده، لأنه من ذوي فريضتها، قد وجبت له الزكاة، وصار حُرّاً قد استوجب سهماً من سهام الصدقة؛ فلا بأس أن يأخذ منه ما قد ملّكه الله وأحلّه له.

قوله: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الذِي ءَاتَـٰكُمْ ﴾ [قال بعضهم: أي: أن يترك له طائفة من مكاتبته][1].

وقال بعضهم: أي: أعطوهم مما أوجب الله لهم من سهمهم في الصدقة؛ يقول: إنهم أحرار، وإنهم قد وجبت لهم الصدقة بفرض الله لهم منها سهماً فيها. وهي عنده كقوله: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ) [التوبة: 60] لهؤلاء الذين سماهم الله في الصدقات، فكذلك قوله: (وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الذِي ءَاتَاكُمْ) أي: أعطوهم فرضهم الذي فرض الله لهم في كتابه[2].

---

(1) زيادة من سع ورقة 53 و، وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 251: «حدثنا حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن عليّ بن أبي طالب قال: يعطيه ثلث مكاتبته، يعني المولى يهب له ثلث مكاتبته».

(2) أورد ابن سلام في تفسير هذه الآية صوراً كثيرة من المكاتبة وأقوالاً للصحابة وللتابعين وأحكاماً مفصّلة مفيدة للمتفقّه. فهذه الأحكام، وإن لم تكن الحاجة إليها أكيدة في عصرنا هذا. توسّع آفاق معرفة الطالب، ولو تباينت آراء الفقهاء من الصحابة وغيرهم في الموضوع. روى ابن سلّام قال: «حدّثني بحر بن كُنيز عن الزهري قال: قضى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وزيد بن =

قوله: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ أي: تعففاً ﴿ لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾.

قال بعضهم: كان الرجل يكره مملوكته على البغاء ليكثر ولدها.

وقال بعضهم: نزلت في أمة لعبد الله بن أبي بن سلول كان يكرهها على رجل من قريش رجاء أن تلد منه، فيفدي ولده. فذلك العرض الذي كان ابن أبي يبتغي.

قوله: ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ لهن ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [وليست لهم][(1)] وكذلك هي قراءة ابن مسعود.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ﴾ أي: قد أنزلنا إليكم كتاباً فيه آيات مبيّنات، أي: الحلال والحرام والأمر والنهي والفرائض والأحكام ﴿ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي: أخبار الأمم السالفة ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: نزل القرآن على ست آيات: آية مبشّرة وآية منذرة، وآية فريضة، وآية تأمرك، وآية تنهاك، وآية قصص وأخبار.

قوله تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

= ثابت وعائشة وابن عمر وعمر بن عبد العزيز أنه عبدٌ قِن ما بقي عليه درهم حياته وموته، قال: ولو ترك مالاً فهو عبد أبداً حتى يؤدي. . .»، وروى «أن ابن مسعود قال: إذا أدّى الثلث أوقف رقبته فهو غريم. . .» وقال: «وحدثنا المسعودي عن الحكم بن عتيبة قال: المكاتب تجري فيه العتاقة في أول نجم يؤدّى».

(1) زيادة من سع ورقة 53 ظ. أي أن مغفرة الله ورحمته للفتيات المكرَهات على البغاء لا لسادتهن. قال الفراء في المعاني ج 2 ص 251: «كان أهل الجاهلية يكرهون الإماء ويلتمسون منهن الغَلّة فيفجُرْن، فنهى أهل الإسلام عن ذلك (وَمن يُكْرِههنَّ فَإِنَّ اللهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ) لهن (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وانظر تفسير الطبري ج 18 ص 133. وروى مسلم في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البَغَاءِ) (رقم 3029) عن جابر «أن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها: مُسَيْلَة، وأخرى يقال لها: أُمَيمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البَغَاءِ. . .) إلى قوله: (غَفُورٌ رَّحِيمٌ)».

المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَّشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

أما قوله: ﴿ مَثَل نُورِهِ ﴾ أي: فمثل نوره الذي أعطى المؤمن في قلبه ﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ والمشكاة: الكوّة في البيت التي ليست بنافذة، وهي بلسان الحبشة. وهي مثل صدر المؤمن.

﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ وهو النور الذي في قلب المؤمن. قال: ﴿ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ صافية، والزجاجة القنديل، وهو مثل قلب المؤمن، قلبه صاف.

﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أي: عظيم مضيء[1] ﴿ يُوقَدُ ﴾ يقرأ على وجهين: يوقد وتوقد، فمن قرأها بالياء فهو يعني المصباح، ومن قرأها بالتاء فهو يعني الزجاجة بما فيها، فكذلك قلب المؤمن يتوقّد نوراً.

﴿ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ وهي مثل قلب المؤمن. ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَّلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي: لا شرقية تصيبها الشمس إذا أشرقت ولا تصيبها إذا غربت. ولا غربية تصيبها الشمس إذا غربت ولا تصيبها إذا أشرقت؛ أي: ليس يغلب عليها الشرق دون الغرب، ولا الغرب دون الشرق، ولكن يصيبها الشرق والغرب. وقال بعضهم: لا يفيء عليها ظل شرقي ولا غربي؛ هي ضاحية للشمس، وهي أصفى الزيت وأعذبه وأطيبه[2].

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 252 بعد أن ذكر القراءتين: ﴿ كوكب دُرِّيءٌ، ودُرِّيٌّ ﴾: «فالقراءة إذا ضممت أوله بترك الهمز، وإذا همزته كسرت أوله. وهو من قولك درأ الكوكب إذا انحط، كأنه رجم به الشيطان فدمغه. ويقال في التفسير: إنه واحد من الخمسة: المشترى وزحل، وعطارد، والزَهرة، والمريخ. والعرب قد تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراريّ بغير همز.

(2) جاءت هذه الجملة الأخيرة مضطربة ناقصة في ب وع، فأثبت صحتها من سع وز. والقول لقتادة.

وقال بعضهم: لا يصيبها فيء شرق ولا فيء غرب، هي في سفح جبل، وهي شديدة الخضرة. وهي مثل المؤمن. ﴿ لَاْ شَرْقِيَّةٍ ﴾ أي: لا نصرانية تصلّي إلى الشرق، ﴿ وَلَاْ غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي: ولا يهودية تصلّى إلى المغرب، أي: إلى بيت المقدس. الموضع الذي نزل فيه القرآن غربيّه بيت المقدس[1].

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ أي: يكاد زيت الزجاجة يضيء ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ وهو مثل قلب المؤمن يكاد أن يعرف الحق من قبل أن يُبَيَّنَ لَهُ فيما يذهب إليه قلبه من موافقة الحق فيما أمر به، وفيما يذهب إليه من كراهية ما نهى عنه؛ وهو مثل لقوله: ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾.

قال: ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ أي: نور النار على الزيت في المصباح. فكذلك قلب المؤمن إذا تبيّن له الحق صار نوراً على نور، كما صار المصباح حين جعلت فيه النار نوراً على نور: نور الزجاجة، ونور الزيت، ونور المصباح.

قال: ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أي: لدينه ﴿ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ وهي المساجد.

ذكروا عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة[2]. ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله

---

(1) الواقع أن بيت المقدس يقع شمال مكة، مع ميل قليل إلى الغرب.

(2) الحديث صحيح متفق عليه، أخرجه أصحاب السنن عن جملة من الصحابة بألفاظ متشابهة، فأخرجه البخاري مثلاً في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة عن عثمان بن عفان في باب فضل بناء المساجد والحث عليها (رقم 533) ورواه ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات، باب من بنى لله مسجداً (رقم 735) عن عمر بن الخطاب وعن عثمان بن عفان (رقم 736) وعن جابر بن عبد الله (رقم 738) ورواه النسائي في المساجد عن عمرو بن عبسة من حديث أوله: من بنى مسجداً ليذكر اسم الله فيه. . .

عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: من بنى مسجداً من ماله بنى الله له بيتاً في الجنة، وإنما يتقبّل الله من المتقين[1].

ذكروا أن كعباً قال: في التوراة مكتوب: إن بيوتي في الأرض المساجد؛ فمن توضأ فأحسن وضوءه، وزارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور أن يكرم زائره.

قوله: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ الغدو صلاة الصبح، والآصال: العشي، أي: الظهر والعصر. وقد ذكر في غير هذا الموضع المغرب والعشاء وجميع الصلوات الخمس.

قال: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾ التجارة الجالب، والبيع الذي يبيع على يديه[2]، قال: ﴿ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ ﴾.

كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة. و(ذِكْرُ اللهِ) في هذا الموضع الأذان. (وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ) يعني الصلوات الخمس، (وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ) الزكاة المفروضة[3].

---

(1) رواه يحيى بن سلام بالسند التالي: ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن علي، وبهذا السند أخرجه ابن ماجه (رقم 737) وإسناده ضعيف.

(2) كذا في ب و ع وفي سع ورقة 54 و، وفي ز ورقة 234، وعبارة الفراء في المعاني ج 2 ص 253 أصح وأوضح: قال: «فالتجارة لأهل الجلْب، والبيع ما باعه الرجل على يديه».

(3) أورد ابن سلام بعد هذا أحاديث وأقوالاً عن الصحابة في كراهية صلاة المرأة في المسجد، ولم ترد في ب ولا في ع منها: «إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم أن رسول الله ﷺ رأى امرأة في المسجد فقال: يا أيها الناس كفوا عليكم نساءكم فإنما عُذِّبت بنو إسرائيل حين أرسلوا نساءهم إلى المساجد والأسواق». . . . «وعن ابن مسعود قال: ما صلت امرأة في مكان خير من قعر بيتها إلا أن يكون المسجد الحرام أو مسجد النبي إلا أن تخرج في مَنْقَلَيْها. قال حماد: المَنقلان الخُفان».

والحق أنه وردت أحاديث صحيحة تنهى المسلمين أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المسجد، منها ما رواه ابن عمر مرفوعاً: لا تَمْنَعُوا إماء الله مساجد الله، وزاد أبو هريرة، ولكن ليخرجن وهن تفلات.

وهذا الحرف يقرأ على وجهين: (يُسَبَّح لَهُ فِيهَا) أي: في المساجد (بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ)، والحرف الآخر: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ). ثم قال: (رِجَالٌ)، أي: فهم الذين يسبحون له فيها بالغدو والآصال[1].

قوله: ﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَـٰرُ ﴾ أي: قلوب الكفار وأبصارهم. وتقلُّبُ القلوب أن القلوب انتزعت من أماكنها فغصّت بها الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج. وهو قوله: (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ) [غافر: 18]. وأما تقلب الأبصار فقد قال في آية أخرى: (فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [الأنبياء: 97] أي: لإجابة الداعي. وهو كقوله: (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) [إبراهيم: 43].

وقال الحسن في قوله: (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الأَبْصَارُ) أي: بالزُّرَق[2] بعد الكَحَل، والعمى بعد النظر.

قوله: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ أي: ثواب ما عملوا، [يجزيهم به الجنة][3] ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ فأهل الجنة أبداً في مزيد.

ذكروا عن كعب قال: وجدت في التوراة أن بيوتي في الأرض المساجد، فمن توضأ في بيته ثم زارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور أن يكرم زائره، ووجدت في القرآن: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ

---

(1) كذا في ب وع وسع. وعبارة ابن خالويه في الحجة ص 238 أوضح. قال: «قوله تعالى: (يُسَبَّحَ لَهُ فِيهَا) يقرأ بفتح الباء وكسرها. فالحجة لمن فتح: إنه جعله فعلاً لما لم يسم فاعله ورفع (الرجال) بالابتداء، والخبر (لَا تُلْهِيهِمْ). والحجة لمن كسر: أنه جعله فعلاً للرجال فرفعهم به، وجعل ما بعده وصفاً لحالهم».

(2) في ع: «بالرزق» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: «الزرَق». يقال زرِقت عينه زَرَقاً إذا تغشى سوَادَها بياض، وقيل: الزرقة: خضرة في سواد العين. انظر اللسان: (زرق).

(3) زيادة من سع لإتمام المعنى.

يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ).

قال: ﴿ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [تفسير بعضهم يقول: لا أحد يحاسبهم بما أعطاهم الله][1].

ذكروا عن أسماء بنت يزيد بن السّكن الأنصارية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا جمع الله الناس يوم القيامة: الأولين والآخرين جاء مناد فينادي: سيعلم الجمع من أولى بالكرم، أين الذين (لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ)؟ فيقومون، وهم قليل، إلى الجنة بغير حساب. ثم ينادي المنادى بصوت له رفيع يسمع الخلائق كلهم: سيعلم الجمع من أولى بالكرم؟ أين الذين (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)؟ فيقومون وهم أكثر من الصنف الأول إلى الجنة. ثم يرجع المنادي فينادي: سيعلم الجمع اليوم من أولى بالكرم، أين الحامدون الله في السراء والضراء الذين يحمدون الله على كل حال، فيقوسون وهم أكثر من الصنف الأول إلى الجنة، فيحاسب من بقي من الناس[2].

قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ وهذا مثل المنافق. والقيعة القاع، وهو القرقر. ﴿ يَحْسِبُهُ الظَّمْئَانُ ﴾ أي: العطشان ﴿ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ يقول:

إن المنافق أقرّ بالله ربّاً، وبمحمد نبيّاً، وبما جاء به حقّاً، ولم يعمل لله شيئاً بما أقرّ له به، واعتمد على الإقرار دون الوفاء بالأعمال، حتى إذا صار إلى الآخرة لم يجد ثواب عمله إذ لم يكمل لله فرائضه، وحسب أن الله يُثيبه على الإقرار دون الوفاء بالأعمال؛ فكان مثله مثل العطشان الذي رأى السراب فظنّ أنه ماء، حتى إذا جاءه لم

(1) زيادة من سع، ورقة 54 و.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم بسند عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد النهشلية الأنصارية، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عقبة بن عامر بألفاظ مختلفة.

يجده شيئاً. وهو كقوله: (مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ) [إبراهيم: 18]. والعطشان مثل المنافق والسراب مثل إقراره يحسب أنه أغنى عنه شيئاً، حتى يأتيه الموت، فإذا جاءه الموت لم يجد إقراره أغنى عنه شيئاً إلا كما ينفع السّرابُ العطشانَ[1].

قوله: ﴿ وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ أي: ثواب عمله السيء وهو النار. ﴿ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾.

ثم ضرب الله مثل المشرك فقال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ فهذا مثل آخر للكافر المشرك، أي: مثل قلب المشرك في بحر لجي [أي: عميق قعير أي: غمر][2] ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ ثم وصف ذلك الموج فقال: موج ﴿ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ أي: ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب وظلمة الليل، فكذلك قلب المشرك مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم. قال: ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَيٰهَا ﴾ أي: من شدة الظلمة ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾.

فهذه ثلاثة أمثال مثلها الله في هذه السورة: مثل المؤمن، ومثل المنافق، ومثل المشرك، بيّنة واضحة معقولة. قال: (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ) [العنكبوت: 43].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَـٰفَّـٰتٍ ﴾ أي: بأجنحتها ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ قال مجاهد: الصلاة للإنسان، يعني المؤمن، والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه. ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

---

(1) تفسير هذه الآية للشيخ هود الهواري ولا شك. وقد خالف فيه تفسير ابن سلام الذي جعل الآيتين هذه والتي تليها تعني الكافر مطلقاً، بينما فصل الشيخ هود فجعل الأولى للمنافق والثانية للمشرك. انظر سع ورقة 54 ظ.

(2) زيادة من سع ورقة 54 ظ؛ والقول لقتادة.

قوله: ﴿ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ ﴾ أي: البعث.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ﴾ أي: ينشىء سحاباً[1]. ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ أي: يجمع بعضه إلى بعض ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً ﴾ [أي: بعضه على بعض][2] ﴿ فَتَرَى الوَدْقَ ﴾ أي: المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَلِهِ ﴾ أي: من خلال السحاب.

قال: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ أي: ينزل من تلك الجبال التي هي من برد، والتي هي في السماء ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ ﴾ أي: بذلك البرد ﴿ مَن يَّشَاءُ ﴾ فيهلك الزرع. كقوله: (رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ) أي: برد (أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ) [آل عمران: 117].

وما أصاب العباد من مصيبة فبذنوبهم، وما يعفو الله عنه أكثر. كقوله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَت أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: 30].

ذكروا أن رجلاً قال لابن عباس: بتنا الليلة نمطر الضفادع. قال ابن عباس: صدقت، إن في السماء بحاراً.

قوله: ﴿ وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَّشَاءُ ﴾ أي: يصرف ذلك البرد عمن يشاء. ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ﴾ أي: ضوء برقه ﴿ يَذْهَبُ بِالأَبْصَـرِ ﴾.

ذكروا عن عروة بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأى أحدكم البرق أو الودق فليسبحن الله ولينعت[3].

---

(1) كذا في المخطوطات وفي سع وفي ز: «ينشىء السحاب» وأصل الإزجاء هو الدفع والسوق برفق. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 67: (يُزْجِي سَحَاباً) أي: يسوق، وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 256: «وقوله: (يُزْجِي سَحَاباً) يسوقه حيث يريد، والعرب تقول: نحن نزجي المطيَّ أي: نسوقه. اللهم إلا أن أراد المؤلف الإشارة إلى قوله تعالى في سورة الرعد: (وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) الآية: 12.

(2) زيادة من ز، ورقة 54 ظ.

(3) كذا ورد هذا الحديث مرسلاً بلفظ: «فليسبحن الله وليبعث» في ب و ع وبلفظ: «فلا يشر إليه ولينعت» في سع ورقة 54 ظ. وفي الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 50 ما يلي: وأخرج الشافعي =

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: اطلبوا إجابة الدعاء عند ثلاثة مواضع: عند إقامة الصلاة، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الجيوش[1].

قوله: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [هو أخذ كل واحد منهما من صاحبه كقوله: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [فاطر: 13] قال][2]: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ أي: لذوي الأبصار، وهم المؤمنون الذين أبصروا الهدى.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل شيء خلق من ماء[2].

قوله: ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ﴾ أي: الحيّة ونحوها ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك. وإنما قال: (فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي) على كذا، ومنهم من يمشي على كذا، خلق الله كثير. قال: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 8].

قال: ﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المنافقين ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من بعد أن يقولوا (ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا) ﴿ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لأنهم تولوا عن العمل بما أقروا لله وللرسول به.

قوله: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي: عن الإجابة إلى حكم الله وحكم رسوله وكتابه، يعني المنافقين الذين يقرّون ولا يعملون.

= عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: إذا رأى أحدكم البرق أو الودق فلا يشير إليه وليصف ولينعت.

(1) أخرجه ابن سلام هكذا: «وحدثني إبراهيم عن عبد العزيز بن عمر عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ. . . وأخرجه البيهقي في المعرفة كذلك عن مكحول مرسلاً.

(2) أخرجه ابن سلام بسند هكذا: «وحدثنا همام عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ؛ ولم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث.

قال: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ قال مجاهد: مذعنين سزاعاً.

ذكروا عن الحسن قال: كان الرجل منهم يكون بينه وبين الرجل من المؤمنين خصومة، فيدعوه إلى النبي عليه السلام، فإن علم أن الحق له جاء معه إلى النبي عليه السلام، وإن علم أنه عليه لم يجىء معه إلى النبي، فأنزل الله: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ).

قال: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ على الاستفهام، أي: في قلوبهم مرض النفاق وكفر النفاق ﴿ أَمِ ارْتَابُوا ﴾ فشكّوا في الله وفي رسوله، على الاستفهام، أي: قد فعلوا. ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾ والحيف الجور، أي: قد خافوا ذلك. ﴿ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: ظلم النفاق [1].

عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من دعي إلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له[2].

قوله: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُومِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾. فهذا قول المؤمنين، وذلك القول الأول قول المنافقين. قال: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيكمل فرضه فيما تعبّده به من القول والعمل ﴿ وَيَخْشَ اللهَ ﴾ أي: فيما مضى من ذنوبه ﴿ وَيَتَّقِهِ ﴾ أي: فيما بقي ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ أي: الناجون من النار إلى الجنة.

---

(1) ورد تفسير هذه الآية في ب و ع مضطرباً مع بعض التكرار فأثبت تصحيحه من سع ورقة 55 و ومن ز ورقة 235. وجاء في ب و ع في تفسير قوله: (أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) ما يلي: «أي: لم يخافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله، وإنما خافوا عدلهما عليهم».

(2) كذا ورد هذا الحديث في ب و ع، وفي سع ورقة 55 و، جاء في أوله: «من كان بينه وبين آخر خصومة فدعاه إلى حكم. . .» ورواه السيوطي في الدر المنثور ج 5 ص 54 بلفظ: «من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه. . .» وذكره ابن كثير في تفسير ج 5 ص 116 وقال عنه: وهذا حديث غريب وهو مرسل.

قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ يعني المنافقين ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ أي: إلى الجهاد معه، أي: اقسموا ولم يستثنوا، وفيهم الضعيف والمريض، ومن يوضع عنه الخروج ممن له العذر.

قال الله: ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُوا ﴾ أي: لا تحلفوا. ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ أي: خير. وهذا إضمار، أي: طاعة معروفة خير مما تُضمِرون من النّفاق. ﴿ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُل أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أي: في كل ما تعبّدكم به فأكمِلوه، وأوفوا به أجمع. ثم قال: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: عن الوفاء بما أقرّوا لك به[1] ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾ يعني الرسول ﴿ مَا حُمِّلَ ﴾ أي: من البلاغ ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ أي: من طاعته في جميع ما كلّفكم منها.

ذكروا أن يزيد بن سلمة[2] قام للرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إذا كان علينا أمراء، أخذونا بالحق ومنعوناه، كيف نصنع؟ فأخذ الأشعث بثوبه فأجلسه، [ثم قام فعاد أيضاً، فأخذ الأشعث بثوبه][3] فقال: لا أزال أسأله حتى يجيبني أو تغيب الشمس، فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم[4].

---

(1) كذا في ب و ع، ويبدو أن هذا سهو من ناسخ، والأصح أن تكون العبارة هكذا: «عما أقررتم له به»، ففي سع ورقة 55 ط وفي ز: «فإن أعرضتم عنها» على تقدير: فإن تتولوا. وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين. انظر معاني الفراء ج 2 ص 258، فقد بيّن المعنى أحسن بيان وفصل فيه القول بما لا مزيد عليه، وانظر كذلك تفسير الطبري ج 18 ص 158.

(2) كذا في المخطوطات «يزيد بن سلمة»، وفي صحيح مسلم «سلمة بن يزيد». وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ج 2 ص 644 اختلاف الرواة في اسمه هل هو سلمة بن يزيد أو يزيد بن سلمة، وأورد اسمه في موضعين: في باب سلمة، وفي باب يزيد. وهو يزيد بن سلمة بن مشجعة، كوفي، روى عنه علقمة بن قيس.

(3) زيادة من سع ورقة 55 و.

(4) الحديث صحيح. أخرجه مسلم والترمذي، أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق عن وائل الحضرمي (رقم 1846).

قوله: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ وإن تطيعوه، يعني النبي عليه السلام ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴾ كقوله: (وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) [الأنعام: 107] أي: تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها.

قوله: ﴿ وَعَدَ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ أي: لينصرنّهم بالإسلام حتى يظهرهم على الدّين كلّه فيكونوا الحكامَ على أهل الأديان.

ذكروا عن ميمون بن مهران الجزري أن عمر بن عبد العزيز قال: الله أجل وأعظم من أن يتخذ في الأرض خليفة واحداً، والله يقول: (وَعَدَ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ)، ولكني أثقلكم حملاً][1].

قال: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ كقوله: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ)، فارس والروم، (فَآوَيٰكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) [الأنفال: 26].

قال: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الفَٰسِقُونَ ﴾. يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت فأولئك هم الفاسقون، أي: فسق الشرك.

قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ أي: الصلوات الخمس. وإقامتها أن يُحافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ يعني الزكاة المفروضة ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أي: فيما أمركم ودعاكم إليه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: فإنكم ترحمون إذا فعلتم ذلك[2].

قوله: ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَيٰهُمُ النَّارُ ﴾ أي: لا

(1) زيادة من سع ورقة 55 و.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 69: «(لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ): واجبة من الله».

تحسبنّهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنحاسبهم، وحسابهم أن يكون مأواهم النار ﴿ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المرجع والمأوى، أي: المنزل.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَـْذِنْكُمُ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَالذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّنْ قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ وهو نصف النهار عند القائلة ﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَاء ثَلَـٰثُ عَـوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج وهو الإثم ﴿ بَعْدَهُنَّ طَـوَّٰفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الأَيَـٰتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهن الساعات التي يخلو فيهن الرجل بأهله لحاجته منها.

فأما قوله: (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) فهم المملوكون: الرجال والنساء الذين يخدمون الرجل في بيته، ومن كان من الأطفال المملوكين الذين لم يبلغوا الحلم.

قال: (وَالذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) يعني الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئاً، وكذلك من كان مثلهم من المملوكين، إلا الصغار الذين لا يحسنون الوصف إذا رأوا شيئاً من الأحرار والمملوكين، فلا ينبغي لهؤلاء الكبار والذين لا يحسنون الوصف أن يدخلوا في هذه الثلاث ساعات إلا بإذن، إلا أن لا يكون للرجل إلى أهله حاجة[1]. ولا ينبغي له إذا كانت له إلى أهله حاجة أن يطأ أهله ومعه في البيت من هؤلاء أحد. فلذلك لا يدخلون في هذه الثلاث ساعات إلا بإذن.

قال: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ) أي: حرج (بَعْدَهُنَّ) أي: بعد هذه الثلاث ساعات، أن يدخلوا بغير إذن. (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) أي: يدخلون بغير إذن، (بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَـٰتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

ذكروا عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: دخلت على ابن عباس فأراني وصيفة له خماسية فقال: ما تدخل عليّ هذه في هذه الثلاث ساعات إلا بإذن.

(1) وردت هذه العبارة فاسدة وناقصة في ب و ع، فأثبت التصحيح من سع و ز.

ذكروا عن الحسن عن رجل قال له: إنا قوم تجار، نسافر هذه الأسفار، وتكون مع أحدنا الجواري، ويكون معه خباء، وهن معه في الخباء، فهل يطأ واحدة منهن وهن معه في الخباء[1] فغضب، وقال: لا.

قوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَـلُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني من احتلم. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره.

قوله: ﴿وَالقَوَٰعِـدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: التي قعدت عن المحيض والولد ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾ أي: اللاتي لا يردن نكاحاً، قد كبُرن عن ذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍ بِزِينَةٍ﴾ أي: غير متزيّنة ولا متشوّفة. [قال قتادة: رخص للتي لا تحيض ولا تحدث نفسها بالأزواج أن تضع جلبابها][2] وأما التي قعدت عن المحيض ولم تبلغ هذا الحدّ فلا. والجلباب الرداء الذي يكون فوق الثياب، وإن كان كساء أو ساجاً[3] أو ما كان من ثوب.

قال: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ يعني اللاتي لا يرجون نكاحاً عن ترك الجلباب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾ قال الكلبي: إن أهل المدينة قبل أن يسلموا كانوا يعتزلون الأعمى والأعرج والمريض ولا يواكلونهم. وكانت الأنصار فيهم تنزّه وتكرّم، فقالوا: إن الأعمى لا يبصر طيّب الطعام، والأعرج لا يستطيع الزحام عند الطعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصحيح، فاعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون أن عليهم في مواكلتهم

(1) كذا في ع وب، وفي سع ورقة 55 ظ: «إنا قوم تجار نسافر ونشتري الجواري فننزل في الخباء فيكن جميعاً أفيغشى الرجل منا جارية من جواريه في الخباء وهن فيه؟...»

(2) زيادة من ز ورقة 33، وقد سقطت في ب وع وسع أيضاً، ولا بد من إثباتها حتى يكون لشرح معنى الجلباب الآتي معنى.

(3) الساج هو الطيلسان الكثيف. انظر اللسان: (سوج).

جناحاً. وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلّنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم، فاعتزلوا مواكلتهم، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ أي: ليس عليكم حرج في ذلك ولا على الذين تأثموا من أمرهم، ليس عليهم في ذلك حرج.

وبعضهم يقول: كان قوم من أصحاب النبي عليه السلام يغزون ويخلفون على منازلهم من يحفظها، فكانوا يتأثّمون أن يأكلوا منها شيئاً. فرخّص لهم أن يأكلوا منها.

وقال بعضهم: كانوا يخلفون عليها الأعمى والأعرج والمريض والزمني الذين لا يخرجون في الغزو فرخّص لهم أن يأكلوا منها.

وقال بعضهم: مُنِعت البيوت زماناً؛ كان الرجل لا يتضيّف[1] أحداً ولا يأكل في بيت أحد تأثماً من ذلك[2].

[قال يحيى بلغني أن][3] ذلك كان حين نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: 29] فكان أول من رخّص الله له الأعمى والأعرج والمريض، ثم رخص الله لعامّة المؤمنين؛ فقال:

﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ فلا بأس أن يأكلوا من بيوت هؤلاء بغير إذن.

قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ قال بعضهم: هم الذين خُلِّفوا على تلك المنازل وجعلت مفاتحها بأيديهم. وقال بعضهم: هم المملوكون الذين هم خزنة على بيوت

(1) يقال أضفتُ الرجلَ وضَيَّفْتُه إذا أنزلتَه بك ضيفاء وقَرَيْتَه. وضِفتُ الرجلَ ضِيافة إذا نزلتَ عليه ضيفاً. وكذلك تضيّفتُه.

(2) انظر في أسباب نزول الآية روايات عددها الواحدي في أسباب النزول ص 343 - 344.

(3) زيادة من سع ورقة 56 و حتى ينسب كل قول إلى صاحبه.

مواليهم. قال الحسن: ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ أي: خزائنه، أي: مما كنتم عليه أمناء.

قوله: ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [قال قتادة: فلو أكلت من بيت صديقك عن غير مؤامرته لكان الله قد أحل لك ذلك][1].

ذكروا عن الحسن أنه سئل عن الرجل يدخل بيت أخيه، يعني صديقه، فيخرج صاحب البيت، فيرى صديقه الشيء من الطعام في البيت، أيأكله بغير إذنه؟ فقال: كُلْ من طعام أخيك.

قال الحسن [بن دينار]: كنا في بيت قتادة[2] ونحن جماعة فأُتينا ببُسر، فتناول رجل من القوم بسرات فأمسكهن، ثم قال: يا أبا الخطاب، إني قد أخذت من هذا البسر. فقال: هو لك حلال وإن لم تذكره لي، لأنك مؤاخيّ.

قال بعضهم[3]: لم يذكر الله في هذه الآية بيوت الابن، فرأيت أن النبي عليه السلام إنما قال للابن: أنت ومالك لأبيك[4] من هذه الآية؛ لأنه قال: ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ ولم يقل: أو بيوت أبنائكم. ثم ذكر ما بعد ذلك من القرابة حتى ذكر الصديق ولم يذكر الابن.

قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾ قال بعضهم: كان بنو

---

(1) زيادة من سع ورقة 56 و.

(2) في ب و ع: جاءت الرواية هكذا: «قال الحسن كنا عند رجل من الصحابة في بيته»، وهو خطأ محض، فإن قتادة، وهو الذي يكنى أبا الخطاب، لم يكن صحابياً، فأثبت التصحيح من سع كما وردت في ورقة 56 و. وهذا نموذج من الاضطراب والخلط في الروايات كما تكررت في ب و ع.

(3) هو يحيى بن سلام كما ورد ذكر اسمه في ز وفي سع. وهذا دليل على تفقهه في الدين وقوة استنباطه ونفاذه إلى أسرار القرآن.

(4) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده (رقم 2291) عن جابر بن عبد الله، وفي الباب حديث آخر (رقم 2290) ترويه عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم.

كنانة بن خزيمة يرى أحدهم أنّ محرّماً عليه أن يأكل وحده في الجاهلية، حتى أن الرجل لَيَسوق الذَّوْدَ الحُفَّل[1] وهو جائع فلا يأكل أو يشرب حتى يجد من يؤاكله ويشاربه، فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا. أي: إن دخل على قوم سلّم عليهم، وإن كان رجل واحد سلّم عليه.

قوله: (فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) أي: على إخوانكم، أي: يسلّم بعضكم على بعض.

وإذا دخل الرجل بيته سلّم عليهم. [وقال قتادة: إذا دخلت فسلّم على أهلك فهم أحق من سلّمت عليه، فإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه كان يؤمر بذلك، حدثنا أن الملائكة ترد عليه][2].

وإذا دخل الرجل المسجد قال: بسم الله، سلام على رسول الله ﷺ، اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك. فإن كان مسجداً كثير الأهل سلّم عليهم، يُسمع نفسَه، وإن كان قليل الأهل سلّم عليهم، يُسمعهم التسليمَ، وإن لم يكن فيه أحد قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام علينا من ربّنا.

وإذا دخل بيتاً غير مسكون مما قال الله: (فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ) وهي الفنادق ينزلها الرجل المسافر ويجعل فيها متاعه، فإذا دخل البيت قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام علينا من ربنا.

[خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: يسلّم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير.

---

(1) الذَّوْدُ هي الإبل ما بين الثلاث إلى العشر. والحُفَّل منها: الممتلئة ضروعها لبناً.

(2) ما بين المعقوفين زيادة من سع ورقة 56 و لتمام الفائدة.

وقال أيضاً: يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير[1].

[قال يحيى: يعني][2] ويسلم راكب الدابة على راكب البعير، ويسلم الفارس على صاحب الحمار والبغل.

وقال بعضهم: إذا سلّم رجل على القوم فردّ رجل منهم أجزأ عنهم، وإذا كانوا ناساً فسلم رجل منهم على المجلس أجزأ عنهم[3].

وكان الحسن يقول: كان النساء يسلّمن على الرجال ولا يسلم الرجال على النساء. وكان ابن عمر يسلّم على النساء، وغير واحد من السلف أنهم كانوا يسلّمون على النساء.

قال بعضهم: إذا كان النساء على الطريق فلقيهن الرجل جلس النساء ويسلم الرجل، وإن كانت فيهم امرأة فدخلت ردّت السلام على الرجال من بينهن، وكان ردها السلام عمن بقي منهن[4].

ذكروا أن رسول الله ﷺ مرّ بغلمان فسلّم عليهم[5].

---

(1) وردت ألفاظ هذين الحديثين بتقديم وتأخير في ب و ع، غير مرفوعين إلى رسول الله ﷺ، والصواب أنهما صحيحان متفق عليهما، أخرجهما البخاري في كتاب الأدب، أخرج الأول منهما البخاري في باب تسليم الراكب على الماشي، وأخرج الثاني في باب تسليم القليل على الكثير، وأخرجهما مسلم في كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي، والقليل على الكثير (رقم 2160) وكلا الحديثين من رواية أبي هريرة عندهما.

(2) زيادة من سع ورقة 56 ظ.

(3) وردت هذه الجمل ناقصة في ب و ع فأثبتها من سع ورقة 56 ظ حيث جاءت حديثاً لرسول الله ﷺ رواه زيد بن أسلم مرسلاً ولم أجده مرفوعاً فيما بين يدي من كتب الحديث.

(4) هذه الفقرة غير واردة في سع ولا في ز، وهي مما انفردت بروايتها ب و ع على ما فيها من غموض فكيف تجلس النساء على الطريق ويسلم الرجل؟.

(5) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان عن أنس بن مالك (رقم 2168) وكذلك فعل ثابت البناني اتباعاً لفعل أنس، وفعله أنس اقتداء بالنبي ﷺ.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: السلام اسم من أسماء الله[1]

ذكروا عن ابن مسعود قال: السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم، فإن المرء إذا مر بالقوم، فسلم عليهم، فردوا عليه كانت له عليهم فضيلة ودرجة بأنه ذكرهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منه وأطيب، وهم الملائكة عليهم السلام[2].

ذكروا أن رجلاً كان يمشي مع أبي هريرة قال: فمررنا بقوم فسلّمنا عليهم، قال: فلا أدري أشغلهم الحديث أو ما منعهم أن يردّوا السلام، فقال أبو هريرة: سلام ربي والملائكة أحبّ إليّ.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: للمسلم على المسلم من المعروف ست خصال: يسلم عليه إذا لقيه، ويشمّته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب أو شهد، ويشهد جنازته إذا مات[3].

قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُومِنُونَ الذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ أي: الجمعة والعيدين والاستسقاء وكل شيء تكون فيه الخطبة ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَاذِنُوهُ ﴾ أي: يستأذنوا الرسول عليه السلام. ﴿ إِنَّ الذِينَ يَسْتَاذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الذِينَ يُومِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: مصدّقين بالله ورسوله، عاملين بجميع فرائضه، غير منافقين ولا منتقصين لشيء من فرائض الله التي فرضها عليهم.

﴿ فَإِذَا اسْتَاذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾ يريد الغائط والبول[4]، ولكن الله كنّى عن

---

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 458 تعليق: 1.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود، وأول الحديث الذي نسب إلى ابن مسعود هنا موقوفاً هو حديث صحيح، رواه البزار والبيهقي مرفوعاً، كما رواه البخاري في الأدب المفرد.

(3) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز عن أبي هريرة بتقديم وتأخير في ترتيب الخصال الست، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز أيضاً، باب ما جاء في عيادة المريض، (رقم 1433) عن علي، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردّ السلام، عن أبي هريرة.

(4) الصحيح أنها الحاجات أياً كانت، فقد تعرض لهم حاجات من أمور دنياهم يستأذنون الرسول لقضائها.

ذلك ﴿ فَأْذَن لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ وقد أوجب الله على النبي والإمام بعده أن يأذن لهم، ولكن الله أراد بذلك إكرام النبي عليه السلام وإعظام منزلته. فإذا كانت لرجل حاجة قام حيال الإمام، وأمسك بأنفه وأشار بيده.

قال: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال بعضهم: إنها نسخت الآية في براءة: (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ) [التوبة: 44]. وهي عنده في الجهاد، لأن المنافقين كانوا يستأذنونه في المقام عن الغزو بالعلل الكاذبة، فرخّص الله للمؤمنين أن يستأذنوه إذا كان لهم عذر.

وبعضهم يقول: (إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) أمر طاعة.

قوله: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾ أي: لا تقولوا: يا محمد، ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، في لين وتواضع وتودّد.

أمرهم الله أن يعظّموا الرسول، ويعظّموا حرمته ولا يستخفوا بحقه[1]، وأمرهم أن يجيبوه لما دعاهم إليه من الجهاد والدين.

قوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً ﴾ أي: فراراً من الجهاد في سبيل الله، يعني المنافقين، يلوذ بعضهم ببعض استتاراً من النبي عليه السلام حتى يذهبوا.

قال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: عن أمر الله، يعني المنافقين ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: بلية ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: وجيع. أي: أن يستخرج الله ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهروه ويتباينوا به، فيصيبهم بذلك العذاب الأليم، أي: القتل.

هو كقوله: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ) وكل هؤلاء منافقون، لئن لم ينتهوا ويكفوا عن إظهار نفاقهم وإرجافهم

(1) كذا في ب، وفي ع: «ولا يستخفوا به».

(لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) يا محمد (ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا) أي: في المدينة (إلاَّ قَلِيلاً) ثم قال: (مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) قال: (سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) [الأحزاب: 60 - 62] أي: من قبلك يا محمد من الأنبياء، يقول: هكذا كانت سنة الله في منافقي أمتك: القتل إن لم ينتهوا ويكفوا؛ فانتهوا وكفّوا، فكفّ رسول الله ﷺ عن قتالهم[1].

قوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: من النفاق، يعني المنافقين ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ يقول للنبي: ويوم يرجعون إليه، أي: يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُهُمْ ﴾ أي: فيخبرهم ﴿ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي: من النفاق والكفر ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي: فلا أعلم منه سبحانه.

(1) هذه الفقرة كلها غير واردة في سع ولا في ز، فهي من زيادات الشيخ هود الهواري ولا شك.

تفسير سورة الفرقان
وهي مكية كلها

قوله: ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ وهو من باب البركة[1] كقوله: (تَعَالَىٰ) أي: ارتفع. قوله: (الذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ) أي: القرآن. وفُرقانه حلاله وحرامه، وفرائضه وأحكامه.

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ أي: ينذرهم النار وعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة إن لم يؤمنوا.

قال: ﴿ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾.

ذكر بعضهم قال: كل شيء بقدر حتى هذه، ووضع طرف أصبعه السبابة على طرف لسانه ثم وضعها على ظفر إبهامه اليسرى.

قوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ﴾ أي: من دون الله ﴿ ءَالِهَةً ﴾ يعني الأوثان ﴿ لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي: لا يصنعون شيئاً، أي: إنهم يصنعونها بأيديهم.

ذكر بعضهم في قوله: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) يعني أصنامهم التي عملوها بأيديهم (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: 95 - 96] أي: بأيديكم. قوله:

(1) في ز، ورقة 237 ما يلي: «ومعنى البركة عند أهل اللغة الكثرة في كل ذي خير». والقول لابن أبي زمنين. وهو مروى أيضاً عن ابن عباس، وانظر مختلف معاني الكلمة في اللسان: (برك) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 262: «وهو من البركة، وهو في العربية كقولك تقدس ربنا. والبركة والتقدس: العظمة، وهما بعد سواء».

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ﴾ يعني الأوثان ﴿ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوٰةً ﴾ أي: لا يميتون أحداً ولا يحيون أحداً ﴿ وَلَا نُشُوراً ﴾ أي: ولا بعثاً، لا يملكون شيئاً من ذلك.

قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا ﴾ يعنون القرآن ﴿ إِلَّا إِفْكٌ ﴾ أي: كذب ﴿ افْتَرَيٰهُ ﴾ يعنون محمداً عليه السلام ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ أي: اليهود في تفسير مجاهد. وقال الحسن: يعنون عبد ابن الحضرمي. وقال الكلبي: عبد ابن الحضرمي، وعداس غلام عتبة.

قال الله: ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴾ أي: أتوا شركاً وكذباً. والظلم ها هنا الشرك، والزور الكذب.

﴿ وَقَالُوا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم؛ أي: أحاديث الأولين ﴿ اكْتَتَبَهَا ﴾ يعنون محمداً عليه السلام اكتتب أساطير الأولين من عبد[1] ابن الحضرمي. وقال الكلبي من عبد ابن الحضرمي وعداس غلام عتبة بن ربيعة. ﴿ فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ والأصيل العشي.

قال الله: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالُوا مَا لِ هَٰذَا الرَّسُولِ ﴾ [فيما يدعى أنه رسول][2] ﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴾ أي: فيصدقه بمقالته. ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ ﴾ فإنه فقير ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾. وبعض الكوفيين يقرأها: نأكل منها. ﴿ وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركين يعنيهم ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾.

---

(1) في المخطوطات: «عند» والصواب ما أثبته إن شاء الله لأنه كان «مولى» أي: عبداً «لبني الحضرمي» كما ذكرته بعض كتب التفسير.

(2) زيادة من سع 58 ظ، ومن ز ورقة 238.

قال الكلبي: بلغني أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام بن عتبة بن ربيعة في رهط من قريش قاموا من المسجد إلى دار في أصل الصفا، فيها نبي الله يصلي، فاستمعوا. فلما فرغ نبي الله من صلاته قال أبو سفيان: يا أبا الوليد، لعتبة، أناشدك الله، هل تعرف شيئاً مما يقول؟ فقال عتبة: اللهم إني أعرف بعضاً وأنكر بعضاً. [فقال أبو جهل: فأنت يا أبا سفيان، هل تعرف شيئاً مما يقول؟ فقال: اللهم نعم، فقال أبو سفيان لأبي جهل: يا أبا الحكم، هل تعرف مما يقول شيئاً][1] فقال أبو جهل: لا والذي جعلها بنية، يعني الكعبة، ما أعرف ما يقول قليلاً ولا كثيراً، و(إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً).

قوله: ﴿ أَنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَـٰلَ ﴾ يعني قولهم: (إِنْ هَـٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَيٰهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ) وقولهم: (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا)، وقولهم: مَا لِ هَـٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) وقولهم: ساحر وشاعر وكاهن ومجنون، و(لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيراً أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا). قال الله: (أَنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ).

قال: ﴿ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ أي: مخرجاً من الأمثال التي ضربوا لك، في تفسير مجاهد[2].

قوله: ﴿ تَبَارَكَ الذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّنْ ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾ فإنما قالوا هم: جنة واحدة ﴿ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً ﴾ أي: في الدنيا إن شاء، وهذا على مقرأ من قرأها ولم يرفعها، ومن قرأها بالرفع: ويجعلُ لك قصوراً، أي: في الآخرة.

قال: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ أي: بالقيامة ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

---

(1)زيادة من سع 58 ظ لا بد من إثباتها حتى يستقيم المعنى بمشاركتهم كلهم في السؤال والجواب، وقد سقط ما بين المعقوفين كله من ب و ع.

(2)زيادة من ز ورقة 238، وقد جاء في تفسير مجاهد ص 447: «يقول: لا يستطيعون مخرجاً يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك».

سَعِيراً ﴾ والسعير اسم من أسماء جهنم.

قوله: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [قيل][1]: مسيرة خمسمائة سنة ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً ﴾ أي: عليهم ﴿ وَزَفِيراً ﴾ أي: صوتها.

قوله: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا ﴾ أي: في النار ﴿ مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزّجّ على الرمح، وقوله: (مُقَرَّنِينَ)، أي: هو وشيطانه الذي كان يدعوه إلى الضلالة في سلسلة واحدة، يلعن كل منهما صاحبه، ويتبرّأ كل واحد منهما من صاحبه.

قوله: ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ أي: ويلاً وهلاكاً. ﴿ لاَ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً ﴾ ويلاً وهلاكاً واحداً ﴿ وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً ﴾ [أي: ويلاً كثيراً وهلاكاً طويلاً][2].

ثم قال على الاستفهام: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ أي: إن جنة الخلد خير من ذلك ﴿ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً ﴾ أي: بقدر أعمالهم ﴿ وَمَصِيراً ﴾ أي: يصيرون إليها وتكون لهم منزلاً ومثوى.

﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً ﴾ أي: سأل المؤمنون الله الجنة فأعطاهم إياها. وقال بعضهم: سألت الملائكة الله للمؤمنين الجنة، وسؤالهم ذلك كان في سورة حمٓ المؤمن إذ قالوا: (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ...) إلى آخر الآية [غافر: 8].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ﴾. وهذا على الاستفهام، وقد علم أنهم لم يضلّوهم، يقوله للملائكة في

(1) زيادة يقتضيها سياق المعنى، فإنه لم يرد في ذلك نصٌّ قطعيٌّ.

(2) زيادة من سع ورقة 59 و. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 71: «(دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً) أي هلكة، وهو مصدر، ثُبِر الرجلُ، أي: هلك. قال [ابن الزِّبعرى]:

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الغَـ ـيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ»

تفسير الحسن. وقال مجاهد: يقوله للملائكة وعيسى وعزير. ونظير قول الحسن في هذه الآية: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهْؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ) أي: الشياطين من الجن. [سبأ: 40 - 41] ﴿ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾.

﴿ قَالُوا ﴾ قالت الملائكة في تفسير الحسن. وقال مجاهد: قالت الملائكة وعيسى وعزير: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ يُنزِّهون الله عن ذلك ﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا. وبعضهم يقرأها: (أن نُّتخذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَعْبُدُونَنَا مِنْ دُونِكَ).

﴿ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ في عيشهم في الدنيا بغير عذاب ﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ أي: حتى تركوا الذكر لما جاءهم في الدنيا. ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾. أي: فاسدين فساد الشرك. وقال مجاهد: هالكين.

قال الله لهم في الآخرة: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾. قال الحسن: يقول للمشركين: (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ) أي: إنهم آلهة.

وفي تفسير مجاهد قال: يكذبون المشركين بقولهم، إذ جعلوهم آلهة، فانتفوا من ذلك ونزّهوا الله عنه. وبعضهم يقرأها: (بِمَا يَقُولُونَ) يعني قول الملائكة في قول الحسن، وفي قول مجاهد: الملائكة وعيسى وعزير.

قال: ﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلاَ نَصْراً ﴾ قال الحسن: فما يستطيع الذين عبدوهم لهم (صَرْفاً)، أي: أن يصرفوا عنهم العذاب، (وَلاَ نَصْراً) أي: ولا ينصرونهم.

قوله: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنْكُمْ ﴾ أي: ومن يشرك منكم وينافق ﴿ نُذِقْهُ ﴾ أي: نعذّبه ﴿ عَذَاباً كَبِيراً ﴾ كقوله: (إِلاَّ مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ) [الغاشية: 23 - 24].

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ [أي: إلا

إنهم كانوا يأكلون الطعام][1]، كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: 8] أي: ولكن جعلناهم جسداً يأكلون الطعام. قال: ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فهذا جواب للمشركين حيث قالوا: ﴿مَا لِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للغني من الفقير، وويل للفقير من الغني، وويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد[2].

قال الحسن: ويل لهذا المالك إذ رزقه الله هذا المملوك، كيف لم يحسن إليه ويصبر، وويل لهذا المملوك الذي ابتلاه الله فجعله لهذا المالك كيف لم يصبر ويحسن. وويل لهذا الغني الذي رزقه الله ما لم يكرّم[3] هذا الفقير، كيف لم يحسن ولم يصبر، وويل لهذا الفقير الذي ابتلاه الله بالفقر ولم يعطه ما أعطى هذا الغني، كيف لم يصبر. وبقية الحديث على هذا النحو.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات[4].

---

(1) زيادة من سع 59 و. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 264: «(لَيَأْكُلُونَ) صلة لاسم متروك اكتفى بمن المرسلين منه، كقيلك في الكلام: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك».

(2) أورد ابن سلام هذا الحديث مرسلاً هكذا: «أبو الأشهب عن الحسن والمبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ. . .»، ولم أعثر عليه فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث. وروى السيوطي في الدر المنثور ج 5 ص 66 قال: «وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن عن النبي ﷺ قال: لو شاء الله لجعلكم أغنياء كلكم لا فقير فيكم، ولو شاء لجعلكم فقراء كلكم لا غنى فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض».

(3) كذا في ع، «يكرم»، وفي سع: «ما لم يرزق».

(4) ما نسب إلى الدرداء هنا ألفاظ شبيهة بحديث رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك =

وقال بعضهم: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ يعني الأنبياء وقومهم[1]. قال: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: لما عرض على آدم ذريته فرأى فضل بعضهم على بعض قال: يا رب، ألا سوّيت بينهم. قال: يا آدم إني أحبّ أن أُشكَر ليرى ذو الفضل فضلَه فيحمدني ويشكرني.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ وهم المشركون لا يقرون بالبعث[2]. ﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلاّ ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلَائِكَةُ ﴾ [فيشهدوا أنك رسول الله يا محمد ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ معاينة، فيخبرنا أنك رسول الله.

قال الله: ﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً ﴾ أي: وعصوا عصياناً كبيراً.

قال: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ ﴾ وهذا عند الموت ﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: للمشركين، وهذا جرم الشرك، أي: لا بشرى لهم يومئذ بالجنة. وذلك أن المؤمنين تبشرهم الملائكة عند الموت بالجنة. قال الله: ﴿ إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ ﴾ عند الموت ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ التِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: 30]. وتفسير مجاهد: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ ﴾ يوم القيامة.

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ أي: وتقول الملائكة: حرام محرم أن

= عن النبي ﷺ قال: ويل لمن لم يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولم يعمل مرتين. انظر مسند الربيع ابن حبيب باب في طلب العلم لغير الله عز وجل وعلماء السوء، (رقم 32) ج 1 ص 14.

(1) كذا في ع، وفي سع ورقة 59 ط: «يعني الرسل، على ما يقول لهم قومهم» وهو أوضح معنى.

(2) ولأبي عبيدة والفراء تأويل آخر. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 73: «﴿ وَقَالَ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ مجازه: لا يخافون ولا يخشون، وقال أبو ذؤيب:

إذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ»

تكون لهم الجنة. وقال مجاهد: ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ [يعني عوذاً معاذاً][(1)] أي: معاذ الله أن تكون لهم البشرى بالجنة.

قوله: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ أي: وعمدنا. وفي تفسير مجاهد: ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ أي: حسن، يعني المشركين ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ هَبَاءً مَّنْثُوراً ﴾ وهو الذي يتناثر من الغبار الذي يكون من أثر حوافر الدوابّ إذا سارت. وفي الآية: ﴿ هَبَاءً مُّنْبَثّاً ﴾ [الواقعة: 6] وهو الذي يدخل من الكوّة من ضوء الشمس. وتفسير مجاهد: ﴿ هَبَاءً مَّنْثُوراً ﴾ هو عنده هذا.

قوله: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً ﴾ أي: من مستقرّ المشركين ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ أي: مأوى ومنزلاً.

ذكر بعضهم قال: يجاء يوم القيامة برجلين كان أحدهما ملكاً في الدنيا إلى الحمرة والبياض[(2)] فيُحاسَب فإذا هو عبد لم يعمل خيراً فيؤمر به إلى النار، والآخر كان مسكيناً في الدنيا، أو كما قال، فيحاسب، فيقول: يا رب، ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به، فيقول: صدق عبدي فأرسلوه، فيؤمر به إلى الجنة. ثم يُتركان ما شاء الله، ثم يدعى صاحب النار، فإذا هو الحُممة السوداء، فيقال له: كيف وجدت مقيلك؟ فيقول: شرّ مقيل، فيقال له: عد. ثم يدعى صاحب الجنة فإذا هو مثل القمر ليلة البدر، فيقال له: كيف وجدت مقيلك؟ فيقول: ربّ، خير مقيل، فيقال له: عد.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: من لم يَقِل في الجنة يومئذ فليس هو من أهلها.

قال بعضهم: وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: إني لأعلم أي ساعة يدخل أهل الجنة الجنة، قبل نصف النهار حين يشتهون الغَداء.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾ أي: عن الغمام. هذا بعد البعث،

(1) وردت الجملة فاسدة في ع و ب فأثبتها كما جاءت في تفسير مجاهد ص 449.

(2) في ع: «مَلَك في الدنيا» وأثبت ما في سع. وكأن قوله: «إلى الحمرة والبياض» يعني به أثر النعيم الذي كان يُرى عليه في الدنيا.

تشقّق فتراها واهية متشققة، كقوله: ﴿ وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ﴾ [النبأ: 19]. ويكون الغمام شرايين السماء والأرض. قال: ﴿ وَنُزِّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ هو مثل قوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمْ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالمَلاَئِكَةُ ﴾ [البقرة: 210]، ومثل قوله: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر: 22].

قال: ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ ﴾ يخضع الملوك يومئذ لملك الله، والجبابرة لجبروت الله. ﴿ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيراً ﴾ أي: شديداً.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾، وهو أبيّ بن خلف، يأكلها ندامة يوم القيامة. ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ ﴾ أي: محمد ﴿ سَبِيلاً ﴾ إلى الله باتباعه بالإيمان.

﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَم أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً ﴾ أي: عقبة بن أبي معيط ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾ أي: عن القرآن ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾.

ذكروا عن مجاهد قال: كان أبيّ بن خلف يأتي النبي فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فهو قول أبيّ بن خلف في الآخرة: ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾.

وقال مجاهد في قوله: ﴿يَـٰوَيْلَتَـا لَيْتَنِي لَم أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً﴾ يعني به الشيطان.

قوله: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَـٰنُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ أي: يأمره بمعصية الله، ثم يخذله في الآخرة. كقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: 22].

قوله: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ ﴾ يعني محمداً ﷺ: ﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِيَ ﴾ يعني من لم يؤمن به ﴿ اتَّخَذُوا هٰذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ أي: هجروه فلم يؤمنوا به. وقال مجاهد: يُهجِرون بالقول فيه[1]، ويقولون: هو كذب. وقال بعضهم: إنما قال هذا محمد يشتكي قومه إلى ربه.

(1) جاء في ز ورقة 239 ما يلي: «وقال محمد: معنى قول مجاهد: جعلوه بمنزلة الهُجر، والهجر: =

قال الله يعزي نبيّه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: من المشركين ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً ﴾ إلى دينه ﴿ وَنَصِيراً ﴾ أي: للمؤمنين على أعدائهم.

قوله: ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ أي: كما أنزل على موسى وعلى عيسى. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ[1] لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾. [قال قتادة: وَبَيَّنَّاهُ تَبْيِيناً][2] نزل في ثلاث وعشرين سنة. ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ يعني المشركين مما كانوا يحاجونه به. قال: ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ أي: بياناً. وقال بعضهم: أحسن تفضيلاً.

قوله: ﴿ الذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً ﴾ أي: من أهل الجنة ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ أي: طريقاً في الدنيا، لأن طريقهم إلى النار وطريق المؤمنين إلى الجنة.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴾ أي: عويناً. وقال بعضهم: عضداً. وقال الحسن: شريكاً في الرسالة؛ وهو واحد، وذلك قبل أن تنزّل عليهما التوراة، ثم نزلت عليهما قبل، فقال: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً) [الأنبياء: 48] أي: التوراة، وفرقانها حلالها وحرامها وفرائضها وأحكامها.

قال: ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴾ أي: فكذبوهما فدمّرناهم تدميراً، يعني الغرق الذي أهلكهم

= الهذيان وما لا ينتفع به من القول. يقال: فلان يهجر في منامه، أي: يهذي».

(1) قوله (كذلك) من كلام الله. وقد جعله بعض المفسرين من كلام المشركين. وقد أورد الفراء في المعاني ج 2 ص 267 - 268 التأويلين معاً ولم يرجح أحدهما. وأرى أن ما ذهب إليه المؤلف هنا هو أصح التأويلين حتى يكون الرد على قول الكافرين أبلغ. أي: كذلك أنزلناه إليك يا محمد منجّماً متفرقاً لنثبت به فؤادك.

(2) زيادة من سع ورقة 60 ظ.

به، كقوله: (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ) [المؤمنون: 48] أي: من المعذبين بالغرق في الدنيا ولهم النار في الآخرة.

قوله: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح أيضاً بالغرق لما كذبوا الرسل بتكذيبهم نوحاً. قال: ﴿أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾ أي: لمن بعدهم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: للمشركين، يعنيهم[1]، ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً في الآخرة.

قوله: ﴿ وَعَاداً وَثَمُوداً ﴾ أي: وأهلكنا عاداً وثموداً، تبعاً للكلام الأول ﴿ وَأَصْحَـٰبَ الرَّسِّ ﴾ أي: وأهلكنا أصحاب الرس، وهو بئر في قول كعب. وقال الحسن: واد. وقال قتادة[2]: أهل فلح باليمامة وآبار[3].

قال بعضهم: وإن الذي أرسل إليهم شعيب، وإنه أرسل إلى أهل مدين وإلى أصحاب الرس جميعاً. ولم يبعث الله نبياً إلى أمتين غيره فيما مضى، وبعث الله نبينا محمداً ﷺ إلى الجن والإنس كلهم.

قوله: ﴿ وَقُرُوناً ﴾ أي: وأهلكنا قروناً، أي: أمة بعد أمة ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً ﴾. قال بعضهم: القرن سبعون سنة[4].

---

(1) في ب و ع وردت الكلمة هكذا: «بعينهم» وهو تصحيف صوابه ما في سع: «يعنيهم» أي: يعني مشركي قريش.

(2) في ب و ع: «وقال الحسن». وأثبت ما جاء في سع: «قال قتادة»، وهو ما جاء في تفسير الطبري أيضاً.

(3) كذا في ب و ع: «أهل فلح» بحاء مهملة، أي: أصحاب فلاحة وزراعة، وهو مصدر فلح الأرض إذا شقها للحرث. وفي سع ورقة 60 ظ: أهل فلج، ومن معاني الفلج النهر الصغير أو الماء الجاري من العيون، وجمعه أفلاج. وذكر في بعض التفاسير أن فلج مدينة كبيرة باليمامة. وذكر ياقوت في معجم البلدان (فلج) أنها فلج الأفلاج، ولعل الصواب ما ورد في سع فلج بمعنى المدينة وبها أفلاج كثيرة.

(4) جاء في ب: «القرن تسعون سنة» فأثبت ما جاء في سع ورقة 60 ط: «سبعون سنة». وهو قول لقتادة. وقال آخرون: القرن أربعون سنة.

قال: ﴿ وَكُلًّا ﴾ يعني من ذكر ممن مضى ﴿ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَـلَ ﴾ أي: خوفناهم واحتججنا عليهم وبيّنّا لهم ﴿ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ﴾ أي: أفسدنا فساداً. وقال بعضهم: وكلا أهلكنا هلاكاً، يعني إهلاكه الأمم السالفة بتكذيبهم رسلها.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ اتَوْا ﴾ يعني مشركي العرب أتوا ﴿ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ يعني قرية لوط. ومطر السوء الحجارة التي رمى بها من كان خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم. قال: ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ أي: فيتفكروا ويحذروا أن ينزل عليهم ما نزل بهم. أي: بلى، قد أتوا عليها ورأوها. مثل قوله: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [الصافات: 137 - 138] قال: ﴿ بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً ﴾ أي: لا يخافون بعثاً ولا حساباً.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾ يعني الذين كفروا ﴿ إن يَّتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُـزُؤاً أَهَذَا الذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾ أي: فيما يزعم، يقوله بعضهم لبعض ﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ يعنون أوثانهم ﴿ لَوْلاَ أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ أي: على عبادتها. قال الله: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ ﴾ في الآخرة ﴿ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ أي: إنهم كانوا أضل سبيلاً من محمد.

قوله: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَنهُ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: [هو المنافق يصيب هواه، كلما هويَ شيئاً فعله][1]. قوله: اتخذ هواه إلهاً، يعني المشرك. قوله: ﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ أي: حفيظاً تحفظ عليه عمله حتى تجازيه به، أي: إنك لست بربّ، إنما أنت نذير.

قوله: ﴿ أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ ﴾ أي: فيما يعبدونه ﴿ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ من الأنعام.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ قال الحسن: (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ

---

(1) زيادة من سع ورقة 60 ظ. وهذا هو قول الحسن، لا ما ذكر بعدُ ونسب إليه في ب و ع.

كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾ أي: لا يزول. قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ ﴾ أي: على الظل ﴿ دَلِيلاً ﴾ أي: تتبعه وتقبضه[1].

قال: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾ أي: يسيراً علينا. كقوله: (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) [العنكبوت: 19][2]. وقال مجاهد: (سَاكِناً) لا تصيبه الشمس ولا يزول. (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) أي: تحويه. (ثُم قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً) أي: حَوَى[3] الشمس إياه. وقال بعضهم: وذلك حين يقوم العمود نصف النهار حين لا يكون ظل؛ فإذا زالت الشمس رجع الظل فازداد حتى تغيب الشمس.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاساً ﴾ يعني سكناً يسكن فيه الخلق ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتاً ﴾ أي: يسبت فيه النائم حتى لا يعقل[4]. ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾ أي: ينتشر فيه الخلق لمعايشهم ولحوائجهم ولتصرّفهم.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً ﴾ أي: تلقح السحاب ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي: بين يدي المطر. [قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني المطر، ﴿ طَهُوراً ﴾ للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة.

قال: ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ ﴾ أي: بالمطر ﴿ بَلْدَةً مَّيْتاً ﴾ اليابسة التي ليس فيها نبات.

---

(1) كذا في ب و ع: «تتبعه وتقبضه»، وفي ز ورقة 240: «تتلوه وتتّبعه حتى تأتي عليه». وهذه العبارة أوضح. وجاء في سع ورقة61 و، بدلاً من العبارتين، «فظللت الشمس كل شيء».

(2) هذا وجه من وجوه التأويل. وقد ذهب آخرون إلى تأويل آخر؛ وهو أن الله يقبض إليه الظل بعد غروب الشمس قبضاً يسيراً. أي: قبضاً خفياً، شيئاً بعد شيء. وقد فصّل ابن قتيبة هذا التأويل الأخير تفصيلاً حسناً وقال عنه: هو «أجمع للمعاني وأشبه بما أراد». انظر ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص 314 - 315.

(3) لم أجد هذا المصدر في كتب اللغة وإن كان القياس الصرفي لا يمنعه. بل ذكرت المعاجم: «حوى الشيء يحويه حيّاً وحَوَاية واحتواء». كما في اللسان.

(4) أصل معنى السبت الاستراحة والسكون. وقيل معناه: قطع الحركة، فكأن النوم قطع للأعمال. وانظر اللسان: (سبت).

﴿ وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَـٰماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني المطر ﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾.

ذكروا عن ابن عباس قال: ما عام بأكثر مطراً من عام، أو قال: ماء، ولكن الله يصرفه حيث يشاء][1] ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا)[2] قال الحسن: فيكونوا متذكرين بهذا المطر فيعلمون أن الذي أنزل هذا المطر الذي يعيش به الخلق وينبت به النبات في الأرض اليابسة قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾ يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، مطرنا بنوء كذا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لو حبس الله المطر عن أمتي عشر سنين، ثم صبه عليهم لأصبحت طائفة من أمتي يقولون: مطرنا بنوء مذحِج[3].

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يدعهن الناس: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء[4].

---

(1) ما بين المعقوفين كله ساقط من ب و ع، وأثبته من سع ورقة 61 و، و ز ورقة 240.

(2) انظر بعض معاني هذا التصريف في تفسير القرطبي ج 13 ص 57.

(3) لم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث، وقد أخرجه ابن سلام، بهذا السند: «وحدثنا حماد عن عمرو بن دينار عن عساب بن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ. . .» الحديث، ويؤيد معنى الحديث ما أخرجه مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه من أبواب الاستسقاء عن زيد بن خالد الجهني من حديث قدسي جاء فيه: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. ومذحج هو مالك بن أدد، وولده من رجال سعد العشيرة». انظر ابن دريد، الاشتقاق، ص 397. والنوء هو سقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر في المشرق يقابله، ويعتقد العرب أن المطر ينزل بفعلها، فينسبون إليها الأمطار، وبذلك كفروا. وهذا من اعتقاد أهل الجاهلية، وجاء الإسلام فحرّم كل هذا. انظر بعض التفاصيل في ذلك في اللسان: (نوأ).

(4) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الجنائز: باب التشديد في النياحة (رقم 934) عن أبي =

قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً ﴾ أي: رسولاً ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: فيما ينهونك عنه من طاعة الله. ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ أي: شديداً. وهذا الجهاد إنما هو باللسان يومئذ بمكة قبل أن يؤمر بقتالهم.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ أفاض أحدهما على الآخر في تفسير مجاهد، يعني العذب والمالح[1]. ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ أي: حلو ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي: مر. ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً ﴾ أي: حاجزاً لا يغلب المالح على العذب ولا العذب على المالح في تفسير مجاهد. قوله: ﴿ وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ أي: حراماً محرماً أن يغلب أحدهما على الآخر. وقال الحسن: فصلاً مفصّلاً.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً ﴾ أي: خلق الله آدم من الطين، والطين كان من الماء[2] ﴿ فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾ قال بعضهم ذكر الله الصهر مع النسب، وحرّم الله من النسب سبع نسوة وحرّم من الصهر سبع نسوة. قال: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ) فلا يتزوّج الرجل أمّه ولا أمّ امرأته، ولا يجمع بينهما ولا يتزوّجها بعدها، ولا ابنته ولا ابنة امرأته، إلا أن يكون دخل بأمها، فإنه يتزوّجها بعدها، ولا يجمع بينهما. قال: (وَأَخَوَاتُكُمْ) فلا يتزوّج أخته ولا أخت امرأته، ولا يجمع بين الأختين. قال: (وَعَمَّاتُكُمْ) فلا يتزوّج عمّته ولا عمّة امرأته، لا يجمع بين امرأته وعمّتها. قال: (وَخَالَاتُكُمْ) فلا يتزوج خالته ولا خالة امرأته، لا يجمع بين امرأته وخالتها. قال: (وَبَنَاتُ الْأَخِ) فلا يتزوّج الرجل ابنة أخيه ولا ابنة أخي امرأته،

= مالك الأشعري ولفظه: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة».

(1) قال أبو عبيدة في المجازج 2 ص 77: « (وَهُوَ الذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) إذا تركت الشيء وخليته فقد مرجته، ومنه قولهم: مرج الأمير الناس، أي: خلاهم بعضهم على بعض. . . وفي الحديث: مرجت عهودهم وأماناتهم أي: اختلطت وفسدت».

(2) هذا وجه من التأويل، ولأبي عبيدة وجه آخر أقرب إلى الصواب، قال: «مجازه خلق من النطف البشر، وفي آية أخرى: (مِن مَّاءٍ دَافِقٍ) أي: نطفة».

لا يجمع بين امرأته وابنة أخيها. قال: (وَبَنَاتُ الأُخْتِ) [النساء: 23] فلا يتزوّج الرجل ابنة أخته ولا ابنة أخت امرأته، لا يجمع بين امرأته وبين بنت أختها. فهذه أربع عشرة نسوة حرّمهن الله، سبع من النسب، وسبع من الصهر.

قال: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ أي: قادراً على كل شيء.

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ ﴾ يعني الأوثان ﴿ وَكَانَ الكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾ أي: عويناً. ظاهر الشيطان على ترك ما أمر به في تفسير الحسن. وقال بعضهم: هو أبو جهل بن هشام أعان الشيطان على النبي عليه السلام.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ مبشّراً بالجنة ونذيراً من النار ومن عذاب الله في الدنيا إن لم يؤمنوا.

قوله: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِنَ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أي: إنما جئتكم بالقرآن ليتخذ به من آمن إلى ربه سبيلاً بطاعته. أي: يتقرّب به إلى الله[1].

قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ قال الحسن: بمعرفته وقال بعضهم: تأويل الحي: الفعّال. ﴿ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [أي: ملك الرحمٰن العرش. وقال بعضهم: الاستواء هو الملك، والقدرة قدر الله، قدر على التمكن][2]. هو الحي الذي لا يموت، هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش. قال: ﴿ الرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ أي: خبيراً بالعباد.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ يعني المشركين ﴿ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ على الاستفهام، أي: لا نفعل. وهي تقرأ بالتاء والياء. فمن قرأها

(1) انظر معنى الاستثناء في الآية حسبما بيّنه أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 78.
(2) العبارات التي بين المعقوفين مما انفردت به مخطوطة ب، وكأني بها من زيادات بعض النساخ.

بالتاء: تأمرنا، فهم يقولونه للنبي، ومن قرأها بالياء فيقول: يقوله بعضهم لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد. ﴿ وَزَادَهُمْ ﴾ أي: قولهم لهم اسجدوا للرحمٰن ﴿ نُفُوراً ﴾ أي: عن القرآن.

قوله: ﴿ تَبَارَكَ الذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً ﴾ والبروج النجوم[1] ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرٰجاً﴾ يعني الشمس ﴿ وَقَمَراً مُنِيراً ﴾ أي: مضيئا. وهي تجري في فلك دون السماء. قوله: (الذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ)، والسماء كل ما ارتفع. وقال في آية أخرى: (أَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ) [النحل: 89] أي: مرتفعات متحلّقات.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي جَعَلَ الَّيْـلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَّذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾. ذكروا عن الحسن قال: من عجز في الليل كان له في النهار مستعتَب، ومن عجز في النهار كان له في الليل مستعتَب[2]. وقال مجاهد: يعني سواد الليل وبياض النهار.

قوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ﴾ قال الحسن ومجاهد: بالسكينة والوقار.

وقال بعضهم: إن الله مدح المؤمنين وذمّ المشركين فقال: (وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) أي: حلماء، وأنتم أيها المشركون، لستم بحلماء.

قوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَـٰهِلُونَ قَالُوا سَلٰماً﴾ ذكروا عن الحسن قال: حلماء، إن جُهِل عليهم لم يجهلوا[3].

(1)هذا قول قتادة والحسن. وقال ابن عباس: إن البروج هي منازل الشمس والقمر، ويبدو لي أن هذا التفسير أنسب في هذه الآية وفي أول سورة البروج.

(2)أي: وقت استعتاب، أي: طلب العُتبى بالطاعة والذكر والاستغفار. يقال: استعتبته فأعتبني، أي: استرضيته فأرضاني. وانظر اللسان: (عتب).

(3) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 272 في تفسير الآية: «كان أهل مكة إذا سبّوا المسلمين =

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَـماً﴾ أي: يصلّون، وأنتم أيها المشركون لا تصلون.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أصيبوا من الليل ولو ركعتين، ولو أربعاً[1].

[وقال بعضهم][2]: بلغنا أنه من صلّى من الليل ركعتين فهو من الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

قال: ﴿ وَالذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾ قال الحسن: قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم.

وبعضهم يقول: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) أي: لزاماً، وهو مثل قول الحسن، إلا أنه شبهه بالغريم يلزم غريمه. وبعضهم يقول: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) أي: انتقاماً.

قال: ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً ﴾ أي: بئس المستقر هي. وقال الحسن: إن أهلها لا يستقرّون فيها، كقوله: (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) [الغاشية: 3]، أعملها الله وأنصبها في النار. وقال: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ) [الرحمٰن: 44] فهم في ترداد وعناء. قال: ﴿ وَمُقَاماً ﴾ أي: ومنزلاً.

قوله: ﴿ وَالذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُقْتِرُوا ﴾ لم يسرفوا أي: لم ينفقوا في معصية الله، ولم يقتروا على النفقة في طاعة الله. ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ هذه النفقة نفقة الرجل على أهله[3].

= ردّوا عليهم ردّاً جميلاً قبل أن يؤمروا بقتالهم». والصحيح أن الآية أعم معنى من ذلك لأنها من صفات المؤمنين في كل زمان ومكان.

(1) رواه ابن سلام كما في سع ورقة 61 ط هكذا: «وحدثني همام عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: صلوا من الليل ولو ركعتين ولو أربعاً»، ولم أعثر على هذا الحديث في كتب السنة.

(2) زيادة لا بد منها: والقول لابن سلام.

(3) القَوام هو الوسط والعدل بين طرفين، وهما هنا الإسراف والإقتار. قال الفراء في المعاني ج 2 =

ذكروا أن هذه أنزلت في أصحاب النبي عليه السلام، وصفهم الله بهذه الصفة. [كانوا لا يأكلون طعاماً يريدون به نعيماً، ولا يلبسون ثوباً يريدون به جمالاً، وكانت قلوبهم على قلب واحد][1].

قوله: ﴿ وَالذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ ﴾. وأنتم أيها المشركون تدعون مع الله آلهة. قال: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: لما نزل في قاتل المؤمن وفي الزاني وأشباه ذلك ما نزل قال أصحاب النبي: أينا لم يزن، أينا لم يفعل، وتخوّفوا أن يُؤخذوا بما كان منهم في الجاهلية. فأنزل الله: (وَالذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ) أي: بعد إسلامهم، (وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)، أي: بعد إسلامهم، (وَلَا يَزْنُونَ) أي: بعد إسلامهم. وأنزل قوله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) أي: بالشرك والكبائر الموبقة (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ) إن تبتم إليه (إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) لمن تاب إليه، الرحيم به إذ جعل له متاباً، أي: مرجعاً ومخرجاً. (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) [الزمر: 53 - 54] يغفر لكم ما كان منكم في الجاهلية. وأنزل الله في هذه الآية: (وَالذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ).

قوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾ قال بعضهم: نكالاً. وقال بعضهم: كنا نُحدَّث أنه واد في جهنم.

قال: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحاً فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

ذكر الحسن في قوله في سورة [طه: 82: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ) أي: من الشرك، (وَءَامَنَ) أي: أخلص الإيمان لله (وَعَمِلَ صَالِحاً) أي: في إيمانه. وقال

= ص 273: «والقَوام قَوام الشيء بين الشيئين. ويقال للمرأة: إنها لحسنة القَوام في اعتدالها. ويقال: أنت قِوام أهلك، أي: بك يقوم أمرهم وشأنهم، وقِيَام، وقِيَم، وقيِّم، في معنى قِوام».

(1) زيادة من سع ورقة 61 ط.

بعضهم: إلا من تاب من ذنبه، وآمن: أي بربه، وعمل عملاً صالحاً، أي: فيما بينه وبين الله. قوله: (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) أي: يبدّل الله مكان الشرك الإيمان، ومكان العمل السيء العمل الصالح.

[وقال بعضهم: فأما التبديل في الدنيا فطاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه، والخير يعمله بعد الشر][1].

قوله: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً ﴾ أي: يقبل الله توبته إذا تاب قبل الموت. كقوله في سورة النساء: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ: إِنِّي تُبْتُ الآنَ) [النساء: 18]. ويقال: تقبل التوبة من العبد ما لم يغرغر.

قوله: ﴿ وَالذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ والزور الشرك والنفاق والعمل السيء [وقال بعضهم: (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ): أي: لا يحضرون مجالس الكذب والباطل][2] قوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾ أي: بالباطل ﴿ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ أي: ليسوا من أهله. [وقال بعضهم: (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) أي: لا يشهدون أهل الباطل على باطلهم ولا يمالئونهم فيه][1].

قوله: ﴿ وَالذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِئَايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴾ أي: لم يصمُّوا عنها ولم يعمُوا عنها.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: أعواناً على طاعة الله. وتفسير الحسن: أن يروهم مطيعين لله.

قوله: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً أي: قادة في الخير ودعاة هدى يؤتم بنا.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) كقوله: (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ) [سبأ: 37]

(1) زيادة من سع ورقة 62 و، وهو من قول قتادة.

(2) زيادة من سع أيضاً. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 273: «يقول: لا يحضرون مجالس الكذب والمعاصي ويقال: أعياد المشركين لا يشهدونها لأنها زور وكذب».

﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي: على طاعة الله وعن معصية الله. ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ تَحِيَّةً وَسَلٰماً﴾ التحية: السلام، والسلام: الخير الكثير كقوله: (سَلَامٌ هِيَ) [القدر: 5] قال مجاهد: (سَلَامٌ هِيَ) أي: خيرٌ هي كلها (حَتَّىٰ مَطْلَعِ الفَجْرِ) يعني ليلة القدر.

قوله: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً ﴾ أي: قرارهم فيها. ﴿ وَمُقاماً ﴾ أي: ومنزلاً.

قوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي) أي: ما يفعل بكم ربي ﴿ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ أي: لولا عبادتكم وتوحيدكم وإخلاصكم[1]. كقوله: (فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [الزمر: 14] قال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾ أي: أخذاً بالعذاب، يعذبهم يوم بدر، فألزمهم الله يوم بدر عقوبة كفرهم وجحودهم، يعذبهم بالسيف.

ذكر بعضهم قال: بلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: قد مضت البطشة الكبرى: يوم بدر، واللزام، والدّخان، وهو الجوع الذي كان أصابهم بمكة، والروم، والقمر، يعني قوله: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) [القمر: 1]. وأما الروم فإنهم غلبوا فارساً، وغلب المسلمون المشركين في يوم واحد. وقوله: (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر: 45] أي: يوم بدر. وقوله: (حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) [المؤمنون: 77] يوم بدر، وقوله: (العَذَابِ الأَدْنَىٰ) [السجدة: 21] يوم بدر، وقوله: (وَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ) [الطور: 47] يوم بدر. وقوله: (قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) [السجدة: 29]. وقال الحسن: هي النفخة الأولى بها يهلك كفار آخر هذه الأمة، أعاذنا الله من الهلاك.

(1) هذا من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: «لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام» كما أورده الفراء في المعاني ج 2 ص 275، أي: إلى عبادته وتوحيده وإخلاص الدين له. وهذا وجه حسن من أوجه التأويل اختاره المؤلف. وفي تفسير مجاهد ص 457: «يقول: مَا يَفْعَلُ بِكُمْ رَبِّي (لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) إياه، وأن تعبدوه وتطيعوه». وفي تفسير الطبري ج 19 ص 55: «لتعبدوه وتطيعوه». وانظر أوجهاً أخرى لتأويل الآية في تفسير القرطبي ج 13 ص 84.

تفسير سورة الشعراء
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ طَسٓمٓ ﴾ قال بعضهم: هو اسم من أسماء الكتاب، يعني القرآن. وقال الحسن: لا أدري، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون فيها وأشباهها: أسماء السور ومفاتحها. وقال بعضهم: اسم من أسماء القرآن، أقسم به ربك.

قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَـٰبِ﴾ أي: هذه آيات القرآن ﴿ المُبِينِ ﴾ أي: البيّن.

قوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: قاتل نفسك ﴿ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لعلك قاتل نفسك إن لم يكونوا مؤمنين، فلا تفعل.

قوله: ﴿ إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ ﴾ أي: فصارت ﴿ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا ﴾ أي: للآية ﴿ خَـٰضِعِينَ﴾ أي: فظلوا خاضعين لها أعناقهم. وهذا تفسير مجاهد[1]. وذلك أنهم كانوا يسألون النبي عليه السلام أن يأتيهم بآية، فهذا جواب لقولهم.

---

(1) كذا في ب و ع، وفي سع، وهو الصحيح إن شاء الله. وقد أشار الفراء في المعاني ج 2 ص 276 - 277 إلى قول مجاهد هذا عندما ذكر وجوه العربية في هذه الجملة فقال: «أولها أن مجاهداً جعل الأعناق: الرجال الكبراء، فكانت الأعناق ها هنا بمنزلة قولك: ظلت رؤوسهم، رؤوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين، للآية». وقال الفراء: بعد أن ذكر وجهاً آخر: «وأحب إليّ من هذين الوجهين من العربية أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعلت الفعل أولاً للأعناق، ثم جعلت (خَاضِعِينَ) للرجال». وانظر تفسير الطبري ج 19 ص 59 - 62، ومجاز أبي عبيدة ج 2، ص 81 - 82.

قوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ أي: كلما نزل من القرآن شيء جحدوا به.

قال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ أَنْبَاءُ ﴾ أي: أخبار ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: في الدنيا. وهو عذاب النار، أي: فسيأتيهم تحقيق ذلك الخبر بدخولهم النار.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الأَرْضِ كَم أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: من كل صنف حسن. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. وهذا على الاستفهام. أي: قد رأوا كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم، أي: مما رأوا.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ﴾ لمعرفة بأن الذي أنبت هذه الأزواج قادر على أن يحيي الموتى. قال: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ يعني من مضى من الأمم.

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو العَزِيزُ الرَّحِيمِ ﴾[1] أي: العزيز في نقمته، الرحيم بخلقه، فأما المؤمن فيتم عليه الرحمة في الآخرة، وأما الكافر فهو ما أعطاه في الدنيا، فليس له إلا رحمة الدنيا، وهي زائلة عنه، وليس له في الآخرة نصيب.

قوله: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائتِ القَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ أي: فليتّقوا الله.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ فلا ينشرح، أي: فلا يتّسع لتبليغ الرسالة ﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ أي: للعقدة التي كانت في لسانه. ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَى هَـٰرُونَ ﴾ كقوله: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّن أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) [طه: 25 - 32] ففعل الله ذلك به، وأشركه معه في الرسالة.

(1)من هذه الآية الكريمة أبدأ مقارنة ما لدي من مخطوطتي ب و ع ومصورة سع، بمصورة مخطوطة ابن سلام من مكتبة حسن حسني عبد الوهاب التي تحمل رقم 18653 في المكتبة الوطنية بتونس، وأرمز لها بحرفي السين والحاء هكذا: سح.

وهي تقرأ على وجهين: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ بالرفع، ووجه آخر بالنصب: ﴿ وَيَضِيقَ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقَ لِسَانِي ﴾ أي: إني أخاف أن يكذّبون وأخاف أن يضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني.

قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾ يعني القبطي[1] الذي قتله خطأً حيث وكزه فمات. قال: ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ ليسوا بالذين يصلون إليك[2] حتى تبلّغ عن الله الرسالة.

ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ فَاذْهَبَا بِئَايَتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ كقوله: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: 46]. ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ ﴾ يقول لموسى وهارون ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾ وهي كلمة من كلام العرب؛ يقول الرجل للرجل: من كان رسولك إلى فلان، فيقول: فلان وفلان وفلان.

قوله: ﴿ أَنَ ارْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴾ ولا تمنعهم من الإيمان ولا تأخذ منهما الجزية. وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا. وهو كقوله: ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ ﴾ [الدخان: 18] يعني بني إسرائيل.

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ أي: عندنا صغيراً. ذكر بعضهم قال: بلغنا عن ابن عباس أن موسى لما دخل على فرعون عرفه عدوُّ الله فقال: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ أي: لم تدّعِ هذه النبوّة التي تدعيها اليوم.

وقال: بلغنا أنه لما دخل على فرعون قال له: من أنت؟ قال: أنا رسول الله. قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن من أنت؟ وابن من أنت. قال له: أنا موسى بن عمران. فقال له: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾.

---

(1) كذا في سع ورقة 63 و، وفي ز 242: «يعني القبطي»، وفي سح ورقة 2: «وقال قتادة: يعني النفس التي قتل، يعني القبطي الذي قتله خطأ». وفي ب و ع: «يعني القتيل، وكلها بمعنى واحد، مما يدل على اختلاف النسخ الأصلية التي نسخت منها المخطوطات الموجودة بين أيدينا الآن.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع، و ز، و سح: «يصلون إلى قتلك حتى تبلغ عني الرسالة».

قوله: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴾ أي: وقتلت النفس التي قتلت. ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: لنعمتنا، أي: إنا ربّيناك وأحسنّا إليك. وقال الحسن: وأنت من الكافرين بأني إلـه.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ أي: من الجاهلين، أي: لم أتعمّد قتله. ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ يعني حيث توجّه تلقاء مدين. ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً ﴾ يعني النبوّة ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ لقول فرعون له وأنت من الكافرين لنعمتنا. ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَٰءِيـلَ﴾ موسى يقوله لفرعون، أراد ألا يسوّغ، أي: ألا يجوز، عدو الله ما امتنّ به عليه، فقال: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) واتخذت قومي عبيداً وكانوا أحراراً، وأخذت أموالهم فأنفقت عليّ من أموالهم وربّيتني بها، فأنا أحقّ بأموال قومي منك.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبُّ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُم مُّوقِنِينَ ﴾ ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ أي: إلى ما يقول.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ جواباً لقوله في أول الكلام: (وَمَا رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ). ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. وهذا تبع للكلام الأول: (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ).

﴿ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذتَّ إِلَـٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ أي: من المخلدين في السجن[1].

---

(1) كذا في ب وع، وفي سع. سح: «لأخلدنك في السجن».

﴿ قَالَ ﴾ له موسى: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن. ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: حيّة أشعر ذكر، تكاد تسترط فرعون عدو الله؛ اغرزت ذنبها في الأرض ورفعت صدرها ورأسها، وأهوت إلى عدوّ الله لتأخذه؛ فجعل يميل ويقول: خذها يا موسى، خذها. فأخذها موسى.

قال: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ أي: أدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها فهو قوله: (وَنَزَعَ يَدَهُ) أي: أخرج يده. ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ تعشى البصر من بياضها. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح.

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ ﴾ فرعون يقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: بالسحر. ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

فأراد قتله؛ فقال له أصحابه: لا تقتله فإنما هو ساحر، ومتى ما تقتله أدخلت على الناس في أمره شبهة. ولكن ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أي: أخّره وأخاه في تفسير الحسن. وقال بعضهم: احبسه وأخاه. ﴿ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ أي: يحشرون عليك السَّحَرة ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: بالسحر.

قال الله: ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ وهو قوله: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) [طه: 59] يوم عيد لهم كان يجتمع فيه أهل القرى والناس، فأراد موسى عليه السلام أن يفضحه على رؤوس الناس.

قال: ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: قاله بعضهم لبعض: ﴿ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِن لَنَا لأجراً ﴾ على الاستفهام. ﴿ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي: في العطية والقربة والمنزلة، في تفسير الحسن، وقال بعضهم: في العطية والفضيلة.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ أي: تسترط حبالهم وعصيّهم.

لما ألقوا حبالهم وعصيّهم خُيِّل إلى موسى أن حبالهم وعصيّهم حيات كما كانت عصا موسى. فألقى موسى عصاه فإذا هي أعظم من حياتهم. ثم رَقَوا فازدادت حبالهم وعصيهم عِظماً في أعين الناس. فجعلت عصا موسى تعظم وهم يرقون، حتى أنفدوا سحرهم فلم يبق منه شيء؛ وعظمت عصا موسى حتى سدّت الأفق. ثم فتحت فاهاً فابتلعت ما ألقوا. ثم أخذ موسى عصاه بيده فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت. فهو قوله: (فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ).

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ ﴾ أي: أصدقتموه ﴿ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ أي: كبيركم في السّحر ورأسكم ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا ﴾ أي: بأن كنا ﴿ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من السحرة. [قال بعضهم: أول المؤمنين من بني إسرائيل لما جاء به موسى][1].

قال بعضهم: كانوا أول النهار سَحَرة وآخره شهداء.

قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ أي: ليلاً. وقد قال في آية أخرى: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً) [الدخان: 23]. قال مجاهد: إن موسى وبني إسرائيل لما خرجوا تلك الليلة كسف القمر، وأظلمت الأرض. قال: ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَٰشِرِينَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾.

---

(1) زيادة من سح ورقة 5.

قال بعضهم: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين قطع بهم موسى البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل، بني عشرين سنة فصاعداً. وقال الحسن: سوى الحشم.

وقال بعضهم: كان مقدمة فرعون على ألف ألف حصان ومائتي ألف حصان. وقال بعضهم: ذكر لنا أن جميع جنوده كانوا أربعين ألف ألف[1].

قال: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ أي: متسلّحون. وبعضهم يقرأها: (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ). يقول: معِدّون[2]. وبعضهم يقول: حذرون، أي: في القوة والعدّة والسلاح.

قال: ﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ ﴾ أي: وأموال ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: منزل حسن. قال: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كذلك كان الخبر، في تفسير الحسن.

وقال بعضهم: (كَذَٰلِكَ) أي: هكذا، ثم انقطع الكلام. ثم قال: ﴿ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه في تفسير الحسن.

---

(1) كذا وردت هذه الأعداد في المخطوطات الأربع ب و ع و سح و سع، ينقلها الرواة وينتسخها النساخ بدون تمحيص أو تحقيق. وقد لاحظ ابن خلدون هذا في أول باب من مقدمته: فضل علم التاريخ، فقال: «وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالطات في الحكايات والوقائع... فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر...». انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 1 ص 13. ولولا أمانة النقل ما أجرينا بمثل هذه الأخبار قلماً ولا سوّدنا بها بيضاء. وحسبنا أن نذكر أننا ننكر مثل هذه الأخبار ولا نصدقها.

(2) كذا في ع: «معِدون» وله وجه من التأويل: أي معِدون العدة. وفي سع ورقة 63 ط، وفي سح: «مقوون». ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً صوابه: «مؤْدون» فقد قال الفراء في المعاني ج 2 ص 280: «إن ابن مسعود قرأ (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) يقولون: مؤْدون في السلاح، يقول: ذوو أداة من السلاح. (وَحَذِرُونَ) وكأن الحاذر الذي يحذرك الآن. وكأن الحذِر: المخلوق حذِراً لا تلقاه إلا حذِراً». وإذا صح ما جاء في سع وفي سح: «مقوون» فيكون المعنى مقوّون بالعدّة التي نعدها. انظر اللسان: (حذر) و (أدا) وفيه: «آدى الرجل: أي: قوي، فهو مؤد، بالهمز، أي: شاك السلاح». وانظر تفسير الطبري، ج 19 ص 77 - 78.

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ أي: اتبع فرعون وجنوده موسى حين أشرقت الشمس. رجع إلى أول القصة: (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) أي: حيث اتّبعوا بني إسرائيل صباح الليلة التي سَرَوا فيها حين أشرقت الشمس.

قوله: ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَا الجَمْعَانِ ﴾ أي: جمع موسى وجمع فرعون ﴿ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾، ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ أي: الطريق.

قال بعضهم: ذكر لنا أن مؤمناً من آل فرعون كان بين يدي نبي الله موسى يسير ويقول: أين أمرت يا رسول الله؟ فيقول له موسى: أمامك، فيقول له المؤمن: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: والله ما كَذِبت ولا كُذبت. ثم يسير ساعة ثم يلتفت. فيقول: أين أمرت يا رسول الله؟ فيقول: أمامك. فيقول: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: والله ما كذبت ولا كذبت، حتى دخلوا البحر.

قوله: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ ﴾ جاءه جبريل عليه السلام على فرس فأمره أن يضرب البحر بعصاه، فضربه موسى بعصاه ﴿ فَانْفَلَقَ ﴾ البحر ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ ﴾ أي: كالجبل العظيم. [صار اثني عشر طريقاً، لكل سبط طريق، وصار ما بين كل طريقين منه مثل القناطر][1]. ينظر بعضهم إلى بعض.

قال: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ أي: أدنينا فرعون وقومه إلى البحر[2]. قال: ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾. أي: لما خرج آخر

(1) زيادة من ز ورقة 243، ومن سع ورقة 63 ظ.

(2) كذا في جميع المخطوطات: «وازلفنا» أي: «وادنينا»، والتأويل صحيح لأن من معاني «أزلف» قرّب. ومنه قوله: (وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي: قربت وأدنيت. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 87: «(وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخِرِينَ) أي: وجمعنا، ومنه ليلة المزدلفة، والحجة فيها أنها ليلة جمع. وقال بعضهم وأهلكنا».

أصحاب موسى ودخل آخر أصحاب فرعون البحر أمر الله البحر فالتأم[1] عليهم فغرقوا.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ أي: لعبرة لمن اعتبر وحذر أن ينزل به ما نزل بهم. قال: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ[2] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: واقرأ عليهم ﴿ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: خبر إبراهيم ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا ﴾ أي: فنقيم لها ﴿ عَٰكِفِينَ ﴾ أي: عابدين.

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ أي: هل يسمعون دعاءكم إذا دعوتموهم لرغبة يعطونكموها أو لضر يكشفونه عنكم. أي: إنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر. ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فلم تكن لهم حجة إلا هذا القول، وليس بحجة.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ يقول: أنتم وآباؤكم الأقدمون عدو لي إلا من عبد رب العالمين من آبائكم الأولين فإنه ليس لي بعدو. وهذا في تفسير الحسن. وقال الكلبي: يعني ما خلطوا بعبادتهم رب العالمين فإنهم عدو لي[3].

---

(1) كذا في ب و ع: «التأم» وفي سع ورقة 63 ظ، وسح ورقة 7: «تغطمط البحر عليهم» أي: اضطربت أمواجه بشدة. «والغطمطة: صوت السيل في الوادي» كما جاء في اللسان: (غطمط).

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 278: «وقوله في كل هذه السورة: (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) في علم الله، يقول: لهم في القرآن وتنزيله آية ولكن أكثرهم في علم الله لن يؤمنوا».

(3) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 281: « قوله: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) أي: كل آلهة لكم فلا أعبدها إلا ربّ العالمين فإني أعبده. ونصبه بالاستثناء، كأنه قال: هم عدوّ غير معبود إلا ربّ العالمين فإني أعبده، وإنما قالوا: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي) أي: لو عبدتهم كانوا لي يوم القيامة ضداً وعدوّاً».

قال: ﴿ الذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ أي: الذي خلقني وهداني هو الذي يطعمني ويسقيني. ﴿ وَإِذَا مَرِضتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾، ﴿ وَالذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ يعني البعث.

﴿ وَالذِي أَطْمَعُ ﴾ وهذا طمع اليقين ﴿ أَن يَّغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي: يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: يوم الحساب، وهو واحد. وقوله: (خَطِيئَتِي) يعني قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) [الصافات: 89] وقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا) [الأنبياء: 63]، وقوله لسارّة: إن سألوك فقولي إنك أختي. ذكروه بإسناد عن النبي عليه السلام[1].

قوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً ﴾ أي: ثبتني على النبوّة ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: أهل الجنة. ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾. فليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويحبّونه، وهي مثل قوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) [الصافات: 108] أي: أبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين.

قوله: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَّرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ وهو اسم من أسماء الجنة. ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ قال إبراهيم هذا في حياة أبيه، وكان طمع أن يؤمن، فلما تبيّن له أنه من أهل النار لم يدع له.

قوله: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ذكر الحسن قال: إن أبا إبراهيم يأخذ بحجزة إبراهيم يوم القيامة فيقول إبراهيم: يا رب، وعدتني ألا تخزني. فبينما هو كذلك أفلتت يده فلم يره إلا وهو يهوي في النار كأنه ضِبْعان أمدر[2]، فأعرض بوجهه، وأمسك بأنفه فقال: ربّ، ليس بأبي.

(1) وسنده كما جاء في سع ورقة 64 و، وفي سح ورقة 8: «قال يحيى: وحدّثنيه همّام عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ».

(2) لضِّبعان، بكسر أوله وسكون ثانيه، الذكر من الضباع. والأمدر العظيم البطن، المتنفخ الجنبين. وقيل: «الأمدر من الضباع: الذي في جسده لمع من سلحه، ويقال: لون له». انظر اللسان، والصحاح: (مدر).

ذكروا عن قيس بن عبادة قال: بينما الناس على باب الجسر، يعني جسر جهنم، إذ جاء رجل، وهو أحد عباد الله الصالحين ـ وذكر الحسن أن رسول الله ﷺ قال: هو أبو إبراهيم ـ قال قيس بن عباد: وهذا آخذ بيد أبيه فيقول: رب أبي، وقد وعدتني ألا تخزني. قال: فلا يزال كذلك حتى يحوّله في صورة ضِبعان أمدر، فيرسله فيقول: ربِّ، ليس بأبي.

قوله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي: من الشرك.

قوله: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: وأدنيت الجنة للمتقين ﴿ وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ أي: أظهرت الجحيم، أي: النار، للغاوين، أي: الضالين، والغاوون ها هنا الضالّون المشركون.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة ما عبدوا من دون الله. ﴿ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ ﴾ أي: هل يمنعونكم من عذاب الله. ﴿ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ أي: أو يمتنعون من عذاب الله.

قال: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا ﴾ أي: فقذفوا فيها[1]، يعني المشركين ﴿ هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ أي: الشياطين قال: ﴿ وَجُنودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ أي: من المشركين والمنافقين، وهم جميع جنود إبليس.

﴿ قَالُوا ﴾ يعني المشركين خاصة للشياطين ﴿ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي: المشركون والشياطين. وخصومتهم تَبَرُّؤُ بعضهم من بعض وَلَعْن بعضهم بعضاً:

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 87: «(فَكُبْكِبُوا فِيهَا) أي: طرح بعضهم على بعض جماعة جماعة». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 318: «أي: ألقوا على رؤوسهم، وأصل الحرف: كُبِبُوا من قولك: كببت الإناء، فأبدل من الباء الوسطى كافاً استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات...»، وقال الراغب الأصفهاني: «الكبّ: إسقاط الشيء على وجهه... والكبكبة تدهور الشيء على وجهه».

﴿ تَاللهِ ﴾، قسم. يقسمون بالله ﴿ إِنْ كُنَّا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: نتّخذكم آلهة.

قوله: ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: إلا الشياطين، أي: هم أضلونا، أي: لِمَا دعوهم إليه من عبادة الأوثان. ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَـٰفِعِينَ ﴾ أي: يشفعون لنا اليوم عند الله، أي: حتى لا يعذّبنا ﴿ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ أي: شفيق، في تفسير مجاهد، يحمل عنا من ذنوبنا كما كان يحمل ذو القرابة عن قرابته والصديق عن صديقه. كقوله: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [المدثر: 48] ﴿ فَلَو أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَكُونَ مِنَ الْمُومِنِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني نوحاً ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴾ أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ يأمرهم أن يتّقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به من الهدى ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ مِنَ أَجْرٍ إِن أَجْرِيَ ﴾ أي: إن ثوابي ﴿ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

﴿ قَالُوا أَنُوْمِنُ لَكَ ﴾ أي: أنصدّقك ﴿ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ أي: سفلة الناس وسقاطهم. ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بما يعملون. أي: إنما أقبل منهم الظاهر، وليس لي بباطن أمرهم علم. ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ ﴾ [يعني ما جزاؤهم][1] ﴿ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يعنيهم][1] ﴿ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَـٰنُوحُ﴾ أي: عما تدعونا إليه وعن ذمّ آلهتنا وشتمها ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ أي: لنرجمنك بالحجارة فلنقتلنك بها.

(1) زيادة من سع ورقة 64 ط، ومن سح ورقة 10.

﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً ﴾ أي: اقض بيني وبينهم، وإذا قضى الله بين النبي وبين قومه هلكوا. ﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤمِنِينَ ﴾ وهذا حيث أمر بالدعاء عليهم، فاستجيب لـه، فأهلكهم الله ونجاه ومن معه من المؤمنين.

قال: ﴿ فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ والمشحون: الموقر بحمله مما حمل نوح في السفينة من كل زوج اثنين ومن معه من المؤمنين. كان معه امرأته وثلاث بنين له: سام وحام ويافث ونساؤهم؛ فجميعهم ثمانية.

قال: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾ أي: بعد من أنجى في السفينة ﴿ الْبَاقِينَ ﴾ وهم قوم نوح. وفيها تقديم: ثم أغرقنا الباقين بعدُ.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني هوداً. ومن كذّب رسولاً واحداً فقد كذّب المرسلين كلهم. ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴾ أي: أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ أي: الله؛ يأمرهم أن يتقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ مِنْ أَجْرٍ إِنَ اَجْرِيَ ﴾ أي: ثوابي ﴿ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

﴿ أَتَبْنُونَ ﴾، على الاستفهام، أي: قد فعلتم ﴿ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ أي: بكل طريق في تفسير بعضهم، قال مجاهد: بكل فج، أي: طريق[1] بين جبلين ﴿ ءايَةً ﴾ أي:

(1) لفظ طريق غير موجود في تفسير مجاهد ولا في سع ولا في سح. ولعلها من زيادة بعض نساخ ب وع. ففي الدر المنثور «عن مجاهد: «بكل فج بين جبلين. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 88: « (بكل ريع) وهو الارتفاع من الأرض والطريق، والجميع أرياع وريعة». وهو ما قاله أيضاً ابن أبي زمنين في ز، ورقة 244، قال: «الريع الارتفاع من الأرض. قال الشماخ:

سَقَى دَارَ سُعْدَى حَيْثُ شَطَّ بِهَا النَّوَى		فَـأَنْعَمَ مِنْهَا كُـلُّ رِيعٍ وَفَـدْفَـدِ»

علماً ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ أي: تلعبون. قال: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ أي: البناء، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: القصور، ويقال: مصانع للماء[1] ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أي: في الدنيا، أي: لا تخلدون فيها. وقال بعضهم في بعض القراءة: وتتّخذون مصانع كأنكم تخلدون.

قوله: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ ﴾ أي: بالمؤمنين ﴿ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ أي: قتّالين[2]، تعْدُون عليهم. هود يقوله لهم؛ أي: أسرفتم في العقوبة.

﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم أخبرهم بالذي أمدّهم به فقال: ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَٰعِظِيـنَ ﴾ أي: أو لم تعظنا ﴿ إِنْ هَٰذَا ﴾ أي: الذي جئتنا به ﴿ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: تخلّقهم للكذب[3].

وقال بعضهم: إن هذا إلا خَلق الأولين، أي: هكذا كان الناس قبلنا، يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث عليهم ولا حساب. يعني هكذا كان الخَلق قبلنا ونحن مثلهم.

وبعضهم يقول: خلق الأولين: دين الأولين، يعنون ما هم عليه من الشرك. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أي: لا نبعث ولا نعذّب.

---

(1) كذا في ب.و.ع. وفي سع وسح: «مصانع للماء». وفي تفسير الطبري ج 19 ص 95: «مآخذ للماء»، والقول لقتادة. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 88: «وكل بناء مصنعة».

(2) كذا في ب وع وسع وسح، وفي ز ورقة 244: «قتالين بغير حق».

(3) يقال: تَخَلَّق الكذبَ واخْتَلَقه أي: افتراه وابتدعه. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 281: «قوله: (خُلُق الأولين) وقراءة الكسائي: (خَلْق الأولين). قال الفراء: وقراءتي: (خُلُق الأولين) فمن قرأ: (خَلق: يقول: اختلاقهم وكذبهم. ومن قرأ: (خُلُق الأولِينَ) يقول: عادة الأولين، أي: وراثة أبيك عن أول. والعرب تقول: حدثنا بأحاديث الخَلق، وهي الخرافات المفتعلة وأشباهها، فلذلك اخترت الخُلُق».

قال الله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني صالحاً ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴾ أي: أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: ألا تتقون الله، يأمرهم أن يتّقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ أي: إن ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ ﴾ على الاستفهام. أي: لا تتركون فيه. ﴿ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ أي: هشيم، أي: يتهشم إذا مُسّ، في تفسير مجاهد. وقال الحسن: رِخو. وقال بعضهم: ليّن، وقال الكلبي: لطيف، وهو الطلع ما لم ينشقّ[1].

قوله: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَرِهِينَ ﴾ أي: شرهين في تفسير مجاهد. من قِبل شره النفس. وقال الحسن: آمنين. وقال الكلبي: حذقين بصنعتها[2].

﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ. قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ أي: أنت من المخلوقين. قال الحسن ومجاهد: من المسحورين. وقال الكلبي: المسحّر الذي ليس له ملك ولا شيء.

---

(1) في ب و ع: «ومن النخل ما ينشق» وهو خطأ، والتصحيح من سع وسح. وقال أبو عبيدة: « (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) أي: قد ضمّ بعضه بعضاً، وهي النخل، وهو النخل، يذكر ويؤنث، وفي آية أخرى: (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)» [القمر: 20].

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 88: «فارهين أي: حذقين، وقال آخرون: فارهين أي: مرحين. وقال عدي بن وَداع العُقوى من العقاة بن عمرو بن مالك بن فهم من الأزد:

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت وإن تراني بخير فاره اللبب

أي: مرح اللبب. ويجور (فَرِهِينَ) في معنى فارهين». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 282: « (فَارِهِينَ): حاذقين، و (فَرِهِينَ) أشرين».

﴿ مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: بما جئتنا به. قالوا له: إن كنت صادقاً فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة، وكانت صخرة يصبون عليها اللبن في سنّتهم. فدعا الله فتصدّعت الصخرة، فخرجت منها ناقة عُشَرَاء[1] فنُتِجت فصيلاً.

﴿ قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ فكانت تشرب الماء يوماً ويشربونه يوماً.

قال بعضهم: كان إذا كان يوم شربها أضرت بمواشيهم وزروعهم، ولم تضرّ بشفاههم[2]، في قول الحسن؛ وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ولمواشيهم وأرضهم. وبعضهم يقول: كانوا يحلبونها يوم شربها، فإذا كان يوم شربهم كان اللبن لفصيلها. وقال بعضهم: ما ذُكِرَ لها لبن. وقال بعضهم: بلغنا أنها كانت تأتي الماء من فج وترجع من آخر، يضيق عليها الفج الأول إذا شربت.

قوله: ﴿ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ أي: لا تعقروها ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَـٰدِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾.

وكان أول سبب عقرهم إياها أنها كانت تضر بمواشيهم وأرضهم. كانت مواشيهم لا تقر مع الناقة؛ كانت المواشي إذا رأتها هربت منها. فإذا كان الصيف صافت الناقة بظهر الوادي في برده وخصبه وطيبه، ومضت مواشيهم إلى بطن الوادي في جدبه وحره. وإذا كان الشتاء شتت الناقة في بطن الوادي في دفئه وخصبه، وصعدت مواشيهم إلى ظهر الوادي في جدبه وبرده، حتى أضرّ ذلك بمواشيهم، للأمر الذي أراد الله بهم.

---

(1) ناقة عُشَراء، ونوق عشار وعشراوات، هي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر. ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع، وبعدما تضع أيضاً. ونُتِجَت الناقة: إذا ولدت.

(2) كذا وردت هذه العبارة في ب و ع و سع: «ولم تضر بشفاههم» ولست مطمئناً لها فلعل بها تصحيفاً. اللهم إلا إن كان معناها لم تضرّ بهم، فلم يعطشوا هم.

فبينا قوم منهم جلوس يشربون الخمر فَبِي الماء الذي يمزجون به، فبعثوا رجلاً يأتيهم بالماء، وكان يوم شرب الناقة، فرجع إليهم بغير ماء، وقال: حالت الناقة بيني وبين الماء. ثم بعثوا آخر فقال مثل ذلك. فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون، قد منعتنا الماء ومنعت مواشينا الرّعي، وأضرت بأرضنا. فانبعث أشقاها فعقروها وقتلوها فتذامروا[1] وقالوا: عليكم بالفصيل. وصعد الفصيل القارَة؛ والقارَة: الجبل[2]. قال الحسن: وكان ذلك عن رضى منهم.

فقال لهم صالح: (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) [هود: 65] قال بعضهم: ذكر لنا أن صالحاً حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنصاع والأكسية وأطلوا فقال لهم: آية ذلك أن تصفر وجوهكم في اليوم الأول، وتحمَرُّ في اليوم الثاني، وتسوَدُّ في اليوم الثالث. فلما كان اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة. وقال: يا رب أمي، يا رب أمي، فأرسل الله عليهم العذاب عند ذلك.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني لوطاً ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ ﴾ أي: أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: ألا تتقون الله، يأمرهم أن يتّقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ أي: إن ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَٰلَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ

(1) في ب و ع: «فتوامروا» وأصله التآمر بمعنى التشاور، وفي سع ورقة 65 و، وسح ورقة 14: «فتذامروا» وتذامر القوم: تلاوموا وحض بعضهم بعضاً. وفي ز، ورقة 245: «وتصايحوا» والراجح عندي ما أثبته: تذامروا.

(2) كذا في ب و ع و سع و سح القارَة، وجمعها قارّ وقُور، وهي الأكمة، وفي ز: وصعد الفصيل

أَزْوَٰجِكُم﴾ أي: أقبال النساء. وهذا على الاستفهام، أي: قد فعلتم. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ أي: من قريتنا، أي: نقتلك ونخرجك منها قتيلاً. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبغضين. ثم قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وأهله أمته المؤمنون.

قال الله: ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَـٰبِرِينَ﴾ أي: غبرت، أي: بقيت في عذاب الله، لم ينجها. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: قوم لوط وامرأته معهم. وكانت منافقة [تظهر للوط الإيمان وهي على الشرك][1].

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً﴾ قال بعضهم: أمطر الله على قرية قوم لوط حجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ أي: فبئس مطر المنذرين، أي: أنذرهم لوط فلم يقبلوا فأصاب قريتَهم الخسفُ وأصابت الحجارةُ من كان خارجاً من القرية وأهل السفر منهم، وأصاب العجوزَ حجرٌ فقتلها.

قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني شعيباً. وكان شعيب ﷺ بعث إلى أمتين[2]. والأيكة: الغيضة[3].

---

(1) زيادة من سع ورقة 65 و.

(2) أخرج الطبري عن ابن زيد أن الله «بعث شعيباً إلى قومه من أهل مدين، وإلى أهل البادية». وقد رد ابن كثير هذا القول ولم يرتضه. انظر تفسير الطبري ج 19 ص 107. وانظر تفسير ابن كثير ج 5 ص 202 حيث يقول: إن مدين وأصحاب الأيكة أمة واحدة. قال: والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء». وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 6 ص 141، ففيه ذكر لاختلاف المفسرين في الموضوع. والله أعلم.

(3) الأيكة أو الغيضة هو ملتف الشجر. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 90: « (أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وجمعها أيك، وهي جماع من الشجر».

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يأمرهم أن يتقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به. ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ أي: ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ أي: من المنتقصين الذين ينقصون الناس حقوقهم. ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ أي: العدل، بالرومية. ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ أي: الذي لهم من العدل، وكانوا أهل تطفيف ونقصان في الميزان. ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا الذِينَ خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: والخليقة الأوّلين[1].

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ وهي مثل الأولى ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَـٰذِبِينَ ﴾ أي: فيما تدّعي من الرسالة ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ﴾ والكِسف القِطعة. (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) أي: بما جئتنا به. ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

ذكروا أنهم كانوا أصحاب غيضة. والغيضة هي الغابة والشجر متكاوس[2]. وكان عامة شجرهم الدَّوم، هذا المقل[3]. فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام، فكان لا يكنهم شيء. فبعث الله سحابة فلجأوا[4] تحتها يلتمسون الرَّوْحَ، فجعلها الله عليهم عذاباً؛ جعل تلك السحابة ناراً عليهم، فاضطرمت عليهم فهلكوا؛ فذلك قوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) يعني تلك السحابة.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: يقال: عثيتَ تعثى عثواً، وهي أشد الفساد والخراب. (وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ) أي: الخلق، وجاء خبرها على المعنى الجماع؛ وإذا نزعت الهاء من آخرها ضممت أوله كما هو في آية أخرى: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبلًا) [يس: 62].

(2) تكاوس الشجر، أي: كثر والتفّ.

(3) كذا في سع وسح: «هذا المقل»، وفي ع وب: «وهو المقل». وفي اللسان: الدوم شجر يشبه النخل، إلا أنه يثمر المقل، وله ليف وخوص مثل ليف النخل. وواحد الدوم دومة.

(4) كذا في سح ورقة 16: «فلجأوا» وهو أصح، وفي سع، وب، وع: لجّوا.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾ يعني القرآن، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ أي: جبريل، وهي تقرأ على وجهين: بالرفع وبالنصب. فمن قرأها بالرفع قال: نَزَل به، خفيفة، الروحُ الأمين، أي: جبريل نزل به. ومن قرأها بالنصب يقول: نزَّل به، مثقلة، الله نزّل به الروحَ الأمين، أي: الله نزل جبريل بالقرآن[1]. ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ يا محمد ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن.

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: وإن[2]القرآن لفي كتب الأولين، أي: التوراة والإنجيل. قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ﴾ وهي تقرأ على وجهين: بالياء والتاء. فمن قرأها بالتاء يقول: قد كانت لهم آية. ومن قرأها بالياء فهو يجعلها عملاً في باب كان: يقول: قد كان لكم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل، يعني من آمن منهم؛ فقد كان لهم في إيمانهم به آية. وقال بعضهم: يعني اليهود والنصارى، إنهم يجدون محمداً في التوراة والإنجيل أنه رسول الله.

قال: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: محمد ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ يقول: لو أنزلناه بلسان أعجمي لم تؤمن به العرب، كقوله عزّ وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم: 4]. قال بعضهم: إذاً لكانوا شرّ الناس فيه، لما فهموه وما دروا ما هو[3].

---

(1) في ب وع تقديم وتأخير في وجهي القراءة أثبت التصحيح من سح.

(2) كذا في ب وع وسع: وإنه أي: وإن القرآن لفي زبر الأولين. وفي سح ورقة 16: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) «يقول: وبعث محمد وأمته في كتب الأولين»، صحته ما جاء في ز ورقة 245: «ونعت محمد وأمته في كتبهم، يعني التوراة والإنجيل». ونسب هذا القول إلى مقاتل. والذي عليه الجمهور أن الضمير في قوله: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) كناية عن القرآن، وهو الصحيح إن شاء الله.

(3) يبدو أن المؤلف وهم في تأويل قوله تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) حين تحدث عن إنزال القرآن بلسان أعجمي. وقد ذهب أبو عبيدة والفراء والطبري وغيرهم غير هذا =

قوله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾ [أي: سلكنا التكذيب][1] ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين. وهذا جرم الشرك. ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ أي: الموجع ﴿ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا ﴾ يومئذ عند ذلك ﴿ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ أي: مؤخّرون، أي: مُردّون إلى الدنيا فنؤمن.

قال الله: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أي: على الاستفهام. أي: قد استعجلوا به لقولهم: (ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ) [العنكبوت: 29]، وذلك منهم استهزاء وتكذيب بأنه لا يأتيهم العذاب.

قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ أي: العذاب ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ أي: إلا لها رسل، أي: إنه لم يهلك قرية إلا من بعد قيام الحجة عليهم والرسل والبينة والعذر.

قال: ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ أي: يذكرهم ويبيّن لهم ويحتج عليهم. ﴿ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ أي: لم نكن لنعذّبهم حتى نحتجّ عليهم ونبيّن لهم ونقطع عذرهم. كقوله: (وَمَا كُنَّا

= المذهب، ففرقوا بين العجم والأعجم. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 91 في تفسير الآية: «يقال: رجل أعجم إذا كانت في لسانه عجمة، ورجل عجمي أي من العجم وليس من اللسان. والدواب عجم لأنها لا تتكلم، وجاء في الحديث: العجماء جبار لا تؤدى، أي لا دية فيه. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 283: «الأعجم في لسانه، والأعجمي المنسوب إلى أصله إلى العجم وإن كان فصيحاً. ومن قال: أعجم قال للمرأة: عجماء، إذا لم تحسن العربية، ويجوز أن تقول عجمي تريد أعجمي تنسبه إلى أهله. وقد أكد ابن جرير الطبري في تفسيره ج 19 ص 115 ما ذهب إليه أبو عبيدة والفراء ورد على ما جاء في تأويل الآية في هذا التفسير رداً محكماً بحجة لغوية لا تقبل جدلاً. وانظر كذلك تفسير القرطبي ج 13 ص 139 تجد أقوالاً قريبة مما ذكروه. وأنا أميل إلى ما ذهب إليه هؤلاء فهو الصحيح إن شاء الله لأن القرآن نزل بلغة العرب.

(1) زيادة من ز ورقة 246، ومن معاني الفراء ج 2 ص 283.

مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) [القصص: 59] أي: مشركون، رادون على الرسل ما دعوهم إليه.

قوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَٰطِينُ﴾ قال بعضهم: [وما تنزلت بكتاب الله][1] يعني القرآن ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ أن ينزلوا به ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلك.

قال: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾. وكانوا قبل أن يبعث النبي عليه السلام يستمعون أخباراً من أخبار السماء، وأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه. فلما بعث النبي عليه السلام منعوا من تلك المقاعد التي كانوا يستمعون فيها إلا ما يسترق أحدهم فيرمى بالشهاب.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي أنه كان يقول: كنا قبل أن يبعث النبي عليه السلام ما نرى نجماً يُرمى به. فلما كان ذات ليلة إذا النجوم قد رُمِيَ بها، فقلنا: ما هذا الذي نرى؛ إنْ هذا إلا أمر حدث؛ فجاءنا أن النبي عليه السلام قد بُعث؛ فأنزل الله في سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً) [الجن: 9].

قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ وقد عصمه الله من ذلك.

قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ خرج حتى قام على الصفا، وقريش في المسجد، ثم نادى: يا صباحاه، ففزع الناس فخرجوا فقالوا: ما لك يا ابن عبد المطلب؟ فقال: يا آل غالب، فقالوا: هذه غالب عندك. ثم نادى: يا آل لؤي، ثم نادى: يا آل كعب، ثم نادى: يا آل مرة، ثم نادى: يا آل كلاب، ثم نادى: يا آل قصي. فقالت قريش: أنذر الرجل عشيرته الأقربين. انظروا الرجل ماذا يريد. فقال

(1)زيادة من سح ورقة 17.

أبو لهب: هذه عشيرتك قد حضروا، فماذا تريد؟ فقال رسول الله ﷺ: أرأيتم لو أنذرتكم جيشاً يصبّحكم أتصدقونني؟ قالوا: نعم. قال: فإني أنذركم النار، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله[1] فقال أبو لهب: تبّت يداك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]. فتفرّقت قريش عنه وقالوا: مجنون يهذي من أم رأسه. فأنزل الله: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ذكروا عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت دعا رسول الله ﷺ عشيرته بطناً بطناً، ثم انتهى إلى بني عبد المطلب فقال: يا بني عبد المطلب، إني رسول الله إليكم، لي عملي ولكم عملكم. إني لا أملك لكم من الله شيئاً، إنما أوليائي منكم المتقون. ألا لا أعرفنكم تأتونني تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة[2].

قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال بعضهم. الذي يراك قائماً وجالساً وفي حالاتك. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي: في الصلاة. وقال بعضهم: الذي يراك حين تقوم في الصلاة وحدك. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ في صلاة الجميع. وقال بعضهم: كان رسول الله ﷺ يرى في الصلاة من خلفه كما يرى من بين يديه.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: أحسنوا الركوع إذا ركعتم، وأحسنوا السجود إذا سجدتم، والذي نفسي بيده إني لأراكم من خلف ظهري كما أراكم من بين يدي في الرّكوع والسجود[3].

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق مختلفة أخرجه البخاري مثلاً في كتاب التفسير، سورة الشعراء، عن ابن عباس.

(2) أخرجه البخاري بمعناه في كتاب التفسير، سورة الشعراء عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي أيضاً في التفسير سورة الشعراء، عن عائشة، وفيهما خص بالنداء بني عبد مناف، وصفية بنت عبد المطلب، وفاطمة بنت محمد، وبني عبد المطلب. وانظر السيوطي الدر المنثور ج 5 ص 96 فقد ورد فيه الحديث مستوفى.

(3) حديث صحيح، أخرجه مالك في الموطأ، باب العمل، في جامع الصلاة (رقم 246) وأخرجا =

وقال بعضهم: ﴿ الذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي: حيث كنت.

قوله: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: فلا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَـٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾ قال بعضهم: الأفاك الكذّاب.

وقال بعضهم: هم الكهنة: ذكروا أن الشياطين كانت تصعد إلى السماء فتستمع، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم، فتحدث الكهنة بما نزلت به الشياطين من السمع، وتخلط الكهنة به كذباً كثيراً فيحدّثون به الناس. فأما ما كان من سمع السماء فيكون حقاً، وما ما خلطوا به فيكون كذباً. وأما قولهم: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ أي: وجماعتهم كاذبون.

قوله: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾ والغاوون الشياطين الذين يلقون الشعر على الشعراء الذي لا يجوز في الدين.

قال الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ أي: يذهبون في كل واد من أودية الكلام. ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ﴾ يمدحون قوماً بباطل، ويذمّون قوماً بباطل.

ثم استثنى الله فقال: ﴿ إِلاَّ الذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ وهذه ثنيا الله في الشعراء وغيرهم. والشعراء من المؤمنين الذين استثنى الله: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك[1].

= البخاري في كتاب الصلاة، باب الخشوع في الصلاة، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك (رقم 424 - 425).

(1) اقرأ بعض أشعارهم في مدح الرسول ﷺ ووصف المسلمين في غزواتهم مع رسول الله عليه السلام وكيف كانوا يردون على بعض شعراء المشركين، اقرأ ذلك في سيرة ابن هشام فقصائدهم مبثوثة فيها وفي ديوان حسان بن ثابت.

قال: ﴿ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً ﴾ أي: في غير وقت. ﴿ وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ أي: من بعد ما ظلمهم المشركون. أي: انتصروا بالكلام، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم. ﴿ وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: الذين أشركوا من الشعراء وغيرهم. ﴿ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ أي: من بين يدي الله إذا وقفوا بين يديه يوم القيامة. أي: إنهم سيعلمون حينئذ أنهم سينقلبون من بين يدي الله إلى النار في يوم لا تنفعهم الندامة. نسأل الله العصمة.

تفسير سورة النمل
وهي مكية كلها[1]

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ طٰسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْآنِ وَكِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾. قد فسّرناه في السورة الأولى. قوله: ﴿ هُدًى ﴾ أي: يهتدون به، أي: بالقرآن إلى الجنة ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُومِنِينَ ﴾ أي: بالجنة.

﴿ الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ يعني الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. قوله: ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ يعني الزكاة المفروضة، ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: يصدّقون ولا يشكّون أنها كائنة.

﴿ إِنَّ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ أي: لا يصدقون بالآخرة أنها كائنة. ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: فهم في ضلالتهم يلعبون.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الذين هذه صفتهم ﴿ الذِينَ لَهُم سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ أي: شدة العذاب ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءانَ مِن لَّدُنْ﴾ أي: من عند ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ يعني نفسه، أي: حكيم في أمره، عليم بخلقه.

(1) كذا في سع: سورة النمل، وفي سح: «سورة طس التي يذكر فيها النمل». وفي ب وع: «سورة سليمان».

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً ﴾ قال بعضهم: إني أحسست ناراً[1]. وقال في آية أخرى: (إِذْ رَأَى نَاراً) [طه: 10] أي: رآها ناراً عند نفسه، وإنما كانت نوراً.

﴿سَئَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أي: بخبر الطريق، وكان على غير الطريق. وقال في آية أخرى: (أَو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) أي: هداة يهدونني إلى الطريق. ﴿ أَوءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾[2] وقال في آية أخرى: (أَوْ جِذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) [القصص: 29]، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ لكي تصطلوا، وكان شاتياً.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا ﴾ أي: جاء النار عند نفسه ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ أي: إنها عند موسى نار ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي: الملائكة. وهي في مصحف أبي بن كعب: نودي أن بوركت النار ومن حولها ﴿ وَسُبْحَـٰنَ اللهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿ يَـٰمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها ﴿ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ أي: كأنها حيّة، وقال في آية أخرى: (فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: 20]، ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِراً ﴾ أي: من الفَرَق ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: ولم يلتفت. وقال مجاهد: ولم يرجع.

﴿ يَـٰمُوسَـىٰ لَا تَخَف إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ قال الحسن: (لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) أي: في الآخرة والدنيا لأنهم أهل الولاية وأهل المحبة ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. أي: فإنه لا يخاف عندي. وكان موسى ممن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فغفر الله له. وهو قتل ذلك القبطي؛ لم يتعمّد قتله ولكنه تعمد وكزه.

---

(1) كذا في سع وفي سح: أحسست ناراً، وفي ز: «أبصرت»، وفي ب و ع: «إني رأيت ناراً».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز: « (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) أي: بشعلة نار. ومجاز (قَبَس) ما اقتبست منها من الجمر».

(3)وكذلك قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 92: «أي: «ولم يرجع»، يقال عقب عليه فأخذه».

قوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ أي: في جيب قميصك ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي: من غير برص. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح، فعلِم موسى أنه قد لقي ربه[1].

قوله: ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ﴾ أي: مع تسع آيات[2]. ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾ والتسع الآيات: يده وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، (وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) [الأعراف: 130].

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيّنة ﴿ قَالُوا: هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن. ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ أي: بآياتنا ﴿ وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي: أنها من عند الله، ﴿ ظُلْماً ﴾ أي: ظلماً لأنفسهم. وقال في آية أخرى: (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [البقرة: 57] قال: ﴿ وَعُلُوّاً ﴾ أي: من باب العلو. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: المشركين. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْماً وَقَالاَ الْحَمْدُ للهِ الذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُومِنِينَ ﴾ يعنيان أهل زمانهم من المؤمنين.

قوله: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ أي: نبوّته وملكه[3] ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعني كل شيء أوتي منه. ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ أي: البين.

قوله: ﴿ وَحُشِرَ ﴾ أي: وجمع ﴿ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

---

(1) كذا في سع، وفي سح، وفي ب: «لقي ربّه»، وفي ع: «ألقى أمر ربّه»، ولعلّه: لُقِّيَ أَمْرَ رَبِّهِ أي: قبله وأخذه.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 288: معناه: افعل هذا، فهي آية في تسع.

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 288: «كان لداود ـ فيما ذكروا ـ تسعة عشر ولداً ذكراً، وإنما خص سليمان بالوراثة لأنها وراثة ملك».

يُوزَعُونَ ﴾ أي: على كل صنف منهم وزعة[1] ترد أولاهم على أخراهم. هذا تفسير بعضهم. وقال الحسن: (فَهُمْ يُوزَعُونَ)، أي: فهم يُدفعون لا يتقدّمه منهم أحد.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ وهو واد بالشام ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: والنمل لا يشعرون أن سليمان يفهم كلامهم[2].

قال: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أي: ألهمني ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحاً تَرْضَـٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ أي: أحاضر هو فلا أراه ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ أي: أم هو غائب.

قال بعضهم: ذكر لنا أن سليمان أراد أن يأخذ مفازة فدعا الهدهد، وكان سيد الهداهد، ليعلم له مسافة الماء، وكان قد أعطى من البصر بذلك شيئاً لم يعطه غيره من الطير[3].

وقال الكلبي: كان يدله على الماء إذا نزل الناس. كان ينقر بمنقاره في

---

(1) وَزَعَة: جمع وازع، وهو في أصله اللغوي: «الحابس العسكر، الموكل بالصفوف، يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر». كما جاء في اللسان: (وزع). وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 92: « (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي: يدفعون فيستحث آخرهم ويحبس أولهم».

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «والنمل لا يشعرون أن سليمان يفهم كلامهم». ويبدو هذا التأويل للجملة الحالية غريباً. وإذا كانت العبارة تحتمله فبتكلّف شديد. وفيه بعد، ولم أجد فيما بحثت من أوّل هذه الجملة هذا التأويل، وجمهور المفسّرين على أن الجملة «حال من مجموع المتعاطفين، أي سليمان وجنوده، والضمير لهما». وهذا المعنى هو أول ما يتبادر إلى الذهن لمن تدبّر الآية، فهو أولى بالاعتبار وسياق الكلام يؤكده. وهنالك وجه آخر ذكره بعض المفسرين وهو أن يرجع الضمير إلى جنود سليمان أي أنهم لم يشعروا بكلام النملة. وهو تأويل فيه شيء من التكلف أيضاً. وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 6 ص 162.

(3) كذا في سع وسح. وفي ب و ع: «وكان قد أعطى من النظر في ذلك ما لم يعطه غيره من الطير».

الأرض، فيخبر سليمان كم بينه وبين الماء من قامة.

ذكروا أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس لِمَ تفقّد سليمان الهدهد قال ابن عباس: إنهم كانوا إذا سافروا نقر لهم الهدهد عن أقرب الماء في الأرض. فقال نافع ابن الأزرق: وكيف يعلم أقرب الماء في الأرض ولا يعلم بالفخّ حتى يأخذ بعنقه. فقال ابن عباس: أما علمت أن الحذر لا يغني من القدر شيئاً.

قال الحسن: كان سليمان إذا أراد أن يركب جاءته الريح فوضع سرير مملكته عليها ووضعت الكراسي والمجالس على الريح وجلس سليمان على سريره، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدين عنده من الجن والإنس. والجن يومئذ ظاهرة[1] للإنس، رجال أمثال الإنس إلا أنهم أُدم يحجون جميعاً، ويصلون جميعاً، ويعتمرون جميعاً، والطير ترفرف على رأسه ورؤوسهم، والشياطين حَرَسَة لا يدعون أحداً يتقدم بين يديه. وهو قوله: (فَهُمْ يُوزَعُونَ).

قوله: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ ﴾ وعذابه أن ينتف ريشه وأن يدعه في المنزل حتى يأكله الذرّ والنمل. قوله: ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بعذر بيّن، وقال ابن عباس: بحجة بيّنة.

قوله: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي: رجع من ساعته ﴿ فَقَالَ: أَحَطتُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ أي: بلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك، وقال بعضهم: علمت ما لم تعلم. ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي: بخبر يقين.

وسبأ في تفسير بعضهم أرض باليمن يقال لها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امرأة أم أرض. فقال: بل هو رجل ولد عشرة، فباليمن منهم ستة وبالشام أربعة[2]. فأما الذين

(1) في ب وسع وسح: «ظاهرة»، وهو الصحيح، وفي ع: «قاهرة».

(2) أخرجه ابن سلام بهذا السند، قال: «وحدثني ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن علقمة بن=

باليمن، فمذحج، وكندة، وحمير، وأنمار، والأزد، والأشعريون؛ وأما الشاميون: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان.

قوله: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من كل شيء أوتيت منه[1]. ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾. وعرشها سريرها، وكان سريرها حسناً؛ كان من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر. وكان مُسْتَّراً بالديباج والحرير. وكانت عليه سبعة مغاليق، وكانت دونه سبعة أبيات بالبيت الذي هو فيه مغلقة مقفلة.

قوله: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ ﴾. قال الحسن: كانوا مجوساً. ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلهِ ﴾. وفيها تقديم، أي: وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل ألا يسجدوا لله. فصدّهم عن السبيل أي: بتركهم السجود فهم لا يهتدون. وفي بعض كلام العرب: (أَلَّا تَسْجُدُوا) أي: فاسجدوا. قوله: ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: يعلم السرّ في السموات والأرض. والخِبء من الخبيئة. وقال مجاهد: الخبء: الغيب؛ وهو واحد. قال: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ. اللهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ذكروا عن ابن عباس أنه قال: لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدّث عن ملك في حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك لم يخل منك مكان[3].

= وعلة أنه سمع ابن عباس يقول: سئل رسول الله... الحديث».

(1) جاءت العبارة في ب هكذا: «أوتيته أقسمته»، وفي ع: «أوتيت أقسمته»، ولم أر للكلمة الأخيرة وجهاً فأثبت ما ورد في سع وسح وز.

(2) كذا جاء هذا القول موقوفاً على ابن عباس في ع وفي سع وفي سح. لكنه جاء في ب مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ. ويبدو أن هذا سهو من ناسخ مخطوطة ب. فإني لم أجده حديثاً مرفوعاً فيما بين يدي من مصادر الحديث والتفسير.

(3) كذا وردت الجملة الأخيرة في ب وفي ع: «سبحانك لم يخل منك مكان»، وفي سع 67 ظ، =

قوله: ﴿ قال سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَـٰذِبِينَ ﴾ قال الحسن: فابتلى، أي: فاختبر منه ذلك فوجده صادقاً.

قوله: ﴿ اذْهَب بِكِتَـٰبِي هَـٰذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِم ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُم ﴾ يقول انصرف عنهم ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن كانت في بيت مملكة يقال لها بلقيس بنت شرحبيل فهلك ملك قومها فمُلِّكت.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لن يفلح قوم تملكهم امرأة[1].

قال: وكانت إذا رقدت غلّقت الأبواب وأخذت المفاتيح ووضعتها تحت رأسها. فلما غلّقت الأبواب وأوت إلى فراشها أتاها الهدهد حتى دخل من كوة بيتها، فقذف الصحيفة على بطنها أو بين ثدييها، فأخذت الصحيفة فقرأتها فقالت:

﴿ يَـٰأَيُّهَا المَلؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ [أي: حسَن، حسن ما فيه][2] ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ أي: لا تمتنعوا عليّ. وقال بعضهم: لا تخلفوا عليّ [وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ]. وكذلك كانت تكتب الأنبياء جملاً، لا يطيلون، ولا يكثرون.

قوله: ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ يعني الإسلام. وقال الكلبي: (وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) أي: واتوني مقرّين بالطاعة مستسلمين، ليس يعني الإسلام.

= وفي سح ورقة 25: سبحانك حيث كنت. والحديث صحيح تقدمت الإشارة إليه فيما سلف ج 1 ص 514.

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وفي كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر عن أبي بكرة، ولفظه: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة.

(2) زيادة من سع و سح. وقال الفراء في المعاني: «جعلته كريماً لأنه كان مختوماً، كذلك حُدِّثت. ويقال: وصفت الكتاب بالكرم لقومها لأنها رأت كتاب مِلك عندها فجعلته كريماً لكرم صاحبه.

﴿ قَالَتْ يَـٰأَيُّهَا المَلؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ﴾ أي: إنها استشارتهم[1] ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة آلاف فجميعهم ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف وثلاثون ألفاً.

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ أي: خرّبوها ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ﴾ أي: رسلي[2]، أي: إن قبل هديتنا فهو من الملوك وليس من أهل النبوّة كما ينتحل.

وقال بعضهم: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) فَمُصَانِعَتُهم بها عن مُلكي إن كانوا أهل دنيا. فبعثت إليهم بلبنة من ذهب في حريرة وديباج. فبلغ ذلك سليمان، فأمر بلبنة من ذهب فصيغت، ثم قذفت تحت أرجل الدواب على طريقهم تبول عليها وتروث عليها. فلما جاءت رسلها فرأوا اللبنة تحت أرجل الدواب صغُر في أعينهم الذي جاءوا به.

وقال مجاهد: بعثت إليهم بِجَوَارٍ قد ألبستهن لباس الغلمان، وغلمان قد ألبستهم لباس الجواري، فخلّص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديتها.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَـٰنِي اللهُ ﴾ أي: ما أعطاني الله ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَـٰكُم ﴾ أي: خير مما أعطاكم ﴿ بَلْ أَنْتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 292: « (يَا أَيُّهَا المَلأُ افْتُونِي) جعلت المشورة فتيا، وذلك جائز لِسَعة العربية».

(2) يذكر بعض الرواة أن الرسول كان واحداً، وقيل كان امرأة. ويستدل الذين يقولون إن الرسول كان واحداً بقوله تعالى فيما بعد: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) أي: فلما جاء الرسولُ سليمانَ. وبقوله: (ارجِعْ إِلَيْهِمْ). انظر معاني الفراء ج 2 ص 293.

﴿ ارْجِع إِلَيْهِمْ ﴾ يعني الرسل ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ أي: لا طاقة لهم بها ﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا المَلَـؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ أي: بسريرها ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾. وذلك أنه لما بلغ سليمان أنها جائية، وكان قد ذكر له سريرها فأعجبه. [وكان عرشها من ذهب، وقوائمه لؤلؤاً وجوهراً. وكان مُستَّراً بالديباج والحرير، وكانت عليه سبعة مغاليق، فكره أن يأخذه بعد إسلامها][1] وقد علم أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم، فأحب أن يؤتى به قبل أن يكون ذلك من أمرهم. فقال: (يَا أَيُّهَا المَلَـؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ). قال الكلبي: (قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) قبل أن يأتوني مقرّين بالطاعة.

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ ﴾ أي: مارد من الجن، والعفريت لا يكون إلا الكافر: ﴿ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ ﴾ أي: بالسرير. ﴿ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾، ومقامه مجلسه الذي يقضي فيه. أي: لا يفرغ من قضيته حتى يؤتى به، فأراد ﷺ ما هو أعجل من ذلك. ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[2].

فـ ﴿ قَالَ الذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَٰبِ ﴾ وكان رجلاً من بني إسرائيل يقال له: أصف بن برخيا[3]، يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: يا ذا الجلال والإكرام، والمنن العظام والعز الذي لا يرام. هذا تفسير اسمه الأعظم، والله أعلم.

﴿ قَالَ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ وطرفه أن يبعث رسولاً إلى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به[4].

---

(1) زيادة من سع ومن سح، وقد جاءت بعض الجمل فاسدة مضطربة فأثبت التصحيح من سع وسح.

(2) لم ترد هذه الجملة الأخيرة من الآية في كل المخطوطات.

(3) لم يرد اسم برخيا إلا في مخطوطة ع.

(4) هذا وجه من أوجه تأويل ارتداد الطرف، وهنالك أوجه أخرى ذكرها المفسّرون: منها: «أن يبلغ =

فدعا الرجل باسم الله: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ يعني رأى سليمان السرير ﴿ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمَ أَكْفُرُ). أي: أشكر نعمة الله أم أكفرها. ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾.

ذكر ابن عباس قال: إن صاحب سليمان الذي عنده علم من الكتاب كان يحسن الاسم الأكبر؛ فدعا به؛ وكان بينه وبين السرير مسيرة شهرين، فلما أتى به ورآه سليمان مستقرّاً عنده كأنه وقع في نفسه مثل الحسد له. ثم فكّر فقال: أليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه مسخّراً لي. (هَٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ اَمَ اَكْفُرُ).

وقال بعضهم: هو جبريل الذي قال: أنا آتيك به.

قوله: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ قال مجاهد: غيروا لها عرشها. وقال بعضهم: وتغييره أن يزاد فيه وينقص منه. ﴿ نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي ﴾ أي: أتعرقه ﴿ أَمْ تَكُونُ مِنَ الذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ أي: أم لا تعرقه.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ: أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾ على الاستفهام. ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: شبّهته. قال سليمان: ﴿ وَأُوتِينَا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ﴾ يعني النبوة. ﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي: كفرها بالله الذي صدّها عن الهدى، ليس الوثن[1]. ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾.

= طرفك مداه وغايته». انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 6 ص 175، وتفسير الطبري، ج 16 ص 164.

(1) كذا في ب و ع. وجاءت العبارة في سع ورقة 68 و، وفي سح 28 هكذا: «كفرها بقضاء الله، غير الوثن ـ وذلك من قضاء الله ـ صدها أن تهتدي إلى الحق». وهو تفسير مجاهد. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 295 في تفسير الآية: «يقول: هي عاقلة، وإنما صدها عن عبادة الله عبادة الشمس والقمر، وكان عادة من دين آبائها». وانظر وجوه إعراب (ما) وكسر همزة إن أو فتحها كما يراها الفراء في الآية».

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾ تفسير الحسن أن سليمان أمر الشياطين أن تصنع صرحاً، أي: مجلساً من قوارير.

وقال الكلبي: إن الجن استأذنوا سليمان فقالوا: ذرنا فَلْنَبْنِ صرحاً من قوارير، والصرح قصر، فننظر كيف عقلها. وخافت الجن أن يتزوّجها فتطلع سليمان على أشياء كانت الجن تخفيها من سليمان. وذلك أن أحد أبويهـا كان جنياً، فلذلك تخوّفوا ذلك منها.

قال الكلبي: فأذن لهم. فعمدوا إلى الماء ففجّروه في أرض فضاء، ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع، ثم بنوا عليه سترة من زجاج، ثم بنوا من حوله صرحاً، أي: قصراً، ممرّداً من قوارير؛ الممرّد: الأملس. ثم أدخلوا عرش سليمان، أي: سريره، وعرشها وكراسي عظماء الملوك. ثم دخل الملك سليمان ﷺ ودخل معه عظماء جنده. ثم قيل لها: ادخلي الصرح، وفتح الباب. فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيتان والضفادع، فظنّت أنه مُكِرَ بها لتغرق. ثم نظرت فإذا هي بالملك سليمان على سريره، والناس حوله على الكراسي، فظنت أنها مخاضة[1]، فكشفت عن ساقيها. وكان لها شَعَر، فلما رآها سليمان كرهها. فعرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ما كانت تكتم. قالت لها الجن: لا تكشفي عن ساقيك ولا عن قدميك فإنه صرح ممرّد، أي مملس، من قوارير.

وقال بعضهم: كان الصرح بني من قوارير على الماء. فلما رأت اختلاف السمك من ورائه لم يشتبه عليها أنه لجّة، وكشفت عن ساقيها. وكان أحد أبويها جنّيًا. وقال مجاهد: كانت أمها جنيّة. قال: وكان مؤخر رجليها كحافر الدّابة، فكانت إذا وضعته على الصرح هشمته. قال مجاهد: كان الصرح بركة ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها إياه.

وقال بعضهم: إنها لما أقبلت إلى سليمان خافت الشياطين من أن يتزوّجها

(1) هي الأرض التي بها ماء يخاض فيه لاجتيازها تسمى مخاضة ومخاض.

سليمان، وقالوا: قد كنّا نلقى من سليمان من السخرة ما نلقي، فكيف إذا اجتمع عقل هذه وتدبيرها مع ملك سليمان ونبوته، مع أن أمّها كانت من الجن، فالآن هلكتم. فقال بعضهم: أنا أصرف سليمان عنها حتى لا يتزوّجها. فأتاه فقال له: إنه لم تلد قط جنية من إنسي إلا كان رجلها رجل حمار، فوقع ذلك في نفس سليمان. وكان رجل من الجن يحب كل ما وافق سليمان، فقال: يا نبي الله أنا أعمل لك شيئاً ترى ذلك منها، فعمل الصرح.

﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ﴾ فرأى سليمان قدميها قدم إنسان، ورأى على ساقها شعراً كثيراً فساءه ذلك. فقال الجن الذي يحبّ كل ما وافق سليمان: أنا أعمل لك ما يذهب ذلك الشعر الذي ساءك، فعمل له النورة[1] والحمّام. وكان أول من عمل النورة والحمّام، وتزوّجها سليمان في قول بعضهم.

﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ أي: أضررت نفسي. وبعضهم يقول: نقصت نفسي، يعني بما كنت عليه من الكفر. ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً ﴾ أي: أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين. ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾. قال بعضهم: يقول: إذا القوم بين مصدّق ومكذّب، أي: مصدّق بالحق، ونازل عنده، ومكذّب بالحق وتارك، في ذلك كانت خصومة القوم.

﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ والسيئة العذاب، لقولهم: (اِيتِنَـا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف: 70] أي: المرسلين. والحسنة: الرحمة. ﴿ لَوْلَآ ﴾ أي: هلا ﴿ تَسْتَغْفِـرُونَ اللهَ ﴾ أي: من شرككم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: لكي تُرْحَمُوا.

---

(1) النورة: هِنَاءٌ يُتَّخَذ من حجر محرق يُدقّ فيوضع على البشرة ويطلى به الموضع الذي يراد إزالة الشعَرِ منه.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ﴾ قالوا: ما أصابنا من سوء فهو من قِبَلك ومن قِبَل من معك في تفسير بعضهم. وقال الحسن: قد كانوا أصابهم جوع فقالوا: لشؤمك ولشؤم الذين معك أصابنا هذا، وهي الطيرة. ﴿قَالَ طَـٰئِرُكُمْ عِندَ اللهِ﴾ أي: عملكم عند الله[1].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي: تبتلون، أي: تختبرون بطاعة الله ومعصيته في تفسير بعضهم. وقال الحسن: (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) أي: عن دينكم، أي: تصرفون عن دينكم الذي أمركم الله به، يعني الإسلام.

قوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾. [قال بعضهم: تسعة رهط من قوم صالح][2]. ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ﴾ أي: تحالفوا بالله. أي: يقوله بعضهم لبعض: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ قال الحسن: أهله: أمته الذين على دينه. وقال بعضهم: تواثقوا على أن يأخذوه ليلاً فيقتلوه. وقال بعضهم: ذكر لنا أنهم بينما هم معانيق[3] إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهمدتهم[4].

قوله: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي: لرهطه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾.

قال الله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً﴾ أي: الذي أرادوا بصالح ﴿وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ أي: رماهم الله بالصخرة فأهمدتهم. قال: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ أي: بالصخرة ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: دمّرنا قومهم بعدهم بالصيحة.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: ب وع وسع وسح: «عملكم عند الله». وفي تفسير الطبري ج 19 ص 171: «علمكم عند الله». ونسب هذا القول فيه إلى قتادة. وقال أبو عبيدة في المجاز في تفسير الآية: 131 من سورة الأعراف: (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهِ): «ومجاز (طَائِرُهُمْ) أي: حظهم ونصيبهم».

(2) زيادة من سع 68 ط، ومن ز ورقة 250.

(3) معانيق جمع مُعنِق. من أعنق إذا سارع وأسرع.

(4) أي: تركتهم هامدين، أي: أهلكتهم فماتوا.

قال: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ ﴾ يعني بالحجر ﴿ خَاوِيَةً ﴾ أي: ليس فيها أحد ﴿ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ أي: بما أشركوا ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾. قال: ﴿ وَأَنْجَيْنَا الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: صالحاً والذين آمنوا معه. ﴿ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذَّبين، يعني أصحاب الحجر، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم ما أصابهم. أي: لا يصيبكم مثل ما أصابهم[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ مرّ في غزوة تبوك بوادي ثمود على فرس شقراء فقال: اسرعوا السير فإنكم بواد ملعون[2].

قوله: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنها فاحشة. ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وقد فسّرنا أمرهم في غير هذا الموضع[3].

قوله: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ أي: قاله بعضهم لبعض ﴿ أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: عن الفاحشة في تفسير الحسن. وقال مجاهد: من أدبار الرجال وأدبار النساء، ويتطهّرون أي: يتنزّهون.

قال الله: ﴿ فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ الغَـٰبِرِينَ﴾ أي: غبرت، أي: بقيت في عذاب الله. ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً ﴾ وهي الحجارة التي رمي بها أهل السفر منهم ومن كان خارجاً من المدينة، وخسف بهم، وهي في تفسير بعضهم: ثلاث مدائن. وهو قوله: (وَالمُؤْتَفِكَاتِ) [التوبة: 70] وتأويل المؤتفكات:

---

(1) حديث صحيح متفق عليه أخرجه أحمد والبخاري ومسلم. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (رقم 2980).

(2) رواه أبو الأشهب عن أبي نضرة كما في تفسير القرطبي ج 20 ص 48.

(3) انظر ما مضى في هذا الجزء ص 236 - 237.

المنقلبات. ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت بهم فصار عاليها سافلها. قال: ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: بئس مطر المنذرين. يعنيهم. أي: أنذرهم لوط فلم ينتذروا.

قوله: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَٰمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ أي: الذين اختار، يعني الأنبياء والمؤمنين. قوله: ﴿ءَآللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] على الاستفهام، أي: إن الله خير من أوثانهم التي يعبدون من دون الله.

قوله: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ﴾ أي: بذلك الماء ﴿ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي: ذات حسن، أي: حسنة. قال الحسن: الحدائق: النخل. وقال الكلبي: الحديقة: الحائط من الشجر والنخل[2].

﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ أي: إن الله أنبتها. يقول: أم من خلق هذا خير، وهو تبع للكلام، لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ). وهو على الاستفهام. يقول: أم من خلق هذا أم أوثانهم. أي: إن الله خير منهم.

قال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ أي: ليس معه إله. وهذا استفهام على إنكار. ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: يعدلون بالله، فيعبدون الأوثان من دونه، يعدلونهم بالله.

قوله: ﴿ أَم مَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَٰلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ أي: الجبال ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً ﴾ أي: لا يبغي أحدهما على الآخر، لا يبغي المالح على العذب، ولا العذب على المالح. وقال بعضهم: وجعل بينهما برزخاً أي: حاجزاً من الأرض، أي: بين البحرين المالحين: بحر فارس والروم.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 95: «(أَمَّا يُشْرِكُونَ) مجازه أم ما تشركون، أي: أم الذي تشركون به فأدغمت الميم في الميم فثقلت. و(ما) قد يوضع في موضع (من) و(الذي). وكذلك هي في آية أخرى: (والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) [الشمس: 5] ومن بناها (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) ومن طحاها.

(2) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 297: «وإنما يقال حديقة لكل بستان عليه حائط. فما لم يكن عليه حائط لم يقل له: حديقة».

وقال مجاهد: حاجزاً لا يرى. وقال الكلبي: البرزخ: [الحَلْق][1] الذي بينهما. يعني بحر فارس والروم.

وقال الحسن يقول: أم من خلق هذا خير أم أوثانهم. وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ). وهو على الاستفهام، أي: إن الله خير من أوثانهم.

قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ﴾ أي: ليس معه إله ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ المضطر: المكروب والمظلوم والمريض. ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ أي: خلفاً بعد خلف. وهو على الاستفهام يقول: أم من يفعل هذا خير أم أوثانهم. وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ) أي: إن الله خير من أوثانهم. قال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ على الاستفهام أي: ليس معه إله. ﴿ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: أقلّهم المتذكر، يعني أقلّهم من يؤمن.

قوله: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [أي: من شدائد البر والبحر][2] ﴿ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً ﴾ أي: ملقحات للسحاب ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي: بين يدي المطر. وهو على الاستفهام. يقول: أم من يفعل هذا خير أم أوثانهم. وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ) أي: إن الله خير من أوثانهم. قال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ على الاستفهام. أي: ليس معه إله. ﴿ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ينزّه نفسه عمّا يشركون به.

قوله: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ يعني البعث ﴿ وَمَن يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ وهو على الاستفهام، يقول أم من يفعل هذا خير أم أوثانهم؛ وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ) أي: إن الله خير من أوثانهم قال الله: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ على الاستفهام، أي: ليس معه إله. ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ يقول للنبي عليه السلام أن يقول للمشركين: هاتوا برهانكم أي: حجتكم في تفسير الحسن. وفي تفسير

(1) زيادة من سع ورقة 69 و، ومن سح ورقة 33.

(2) زيادة من سع ومن سح.

بعضهم: بيِّنتكم. ﴿ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي: هذه الأوثان خلقت شيئاً أو صنعت شيئاً من هذا.

قوله: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾ الغيب ها هنا القيامة. أي: لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: وما يشعر جميع الخلق ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ متى يموتون ومتى يبعثون[1].

قوله: ﴿ بَلِ ادْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْأَخِرَةِ ﴾ أي: علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم ولا إيمانهم.

وقال الحسن: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) على الاستفهام، أي: تبعاً للاستفهام الأول، أي: لم يبلغ علمهم في الآخرة، أي: لو بلغ علمهم أن الآخرة كائنة لآمنوا بها في الدنيا كما آمن بها المؤمنون. وقال بعضهم: إن علمهم بذلك لم يبلغ في الدنيا؛ يسفِّههم بذلك.

وقال مجاهد: معناه عندي: (أَمْ أَدْرَكَ) أي: لم يدرك؛ وهو مجامع[2] للقول الأول الذي ذكرنا قبله.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ﴾ أي: من الآخرة ﴿ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ أي: عموا عن الآخرة. وقال الكلبي: (بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ) أي: لا يدرون ما الحساب فيها وما العذاب.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَاباً وَءَابَاؤُنَا ﴾ على الاستفهام[3] ﴿ أَيِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ أي: لمبعوثون. كقوله: (أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً) [مريم: 66] أي: لا نبعث. وهذا على الاستفهام، استفهام منهم على إنكار.

(1) كذا في المخطوطات: «متى... ومتى» وفي ع: «أين يموتون ومتى يبعثون».

(2) كذا في ب وع: «مجامع» أي: شبيه. ولم ترد هذه الكلمة في سع ولا في سح. وانظر تفسير الطبري ج 20 ص 6.

(3) هذا على قراءة من قرأها: (أَيِذَا). باختلاس الياء، وهي قراءة عاصم وغيره، وقد قرأها نافع (إِذَا) على الخبر لا على الاستفهام.

قوله: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: فلم نبعث. فهذا قول مشركي العرب، أي: قد وعدت آباؤنا من قبل بالبعث كما وعَدنا محمد، فلم نرها بعثت. يعني من كان من العرب على عهد موسى. وقد كان موسى يومئذ حجة على العرب، وهو قوله: (وَقَالُوا لَوْلَا) أي: هلاّ (أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) يعنون محمداً. يقولون: هلاّ أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من قبل. قال الله: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) [القصص: 48] يعنون موسى ومحمداً. أي: كفروا بهم جميعاً. وقال بعضهم: يعنون موسى وهارون. قوله: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار، أي: فاحذروا أن ينزل بكم من عذاب الله ما نزل بهم، يعني المشركين.

قوله: ﴿ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: إن لم يؤمنوا. كقوله: (فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) [فاطر: 8] ﴿ وَلاَ تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: لا يضيق عليك أمرك مما يمكرون بك وبدينك فإن الله سينصرك عليهم ويذلّهم لك.

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الوَعْدُ ﴾ الذي تعدنا به من عذاب الله ﴿ إِنْ كُنتُم صَـٰدِقِينَ ﴾.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ أي: اقترب لكم في تفسير مجاهد. وقال بعضهم: اقترب منكم، أي: دنا منكم ﴿ بَعْضُ الذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ قال الحسن: بعض الذي تستعجلون من عذاب الله. يعني قيام الساعة التي يهلك الله بها آخر كفار هذه الأمة.

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ فبفضل الله خلق الكافر، وبفضله يتقلّب في الدنيا، يأكل ويشرب ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ أي: من لا يؤمن؛ ومنهم من يشكر، وهو المؤمن.

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ من عداوة رسول الله والمؤمنين ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: من الكفر.

قوله: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ تفسير الحسن: الغائبة: القيامة[1].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا القُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ﴾ يعني الذين أدركوا النبي عليه السلام ﴿ أَكْثَرَ الذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يعني ما اختلف فيه أوائلهم، وما حرّفوا من كتاب الله، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هذا من عند الله.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هدى يهتدون به إلى الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين في الآخرة، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار. ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أعز منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ﴾ أي: البيّن.

قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَىٰ ﴾ يعني الكفار الذين يلقون الله بكفرهم، إنما مثلهم فيما تدعوهم إليه مثل الأموات الذين لا يسمعون. قال: ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ يعيبهم. وهي تقرأ على وجه آخر: (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ) يقول: إن الأصمّ لا يسمع الدعاء إذا ولّى مدبراً. وهذا مثل الكافر، أي: لا يسمع الهدى إذا ولّى مدبراً، أي: مدبراً عن الهدى جاحداً له أي: مثل الأصم الذي لا يسمع. وكان الحسن يقرأ هذا الحرف: (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ).

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع: ب و ع و سع و سح: «الغائبة: القيامة». ولا أرى وجهاً لتخصيص القيامة هنا دون سائر المغيّبات. فالغائبة تشمل كل سرّ مكتوم أو أمر خفي يغيب عن الأبصار أو الأفهام في سماء أو أرض. وحَمْلُ اللفظ على العموم أصحّ معنى وأحسن تأويلاً.

قوله: ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ يعني الذين يموتون على كفرهم ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِئَايَٰتِنَا﴾ أي: من أراد الله أن يؤمن منهم ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ وهذا سمع القبول[1]. وأما الكافر فتسمع أذناه ولا يقبله قلبه.

قوله: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: حق القول عليهم، والقول: الغضب. ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [وفي بعض القراءة: تُحدِّثهم][2] ﴿ إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِئَايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس أنه كان يقول: إنها دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة.

ذكروا عن ابن عمرو أنه قال: تخرج الدابة من مكة من صخرة بشعب أجياد. قال: فإذا خرجت الدابة فزع الناس إلى الصلاة؛ فتأتي الرجل وهو يصلي فتقول له: طوِّل ما أنت مُطوِّل، فوالله لأخطِمَنَّكَ[3]. قال: فيومئذ يعرف المنافق من المؤمن. قال عبد الله بن عمرو: لو أشاء أن أضع قدمي على مكانها الذي تخرج منه لفعلت.

ذكر الحسن أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة، دابة الأرض، فخرجت إليه ثلاثة أيام ولياليها لا يرى أطرافها، أو لا يرى واحداً من طرفيها، فرأى منظراً كريهاً، فقال: ربِّ، رُدَّها فرجعت.

ذكروا عن أبي الطفيل[4] قال: كنا جلوساً عند حذيفة فذكروا الدابة فقال

(1) كذا في ب و ع: «سمع القبول»، وفي سع وسح: «سمع القلوب».

(2) زيادة من سح، ورقة 38، ومن ز ورقة 251.

(3) خطمه، أي: ضرب خَطمَه، وهو مقدم الأنف؛ والمخاطم: الأنوف.

(4) هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، ولد عام أُحُد، فأدرك من حياة النبي ﷺ ثمانية أعوام. وروى عنه أنه قال: «ما بقي على وجه الأرض عين تطرف ممن رأى النبي ﷺ غيري»، ولذلك يعد آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ. وكان متشيّعاً. وقد ذكره ابن قتيبة في أسماء الغالية من الرافضة. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1696، وفي المعارف لابن قتيبة ص 624.

حذيفة: إنها تخرج ثلاث خَرْجات: مرّة في بطن الوادي، ثم تكمن. ثم تخرج في بعض القرى حتى تذكر، ويهريق فيها الأمراء الدماء. فبينما الناس على أعظم المساجد وأفضلها وأشرفها، يعني المسجد الحرام، إذ ترفع الأرض ويهرب الناس، وتبقى عصابة من المؤمنين يقولون: لن ينجينا من أمر الله شيء، فتخرج فتجلو وجه المؤمن، وتخطم وجه الكافر، لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب. قالوا: وما الناس يومئذ يا حذيفة؟ قال: جيران في الرِّبَاع، شركاء في الأموال، أصحاب في الأسفار.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: يبيت الناس يسيرون إلى جمع وتبيت الدابة تسري إليهم فيصبحون قد جعلتهم بين رأسها وذنبها، فما تمرّ بمؤمن إلا تمسحه، ولا بكافر ولا منافق إلا تخطمه، وإن التوبة اليوم[1] لمفتوحة.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: لا تقوم الساعة حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد يعرفون مؤمنيهم من كافريهم. قال: تخرج دابة الأرض فتمسح كل إنسان على مسجَده[2]؛ فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيضّ لها وجهه، وأما الكافر فتكون نكتة سوداء حتى يسودّ وجهه؛ حتى أنهم ليتبايعون في أسواقهم فيقول هذا: كيف تبيع هذا يا مؤمن، ويقول هذا: كيف تأخذ هذا يا كافر. فما يرد بعضهم على بعض.

قوله: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ إِنَّ النَّاسَ ﴾ أي: المشركين ﴿ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ ﴾ وبعضهم يقرأها: ﴿ تَكْلِمُهم ﴾ أي: تجرحهم[3]. وبعضهم يقول: تَسِمُهم.

---

(1) كذا في ب و ع: «وإن التوبة اليوم لمفتوحة». أي: يومئذ؛ ولم ترد كلمة اليوم في سع ولا في سح.

(2) المسجَد، بفتح الجيم، جبهة الرجل حيث يصيبه أثر السجود.

(3) هذا الشرح لكلمة: «تَكْلِمهم» مما انفردت به ب و ع. وفي سع 70 و: «تَكْلِمُهم، أي: تَسِمهم». وما ورد في ب و ع أصح، وكأن الفراء لم يستسغ هذه القراءة حين قال في المعاني ج 2 ص 300: «واجتمع القراء على تشديد (تُكَلِّمُهُمْ)، وهو من الكلام. وحدثني بعض المحدِّثين أنه قال: (تُكَلِّمُهُمْ) وَ (تَكْلِمُهُمْ)».

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً ﴾ يعني كفار كل أمة ﴿ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِئَايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ لهم وَزَعةٌ ترد أولاهم على أخراهم.

قال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا ﴾ أي: حتى إذا قُدِم بهم على الله ﴿ قَالَ ﴾ الله: ﴿ أَكَذَّبْتُمْ بِئَايَٰتِي ﴾ أي: بحجتي[1] ﴿ وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً ﴾ أي: بأن ما عبدتم من دوني ما خلقوا معي شيئاً ولا رزقوا معي شيئاً، وإن عبادتكم إياهم لم تكن بإحاطة علم علمتموه، إنما كان ذلك منكم على الظَّنّ. ﴿ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يستفهمهم بذلك وهو أعلم بذلك منهم؛ أي: يحتجّ عليهم.

قال: ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ أي: الغضب ﴿ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ أي: بما أشركوا ﴿ فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي: منيراً[2] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ والصور قرن. وقال مجاهد: كهيئة البوق[3]. ﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾. وهذه النفخة الأولى.

وقال الحسن في قوله: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ): استثنى الله طوائف من أهل السماء يموتون بين النفختين.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) يعني الشهداء، فإنهم قالوا:

---

(1) كذا في ب و ع: «أي بحجتي». وهو تأويل انفردت به ب و ع. والحقُّ أن آيات الله أعمّ من حجته وإن كان له وحده الحجة البالغة.

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 96: « (وَالنَّهَارَ مُبْصِراً) مجازه مجاز ما كان العمل والفعل فيه لغيره؛ أي: يُبصَر فيه؛ ألا ترى أن البصر إنما هو في النهار والنهار لا يبصر، كما أن النوم في الليل ولا ينام الليل؛ فإذا نيم فيه قالوا: ليله قائم ونهاره صائم. قال جرير:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ»

(3) في ب و ع: «كقرن البوق» وهو خطأ وأثبت التصحيح من سع ورقة 70 و، ومن سح.

ما أحسن هذا الصوت كأنه الأذان في الدنيا، فلم يفزعوا ولم يموتوا[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشقّ عنه الأرض، فأجد موسى متعلّقاً بالعرش، فلا أدري أُصْعِق فيمن صعق، أم أَجْزَته الصعقة الأولى. وذكروا عن الحسن عن رسول الله ﷺ قال: فأجد موسى متعلّقاً بالعرش فلا أدري أحوسب بالصعقة الأولى، أم خرج قبلي[2].

قوله: ﴿ وَكُلٌّ ءَاتُوهُ دَٰخِرِينَ ﴾ يعني صاغرين. يعني النفخة الآخرة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون؛ الأولى يميت الله بها كل حي، والأخرى يحيي الله كل ميّت[3].

ذكروا عن عكرمة قال: النفخة الأولى من الدنيا والأخرى من الآخرة. ذكروا عن عبد الله بن عمرو أنه قال: النافخان في السماء الثانية، رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب، ورأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه. وذكر بعضهم أن المنادي، وهو صاحب الصور ينادي من الصخرة من بيت المقدس.

قوله: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ أي: ساكنة ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ وتكون الجبال كالعهن، أي: كالصوف المنفوش، وتكون كثيباً مهيلاً، وتُبَس بَسّاً كما يُبسُّ السويق، وتكون سَراباً، ثم تكون هباءً منبثّاً؛ فذلك حين تذهب من أصولها فلا يرى منها شيء، فتصير الأرض كلها مستوية.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 20 ص 19 وفي ص 20 من طريقين عن أبي هريرة. ولفظه: «هم الشهداء». وليس فيه بقية الحديث.

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 425.

(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 348.

قوله: ﴿ صُنعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أي: أحكم كل شيء ﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ ﴾[1].

قوله: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ أي: بالإيمان، وهو شهادة لا إلّه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق من الله، وعمل صالحاً وعمل جميع الفرائض[2]. ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ أي: فله منها خير، وهو الجنة. وفي الآية تقديم، أي: فله منها خير.

قال: ﴿ وَهُم مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة على رجل يشهد ألا إلّه إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[3].

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: تنفخ النفخة الأولى وما يعبد الله يومئذ في الأرض.

قوله: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ أي: ألقوا في النار على وجوههم. ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: من مات لا يشرك بالله شيئاً وعمل بفرائض الله دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار[4]. قوله: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا، يقال لهم ذلك في الآخرة.

قوله: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ البَلْدَةِ ﴾ يعني مكة ﴿ الذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي: إنما أمرت أن أعبد ربها الذي حرّمها ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

(1) قال الأخفش في معاني القرآن، ج 1 ص 422: «. . . و(صُنعَ اللهِ) و(كِتَابَ اللهِ) إنما هو مِنْ صَنَعَ اللهُ ذلك صُنعاً. فهذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا، وهو كثير».

(2) هذا تعريف الحسنة في مذهب الشيخ هود الهواري، لا يحيد عن تعريف الإيمان بما شرحه. أما ابن سلام فاكتفى بقوله: «(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ)؛ بلا إلّه إلا الله مخلصاً». كما جاء في سع ورقة 70 ظ.

(3) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (رقم 148) عن أنس؛ ولفظه: لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله.

(4) انظر ما سلف ج 1 ص 388؛ فقد مضى التعليق عليه هناك.

المُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ القُرْآنَ ﴾ أي: وأمرت أن أتلو القرآن ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنْذِرِينَ ﴾ أي: لا أستطيع أن أكرهكم عليه، أي: ليس عليّ إلا أن أنذركم.

قوله: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي: في الآخرة على ما قال في الدنيا، أي: من وعده ووعيده. وقال مجاهد: على ما يرون من الآيات في السماء والأرض والرزق.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُـونَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: على التاء والياء؛ فمن قرأها بالياء يقول: وما ربّك، يا محمد، بغافل عما يعملون، يعني جميع الناس. ومن قرأها بالتاء: (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقوله لهم.

تفسير سورة القصص
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾ قد فسّرناه في طسم الشعراء.

قوله: ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لقوم يصدّقون.

قوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ ﴾ أي: بغى في الأرض[1]، [يعني أرض مصر][2] ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ﴾ أي: فرقاً. ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ أي: فيذبح طائفة ويعذّب طائفة ويستعبد طائفة، يعني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر في يد فرعون. والطائفة التي كان يذبح: الأبناء، والطائفة التي كان يستحيي: النساء، فلا يقتلهن. ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ ﴾ أي: في الأرض بشركه وعمله السوء.

قوله: ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ أي: كان يفعل هذا فرعون يومئذ ونحن نريد ﴿ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: يقتدى بهم، أي: أئمة في الدين[3]. ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ أي: يرثون الأرض بعد فرعون وقومه؛ ففعل الله ذلك بهم.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 97: «أي عظُمَ وشرُفَ وغلب عليها وطغى».
(2) زيادة من سع ورقة 72 ظ، ومن سح ورقة 44. والقول للسدي.
(3) كذا في ب و ع: «أئمة في الدين»، وفي سع وسح وز: « (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي ولاة الأمر». وروى عن ابن عباس في تأويل هذه الكلمة: (أَئِمَّةً) أي: «قادة يُقتدى بهم في الخير».

قال: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ وهو تبع للكلام الأول: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ) قال: ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾. وذلك أنه قيل لفرعون إنه يولد في هذا العام غلام يسلبك ملكك؛ فتتبع أبناءهم يقتلهم ويستحيي نساءهم فلا يقتلهن حذراً مما قيل له[1].

قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ وحي إلهام، أي: قذف في قلبها، وليس بوحي نبوّة. ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ الطلب ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ أي: البحر ﴿ وَلَا تَخَافِي ﴾ أي: الضّيعة ﴿ وَلَا تَحْزَنِي ﴾ أن يُقتل ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فجعلته في تابوت، ثم قذفته في البحر.

﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾ قال بعضهم، لا أعلم، إلا أنه بلغني أن الغسالات على النيل التقطته. قال: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ﴾ أي: ليكون لهم عدوّاً في دينهم وحزناً، أي: ليحزنهم به. قال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ أي: مشركين.

قوله: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ تقوله لفرعون، تعني بذلك موسى؛ أُلقِيت عليه رحمتها حين أبصرته. ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾. قال الله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: أن هلاكهم على يده وفي زمانه.

قوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغاً ﴾ أي: من كل شيء إلا من ذكر موسى، أي: لا تذكر غيره. ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ أي: لتُبَيِّنُ لهم أنه ابنها من شدة وجدها ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أي: بالإيمان ﴿ لِتَكُونَ ﴾ أي: لكي تكون ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ أي: قالت أم موسى لأخت موسى: (قُصِّيهِ) أي: قُصّي أثره. قال الله: ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ ﴾ أي: عن ناحية من بعيد ﴿ وَهُمْ

(1) زيادة من سع، ورقة 72 ظ، ومن ز ورقة 253.

﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنها أخته. ثم جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده. وقال مجاهد: (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) أي: من بعيد.

قوله: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها حتى ردّه الله إلى أمّه. ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ أي: الا أدلكم ﴿ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ أي: يضمّونه[1] لكم فيرضعونه ﴿ وَهُمْ لَهُ نَـٰصِحُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي: الذي قذف في قلبها: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) قال: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: جماعتهم لا يعلمون.

قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ﴾ قال مجاهد: (بَلَغَ أَشُدَّهُ): يعني ثلاثاً وثلاثين سنة[2]، (وَاسْتَوَىٰ) يعني أربعين سنة. ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ أي: أعطيناه فهماً وعقلاً ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾. ذكر ابن عباس قال: دخل وسط النهار. وقال الحسن: يوم عيد لهم، فهم في لهوهم ولعبهم. ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ أي: من بني إسرائيل. ﴿ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ أي: قبطي [من قوم فرعون][3] ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ أي: من جنسه ﴿ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾. وكان القبطي سخّر الإسرائيلي ليحمل حطباً لمطبخ فرعون فأبى فقاتله.

قال: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ ﴾ بعصاه[4]، ولم يتعمّد قتله ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾. قال

---

(1) في ب و ع: «يضمنونه»، وفي الكلمة تصحيف. وأثبت التصحيح من سع و سح ومن ز ومن مجاز أبي عبيدة: «يضمّونه».

(2) في المخطوطات الأربع: «بلغ أشده: عشرين سنة» وهو خطأ. أثبت صوابه: «ثلاثاً وثلاثين سنة» من تفسير مجاهد ص 281 - 282، ومن تفسير الطبري، ج 20 ص 42.

(3) زيادة من سع ورقة 72 ظ، ومن سح ورقة 46.

(4) كذا وردت الكلمة في ب و ع: «بعصاه». وفي سح ورقة 46: «قال قتادة: بعصا» ولعلها زيادة خاطئة من بعض النساخ. فكلمة العصا لم ترد في سع ولا في ز. ثم إن الوكز لغة الدفع =

الحسن: ولم يكن يحلّ له قتل الكفار يومئذ في تلك الحال. كانت حال كف عن القتال.

وقال الكلبي: كان فرعون وقومه يستعبدون بني إسرائيل، ويأخذونهم بالعمل ويتسخّرونهم. فمرّ موسى على رجل من بني إسرائيل قد تسخره رجل من أهل مصر، فاستغاث بموسى، فوكزه موسى فقضى عليه ولم يكن أمر بالقتال.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بين العداوة.

ثم ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ يعني قتله القبطي، ولم يتعمّد قتله، ولكنه تعمد وكزه فمات ﴿ فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً ﴾ أي: عويناً ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: للمشركين. وقال بعضهم: أي: فلن أعين بعدها على فجْرَةٍ؛ وقلّ ما قالها رجل قط إلا ابتُلِي.

قوله: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً ﴾ أي: من قتله النفس ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ أي: أن يؤخذ.

ذكر عن الحسن عن علي رضي الله عنه أنه قال: البلاء موكّل بالنطق[1].

قوله: ﴿ فَإِذَا الذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ أي: يستغيثه، ويستنصره ويستصرخه واحد. ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ ﴾ أي: للإسرائيلي ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن الغواية.

= والضرب والطعن «بِجُمْعِ الكفّ» كما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني وفي اللسان. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 99: « (فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) بمنزلة لهزه في صدره بجمع كفه، فهو اللكز واللهز». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 304: (فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) يريد: فلكزه، وفي قراءة عبد الله (فَنَكَزَهُ) ووهزه أيضاً لغة. كل سواء».

(1) كذا في ب وع: «بالنطق» وفي سع وسح: «موكل بالقول».

ثم أدركت موسى الرقةُ عليه ﴿ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ أي: بالقبطي ﴿ قَالَ ﴾ الإسرائيلي. [قال بعضهم][1]: وبلغنا أنه السامري، فخلى السامري عن القبطي وقال: ﴿ يَا مُوسَىٰ ﴾ الإسرائيلي يقوله: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ ﴾ يعني قتالاً في الأرض ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾[2].

قوله: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّن أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّـٰصِحِينَ ﴾ وذلك أن القبطي الآخر لما سمع قول الإسرائيلي لموسى: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾ أفشى عليه. فأتمر الملأ من قوم فرعون أن يقتلوه. فبلغ ذلك مؤمنَ آل فرعون، فجاء من أقصى المدينة يسعى. وهو الذي قال الله: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّـٰصِحِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ أي: من المدينة خائفاً من قتله النفس، يترقّب الطلب ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أي: نحو مدين[3] ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن

---

(1) زيادة من سع لا بد من إثباتها، والقول ليحيى بن سلام.

(2) جاءت عبارة الفراء في المعاني ج 2 ص 304 أوضح وأدلّ على المعنى المقصود. قال: «... وذلك أن الذي من شيعته لقيه رجل بعد قتله الأوّلَ فتسخّر الذي من شيعته موسى، فمرّ به موسى على تلك الحال فاستصرخه - يعني استغاثه - فقال له موسى: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: قد قتلتُ بالأمس رجلاً فتدعوني إلى آخر. وأقبل إليهما، فظن الذي من شيعته أنه يريده. فقال: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾ ولم يكن فرعون علم من قتل القبطيَّ الأول. فترك القبطي الثاني صاحب موسى من يده وأخبر بأن موسى القاتلُ. فذلك قول ابن عباس: فابتُلِي بأن صاحبه الذي دلّ عليه».

(3) «بلد بالشام تلقاء غزة». وقيل: «مدينة على بحر القلزم محاذية لتبوك». وهو أيضاً اسم لقبيلة قوم شعيب، انظر ياقوت، معجم البلدان ج 5 ص 77 - 78، وانظر البكري: معجم ما استعجم ج 2 ص 1201.

يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي: أن يرشدني سواء السبيل، أي: قصد الطريق. وكان خرج لا يدري أين يذهب، ولا يهتدي طريق مدين، فقال: (عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي: الطريق إلى مدين.

قوله: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ ﴾ أي: جماعة من الناس ﴿ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أي: الناس عن شائهما؛ وفي بعض القراءة: (تَذُودَانِ النَّاسَ عَنْ شَائِهِمَا)، أي: حابستين شاءهما تذودان الناس عنهما. وقال بعضهم: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس[1].

﴿ قَالَ ﴾ لهما موسى: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ أي: ما أمركما ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ أي: حتى يسقي الناس ثم نبتغي فضالتهم في تفسير الحسن ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾.

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ فلم يلبث أن أروى غنمها ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰ ﴾ أي: انصرف ﴿ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ يعني الطعام. وكان بجهد. وقال سعيد بن جبير: كان فقيراً إلى شق تمرة.

قوله: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ واضعة يديها على وجهها[2]. قال الحسن: بعيدة والله عن البذاء[3].

---

(1) أصل معنى الذود، أو الذياد، هو الطرد والدفع، وقد عبّر كل من أبي عبيدة والفراء عن المعنيين اللذين أشار إليهما المؤلف هنا. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 101: « (تذودان) مجازه: تمنعان وتردان وتطردان». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 305: «تحبسان غنمهما. ولا يجوز أن تقول: ذدت الرجل: حبسته. وإنما كان الذياد حبساً للغنم لأن الغنم والإبل إذا أراد شيء منها أن يشذ ويذهب فرددته فذلك ذود، وهو الحبس». وفي قراءة عبد الله: (وَدُونَهُمُ امْرَأَتَانِ حَابِسَتَانِ).

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «واضعة يديها»، وفي تفسير مجاهد ص 483: «واضعة ثوبها على وجهها». ولم يثبت ـ فيما أعلم ـ خبر موثوق بصحته عن رسول الله ﷺ في علامة استحيائها. وقد نسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإلى غيره كما أورده الطبري في تفسيره ج 2 ص 60.

(3) تقول: بذأتُ الرجل بذءاً، وبذأته عيني تبذؤه بكذا، وبذاءة: إذا رأيت منه حالة كرهتها فازدريته =

قال: ويقولون شعيب وليس بشعيب، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ؛ ذكروا عن ابن عباس قال: اسم ختن موسى يترى[1].

﴿ قَالَتِ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ ﴾ أي: خبره ﴿ قَالَ ﴾ الشيخ: ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿ قَالَتِ إِحْدَاهُمَا﴾ أي: إحدى المرأتين ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ أي: القوي في الصنعة، الأمين فيما ولي.

قال مجاهد: الأمين؛ غضّ طرفه عنهما حين سقى لهما. وكان الذي رأت من قوته أنه لم تلبث ماشيتها أن سقاها وأرواها. وأن الأمانة التي رأت منه أنها حين جاءت تدعوه قال لها: كوني ورائي وكره أن يستدبرها.

وبعضهم يقول في قوله: (القَوِيُّ الأَمِينُ) أنه كان على تلك البئر التي سقى منها صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلاً، فرفعهما موسى وحده، وذلك أنه سألهما هل ها هنا بئر غير هذه فقالتا نعم، ولكن عليها صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلاً[2].

قال الشيخ لموسى: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾ أي: تؤاجرني في نفسك ﴿ ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: في الرفق بك. وقال لموسى في آخر ذلك: كل سخلة تخرج على غير شبه أمها في هذا البطن فهي لك. فأوحى الله إلى موسى: إذا ملأت الحياض وقرّبتها لتشرب فألقِ عصاك في الحياض ففعل؛ فولدن كلهن خلاف شبه أُمّهاتهن، فذهب بأولاد غنمه تلك السنة. وقال بعضهم: كُلُّ بلقاء تولد فهي لك، فولدن بُلقاً كلهن.

= واحتقرته. وتقول: بذأت الشيء: إذا ذممته. والمعنى أنه ليس في مشيتها وهيئتها ما يذم أو يستهجن. (اللسان: بذأ).

(1) انظر أقوال المفسرين في اسم ختن موسى واسم المرأتين في تفسير الطبري ج 20 ص 62. والحق ما ذهب إليه الطبري أن «هذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته».

(2) في تفسير مجاهد ص 483: «عشرة رجال». على أن هذا كله مما لم يثبت فيه نص قطعي.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾ [قال بعضهم][1] وهي بلسان كلب. ﴿ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ [أي: فلا سبيل عليّ][2] ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ أي: شهيد.

قال: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ ذكر ابن عباس قال: قضى أوفاهما وأبرهما: العشر[3]. قوله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ قال مجاهد: (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ أي: قضى العشر السنين ثم أقام بعد ذلك عشر سنين فخرج بعد عشرين سنة. ﴿ ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ﴾ أي: حسب أنها نار، وإنما كانت ناراً عند موسى، وهي نور وليست بنار. ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أي: بخبر الطريق، وكان على غير الطريق ﴿ أَوْ جِذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾ وهي أصل شجرة[4] ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ أي: لكي تصطلوا، وكان شاتياً.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا أَتَيٰهَا ﴾ أي: أتى موسى النار عند نفسه ﴿ نُودِيَ مِنْ شَاطِىءِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَٰرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أي: نودي عن يمين الشجرة، أي: الأيمن من الشجرة. وفيها تقديم؛ وتقديمها: من شاطىء الوادي الأيمن من الشجرة في البقعة المباركة. ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها.

---

(1) زيادة لا بد منها، والقول لقتادة كما جاء في سح ورقة 50.

(2) جاء في ز ورقة 254 ما يلي: (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) يعني أي: الأجلين قضيت، وما زائدة (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) أي فلا سبيل (عَلَيَّ).

(3) هذا قول ابن عباس؛ وقد رويت أحاديث يعضد بعضها بعضاً في معناه تبين أن رسول الله ﷺ سئل: أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقال عليه السلام: أبرّهما وأوفاهما. انظر تفسير الطبري ج 20 ص 68، وتفسير ابن كثير ج 5 ص 275 - 277. والحديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو يعلى في المسند عن ابن عباس ولفظه: «سألت جبريل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أكملهما وأتمّهما».

(4) كذا في المخطوطات الأربع: «أصل شجرة»، و«أصل الشجرة». ولكن لا بد من إضافة عبارة: «فيها نار» حتى يتضح المعنى؛ لأن الجذوة هي «الشعلة من النار» أو «العود من الحطب الذي فيه النار».

﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ أي: كأنها حيّة ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِراً ﴾ أي: هارباً ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: ولم يلتفت، أي: من الفرَق. وقال مجاهد: ولم يرجع. ﴿ يَـٰمُوسَىٰ أَقْبِلْ ﴾ الله يقوله: يَـٰمُوسَىٰ أقبل ﴿ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِنِينَ ﴾.

﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ أي: أدخل يدك في جيبك. أي: في جيب قميصك ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي: من غير برص. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح. ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ أي: يدك[1] ﴿ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ أي: من الرعب.

قال بعضهم: أي: واضمم يدك إلى صدرك فيذهب ما في صدرك من الرعب، وكان قد دخله رعب وفَرَق من آل فرعون فأذهب الله ذلك عنه.

قوله: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: بيانان من ربك، يعني العصا واليد وقال بعضهم: برهانان، أي بيّنتان من ربّك. والبرهان في قول الحسن: الحجّة. أي: حجتان من ربك. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ أي: وقومه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾ أي: مشركين.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً ﴾ أي: القبطي ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.

﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً ﴾ يعني العقدة التي كانت في لسانه. ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً﴾ أي: عوناً، في تفسير الحسن[2]. ﴿ يُصَدِّقُنِي﴾. وقال

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «يدك» و «يديك». وكذلك فسّره أبو عبيدة وابن قتيبة. ولكن الفراء أول اللفظ تأويلاً آخر فقال في المعاني ج 2 ص 306: «وقوله: (واضمم إليك جَنَاحَكَ) يريد عصاه في هذا الموضع. والجناح في الموضع الآخر: ما بين أسفل العضد إلى الرُّفغ، وهو الإبط».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 104: « (رِدْءاً) أي: معيناً. ويقال: قد أردأت فلاناً على عدوّه وعلى ضيعته. أي: أكنفته وأعنته، أي: صرت له كَنَفاً».

الكلبي: (مَعِي رِداً يُصَدِّقُنِي) أي: كيما[1] يصدقني، أي: كي يكون معي في الرسالة. ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً ﴾ أي: حجة ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِئَايَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَـٰلِبُونَ﴾.

فانطلق موسى إلى فرعون، وأوحى الله إلى هارون أن يستقبل أخاه فاستقبله. فأتيا باب فرعون، فقالا للبواب: اذهب فأخبر فرعون أن بالباب رسولَ ربِّ العالمين. فدخل عليه البوّاب فقال: إن بالباب رجلاً مجنوناً يزعم أنه رسول ربّ العالمين. فقال له فرعون: أتعرفه فقال له: لا، ولكن معه هارون. وكان هارون عندهم معروفاً. وكان موسى قد غاب عنهم زماناً من الدهر. قال فرعون: اذهب فأدخله. فدخل عليه، فعرفه، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: كأنه عرف وجهه ولم يثبته. فقال: من أنت؟ فقال: أنا رسول ربّ العالمين. فقال: ليس عن هذا أسألك، ولكن من أنت وابن من أنت؟ فقال: أنا موسى بن عمران. وكان قد ربّاه في حجره حتى صار رجلاً؛ فقال له فرعون: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) أي: وأنت لا تدّعي شيئاً من هذه النبوّة (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ) [الشعراء: 18 - 19] أي: لنعمتنا، أي: فيما ربّيناك.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِئَايَاتِنَا ﴾ أي: بحجتنا ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: واضحات ﴿ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ أي: إنني أنا جئت بالهدى من عنده ﴿ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُـونَ﴾ أي: المشركون، أي: لا يَدْخُلون الجنة، والمفلحون هم أهل الجنة.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰأَيُّهَـا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ أي: تعمداً منه

(1) كذا في ع، وفي سح ورقة 51: «كيما» وهو الصحيح، وفي ب: «قيما يصدقني». وفيه تصحيف.

للكذب. ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى الطِّينِ ﴾ أي: فاطبخ لي آجُراً، فكان أول من طبخ الآجرّ. ﴿ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً ﴾ أي: فابن لي صرحاً ﴿ لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ﴾ فبنى له صرحاً عالياً، وقد علم فرعون أن موسى رسول الله، وهذا منه كذب. قال الله: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) [النمل: ١٤].

قال الله: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قال: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ وقد فسَّرنا ذلك في غير هذه السورة[1]. قال: ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الظَّـٰلِمِينَ﴾ فكان عاقبتهم أن دمَّر الله عليهم ثم صيَّرهم إلى النار.

قال: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ أي: يتبعهم مِن بعدهم مَن بعدهم من الكفار ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾.

قال: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: العذاب الذي عذبهم به، [أي: الغرق][2] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: في النار. وأهل النار مقبوحون مشوَّهون، سود زُرق كأن رؤوسهم آجام القصب كالحون؛ شفة أحدهم السفلى ساقطة على صدره، وشفته العليا قالصة قد غطَّت وجهه؛ رأس أحدهم مثل الجبل العظيم، وضرسه مثل أحد، وأنيابه كالصياصى، وهي الجبال؛ وغلظ جلده أربعون ذراعاً، وبعضهم يقول: أربعون سنة، تسير الدوابّ فيما بين جلده ولحمه كما تسير الوحوش في البرِّيَّة، وفخذه مسيرة يومين. وقال عبد الله بن مسعود: إني أراه يشغل من جهنم مثل ما بيني وبين المدينة؛ وهو بالكوفة[3].

---

(1) انظر ما سلف قريباً: ص 225 - 228 من هذا الجزء.

(2) زيادة من ز ورقة 255 ومن سح ورقة 53.

(3) ذهب المؤلف هنا في تفسير المقبوحين إلى معنى قبحهم الجسماني وقبح صورتهم. وذهب أبو=

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتَـٰبَ ﴾ يعني التوراة ﴿ مِن بَعْدِمَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَىٰ بَصَـٰائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتذكروا. فكانت التوراة أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام. قوله: (مِن بَعْدِمَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَىٰ) أي: قرناً بعد قرن، كقوله: على مقرأ هذا الحرف: (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ) [هود: 102].

قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ ﴾ [أي: غربي] الجبل ﴿ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ ﴾ أي: الرسالة. ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾ أي: لم تكن شاهداً يومئذ لذلك[1].

قال: ﴿ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ ﴾ كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة سنة. وبعضهم يقول: ستمائة سنة. ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً ﴾ أي: ساكناً ﴿ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾ [قال بعضهم: أي: لم تكن يا محمد مقيماً بمدين فتعلم كيف كان أمرهم فتخبر أهل مكة بشأنهم وأمرهم][2]. ﴿ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾. كقوله: (أَمْراً مِّن عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) [الدخان: 5].

قال: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ أي: نودي: يا أمة محمد، أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني. قال: ﴿ وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً ﴾ يعني قريشاً ﴿ مَّا أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتذكروا.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ يعني المشركين ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بالذي هم عليه من الشرك. والمصيبة في هذا الموضع العذاب. يقول: ولو

= عبيدة والطبري إلى معنى الإهلاك في جهنم، وذهب آخرون إلى معنى الإبعاد عن كل خير؛ يقال: قَبَحَ الله فلاناً قَبْحاً وقُبوحاً أقصاه وباعده من كل خير. وهو معنى وجيه في هذا المقام.

(1) كذا في ب و ع وفي سح ورقة 53: «لم تكن شاهداً يومئذ لذلك»، وفي سح زيادة: «قال السدي: لم تكن من الحاضرين». وفي ز ورقة 255: «لم تشاهد ذلك». والمعاني متقاربة.

(2) زيادة من ز ومن سح.

عذّبناهم لاحتجّوا وقالوا: ﴿ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فقطع الله عذرهم بمحمد فكذّبوه.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالُوا لَوْلَآ أُوتِيَ ﴾ يعنون النبي محمداً عليه السلام ﴿ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ أي: هلا أعطي مثل ما أعطي موسى؛ أي: هلّا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة.

قال الله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ وقد كان كتاب موسى عليهم حجّة، في تفسير الحسن. ﴿ قَالُوا سَـٰحِرَٰنِ تَظَـٰهَرَا ﴾ أي: موسى ومحمد، في تفسير الحسن؛ وهذا قول مشركي العرب. ﴿ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ﴾ أي: بالتوراة والقرآن.

وقال بعضهم: (سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) أي: موسى وهارون. وقال مجاهد: (قَالُوا لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ) هذا قول اليهود؛ أمروا قريشاً أن يسألوا محمداً مثل ما أوتي موسى؛ يقول الله يا محمد، قل لقريش يقولوا لهم: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ قول يهود لموسى وهارون (وَقَالُوا) أي: اليهود (إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) أي: نكفر أيضاً بما أوتي محمد[1].

قال الله: [﴿ قُلْ فَاتُوا بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ﴾ أي: من التوراة والقرآن ﴿ أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾][2].

قال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ فيأتوا به، ولا يأتون به، ولكنها حجّة عليهم، ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَيٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ ﴾ جاءه، أي: لا أحد أظلم منه ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين الذين يموتون على شركهم.

(1) جاء قول مجاهد هذا في ب و ع مضطرب العبارة ناقصاً أحياناً فأثبت التصحيح من سح ورقة 55.
(2) سقطت هذه الآية وتفسيرها من ب ومن ع فأثبتها من ز وسع.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ أي: أخبرناهم بما أهلكنا به الأمم السالفة قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، أي: أهلكناهم بتكذيبهم رسلهم[1]. قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتذكّروا فيحذروا ألا ينزل بهم ما نزل فيهم فيؤمنوا.

قوله: ﴿الذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الكِتَـٰبَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل هذا القرآن ﴿ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: هم بالقرآن يؤمنون؛ يعني من آمن من أهل الكتاب، يعني من كان متمسّكاً بدين موسى وعيسى ثم آمن بمحمد.

قوله: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل القرآن ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ أُولَئِكَ يُؤتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي: على دينهم. ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ أي: يعفون عن السيئة ويأخذون بالحسنة. والسيئة ها هنا الجهل، والعفو: الحلم. وإذا حلُم فعفا عن السيئة فهو حسنة. [وقال السّدي: يقول: ويدفعون بالقول المعروف والعفوِ الأذى والأمرَ القبيح][2] قال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: الزكاة الواجبة.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ أي: الباطل، أي: الشرك والنفاق، والقول السيء. وقال بعضهم: الشتم والأذى [من كفار قومهم][3]. ﴿ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي: لم يردّوا عليهم. ﴿ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ كلمة حلم عن المشركين وتحية بين المؤمنين ﴿ لَا نَبْتَغِي الجَـٰهِلِينَ﴾ أي: لا نكون من الجاهلين.

وقال بعضهم: هم مسلمو أهل الانجيل.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 307: «(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ): أنزلنا عليهم القرآن يتبع بعضه بعضاً».

(2) ما بين المعقوفين زيادة من سح ورقة 56 ومن ز ورقة 256. ففيها شرح لكلمة يدرأون، بمعنى يدفعون ويردون، ومنه الحديث: ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم.

(3) زيادة من سح و ز.

وقال الكلبي: هم أناس من أهل الكتاب لم يكونوا هوداً ولا نصارى، وكانوا على دين أنبياء الله ورسله، وكرهوا ما عليه اليهود والنصارى، وأخذوا بأمر الله، فكانوا ينتظرون النبي عليه السلام، فلمّا سمعوا به وهو بمكة أتوه. فلما رأوه عرفوه بنعته، وسألوه أن يقرأ عليهم القرآن. فلمّا سمعوه ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ﴾، أي: بالقرآن، ﴿ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾. قال الله: ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾. يقول: بأخذهم بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الآخر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: من آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر، والعبد إذا أطاع الله وأطاع سيّده، والرجل إذا أعتق أمته ثم تزوّجها[1].

قال الكلبي: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾. قال أبو جهل لهؤلاء الرهط الذين أسلموا من أهل الكتاب: أفٍّ لكم من قوم منظور إليكم، اتبعتم غلاماً قد كرهه قومه، وهم أعلم به منكم. فقالوا لهم: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم لَا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾. نزلت في أبي طالب حين راوده النبي عليه السلام على أن يقول: لا إله إلا الله فأبى.

وقال مجاهد: قال له النبي عليه السلام: [قل كلمة الإخلاص، وهي التوحيد][2] أُجادِلْ بها عنك يوم القيامة[3]. فقال له: يا ابن أخي، قد علمت أنك

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمَته وأهلَه. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس... (رقم: 154). كلاهما يرويه من حديث أبي بردة عن أبيه أبي موسى الأشعري عن النبي عليه السلام. واللفظ عند مسلم أكثر تفصيلاً وأتمّ رواية.

(2) سقطت هذه الجملة من ب و ع، ولا بد من إثباتها ليستقيم المعنى، وهي موجودة في تفسير مجاهد، ص 488، وفي سح ورقة 57.

(3) حديث صحيح متّفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة القصص، وأخرجه مسلم =

صادق، وأنك لن تدعو إلا إلى خير، ولولا أن تكون عليك وعلى بنيك سبّة لأقررت بما عندك عند الفراق، ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ.

قال: (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) أي: من قدر عليه الهدى، ممن يقبل الهدى أو يجيب له[1].

قوله: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِن أَرْضِنَا ﴾ أي: لقِلَّتِنا في كثرة العرب، ولكن ينفي الحربَ عنا أنا على دينهم، فإذا آمنا بك واتّبعناك خشينا أن يتخطّفنا الناس.

قال الله: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَـرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا ﴾ أي: من عندنا ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: قد كانوا في حَرَمِي يأكلون رزقي، ويعبدون غيري، وهم آمنون، أفيخافون، إن آمنوا، أن أُسلّط عليهم من يقتلهم ويسبيهم؟ ما كنت لأفعل.

قوله: (تُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) كقوله: (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ) [النحل: 12].

ذكر بعضهم قال: إن سيلاً أتى على المقام واقتلعه فإذا في أسفله كتاب. فدعوا له رجلاً من حمير فزبره لهم في جريدة، ثم قرأه عليهم فإذا فيه: هذا بيت الله المحرّم، جعل رزق من يعمره يأتيهم من ثلاث سبل، مبارك لأهله في الماء واللحم، وأول من يحلّه أهله.

ذكر مجاهد قال: وجد عند المقام كتاب الله فيه: إني أنا الله ذو بَكّة، صنعتها[2]

= في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضرة الموت (رقم 24)، كلاهما يرويه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه. ولفظ البخاري: «أي عمِّ قل لا إلّه إلا الله كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله». ولفظ مسلم: «يا عمّ، قل لا إلّه إلا الله كلمةً أشهد لك بها عند الله».

(1) كذا في ب و ع، وفي سح ورقة 57.

(2) كذا في ب و ع: «صنعتها»، وفي سع و سح: «صغتها».

يوم خلقت السماوات والأرض والشمس والقمر، وحرّمتها يوم خلقت السماوات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء يأتيها رزقها من ثلاث سبل، مبارك لأهلها في الماء واللّحم، وأول من يحلّها أهلها.

قال: ﴿ رِزْقاً مِّن لَّدُنَّا ﴾ أي: من عندنا ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: جماعتهم لا يعلمون، يعني من لا يؤمن منهم.

قوله: ﴿ وَكَم أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ كقوله: ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ ﴾ [النحل: 112] أي: فأهلكناهم، يعني من أهلك من القرون الأولى. ﴿ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَٰرِثِينَ ﴾ كقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ [مريم: 40].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ ﴾ أي: معذبهم، يعني هذه الأمة ﴿ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾ وأمها: مكة، هي أم القرى. والرسول: محمد ﷺ، قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾ وقال في آية أخرى مدنية في النحل[1] بعد هذه الآية: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَت ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً ﴾، والرغد ألا يحاسبها أحد بما رزقها الله ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ ﴾ أي: كفر أهلها، وهي مكة﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ محمد ﷺ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أي: وهم مشركون.

قوله: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: الجنة. ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

ثم قال على الاستفهام: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْداً حَسَناً ﴾ أي: الجنة ﴿ فَهُوَ لَـٰقِيهِ ﴾ أي: داخل الجنة ﴿ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ أي: في النار، أي: إنهما لا يستويان، أي: لا يستوي من يدخل الجنة

(1) الحق أن سورة النحل كلها مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة منها.

ومن يدخل النار. وبعضهم يقول: نزلت في النبي عليه السلام وأبي جهل[1].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ أي: في الآخرة، يعني المشركين ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي: في الدنيا أنهم شركائي، فأشركتموهم في عبادتي.

﴿ قَالَ الذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ ﴾ أي: الغضب[2]، يعني الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَـٰهُمْ ﴾ أي: أضللناهم ﴿ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أي: كما ضللنا ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ أي: لا سلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به، وإنما دعوهم بالوسوسة كقول إبليس: (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) [إبراهيم: 22]، وكقوله في قولهم: (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ) [الصافات: 30]، وكقول الله: (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّنْ سُلْطَانٍ) [سبأ: 21]... إلى آخر الآية. وكقوله: (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أي: بمضلّين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ) [الصافات: 162 - 163].

قال: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ يعني الأوثان ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا العَذَابَ ﴾ أي: ودخلوا العذاب ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ [أي: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما دخلوا العذاب. وبعضهم يقول: لَو أَنَّهُمْ كَانُوا مُهْتَدِينَ][3] أي: في الدنيا كما أبصروا الهدى في الآخرة ما دخلوا العذاب، وإيمانهم في الآخرة لا يقبل منهم.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يستفهمهم، فيحتجّ عليهم، وهو أعلم بذلك، ولا يسأل العبادَ عن أعمالهم إلا الله وحده.

---

(1) انظر اختلاف المفسرين فيمن نزلت فيهم هذه الآية عند الواحدي، أسباب النزول ص 353، وتفسير الطبري، ج 2 ص 97.

(2) وقال ابن قتيبة: «أي: وجبت عليهم الحجة فوجب العذاب».

(3) زيادة من ز ورقة 256، ومن سح وسع.

قال: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ ﴾ أي: الحجج ﴿ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أي: أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبه شيئاً، في تفسير الحسن.

وقال مجاهد: (لاَ يَتَسَاءَلُونَ) أي: بالأنساب، وفي تفسير بعضهم أنه لا يسأل قريب قريبه أن يحمل من ذنوبه شيئاً، كقوله: (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: 18].

قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ ﴾ أي: من شركه ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي: أخلص الإيمان لله، ﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً ﴾ أي: في إيمانه ﴿ فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ وعسى من الله واجبة. والمفلحون السعداء، وهم أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ أي: من يشاء من خلقه، أي: للنبوّة. ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ ﴾ أي: ما كان لهم أن يختاروا هم الأنبياء فيبعثوهم[1]. بل الله هو الذي اختار، وهو (أَعْلَمُ حيث يَجْعلُ رِسَـٰلَته) [الأنعام: ١٢٤] ﴿سُبْحَانَ اللهِ﴾ ينزّه نفسه ﴿وَتَعَالىٰ﴾ أي: ارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ أي: ما يسرّون ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ وَلَهُ الحُكْمُ ﴾ أي: القضاء ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ قُل أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً ﴾ [أي: دائماً لا ينقطع][2] ﴿ إِلَى يَوْمِ القِيَـٰمَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ ﴾ وهذا على الاستفهام ﴿ يَأتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ﴾ أي: بنهار ﴿ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ﴾ أمره، يقوله للمشركين.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً ﴾ أي: دائماً ﴿ إِلَى يَوْمِ القِيَـٰمَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ كقوله: (وَجَـاعِلُ اللَّيْـلِ سَكَناً) [الأنعام: 96] أي: يسكن فيه الخلق ﴿ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ أمره. يقوله للمشركين.

(1) كذا في سح و سع: فيبعثوهم، وفي ز ورقة 257، وفي ع: فيتّبعوهم.

(2) زيادة من ز، ومن سح و سع.

قال الله: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ أي: في الليل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: بالنهار. وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر فأما المؤمن فتمّ عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأما الكافر فهي رحمة له في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. قال: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: ولكي تشكروا.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال: ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ أي: جئنا برسولهم، كقوله: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً) [النساء: 41]، وكقوله: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) [الإسراء: 71] أي: بنبيّهم، وقال بعضهم: بكتابهم قال: ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي: حُجّتكم، في تفسير الحسن، أي: بأن الله أمركم بما كنتم عليه من الشرك. وقال بعضهم: (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) أي: بيّنتكم. قال: ﴿ فَعَلِمُوا ﴾ أي: يومئذ ﴿ أَنَّ الْحَقَّ لِلهِ ﴾ أي: التوحيد ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ يعني أوثانهم التي كانوا يعبدون.

قوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾، كان ابن عمه، أخي أبيه ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ كان عاملاً لفرعون فتعدّى عليهم وظلمهم ﴿وَءَاتَيْنَاهُ﴾ يعني قارون أعطيناه ﴿ مِنَ الْكُنُوزِ ﴾ أي: من الأموال ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ﴾ قال بعضهم: خزائنه، يعني أمواله، وقال بعضهم: مفاتح خزائنه ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ أي: لتثقل العصبة ﴿ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ أي: من الرجال، والعصبة الجماعة، وهم ها هنا أربعون رجلاً[1].

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ﴾ إذ قال له موسى والمؤمنون من بني إسرائيل ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ أي: لا تبطر ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ أي: المرحين المشركين الذين يفرحون بالدنيا ولا يفرحون بالآخرة، أي: لا يؤمنون بها، لا يرجونها. وقال في آية أخرى: (وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا)، وهم المشركون.

---

(1) وقال مجاهد في تفسيره ص 489: «العصبة ما بين العشرة إلى خمسة عشر».

وقال مجاهد: ﴿ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ ﴾ [المُتَبَذِّخِينَ][1] الأَشِرين البَطِرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم، وهو واحد.

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَـٰكَ اللهُ ﴾ أي: من هذه النعم والخزائن ﴿ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾ أي: الجنة ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ أي: اعمل في دنياك لآخرتك، في تفسير بعضهم. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾، أي: طاعة الله وعبادته[3].

﴿ وَأَحْسِنْ ﴾ أي: فيما افترض الله عليك ﴿ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ أي: المشركين في هذا الموضع[3].

﴿ قَالَ ﴾ قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِيَ ﴾ أي: إنما أعطيته، يعني ما أعطي من الدنيا، على علم عندي، أي: بقوتي وعلمي، وهي مثل قوله: ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ قال الله: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: بليّة ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 49].

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ ﴾ قارون، أي: بلى قد علم، وهذا على الاستفهام ﴿ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل قارون ﴿ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً ﴾ أي: من الجنود والرجال.

قال الله: ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون، أي: ليعلم ذنوبهم منهم، أي: يُعرفون بسواد وجوههم وزرقة عيونهم، كقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمٰن: 39]، وكقوله: ﴿ يُعْرَفُ

(1) زيادة من ز ورقة 257، ومن تفسير مجاهد ص 490.

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 111: «مجازه: لا تدع حظك وطلب الرزق الحلال منها». وهذا الوجه أقرب إلى حقيقة التأويل.

(3) اللفظ يشمل كل مفسد في الأرض، من مشرك، وباغ، وظالم، ومفسد بين الناس وغيرهم من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ) الرحمٰن: 41] أي: يجمع بين ناصيته وقدمه.

قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ يعني قارون ﴿ فِي زِينَتِهِ ﴾ قال الكلبي: خرج وعليه ثياب حمر مصبوغة بالأرجوان على بغلة بيضاء. وقال الحسن: خرج في صنوف ماله من درّ وذهب وفضة، وقيل: خرج في الحمرة والصفرة.

﴿ قَالَ الذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴾ أي: المشركون الذين لا يُقِرُّونَ بالآخرة: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي: لذو نصيب واف.

﴿ وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ وهم المؤمنون للمشركين ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ ﴾ أي: جزاء الله، أي: الجنة ﴿ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً ﴾ مما أوتي قارون، ﴿ وَلَا يُلَقَّيهَا ﴾ [أي: يعطاها، أي: الجنة][1] ﴿ إِلَّا الصَّٰبِرُونَ ﴾ أي: العاملون بطاعة الله، وهم المؤمنون[2].

قال الله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ ﴾ أي: بقارون ﴿ وَبِدَارِهِ ﴾ أي: وبمسكنه ﴿ الأَرْضَ ﴾ فهو يخسف به كل يوم قامة إلى أن تقوم الساعة. ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ ﴾ أي: من الممتنعين من عذاب الله.

قوله: ﴿ وَأَصْبَحَ الذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ ﴾ [أي: إن الله][3] ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخُسِفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ ﴾ [أي: وإنه لا يفلح الكافرون][3].

بلغنا أن رسول الله ﷺ قال لرجل يكلمه في شيء: وَيْكَأَنَّكَ لم تكن لتفعله.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 62، ومن ز ورقة 257.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل قوله تعالى: (وَلَا يُلَقَّاهَا) أي: الجنة. وأورد الفراء في المعاني ج 2 ص 311 وجهاً آخر له قيمته فقال: «يقول: ولا يلقى أن يقول ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً إلا الصابرون. ولو كانت: ولا يلقاه لكان صواباً؛ لأنه كلام، والكلام يذهب به إلى التأنيث والتذكير».

(3) زيادة من سح ومن ز.

وقال بعضهم: ﴿ وَيْكَأَنَّ اللهَ ﴾ أي: ولكن الله، ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: ولكنه لا يفلح الكافرون[1].

قوله: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ ﴾ يعني الشرك ﴿ وَلاَ فَسَاداً ﴾ أي: قتل الأنبياء والمؤمنين وانتهاك حرمتهم[2]. ﴿ والعَـٰقِبَةُ ﴾ أي: الثواب ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وهي الجنة.

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ وهي الإيمان، أي: إكمال الفرائض ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ أي: فله منها خير، وفيها تقديم: فله منها خير، وهي الجنة. ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ أي: بالشرك والنفاق وكل كبيرة موبقة. ﴿ فَلاَ يُجْزَى الذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔـٰتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إلا ثواب ما عملوا.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءانَ ﴾ أي: نزل عليك القرآن. وقال مجاهد: الذي أعطاكه ﴿ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ قال مجاهد: لرادّك إلى مولدك، إلى مكة.

ذكر بعضهم قال: إن النبي عليه السلام، وهو مهاجر متوجّه إلى المدينة حين هاجر، نزل عليه جبريل عليه السلام، وهو بالجحفة، فقال: أتشتاق يا محمد إلى بلادك التي ولدت بها. قال: نعم. فقال: ﴿ إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ أي: إلى مولدك الذي خرجت منه ظاهراً على أهله. وقال ابن عباس: ﴿ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ أي: إلى الجنة التي إليها معادك.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 112: «(وَيْكَأَنَّ اللهَ) مجازه: ألم تر أن الله. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 312: «وقوله: (وَيْكَأَنَّ اللهَ) في كلام العرب تقرير، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله». وقد أورد الفراء بعض معاني ويكأن ووجوه استعمالها مفصلة في ص 212 - 213، وانظر ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 237. وانظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 155 - 156.

(2) هذا قول رواه القرطبي في تفسيره ج 13 ص 320 ونسبه إلى يحيى بن سلام. وهذا دليل آخر على أن تفسير ابن سلام كان متداولاً في إفريقية والأندلس، وكان من مصادر المفسّرين.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ ﴾ أي: إن محمداً جاء بالهدى، وإنه على الهدى. ﴿ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: المشركون والمنافقون.

قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوا﴾ يقول للنبي ﷺ ﴿ أَن يُلْقَىٰ ﴾ أي: أن ينزل ﴿ إِلَيْكَ الكِتَابُ ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: ولكن أنزل إليك الكتاب رحمة من ربك[1] ﴿ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: عويناً للكافرين.

﴿ وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ اللهِ﴾ أي: عن حجج الله ﴿ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَت إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى عبادة ربك ﴿ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ يعني إلا هو، كقوله: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) [الرحمٰن: 26 - 27] ﴿ لَهُ الحُكْمُ ﴾ أي: له القضاء ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: إليه يرجع الخلق يوم القيامة.

(1) هذا ما يسميه النحاة بالاستثناء المنقطع.

تفسير سورة العنكبوت
وهي مكية كلها إلا عشر آيات مدنية
من أولها إلى قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم ﴾ قوله: ﴿ آلٓـمٓ ﴾ قد فسرناه في أول سورة البقرة ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَّقُولُوا ءَامَنَّا ﴾ أي: صدقنا ﴿ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ أي: بالجهاد في سبيل الله، وبالفرائض التي أمرهم الله بها وابتلاهم بها.

وهم قوم كانوا بمكة ممن أسلم وأجاب النبي عليه السلام إلى دينه؛ كان قد وضع عنهم النبي عليه السلام الجهاد، والنبي بالمدينة بعدما افترض عليه الجهاد، وقبل منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ولا يجاهدوا. ثم افترض عليهم الجهاد، وأمرهم به، وأذن لهم فيه، وذلك حين أخرجهم أهل مكة فقال: (أُذِنَ لِلذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: 39]. فلما أمروا بالجهاد كره قوم القتال فقال الله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ) أي: فلما فرض عليهم القتال ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ) أي: لم فرضت علينا القتال (لَوْلَا) أي: هلاَّ (أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ) [النساء: 77]، وأنزل الله في هذه الآية في أول السورة: (آلٓـمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا) أي: صدقنا فقط (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) أي: وهم لا يبتلون بالجهاد في سبيل الله.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: ولقد ابتلينا الذين من قبلهم، أي: بعد تصديقهم وإقرارهم ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا ﴾ أي: أهل الوفاء والاستكمال

لما ابتلاهم الله به من الأعمال[1]، ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَـٰذِبِينَ﴾ أي: أهل الخيانة والكذب فيما ابتلوا به من الأعمال وهم المنافقون. وهذا علـم الفَعال[2].

قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا) أي: الذين آمنوا فاعلين الجهاد ولِكلٍّ ما تعبّدهم به من طاعته، وليعلَمَنَّ المنافقين التاركين للجهاد ولكثير مما تعبّدهم به. وقد علم الله ذلك قبل أن يفترض عليهم ما افترض أنهم سيفعلون وسيتركون، ولكنه قال: وليعلمنّكم كاذبين فاعلين وتاركين[3].

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ الذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَـٰتِ﴾ أي: الشرك والنفاق والعمل السيء ﴿ أن يَّسْبِقُونَا ﴾ أي: حتى لا نقدر عليهم فنعذّبهم، أي: قد حسبوا ذلك، وليس كما حسبوا وظنّوا.

قال: ﴿ سَاءَ ﴾: أي بئس ﴿ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: أن الله خلقهم وتعبّدهم بطاعته ثم لا يبعثهم فيجزيهم بأعمالهم.

إنهما ظنّان: ظنّ المشركون أن لن يُبعثوا ولن يعذَّبوا، وظنَّ المنافقون ألا يعذَّبوا

---

(1) كذا في ب و ع، وجاء في سح ورقة 65، وفي ز ورقة 258 ما يلي: «(فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا) بما أظهروا من الإيمان (وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ) الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم على الكفر، وهم المنافقون». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 112: «(فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا) مجازه: فليُميِّزَن الله، لأن الله قد علم ذلك من قبل».

(2) جاء في ز ورقة 258 ما يلي: «قال محمد: معنى علم الفعال العلم الذي تقوم به الحجة وعليه يكون الجزاء فقد علم الله الصادق والكاذب قبل خلقهما». وفي اللسان: «الفَعال، بفتح الفاء فعل الواحد خاصة في الخير والشر، يقال: فلان كريم الفَعال، وفلان لئيم الفعال... وقال المبرّد: الفَعال يكون في المدح والذم، قال: وهو مخلّص لفاعل واحد، فإذا كان من فاعِلَيْن فهو فِعال، قال: وهذا هو الجيّد».

(3) هذه الفقرة الأخيرة في تأويل قوله تعالى: (فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ) لم ترد إلا في مخطوطة ب و ع، وهي زيادة من الشيخ هود ولا شك ومن رأيه. وجاء في سع وفي سح قول رواه الحسن بن دينار عن الحسن قال: «والله ما قال عبد في هذا الدين من قول إلا وعلى قوله دليل من عمله يصدّقه أو يكذّبه». وصدق الحسن.

بعد التصديق والإقرار إذا ضيّعوا الأحكام والفرائض، فقال الله: ألا ساء ما يحكمون، أي: بئس ما يحكمون.

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللهِ ﴾ أي: من كان يخشى البعث، وهذا المؤمن، ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لأتٍ ﴾ أي: كائن بعد الموت ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

قال: ﴿ وَمَنْ جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ أي: يعطيه الله ثواب ذلك في الجنة ﴿ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: عن عبادتهم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَـٰتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجزيهم به الجنة.

قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَـٰنَ ﴾ يعني جميع الناس ﴿ بِوَٰلِـدَيْهِ حُسْناً ﴾ أي: برّاً كقوله: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) [النساء: 36]، قال: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي) أي: إن أراداك على أن تشرك بي ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ أي: إنك لا تعلم أن معي شريكاً، يعني المؤمنين. ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: في أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ ﴾ أي: صدّقنا بالله وأقررنا بالله ﴿ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ ﴾ ببعض ما يدخل عليه في إيمانه بالله وبمحمّد ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ﴾. رجعت القصّة إلى الكلام الأول: (الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)؛ فوصف المنافق في هذه الآية الآخرة فقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) أي: إذا أُمر بالجهاد في سبيل الله فدخل عليه أذى رفض ما أُمر به، يعني المنافق، واجترأ على عذاب الله، أي:

وأقام عن الجهاد، فتبيّن نفاقه، أي: جعل فتنة الناس، يعني ما يدخل عليه من البلية في القتال، إذا كانت بلية، كعذاب الله في الآخرة، [فترك القتال في سبيل الله واجترأ على عذاب الله][1] لأن الله قد خوّفه عذاب الآخرة، وهو لا يُقِرّ بِهِ.

[وقال مجاهد: هم أناس آمنوا بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم أو في أموالهم افتتنوا فجعلوا ما أصابهم في الدنيا كعذاب الله في الآخرة][2].

قوله: ﴿ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: نصر على المشركين، فجاءت غنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ يعني جماعتهم ﴿ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي: يطلبون الغنيمة. قال الله: ﴿ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: إنه يعلم ما في صدور العالمين، ويعلم ما في صدور المنافقين من التضييع للفرائض وترك الوفاء بما أقرّوا له به[3].

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ وهي مثل قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ). وقد فسّرنا ذلك في الآية الأولى. وهذا كله علم الفعال.

وما بعد هذه العشر الآيات مكية كلها، وهذه العشر مدنية، نزلت بعد ما بعدها من هذه السورة، وهي قبل ما بعدها في التأليف.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ﴾ الذي نحن عليه ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ أي: فيما اتبعتمونا فيه، أي: ما كان فيه من إثم فهو علينا، وهذا منهم إنكار للبعث والحساب. قال الله: ﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم﴾ أي:

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع فأثبته من سع ومن سح. وفي الفقرة اضطراب وتكرار أصلحته حسبما يقتضيه المعنى.

(2) قول مجاهد هذا من أحسن ما أُوّلت به الآية الكريمة، لذا رأيت من المناسب ومن الفائدة إثباته هنا من تفسير مجاهد ص 493، ومن سح و سع، ومن تفسير الطبري، ج 20 ص 132.

(3) كذا في ب و ع. وفي سع، و ز، و سح جاءت العبارة هكذا: «والعالمون الخلق كلهم، أي: إنه يعلم أن هؤلاء المنافقين في صدورهم التكذيب بالله وبرسوله وهم يظهرون الإيمان».

من خطايا المؤمنين ﴿ مِّن شَيْءٍ ﴾ لو اتبعوهم ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي: لا يحملون خطاياهم.

قال: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ﴾ يعني آثامهم، أي آثام أنفسهم ﴿ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ أي: يحملون مثل ذنوب من اتبعهم على الضلالة، ولا ينقص ذلك من ذنوب من اتبعوهم شيئاً.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئاً. وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها كان عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً[1].

ذكروا عن ابن مسعود في قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) [الانفطار: 5] مثل حديث الحسن عن النبي عليه السلام.

قال: ﴿ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [أي: يكذبون ويخترعون][2].

قوله: ﴿ وَلَقَد أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً ﴾ يقول: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم، أي: من يوم بعث إلى يوم مات ألف سنة إلا خمسين عاماً. وبلغنا عن كعب أنه قال: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وبقي بعدهم بعد الطوفان ستمائة سنة. قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ﴾ أي: الماء، فأغرقهم الله ﴿ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾. أي: وهم مشركون ظالمون لأنفسهم؛ وظلموا أنفسهم، أي: ضروا أنفسهم.

قوله: ﴿ فَأَنْجَيْنَـٰهُ﴾ يعني نوحاً ﴿ وَأَصْحَـٰبَ السَّفِينَةِ ﴾ يعني من كان معه في السفينة ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ يعني السفينة ﴿ ءَايَةً ﴾ أي: عبرة ﴿ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

---

(1) حديث رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، عن أنس بن مالك وعن أبي هريرة بألفاظ متقاربة، (رقم 205 - 206) وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة (رقم 4609) عن أبي هريرة.

(2) زيادة من مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 114.

قال بعضهم: أبقاها الله بباقردى[1] من أرض الجزيرة حتى أدركها أوائل هذه الأمة؛ وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رماداً. قال بعضهم: بلغنا أنهم كانوا يجدون من مساميرها بعدما بعث النبي عليه السلام.

قوله: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: وأرسلنا إبراهيم إلى قومه، وهذا تبع للكلام الأول في نوح: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ) قال: ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ ﴾ أي: وحا.وه ﴿ وَاتَّقُوهُ ﴾ أي: واخشوه ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَـٰناً وَتَخْلُقُونَ ﴾ أي: وتصنعون ﴿ إِفْكاً ﴾ أي: كذباً. قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ أي: فابتغوا عند الله الرزق بأن تعبدوه وتشكروه يرزقكم. قال: ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي: فأهلكهم الله، يحذّرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا.

قال: ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ ﴾ أي: ليس عليه أن يكره الناس على الإيمان. كقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ) يقوله على الاستفهام، (حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤمِنِينَ) [يونس: 99] أي: إنك لا تستطيع أن تكرههم، فإنما يؤمن من أراد الله أن يؤمن. وكقوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ) [القصص: 56].

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ﴾ أي: بلى، قد رأوا أن الله خلق الخلق، قال: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ يعني يوم البعث[2]، يخبر أنه يبعث العباد، والمشركون لا يقرّون بالبعث. قال: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ أي: خلقهم وبعثهم.

(1) كذا وردت هذه الكلمة: بافردا، وفي سع و سح: «باقردى» وضبطها محقق تاريخ الطبري، ج 1 ص 189: بقردى، معتمداً على ما أورده ياقوت. وهي قرية بأرض الموصل، وجبل الجودي كذلك بأرض الموصل.

(2) يادة من سح ورقة 70.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ أي: حيثما ساروا رأوا خلق الله الذي خلق. قوله: ﴿ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ﴾ أي: الخلق الآخر، يعني البعث، أي: إن الله خلقهم وإنه يبعثهم. ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: يعذب الكافر بالنار، ويرحم المؤمن فيدخله الجنة. قال: ﴿ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ أي: ترجعون يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾ فتسبقونا حتى لا نقدر عليكم فنعذبكم. يقول ذلك للمشركين. قال: ﴿ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللهِ مِن وَّلِيٍّ ﴾ أي: من قريب يمنعكم من عذابه ﴿ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا بِئَايَٰتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ [أي: من جنتي][1] ﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع، يعني عذاب الجحيم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خمس من لقي الله بهن مستيقناً عاملاً دخل الجنة: من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأيقن بالموت والبعث والحساب، وعمل بما أيقن من ذلك[2].

قوله: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ أي: قوم إبراهيم ﴿ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ فَأَنْجَيْهُ اللهُ مِنَ النَّارِ ﴾. وقد فسّرنا ذلك في سورة

---

(1) جاء في مجاز أبي عبيدة ما يلي: «(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ) مجازه: كيف استأنف الخلق الأول. (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد؛ يقال: رجع عودُه على بدئه، أي: آخرُه على أوّله؛ وفيه لغتان: يقال: أبدأ وأعاد، وكان ذلك مبدئاً ومعيداً، وبدأ وعاد، وكان ذلك بادئاً وعائداً».

(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر، وقد رواه ابن سلام هكذا: عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن أبي سلّام الشامي قال: قال رسول الله ﷺ.... وليس فيه الجملة الأخيرة: «وعمل بما أيقن من ذلك» فإنها لم ترد إلا في ب و ع. وجاء في سح ورقة 70 بعد هذا الحديث حديثان آخران في الموضوع، أولهما عن ثوبان: «خمس من أثقل شيء في الميزان...»، وثانيهما عن علي: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع...».

الأنبياء[1] قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَـٰناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: يوادّ بعضكم بعضاً، أي: يحبّ بعضكم بعضاً على عبادة الأوثان في الحياة الدنيا. ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ أي: بولاية بعضكم بعضاً وقال بعضهم: يتبرّأ بعضكم من بعض ﴿ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَيٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾.

قال: ﴿ فَئَامَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ أي: فصدّقه لوط ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ يقوله إبراهيم ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام.

قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوءَةَ وَالْكِتَـٰبَ ﴾ فكان أول كتاب أنزل بعد كتاب موسى وما بعده من الكتب. قال: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ﴾ أي: أعطيناه[2] ﴿ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ فليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويحبونه. وهو مثل قوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) [يٰس: 108]. قال: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: لمن أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَلُوطاً ﴾ أي: وأرسلنا لوطاً ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَـٰحِشَةَ ﴾ أي: المعصية، وهي إتيان الرجال في أدبارهم. ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: من عالم أهل زمانهم.

﴿ أَءِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ في أدبارهم، وهذا على الاستفهام، أي: إنكم تفعلون ذلك[3]. قال: ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾ أي: على الغرباء، فتأتونهم في أدبارهم، وكانوا لا يفعلون ذلك إلا بالغرباء. وكانوا يتعرّضون الطريق ويأخذون

---

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 78 - 79.

(2) في ب وع: اصطفيناه، وهو خطأ، وأثبت ماجاء في سع وسح وهو الصحيح.

(3) جاء في ز ورقة 359 ما يلي: «قال محمد: (أَئِنَّكُمْ) لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ.

الغرباء ولا يفعله بعضهم ببعض[1]. قال: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ أي: الفاحشة، يعني فعلهم ذلك[2].

قال: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ وذلك لما كان يعدهم به من العذاب.

﴿ قَالَ ﴾ أي: قال لوط: ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: المشركين، وهو أعظم الفساد، والمعاصي كلها من الفساد، وأعظمها الشرك، وكانوا على الشرك جاحدين لنبيّهم.

قال: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ يعني الملائكة ﴿ إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ أي: بإسحاق وذلك أن الملائكة لما بعثت إلى قوم لوط بعذابهم مرّوا بإبراهيم فسألوه الضيافة، فلما أخبروه أنهم أرسلوا بعذاب قوم لوط بعدما بشّروه بإسحاق ﴿ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ يعنون قرية قوم لوط ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَـٰلِمِينَ﴾ أي: مشركين.

﴿ قَالَ ﴾ لهم إبراهيم ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَـٰبِرِينَ﴾.

قال: ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً ﴾ يعني الملائكة ﴿ سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ﴾ يعني سيء بقومه الظن، أي: بما كانوا يأتون الرجال في أدبارهم، تخوفهم على أضيافه، وهو يظن أنهم آدميون. قال: (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) أي: ضاق بأضيافه الذرع، لما تخوّف عليهم [من عمل قومه][3]. ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: الملائكة قالت للوط:

---

(1) وفي معاني الفراء ج 2 ص 316: «ويقال: (وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ): تقطعون سبيل الولد بتعطيلكم النساء».

(2) وقال الفراء: وقوله: (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُم الْمُنْكَرَ) في مجالسكم، والمنكر منه الخذف، والصّفير، ومضغ العِلك، وحلّ أزرار الأقبية والقمُص، والرمي بالبُنْدُق، ويقال: هي ثمانيَ عشرة خصلة من قول الكلبي لا أحفظها، وقال غيره: هي عشر».

(3) زيادة من ز ورقة 259 للإيضاح، وفي ع وسح: يتخوف عليهم منهم.

﴿ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَـٰبِرِينَ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ يعني قرية قوم لوط ﴿ رِجْزاً ﴾ أي: عذاباً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أي: يشركون.

قال: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً ﴾ أي: عبرة بينة ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾. وهم المؤمنون؛ عقلوا عن الله ما أنزل إليهم، فأخبرهم أنه جعل عاليها سافلها أي: خسف بهم، وأمطر عليهم الحجارة.

وذكر جماعة من العلماء أن مدائن قوم لوط خمسة: عمورة وصغيرة، ودادونا، وصابورا، وسدوم، خسف بها كلها.

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين ﴿ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ أي: أخاهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ أي: صدّقوا باليوم الآخر[1] ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي: ولا تسيروا في الأرض مفسدين، في تفسير بعضهم. وتفسير الحسن: ولا تكفروا في الأرض مفسدين.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ والرجفة ها هنا عند الحسن مثل الصيحة؛ وهما عنده العذاب. قال الله: ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي: موتى قد هلكوا.

﴿ وَعَاداً وَثَمُوداً[2] وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ﴾ يعني ما رأوا من آثارهم. قال:

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وهو قول له وجه من التأويل. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 115: «(وَارْجُو الْيَوْمَ الآخِرَ) مجازه: واخشوا اليوم الآخر. قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ

أي: لم يخف». انظر السّكّري، شرح أشعار الهذليين، ج 1 ص 144. وفيه: «لم يَرْجُ لسعها: لم يخف ولم يبالها».

(2) قال ابن الأنباري في البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 244: «قوله: (وَعَاداً وَثَمُوداً) منصوب من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون معطوفاً بالعطف على الهاء والميم في قوله تعالى: =

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ أي: في الضلالة.

قال: ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ﴾ أي: وأهلكنا قارون وفرعون وهامان ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَـٰبِقِينَ ﴾ أي: ما كانوا يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم.

قال الله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ يعني من أهلك من الأمم الذين قصّ في هذه السورة إلى هذا الموضع.

قال الله: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً ﴾ يعني قوم لوط، يعني الحجارة التي رمَى بها من كان خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم وخسف بمدينتهم قال: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَـذَتْـهُ الصَّيْحَةُ ﴾ يعني ثمود ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ يعني مدينة قوم لوط وقارون ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه. قال الله: ﴿ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضرون. وقال الحسن: ينقصون بشركهم وجحودِهم رسلَهم.

قوله: ﴿ مَثَلُ الذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني أوثانهم التي عبدوها. ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ﴾ أي: أضعف البيوت ﴿ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ أي: إن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً كما لا يكن بيت العنكبوت من حرّ ولا برد ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لعلموا أن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً كبيت العنكبوت.

ثم قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يقوله للمشركين يعني ما تعبدون من دونه ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

= (أخذتهم الرجفة). والثاني أن يكون منصوباً بالعطف على (الذِينَ) في قوله تعالى: (وَلَقَد فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، والثالث أن يكون منصوباً بفعل مقدر، وأهلكنا عاداً وثموداً. وهذا الوجه الأخير من أوجه الإعراب هو الذي اختاره المؤلف هنا كما جاء في ز ورقة 260 وفي سح.

قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَـٰلِمُونَ﴾ أي: المؤمنون.

قوله: ﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: للبعث والحساب، كقوله: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا) أي: خلقناهما للبعث والحساب. قال: (ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) [سورة صٓ: 27] أي: أن لن يبعثوا ولا يحاسبوا.

قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في خلق السموات والأرض، يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة.

قوله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾. قال الكلبي: إن العبد ما دام في صلاته لا يأتي فحشاء ولا منكراً. ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ قال الحسن في تفسير قول الله: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة: 152] قال: فإذا ذكرَ العبدُ اللهَ ذكره الله، فذكرُ اللهِ العبدَ أكبرُ من ذكرِ العبدِ إياه[1].

ذكروا عن محارب بن دثار[2] قال: قال لي ابن عمر: كيف كان تفسير ابن عباس في هذه الآية: (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ)، فقلت: كان يقول: إن ذكرَ اللهِ العبدُ عند المعصية فيَكُفُّ أكبر من ذكره إياه باللسان. فقال ابن عمر: إن العبدَ إذا ذكر الله ذكره الله، فذكرُ اللهِ العبدَ أكبرُ من ذكر العبد إياه.

قال الحسن: الذكر ذكران، أحدهما أفضل من الآخر: ذكر الله باللسان حسن،

---

(1) في ب وع اضطراب في التعبير ونقص أثبت تصحيحه من ز ورقة 260، ومن سح و سع.

(2) في ب و ع: «محارب بن دينار» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «بن دثار» فقد أورد اسمه ابن قتيبة في المعارف، ص 490. وهو أبو مطرِّف محارب بن دثار، من بني سدوس بن شيبان». ولي قضاء الكوفة لخالد بن عبد الله القسري، وتوفي في ولاية خالد بالكوفة». وذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب، ج 1 ص 152 في أحداث سنة ست وعشرة ومائة. وانظر في سع و سح هذا القول مفصّلاً.

وأفضل منه ذكرك الله عند ما نهاك[1] الله عنه. والصبر صبران: أحدهما أفضل من الآخر؛ الصبر عند المصيبة حسن، وأفضل منه الصبر عما نهاك الله[2].

قال: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال بعضهم: أي: بكتاب الله. وقال: نهى الله عن مجادلتهم في هذه السورة ولم يكن يومئذ أمر بقتالهم، ونسخ ذلك فأمر بقتالهم، ولا مجادلة هي أشد من السيف، فقال في سورة براءة: (قَاتِلُوا الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: 29]. أمر بقتالهم حتى يُسلِموا أو يُقِرّوا بالجزية.

قوله: ﴿ إِلَّا الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾. قال بعضهم: من قاتلك ولم يعطك الجزية فقاتله إذاً، يعني إذ أمر بجهادهم، وإنما أمر بجهادهم بالمدينة، وهذه الآية مكية[3]، وقال مجاهد: من أقام على شركه منهم ولم يؤمن.

قال: ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وتفسير مجاهد: يقوله لمن آمن من أهل الكتاب.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَـٰبَ فَالذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني من آمن منهم ﴿ وَمِنْ هَـٰؤُلَاءِ ﴾ يعني مشركي العرب ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَـٰتِنَا إِلَّا الْكَـٰفِرُونَ﴾.

---

(1) كذا في ع و ب وفي سح، «عند ما نهاك الله عنه»، وفي سع: «عما نهاك الله عنه».

(2) أورد ابن سلام في سح ورقة 74 حديثين عن الحسن عن النبي ﷺ يحسن إيرادهما، قال عليه السلام: «كل صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن صاحبها لا يزداد من الله إلا بعداً». وقال عليه السلام: «من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر فإنها لا تزيده عند الله إلا مقتاً».

(3) وفي ز، ورقة 260 زيادة لم ترد في ب و ع ولا في سح و سع: «وهذا مما نزل بمكة ليعملوا به في المدينة».

قوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل القرآن ﴿ مِنْ كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: لو كنت تقرأ وتكتب. والمبطلون في تفسير مجاهد مشركو قريش. وقال بعضهم: من لم يؤمن من أهل الكتاب[1].

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِي صُدُورِ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ يعني النبي والمؤمنين.

قال بعضهم: أعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلهم لا يقرأون كتابهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيّون.

وقال بعضهم: بلغنا أن كعباً قال في صفة هذه الأمة: حلماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء.

قال: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَتِنَا إِلَّا الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركون.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلاّ ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِ قُل إِنَّمَا الأَيَـٰتُ عِنْدَ اللهِ ﴾ كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بالآيات كقولهم: (فَلْيَاتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) [الأنبياء: 5]، وما أشبه ذلك. قال الله: (قُل إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ) إذا شاء أنزلها ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: ليس عليّ أكثر من أن أنذركم كما أمرت.

قال الله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾ أي: من الآيات ﴿ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: تتلوه، أي: تقرأه عليهم، وأنت لا تقرأ ولا تكتب، فكفاهم ذلك لو عقلوا. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

ثم قال: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً ﴾ أنّي رسوله، وأن هذا الكتاب من عنده، وأنكم على الكفر.

---

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 317: «ولو كنت كذلك (لَّأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) يعني النصارى الذين وجدوا صفته، ويكون (لَّأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) أي: لكان أشدّ لريبة من كذّب من أهل مكة وغيرهم».

قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ [أي: بإبليس][1] ﴿ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: في الآخرة، أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار.

قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ﴾. كان النبي عليه السلام يخوّفهم العذاب إن لم يؤمنوا، فكانوا يستعجلون به استهزاءً وتكذيباً. قال الله: (وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى)[2] أي: النفخة الأولى (لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) أي: إن الله أخّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال، الدائنين بدين أبي جهل بن هشام وأصحابه، إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم.

قال الله: ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

ذكروا عن رسول الله ﷺ قال: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان، فما يطويانه حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتقوم الساعة والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة[3].

قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ كقوله: (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29]، قال الله: ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ وهذا عذاب جهنم. كقوله: (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: 41] أي: يغشاهم. وكقوله: (لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) [الزمر: 16] قال: ﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا.

---

(1) زيادة من سح ورقة 76، ومن ز ورقة 260.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 318: «وقوله: (وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى) يقول: لولا أن الله جعل عذاب هذه الأمة مؤخراً إلى يوم القيامة ـ وهو الأجل ـ (لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) ثم قال: (وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً) يعني القيامة، فذكر لأنه يريد عذاب القيامة. وإن شئت ذكرته على تذكير الأجل. ولو كانت (وَلَتَأْتِيَنَّهُمْ) كان صواباً، يريد القيامة والساعة».

(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 63. يقال: لاط الحوض يلوطه، ولاطه يليطه إذا طيّنه وملّسه وأصلحه.

قوله: ﴿ يَـٰعِبَادِيَ الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ [قال بعضهم: إن أرضي واسعة قال: إذا عُمِل فيها بالمعاصي فاخرجوا منها. وقال مجاهد: فهاجروا وجاهدوا][1].

وقال بعضهم: أمرهم بالهجرة وأن يجاهدوا في سبيل الله، يهاجروا إلى المدينة ثم يجاهدوا إذا أمروا بالجهاد.

قوله: ﴿ فَإِيَّـٰيَ فَاعْبُدُونِ ﴾ أي: في تلك الأرض التي أمرتكم أن تهاجروا إليها، يعني المدينة، نزلت هذه الآية بمكة قبل الهجرة.

قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ كقوله: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ) [المؤمنون: 15] قال الله: ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾ أي: لنسكننهم ﴿ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ﴾ أي: نعم ثواب العاملين في الدنيا، يعني الجنة.

قال: ﴿ الذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ أي: وكم ﴿ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ أي: تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئاً لغد. قال مجاهد: يعني البهائم والطير والوحوش والسباع ﴿ اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّـمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ يجريان ﴿ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تُصرَفون عقولكم بعد إقراركم[2] بأن الله واحد، وأنه خالق هذه الأشياء.

قوله: ﴿ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: يوسع الرزق لمن يشاء من

---

(1) زيادة من سح ورقة 77 والقول الأول لسعيد بن جبير.

(2) كذا في ب وع. وفي سح ورقة 77 وفي سع: فكيف يصرفون بعد إقرارهم، وهو أصح.

عباده ﴿ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ أي: ويقتر عليه نظراً له، يعني المؤمنين ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾. كقوله: (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي: ولولا أن يجتمعوا على الكفر (لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّنْ فِضَّةٍ. . .) إلى آخر الآية [الزخرف: 33].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح ذبابة أو بعوضة ما أعطى الكافر منها شيئاً[1]. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن، وهي جنة الكافر[2].

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني المطر ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: فأخرج به النبات بعد أن كانت تلك الأرض ميتة، أي: يابسة ليس فيها نبات ﴿ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي: فيؤمنون. أي: إنهم قد أقروا أن الله خالق هذه الأشياء، ثم عبدوا الأوثان من دونه.

قوله: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ أي: أهل الدنيا أهل لهو ولعب، يعني المشركين والمنافقين هم أهل الدنيا الذين لا يريدون غيرها، أي: لا يقرّون بالآخرة. ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الأَخِرَةَ ﴾ أي: الجنة ﴿ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾[3] أي: يبقى أهلها لا

---

(1) حديث صحيح أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد مرفوعاً، وأخرجه ابن ماجه أيضاً عنه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (رقم 4110) وأخرجه الحسن مرسلاً. ولفظه: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره عن أبي هريرة، وانظر ما سلف، ج 1 ص 552.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 117: «ومجاز الحيوان والحياة واحد. ومنه قولهم: نهر الحيوان، أي: نهر الحياة ويقال: حييت حيّاً، على تقدير: عييت عيّاً. فهو مصدر، والحيوان والحياة اسمان منه فيما تقول العرب، قال العجاج:

وقد ترى إذ الحياة حيُّ

أي: الحياة».

وقال الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 493: «. . . وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في =

يموتون. قال الله: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: المشركون، لعلموا أن الآخرة خير من الدنيا.

قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: إذا خافوا الغرق ﴿ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ ﴾. وقال في آية أخرى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً) [إبراهيم: 28] قال: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إذا صاروا إلى النار. وهذا وعيد.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءَامِناً﴾ أي: بلى قد رأوا ذلك ﴿ وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾، يعني أهل الحرم، إنهم آمنون، والعرب حولهم يَقتُل بعضهم بعضاً ويَسْبِي بعضهم بعضاً. قال الله: ﴿ أَفَبِالْبَـٰطِلِ يُومِنُونَ ﴾ أفبإبليس يؤمنون، أي: يصدّقون، أي: يعبدونه بما وسوس إليهم من عبادة الأوثان، وهي عبادته. قال في آية أخرى: (أَلَمْ أَعْهَد إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) [يس: 60 - 61] قال: ﴿ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ ﴾ وهذا على الاستفهام، أي: قد فعلوا. قوله: (وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ) يعني ما جاء به النبي عليه السلام من الهدى.

قال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ فعبد الأوثان دونه ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُ ﴾ أي: لا أحد أظلم منه، ثم قال: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ وهو على الاستفهام، أي: بلى فيها مثوى للكافرين.

قوله: ﴿ وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ [يعني عملوا لنا][1] ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ أي: سبيل الهدى، أي: الطريق إلى الجنة. نزلت قبل أن يؤمر بالجهاد، ثم أُمِر بالجهاد بعدُ بالمدينة. قال الله: ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: المؤمنين.

= بناء الحياة، وهي ما في بناء فَعَلان من معنى الحركة والاضطراب. . مجيئه على بناء دالّ على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة».

(1) زيادة من سح ورقة 111.

تفسير سورة الروم
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الٓمٓ ﴾ قد فسَّرناه في أول سورة البقرة.

قوله: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ أي: قد غلبتهم فارسُ ﴿ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ أي: في أدنى الروم، بأذرعات من الشام، بها كانت الوقعة. فلما بلغ ذلك أهلَ مكة شَمِتوا أن غلب إخوانُهم أهلَ الكتاب. وكان المسلمون يعجبهم أن يظهر الروم على فارس، لأن الروم أهلُ كتاب. وكان مشركو العرب يعجبهم أن يظهر المجوس على أهل الكتاب.

قال الله: ﴿ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ يعني الروم، من بعد ما غلبتهم فارسُ سيغلبون فارسَ. ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أن يهزم الروم ﴿ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ ما هزمت. ﴿ وَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يغلب الرومُ فارسَ ﴿ يَفْرَحُ المُومِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَن يَّشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.

قال أبو بكر للمشركين: لِمَ تَشْمَتون، فوالله ليظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين فقال أبي بن خلف: أنا أبايعك ألا تظهر الروم على فارس إلى ثلاث سنين. فتبايعا على خَطَر[1] سبع من الإبل. ثم رجع أبو بكر إلى النبي عليه السلام فأخبره. فقال له رسول الله ﷺ: اذهب فبايعهم إلى سبع سنين، مُدَّ في الأجل وزِدْ في الخَطَر.

---

(1) أي: تعاقدا وتعاهدا على خَطَر، وهو المقدار من المال أو أي شيء آخر يجعل بين المتراهنين فمن غلب وسبق فهو له دون صاحبه، ويسمى أيضاً السَّبَق (بفتح السين والباء معاً).

ولم يكن حرم ذلك يومئذ؛ وإنما حرم القمار، وهو الميسر، والخمر بعد غزوة الأحزاب. فرجع أبوبكر إليهم فقال: اجعلوا الوقت إلى سبع سنين وأزيدكم في الخَطَر. ففعلوا، فزاد في الخطر ثلاثاً فصارت عشراً من الإبل، وفي السنين أربعاً، فكانت السنون سبعاً، ووقع الخطر على يدي أبي بكر[1].

فلما مضت ثلاث سنين قال المشركون: قد مضى الوقت، وقال المسلمون: هذا قولُ ربّنا، وتبليغُ نبيّنا، والبِضْع ما بين الثلاث إلى التسع[2] ما لم يبلغ العشر، والموعود كائن.

فلما كان تمام سبع سنين ظهرت الروم على فارس، وكان الله وعد المؤمنين إذا غلبت الروم فارس أظهرهم الله على المشركين، فظهرت الروم على فارس والمؤمنون على المشركين في يوم واحد، وهو يوم بدر، وفرح المسلمون بذلك وصدق الله قولهم وقول رسوله، وهو قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُومِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَن يَّشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. قال: ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات كسرى فلا كسرى بعده وإذا مات قيصر فلا قيصر بعده[3]. يعني ملك الروم بالشام[3].

ذكروا عن عقبة بن نافع أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلون جزيرة العرب فيفتح الله عليكم وتقاتلون الدجال فيفتح الله عليكم[4] فكان عقبة بن نافع يحلف بالله لا يخرج الدجال حتى تفتح الروم.

(1) قصة أبي بكر رضي الله عنه مع المشركين أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره، ج 21 ص 16 - 19 عن ابن عباس وأوردها الترمذي وغيره عن نيار بن مكرم الأسلمي بألفاظ متقاربة، وفي بعض ألفاظ الحديث: «... إنما البِضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايِدْه في الخطر، ومادَّه في الأجل».

(2) في ب و ع: «البضع ما بين الثلاث إلى السبع» والصواب ما جاء في سع و سح: «إلى التسع».

(3) حديث متفق عليه، انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 273. والجملة الأخيرة من يحيى بن سلام كما في سح.

(4) كذا في ب و ق، وفي سح ورقة 81 ورد الحديث أوفى بالسند التالي: «وحدثني شريك بن عبد =

قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِراً مِّنَ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: حين نتاجهم وحين زروعهم وحصادهم[1] وتجارتهم. بعض هذا تفسير الحسن وبعضه تفسير الكلبي.

ذكروا عن موسى بن علي عن أبيه قال: كنت عند عمرو بن العاص بالإسكندرية إذ قال رجل من القوم: زعم جسطال[2] هذه المدينة أن القمر يخسف به الليلةَ، فقال رجل: كذب هذا، يعلمون ما في الأرض فكيف يعلمون ما في السماء؟ فقال عمرو: بلى (إِنَّ اللهَ عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) [لقمان: 34] وما سوى ذلك يعلمه قوم ويجهله آخرون.

ذكروا عن الحسن أنه قال: أضلّ رجل من المسلمين ناقته فذهب في طلبها. فلقى به رجلاً من المشركين فأنشدها إياه[3] فقال: ألست مع هذا الذي يزعم أنه نبي، أفلا تأتيه فيخبرْك بمكان راحلتك. فمضى الرجل قليلاً فردّ الله عليه راحلته. فجاء إلى النبي عليه السلام فأخبره فقال: فما قلت له؟ فقال الرجل: وما عسيت أن أقول لرجل من المشركين مكذّب بالله. قال: أفلا قلت له: إن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن الشمس لا تطلع إلا بزيادة أو نقصان[4].

= الله عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن عقبة بن نافع قال: قال رسول الله ﷺ: تقاتلون فارس فيفتح الله عليكم، وتقاتلون جزيرة العرب فيفتح الله عليكم، وتقاتلون الروم فيفتح الله عليكم وتقاتلون الدجال فيفتح الله عليكم..».

(1) في ب و ع: «وصناعتهم» بل: «وحصادهم»، وأثبت ما رأيته مناسباً كما وردت الكلمة في سع وسح.

(2) وردت هذه اللفظة في ع هكذا: «جسطلل»، وفي سح: «جسطال»، وعلى الهامش: «الحاسب» كأنه شرح لها. ولم أجد الكلمة في معرب الجواليقي ولا في المعاجم التي بين يدي حتى أتحقق من أصلها ومن معناها. وهي معربة ولا شك.

(3) في سح ورقة 81 وفي ع: «فأنشدها إياه»، وفي سع: «فأنشده إياها»، يقال نشد ضالته نِشدة ونِشداناً، أي: طلبها، وأنشدها إياه، أي عرفها إياه ناشداً لها.

(4) لم أعثر على هذه القصة فيما بحثت من مصادر التفسير والحديث.

قوله: ﴿ وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ يعني المشركين. أي: لا يقرون بها؛ إنما هم عنها في غفلة، كقوله: (لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أي: غطاء الكفر (فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) [سورة قٓ: 22]. أبصر حين لم ينفعه البصر.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب. أي: لو تفكّروا في خلق السماوات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة. قال: ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يعني يوم القيامة. أي: خلق الله السماوات والأرض للقيامة، ليجزي الناس بأعمالهم. والقيامة اسم جامع يجمع النفختين جميعاً: الأولى والآخرة. قال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ يعني المشركين، وهم أكثر الناس ﴿ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [يعني بطشاً][1]، ﴿ وَأَثَارُوا الأَرْضَ ﴾ أي: حرثوها ﴿ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ أي: أكثر مما عمرها هؤلاء ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ [يعني كفار الأمم الخالية الذين كذّبوا في الدنيا. يقول: لم يظلمهم فيعذبهم على غير ذنب][2] ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضرّون بكفرهم وتكذيبهم. وقال بعضهم: ينقضون. أي: قد ساروا في الأرض ورأوا آثار الذين من قبلهم؛ يخوّفهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا.

قال: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَـةُ ﴾ أي: جـزاء ﴿ الذِينَ أَسَـٰءُوا ﴾ أي: أشركـوا ﴿ السُّوأَىٰ ﴾ أي: جهنم ﴿ أَنْ كَذَّبُوا ﴾ أي: بأن كذبوا ﴿ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾. قال الحسن: يعني بالسوأى: العذاب، أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ يعني البعث ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 262، ومن سح ورقة 28.

(2) زيادة من ز ورقة 263، ومن سح ورقة 28.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: ييأس المشركون[1]، أي: من الجنة. قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّنْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ أي: الذين عبدوا من دون الله ﴿ شُفَعَاءُ ﴾ حتى لا يعذبوا. ﴿ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ ﴾ يعني ما عبدوا، بعبادتهم إياهم ﴿كَـٰفِرِينَ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ أي: فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُم فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ كقوله: (فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ) [الشورى: 22]، والروضة الخضرة، أي: يكرمون، في تفسير الحسن، وفي تفسير الكلبي: (يُحْبَرُونَ) أي: يفرحون[2].

قال: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: مُدخلون.

قوله: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾.

ذكروا أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس: هل تجد الصَلواتِ الخمسَ مُسَمَّيَاتٍ في كتاب الله؟ قال: نعم (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تَمْسُونَ) فهذه صلاة المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) هذه صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً) هذه صلاة العصر، (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) هذه صلاة الظهر. وقال في آية أخرى: (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ العِشَاءِ) [النور: 58] فهذه خمس صلوات.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 120: «(يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ) أي: يتندمون ويكتئبون وييأسون». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 322: «ييأسون من كل خير، وينقطع كلامهم وحججهم».

(2) كذا في ب و ع: «يكرمون في تفسير الحسن، وهو موافق لما ذهب إليه ابن عباس»، وفي سح وسع: «يكرمون» في تفسير الكلبي، وفي تفسير الحسن «يحبرون أي: يفرحون». وقال بعضهم: «الحَبْرة: اللذة والسماع». وقال ابن قتيبة: (يُحبَرُون) أي: يُسَرّون. والحَبرة: السرور. ومنه يقال: «كل حَبرة تتبعها عَبرة».

وتفسير الحسن أن الصلوات الخمس كلّها في هذه الآية؛ يقول: (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب والعشاء[1].

وقال بعضهم: كل صلاة ذكرت في المكّيّ من القرآن قبل الهجرة بسنة فهي ركعتان غدوة وركعتان عشية، وذلك قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ وإنما افترضت الصلوات الخمس قبل أن يهاجر النبي عليه السلام بسنة ليلة أسرِيَ به. وما كان من ذكر صلاة بعد ليلةِ أسريَ به فهي الصلوات الخمس. وهذه الآية نزلت بعدما أسري بالنبي عليه السلام، وفرضت عليه الصلوات الخمس.

قوله: ﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ﴾ وهي النطفة، يخرج من النطفة الميتة الخلقَ الحيّ، ويخرج من الخلق الحي النطفةَ الميتةَ، ويخرج من الحبة اليابسة النبات الحيَّ، ويخرج من النبات الحيّ الحبة اليابسة. وكذلك تفسير مجاهد.

وتفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن.

قال: ﴿ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يحييها بالنبات بعد إذ كانت ميتة، أي: يابسة لا نبات فيها. قال: ﴿ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ يعني البعث. يرسل الله مطراً منيّاً كمني الرجال فتنبت به لحمانهم وجسمانهم كما ينبت الأرض الثرى.

قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ﴾ تفسير السدّي: ومن علامات الربّ أنه واحد ﴿ أَنْ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ يعني الخلق الأول، خلق آدم ﴿ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ أي: في الأرض. وقال السدّي: (تَنْتَشِرُونَ) أي: تنبسطون.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً﴾ يعني أزواجكم، أي:

---

(1) وهو ما ذهب إليه الفراء في المعاني، ج 2 ص 323 حيث قال: «يقول: فَصَلّوا لله (حِين تُمْسُونَ) وهي المغرب والعشاء (وحِينَ تُصْبِحُونَ) صلاة الفجر، (وَعَشِيّاً) صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر.

المرأة من الرجل ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ أي: لتستأنسوا إليها[1] ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً ﴾ يعني محبة ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ يعني الولد ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: فيؤمنون، وإنما يتفكّر المؤمن.

قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ قال بعضهم: (اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ): النغمة، (وَأَلْوَانِكُمْ) أي: لا ترى اثنين على صورة واحدة.

ذكر بعضهم عن الضحاك بن مزاحم قال: يشبه الرجل الرجل وليس بينهما قرابة إلا من قبل الأب الأكبر: آدم. وتفسير الكلبي: (اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أي: للعرب كلام، ولفارس كلام، وللروم كلام، ولسائرهم من الناس كذلك. قال: (وَأَلْوَانِكُمْ) أي: أبيض وأحمر وأسود. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾.

[قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ مَنَامُكُمْ بِالَّيْـلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: من رزقه. كقوله: (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) أي: في الليل، (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) [القصص: 73] أي: في النهار. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ وهم المؤمنون، سمعوا من الله ما أنزل عليهم][2].

قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ أي: خوفاً للمسافر [يخاف أذاه ومعرّته][3]، وطمعاً للمقيم، أي: يطمع في رزق الله. وبعضهم يقول: خوفاً من البَرَد أن يهلك الزرع، وطمعاً في المطر. قال: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يحييها بالنبات بعد إذ كانت يابسة ليس فيها نبات. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون، عقلوا عن الله ما أنزل إليهم.

---

(1) كذا في ب و ع وسح و سع: «لتستأنسوا إليها»، وفي ز: «لتستأنسوا بها». وهو خطأ ولا شك. وتعدية الفعل بإلى أبلغ وأروع.

(2) سقطت هذه الآية كلها وتفسيرها من ب و ع فأثبتها من سع وسح ومن ز.

(3) زيادة من سح ورقة 85 ومن سع.

قال: ﴿وَمِن ءَايَـٰتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾. [يعني بغير عمد تفسير [فاطر: 2] قال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ يعني النفخة الآخرة. وفيها تقديم: إذا دعاكم دعوة إذا أنتم من الأرض تخرجون. كقوله: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ) أي: من القبور (إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) [يٰس: 51] أي: يخرجون، وهو نفخ صاحب الصور. وهو كقوله: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) [النازعات: 13-14] أي: فإذا هم على الأرض. وهو قوله: (يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي) [سورة قٓ: 41].

قوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَـٰنِتُونَ﴾ تفسير الحسن: كل له قائم بالشهادة، أي: إنه عبد له[2]. وتفسير الكلبي: كل له مطيعون، أي: في الآخرة، ولا يقبل ذلك من الكفار.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: بعد الموت، أي: يبعثهم بعد الموت، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: أيسر عليه[3]. أي: إنه بدأ الخلق خلقاً بعد خلق، ثم يبعثهم مرة واحدة.

قوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ﴾ أي: لا إلٰه إلا الله ﴿فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ﴾

---

(1) زيادة من سح ورقة 85، ول مترد في سع ولا في ز.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ص 121: «(كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) أي: مطيعون. و(كُلٌّ) لفظه لفظ الواحد، ويقع معناه على الجميع، وهو ها هنا جميع، وفي الكلام: كل له مطيع أيضاً».

(3) وقال أبو عبيدة: «(وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) مجازه: وذلك هيّن عليه، لأن أفعل يوضع موضع الفاعل. قال:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَأْتِي المَنِيَّةُ أَوَّلُ

أي: وإني لواجل، أي: لوَجِل. وقال:

فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

أي: بواحد، وفي الأذان: الله أكبر، أي: الله كبير...».

وانظر: الفراء المعاني، ج 2 ص 323 — 324 في تفسير الآية.

أي: ليس له نِدّ ولا شبيه. قال: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ العزيز في نقمته، الحكيم في أمره. ينزِّه نفسه عما قال المشركون أن جعلوا له الأنداد فعبدوهم دونه.

قوله: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِن أَنْفُسِكُمْ ﴾ ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿ هَل لَّكُم مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ أي: هل يشارك أحدكم مملوكه في زوجته وماله؟ ﴿ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ ﴾ أي: تخافون لائمتهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: كخيفة بعضكم بعضاً، أي: إنه ليس أحد منكم هكذا، فأنا أحق ألا يُشرَك بعبادتي غيري، فكيف تعبدون غيري دوني، تشركونه في ألوهيتي وربوبيتي؟ وهو مثل قوله: (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) [النحل: 71] قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ﴾ يعني نبيّن الآيات ﴿ لِقَوْمٍ يَّعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قال: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أتاهم من الله بعبادة الأوثان ﴿ فَمَن يَّهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ ﴾ أي: لا أحد يهديه ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾.

قال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾ أي: مخلصاً، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: مسلماً ﴿ فِطْرَتَ اللهِ التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ أي: خلق الله الذي خلق الناس عليه[1]، وهو قوله: (وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) [الأعراف: 172].

قال بعضهم: إن أوّل ما خلق الله القلم فقال: اكتب. فقال: ربِّ، وما أكتب؟ قال: ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ قال: فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس فيجدونه على ما في الكتاب الأول. ثم أخرج الله من

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 324: «وقوله: (فطرة الله) يريد: دين الله، منصوب على الفعل. كقوله: (صِبْغَةَ اللهِ). وقوله: (التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا) يقول: المولود على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان ينصرانه أو يهودانه. ويقال: فطرة الله أن الله فطر العباد على هذا: على أن يعرفوا أن لهم ربّاً ومدبّراً».

ظهر آدم كل نسمة هو خالقها، فأخرجهم مثل الذر، فقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى ﴾ ثم أعادهم في صلب آدم، ثم يكتب بعد ذلك العبد في بطن أمه شقياً أو سعيداً على الكتاب الأول. فمن كان في الكتاب الأول شقياً عُمِّر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أُخذ عليه في صلب آدم فيكون شقياً. ومن كان في الكتاب الأول سعيداً عُمِّر حتى يجري عليه القلم فيؤمن فيصير سعيداً. ومن مات صغيراً من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم فهو مع آبائه في الجنة من ملوك أهل الجنة، لأن الله يقول: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ [الطور: 21].

ذكروا عن الحسن قال: توفي ابن رجل من الأنصار فقعد في بيته. فافتقده رسول الله ﷺ، فسأل عنه، فقال سعد: يا رسول الله، توفي ابنه فقعد في بيته. ثم لقي الرجلَ سعدٌ فقال: إن رسول الله، قد ذكرك اليومَ. فأتى الرجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تُوفّي ابني فقعدت في بيتي. فقال رسول الله: أما ترضى أن تكفى مؤونته في الدنيا وألا تأتي على باب من أبواب الجنة إلا وجدته بإزائه ينتظرك[1]؟.

قال بعضهم: ومن كان من أولاد المشركين ثم مات قبل أن يجري عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم في النار، لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم ولم ينقضوا الميثاق، قال: وهم خدم أهل الجنة.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: لم تكن لهم حسنات [فيجزوا بها][2] فيكونوا من ملوك أهل الجنة، ولم تكن لهم سيئات فيكونوا من أهل النار؛ فهم خدم أهل الجنة[3].

---

(1) لم أجده فيما بين يدي من المصادر، وقد رواه ابن سلام هكذا في سح ورقة 87: «وحدثني قرة ابن خالد عن الحسن قال. . . وفيه: «فقال سعد بن عبادة، يا نبي الله، توفي بُنَيَّهُ فدبّخ في بيته، ثم لقيه فقال. . .».

(2) زيادة من سح ورقة 88.

(3) رواه ابن سلام بالسند التالي: «حدثني الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ. . .

ذكروا عن سلمان الفارسي أنه قال: أطفال المشركين خدم لأهل الجنة. وذكر ذلك قوم للحسن فقال: وما تنكرون؟ قوم أكرمهم الله، وأكرَمَ بهم، يعني أهلَ الجنة.

ذكروا عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال لـم: تكن لهم حسنات فيكونوا من ملوك أهل الجنة، ولم تكن لهم سيئات فيكونوا من أهل النار[1].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه. فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه. قيل: يا رسول الله، فالذي يموت صغيراً؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين[2].

ذكروا عن الحسن قال: سئل رسول الله ﷺ: من في الجنة؟ فقال: النبيّون[3] في الجنة، والمولود في الجنة، والشهيد في الجنة، والموءودة في الجنة.

ذكروا عن الحسن قال: أربعة يرجون العذر يوم القيامة: من مات قبل الإسلام، ومن أدركه الإسلام وهو هرم قد ذهب عقله، ومن ولدته أمه لا يسمع الصوت، والذي يتخبّطه الشيطان من المس. فكل هؤلاء يرجون العذر يوم القيامة. قال: فيرسل الله إليهم رسولاً، فيوقد لهم ناراً، فيأمرهم أن يقعوا فيها، فمن بين واقع ومن بين هارب. قال بعضهم: وبلغنا أن من واقعها نجا، ومن لم يواقعها دخل النار.

---

(1) اقرأ في هذا الموضوع تحقيقاً مهماً وتلخيصاً لأقوال العلماء في هذا الموضوع أوردهما البغوي في شرح السنة ج 1 ص 153 - 162، باب أطفال المشركين.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلّي عليه، وفي باب ما قيل في أولاد المشركين، وأخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، عن أبي هريرة (رقم 2658).

(3) كذا في ب وع: «النبيّون في الجنة»، وفي سح وسع جاء اللفظ بالإفراد: «النبي» وهو الصحيح. والحديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة (رقم 2521) عن حسناء بنت معاوية الصريمية عن عمّها أسلم بن سليم قال: قلت للنبي ﷺ من في الجنة؟ قال: النبي ﷺ في الجنة».

وقال بعضهم: نرى أن الذين ينجون من ولدته أمه لا يسمع الصوت، والذي يتخبّطه الشيطان من المسّ لهما عذر، والاثنان الآخران ليس لهما عذر: الذي مات قبل الإسلام، ومن أدرك الإسلام وقد ذهب عقله لأنهما قد لقيا الحجّة من الأنبياء؛ من عيسى أو من غيره من قبله. قال الله: (إِنَّهُمْ أَلْفَوا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) [الصافات: 69 - 70]. وقول الحسن في هذا متروك لا يؤخذ به ولا يذهب إليه المسلمون[1].

قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ أي: لدين الله، كقوله: (إِنَّ عِبَادِي) أي: المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) [الإسراء: 65]، وكقوله: (مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) [الكهف: 17] أي: لا يستطيع أحد أن يضلّه. وكقوله: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا) [النحل: 55].

قال: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم المشركون.

قال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: مقبلين إليه بالإخلاص، أي: مخلصين له[2]. وهذا تبع للكلام الأول: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً) قال: ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ أي: المفروضة ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾ أي: فرقاً، يعني أهل الكتاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما عليهم ﴿فَرِحُونَ﴾ [أي: راضون].

قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[3] أي: مخلصين في الدعاء ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ أي: كشف ذلك عنهم ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ أي: فكفروا بما آتيناهم من النعم حيث أشركوا

---

(1) هذه الجملة الأخيرة لم ترد إلا في ب و ع، وهي من كلام الشيخ هود ولا شك.
(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 122: «(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) أي: راجعين تائبين.
(3) زيادة من سح ورقة 89. وقال أبو عبيدة: «أي كل شيعة وفرقة بما عندهم» (فَرِحُونَ).

﴿ فَتَمَتَّعُوا ﴾ أي: إلى موتكم ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد. وهي تقرأ أيضاً على الياء: (فَيَتَمَتَّعُوا)، يخبر عنهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وعيداً لهم.

قال الله عزّ وجل: ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰناً ﴾ أي: حجّة ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ أي: نذلك السلطان يتكلّم، وهي الحجّة ﴿ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ وهذا استفهام، أي: لم ينزل عليهم حجّة بذلك، أي: لم يأمرهم أن يشركوا.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ أي: عافية وسعة ﴿ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: شدة وعقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ أي: ييأسون من أن يصيبهم رخاء بعد تلك الشدة: يعني المشركين.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ أي: يوسّعه عليهم ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتر عليه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿فَئَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ قال الحسن: بعض هذه الآية تطوّع، وبعضها مفروض؛ فأما قوله: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ فَهُوَ تَطَوُّعٌ)، وهو ما أمر الله به من صلة القرابة، وأما قوله: (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) فيعني الزكاة.

قال بعضهم: حدثونا أن الزكاة فرضت بمكة، ولكن لم تكن شيئاً معلوماً.

وقال الكلبي في تفسير هذه الآية: أن يصل ذا القربى، ويطعم المسكين، ويحسن إلى ابن السبيل، وهو الضيف.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّباً لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَٰلِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللهِ ﴾ ذكروا عن الضحاك بن مزاحم قال: تلك الهديّة تهديها لِيُهدَىٰ إليك خير منها، ليس لك فيها أجر، وليس عليك فيها وزر، وقد نهى عنها النبي عليه السلام، فقال: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ) [المدثر: 6].

ذكر عبد الرحمن الأعرج أنه سمع ابن عباس يقرأها: لتُربوا، وبعضهم يقرأها: ليربوَ، أي: ليربوَ ذلك الربا الذي يُربون، والربا: الزيادة، أي: تُهدون إلى الناس ليُهدوا لكم أكثر منه.

وذكروا أن النبي عليه السلام قال: الهديّة رزق الله، فمن أهدى إليه شيء فليقبله، وليُعط خيراً منه[1].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا يردّن أحدكم على أخيه هديتَه وَلْيُهْدِ له كما أهدى له[2].

ذكروا عن أبي عبيدة أنه قال: ترك المكافأة من التطفيف؛ يعني مكافأة من أهدى.

قال بعضهم: هذا ملاطفة تجري بين الإخوان والأخوات والجيران. وقد رأينا الناس يلاطفون فقهاءهم وعلماءهم ويهدون لهم، يرجون بذلك مودتهم وتعظيمهم وتشريفهم، ولا يطلبون بذلك منهم مكافأة، ويقبل منهم علماؤهم وفقهاؤهم، ويرون ذلك من مكارم الأخلاق، ومن سَنِيِّ الفِعال، ويرون ردّ ذلك على إخوانهم الذين طلبوا ملاطفتهم، وإدخال الرفق عليهم كسراً لهم، وإزراء بهم، وعيباً عليهم. وإنما يكره قبول الهدايا للأمراء والوزراء، والقضاة والعمال، لأن قبول الهدايا لهؤلاء رشىً

(1) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن صحت أحاديث عن النبي ﷺ في قبول الهدية إذا كانت من غير مسألة، فقد روي عن خالد بن علي الجهني رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بلغه عن أخيه معروف من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه.

(2) أخرج الترمذي في أبواب الأشربة، باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة عليها عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها. وأخرج أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (رقم 1672) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

في الأحكام؛ فأما من سواهم ممن ليس بأمير ولا وزير، ولا قاض ولا عامل، فلا بأس بقبول الهدية لهم، بل هو حسن جميل، يثبت المودّة، ويذهب الضغائن والغلّ[1].

قوله: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ ﴾ أي: تريدون بها الله ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾أي: الذين تضاعف لهم الحسنات[2].

قوله: ﴿ اللهُ الذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يعني البعث ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم ﴾ يعني ما تعبدون من دون الله ﴿ مَّن يَّفْعَلُ مِنْ ذَلِكُم مِّنْ شَيْءٍ ﴾ أي: يخلق أو يرزق أو يحيي أو يميت ﴿سُبْحَانَهُ﴾ ينزّه نفسه ﴿ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: ارتفع عما يقول المشركون.

قوله: ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَت أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾. والفساد: الهلاك، يعني من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم، كقوله: (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) [الفرقان: 39]، أي: أفسدنا إفساداً أي: أهلكنا إهلاكاً. (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أي: لعل من بعدهم يرجعون عن شركهم إلى الإيمان ويتّعظون بهم.

---

(1) هذا الخبر المنسوب إلى أبي عبيدة وإلى بعضهم هو، ولا شك، من زيادات الشيخ هود الهواري، ولم يرد في المخطوطتين سع و سح، ولا في ز. وأبو عبيدة هذا هو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي، الذي أرسى قواعد المذهب الإباضي بعد شيخه الإمام جابر بن زيد التابعي الجليل. وقد توفي أبو عبيدة سنة 158 هـ حسبما ذكره بعض المحققين، وقيل سنة 150 هـ. وليت الشيخ هوداً ذكر لنا سند هذا الخبر حتى نتعرف على شيوخه وعلى نسبه في الدين، ولكنه ـ كعادته ـ يحذف أكثر الأسانيد ويكتفي برواية الحديث أو الخبر، فحرمنا من كثير من وسائل تحقيق هذه الروايات تحقيقاً علمياً، وعلى كل فإيراده لهذا الخبر هنا وما يتضمنه من تفريق بين من يجوز لهم قبول الهدايا وبين من لا يجوز دليل على فقه الرجل وعلمه.

(2) جاء في ز ورقة 264 ما يلي: «قال محمد: يقال رجل مُضعِف، أي: ذو إضعاف من الحسنات، كما يقال: رجل موسر، أي: ذو يسار. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 325: «وقوله: (هُمُ المُضْعِفُونَ) أهل للمضاعفة، كما تقول العرب: أصبحتم مُسْمِنين مُعْطِشين إذا عطشت إبلهم أو سمنت».

وقوله: ﴿ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ قال الحسن: أهلكهم الله بذنوبهم في بر الأرض وبحرها بأعمالهم الخبيثة. كقوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً ﴾ يعني قوم لوط الذين كانوا خارجين من المدينة وأهل السفر منهم ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ يعني ثموداً ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ ﴾ يعني قوم لوط، أصاب مدينتهم الخسف، وقارون، ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: 40] يعني قوم نوح وفرعون وقومه[1].

قوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ أي: فأهلكناهم بشركهم.

قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ أي: الإسلام ﴿ مِنْ قَبْلِ أَن يَّأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ يَوْمَئِذٍ يَّصَّدَّعُونَ ﴾ أي: يتفرّقون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

قوله: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي: يُثاب عليه النار ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ أي: يوطئون في الدنيا القرارَ في الآخرة بالعمل الصالح[2].

ذكروا أن الله يقول للمؤمنين يوم القيامة: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

قوله: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: بفضله

---

(1) أما الفراء فأول الآية في المعاني، ج 2 ص 325 هكذا: «وقوله: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) يقول: أجدب البرّ وانقطعت مادة البحر بذنوبهم، وكان ذلك ليُذاقوا الشدةَ بذنوبهم في العاجل».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 124: «(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) من يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث، ومجازها ها هنا مجاز الجميع. و (يَمْهَدُ) أي: يكتسب ويعمل ويستعدّ. قال سليمان بن يزيد العدوي:

امْهدْ لِنَفْسِكَ حَانَ السُّقْمُ وَالتَّلَفُ ... وَلَا تُضِيعَنَّ نَفْساً مَا لَهَا خَلَفُ

يدخلهم الجنة. قال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: لا يثيب الكافرين بالجنة.

قوله: ﴿وَمِن ءَايَـٰتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي: بالمطر ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ يعني بالمطر ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: طلب التجارة في البحر. وهذا تبع للكلام الأول في هذه الآية: (وَمِن ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) وما ذكر من المطر والسفن وطلب الفضل. قال: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لتشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يا محمد ﴿ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ ﴾ أي: جاءتهم تلك الرسل ﴿بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: بالبينات والنور والهدى فكذبوهم ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ أي: من الذين أشركوا ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُومِنِينَ ﴾ أي: إجابة دعاء الأنبياء على قومهم بالهلاك حين كذّبوهم، فأمروا بالدعاء عليهم، ثم استجيب لهم فأهلكهم الله.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً ﴾ أي: قطعاً بعضه على بعض ﴿ فَتَرَىٰ الْوَدْقَ ﴾ أي: المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ أي: من خلال السحاب، وقال بعضهم: (مِنْ خَلَلِهِ) أي: من خلل السحاب. قال: ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي: بالمطر.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِم ﴾ المطر ﴿ مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ أي: لآيسين من المطر قانطين. كقوله: (وَهُوَ الذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) [الشورى: 28].

وقوله: (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ) هو كلام من كلام العرب مثنى[1]. مثل قوله: (وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [النمل: 3] وكقوله: (وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) [الروم: 7].

(1) مثنى: أي: مكرر. قال ابن أبي زمنين في ز ورقة 365: «تكرير قيل على جهة التوكيد».

قال: ﴿ فَانْظُر إِلَى أَثَرِ رَحْمَتِ اللهِ ﴾ يعني المطر ﴿ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يعني النبات الذي أنبته الله بذلك المطر. قال: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: فالذي أنبت هذا النبات بهذا المطر قادر على أن يبعث الخلق يوم القيامة.

قال: ﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحاً ﴾ فأهلكنا به ذلك الزرع ﴿ فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا ﴾ أي: لصاروا ﴿ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد ذلك المطر ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَىٰ ﴾ يعني الكفار الذين يموتون على كفرهم، ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾. يقول: إن الصمّ لا يسمعون الدعاء إذا ولوا مدبرين. وهذا مثل الكفار، أي: إنهم إذا تولوا عن الهدى لم يسمعوه سمع قبول.

قال: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ العُمْيِ عَنْ ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ يعني الكفار العمي عن الهدى ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِئَايَٰتِنَا﴾ وهذا سمع قبول. يقول: لن يقبل منك إلا من يؤمن بآياتنا ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ ﴾ يعني ضعف نطفة الرجل ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً ﴾ يعني شبابه ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ ﴾ أي: يحلف المشركون ﴿ مَا لَبِثُوا ﴾ أي: في الدنيا وفي قبورهم ﴿ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُوفَكُونَ ﴾ أي: يُصدّون في الدنيا عن الإيمان والبعث.

قال: ﴿ وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيْمَانَ لَقَد لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ ﴾ [وهذا من مقاديم الكلام، يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم القيامة][1] أي: لبثهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى

(1) زيادة من سح ورقة 94 ون ز ورقة 365. وهذا وجه من وجوه تأويل الآية. وقيل: ليس في الآية =

أن بعثوا. قال: ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا تعلمون أن البعث حق.

قال: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ أي: وإن اعتذروا ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: ولا يردون إلى الدنيا ليعتبوا، أي: ليؤمنوا. وذلك أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا فلا يردون إلى الدنيا.

قال: ﴿ وَلَقَد ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي: ليذكروا ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾. وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية. قال: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني الذين يلقون الله بشركهم يطبع على قلوبهم بشركهم.

قال: ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي: الذي وعدك أنه سينصرك على المشركين ويظهر دينك ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾ أي: ولا يستفزنك ﴿ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك من ترك دينك، وهو يعلم أنه لا يتابعهم على شيء من ذلك، وأنهم لا يستخفونه.

= تقديم وتأخير، ومعنى كتاب الله: «أي: في اللوح، أو في علم الله وقضائه، أو فيما كتبه: أي: أو جاء به بحكمته».

(1) قال الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 417: «﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك: استعتبني فلان فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته، وذلك إذا كنت جانياً عليه. وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه.

والمعنى لا يقال لهم: ارضوا ربكم بتوبة وطاعة. وقال الراغب الأصبهاني: «والاستعتاب أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه ليُعتب».

تفسير سورة لقمان
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ أَلٓمٓ ﴾ قد فسّرناه في أول سورة البقرة. قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الكِتَٰبِ الحَكِيمِ ﴾ أي: المحكم، أحكمت آياته بالحلال والحرام والأحكام والأمر والنهي.

قوله: ﴿ هُدًى ﴾ يهتدون به إلى الجنة ﴿ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: للمؤمنين ﴿ الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلاة المفروضة ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾ أي: المفروضة ﴿ وَهُمْ بِالأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: لا يشكون أنها كائنة. ﴿أُوْلَٰئِكَ﴾ الذين هذه صفتهم ﴿ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي: على بيان من ربهم ﴿ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ ﴾ يعني الشرك، وهو قوله: (اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ) [البقرة: 16] أي: اختاروا الضلالة على الهدى في تفسير الحسن. وقال بعضهم: استحبوا الضلالة على الهدى. [وقال بعضهم: يختار باطل الحديث على القرآن][1]. قال: ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى وهو سبيل الله ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أتاه من الله بما هو عليه من الشرك. ﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ﴾ أي: ويتخذ آيات الله، أي: القرآن هزؤاً.

وتفسير الكلبي أنها نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار، وكان رجلاً

(1) زيادة من سح ورقة 95، ومن سع ومن ز.

راوية لأحاديث الجاهلية وأشعارهم[1]. قال: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي: من الهوان، يعني جهنم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً﴾ أي: عن عبادة الله جاحداً لآيات الله ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ أي: قد سمعها بأذنيه ولم يقبلها قلبه. قال: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ النَّعِيمِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها. ﴿ وَعْدَ اللهِ حَقّاً ﴾ أي: بأن لهم الجنة ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ أي: العزيز في ملكه ونقمته، الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾. وفيها تقديم في تفسير الحسن، وتقديمها: خلق السماوات ترونها بغير عمد. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: لها عمد ولكن لا ترونها.

قال الله ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ يعني الجبال أثبت بها الأرض ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي: لكي لا تتحرك بكم.

ذكروا عن الحسن أنه قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد[2]. فلما رأت ذلك

---

(1) هذا هو القول الذي ذهب إليه كثير من المفسّرين القدامى والمعاصرين، ومن هؤلاء الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ج 21 ص 142. وفي تفسير مجاهد، ص 503 ما نصه: «هو اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير والاستماع إليهم، وإلى مثله من الباطل». وقد فسر ابن مسعود لهو الحديث بالغناء. وقال ابن عباس: الغناء وأشباهه. وقد روي في هذا المعنى خبر عن رسول الله ﷺ رواه الترمذي في كتاب التفسير، سورة لقمان عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام. وانظر: مختلف الأقوال التي وردت في تأويل الآية في تفسير الطبري ج 21 ص 60 - 63، وفي تفسير القرطبي، ج 14 ص 51 - 57، وانظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عبد الله بن عمر، ص 208.

(2) كذا في ع، «تَمِيدُ» وهو الصحيح، وفي ب: «تَمِيعُ»، وفي سح و سع: «تَمَيَّع» وما أثبته من ع هو الصواب لأنه بمعنى الحركة والاضطراب، أما الميع والتميع فهما بمعنى السيلان والذوبان.

ملائكة الله قالوا: يا ربنا، هذه لا يقر لك على ظهرها خلق، إلهاماً من الله لهم، فأصبحت وقد وتدها[1] بالجبال، فلما رأت ملائكة الله ما أرسيت به الأرض قالوا: يا ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. قالوا: ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالوا: ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالوا: يا ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم.

قوله: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ أي: خلق فيها، في الأرض ﴿ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي: في الأرض ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ أي: من كل لون ﴿ كَرِيمٍ ﴾ أي: حسن.

ثم قال: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان التي يعبدونها، فلم تكن لهم حجة. قال: ﴿ بَلِ الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: المشركون ﴿ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ ﴾ أي: الفقه والعقل. كان لقمان فقيهاً عالماً ولم يكن نبيّاً.

ذكروا أن لقمان الحكيم كان عبداً حبشياً نجاراً[2] فأمره سيده أن يذبح له شاة؛ فذبح له شاة، فقال له سيّده: إيتنا بأطيبها مضغتين، فجاءه باللسان والقلب. ثم أمره أن يذبح له شاة أخرى وأمره فقال: الق أخبثها مضغتين، فألقى اللسان والقلب. فقال له سيّده: أمرتك بأن تأتيني بأطيبها مضغتين، فأتيتني باللسان والقلب، ثم أمرتك أن

(1) في ع و ب: «وثطها»، وفي سح: «وتطها»، وفي كلتا الكلمتين تصحيف صوابه: ما «وطدها» أي: أثبتها وثقلها، وأما «وتدها» أي: جعل لها الجبال أوتاداً، وأثبت هذه الأخيرة لموافقتها لما جاء في الآية الكريمة: (وَالجِبَالَ أَوْتَاداً) [النبأ: 7].

(2) وقيل كان خياطاً، وقيل كان راعياً.

تلقي أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال له لقمان: إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. قال: وكان ذلك أول ما عرف به من حكمته[1].

وقال مجاهد: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ) أي: الفقه والعقل [والإصابة في القول في غير نبوّة][2].

قوله: ﴿ أَنْ اشْكُرْ للهِ ﴾ النعمة. قال: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أي: لنفسه نفع ذلك، والشكور هو المؤمن. ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ أي: ولم يشكر النعمة ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أي: غني عن خلقه، حميد، أي: استحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَـٰبُنَـيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: يظلم به المشرك نفسه، أي: يضرّ به نفسه. قال الحسن: ينقص به نفسه.

قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـٰنَ بِوَٰلِـدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ ﴾ أي: ضعفاً على ضعف في تفسير الحسن. وقال ابن مجاهد عن أبيه: هي المرأة وضعفها. وقال بعضهم: جهداً على جهد. وقال بعضهم عن مجاهد: وهن الولد على وهن الوالدة[3]؛ والوهن: الضعف.

قال: ﴿ وَفِصَـٰلُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ أي: وفطامه في عامين. ذكر عمرو عن الحسن

---

(1) وردت هذه الجملة مضطربة فاسدة في ب و ع فصححتها حسبما يقتضيه المعنى. ولم ترد في سح ولا في ز.

(2) زيادة من سح ورقة 96 ومن ز ورقة 266، وهي نفس العبارة التي جاءت في تفسير مجاهد ورقة 504.

(3) في ع و ب وفي سح: «على وهن الوالد»، وأثبت التصحيح من تفسير الطبري، ج 21 ص 69. وفي مخطوطة سح ورقة 79 عبارة أخرى لابن مجاهد عن أبيه: «الولد وهن الوالدة وضعفها».

قال: قال رسول الله ﷺ: لا رضاع بعد الفطام[1]. ذكر عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا لا يريان الرضاع بعد الحولين شيئاً.

قوله: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ أي: البعث.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن رضى الرب مع رضى الوالد، وسخط الرب مع سخط الوالد[2].

ذكروا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من أصبح باراً بوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه[3].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن فوق كل برّ براً حتى إن الرجل ليهريق دمَه لله، وإن فوق كل فجور فجوراً حتى إن الرجل ليعقّ والديه[4].

قوله: ﴿ وَإِنْ جَٰهَدَٰكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: إنك تعلم أني ليس لي شريك، يعني المؤمن. قال: ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أي: طريق من أناب إليّ، أي: أقبَلَ إليَّ بقلبه مخلصاً، يعني النبي عليه السلام والمؤمنين. ثم قال: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَأُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي: فأخبركم ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ رجع إلى كلام لقمان، تبعاً للكلام الأول حيث قال: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ) قال: ﴿ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ أي:

---

(1) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن جابر بن عبد الله ولفظه: لا رضاع بعد فصال ولا يُتم بعد احتلام.

(2) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وأخرجه موقوفاً. وقال الترمذي: وهذا أصح، أي: الموقوف أصح من المرفوع، وأخرجه ابن حبان أيضاً عن عبد الله بن عمرو موقوفاً.

(3) انظر ما سلف، ح 2 ص 415.

(4) أخرجه يحيى بن سلام عن خالد عن الحسن مرسلاً، ولم أجده في مصادر أخرى.

وزن حبة ﴿ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ﴾ بلغنا أن الصخرة التي عليها الحوت الذي عليه قرار الأرض[1]. قال: ﴿ أَوْ فِي السَّمَـٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يأتِ بِهَا اللهُ ﴾ أي: احذر يا بني فإنه سيحصي عليك عملك ويعلمه كما علم هذه الحبة من الخردل. لقمان يقوله لابنه. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: لطيف باستخراجها، خبير بمكانها.

قوله: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾. ذكر بعضهم عن أصحاب النبي عليه السلام قال: من أمر بعبادة الله، ونهى عن عبادة الأوثان فقد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

قال الله: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ والعزم أن تصبر.

قال: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تعرض عنهم وجهك استكباراً ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً ﴾ أي: بالعظمة [﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ أي: متكبِّر ﴿ فَخُورٍ ﴾ يعني يُزهى بما أُعطِيَ ولا يشكر الله][2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر. فقال رجل من القوم: يا رسول الله، إن الرجل منا ليكون نقيَّ الثوب، جديد الشراك فيعجبه ذلك، فقال: ليس ذلك الكبر، ولكن الكبر أن تسفَّه الحق وتغمط الناس[3].

ذكروا عن بعضهم قال: من وضع جبهته ساجداً لله فقد برىء من الكبر.

---

(1) وهذه هي الأخبار والأساطير التي لا أصل لها من كتاب أو سنة صحيحة.

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع وأثبته من ز ورقة 266. وفي سح جاءت العبارة هكذا: «يعد ما أعطى زهواً ولا يشكره لله». وفي تفسير مجاهد ص 505: «هو الذي يعدد ما أعطاه، وهو لا يشكر الله».

(3) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (رقم 91) عن عبد الله ابن مسعود، وجاء في آخر الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغمط الناس».

ذكروا أن علياً قال: قال رسول الله ﷺ: من صنع شيئاً فخراً لقي الله يوم القيامة أسود. قال: فقال القوم: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلكنا وربِّ الكعبة، فوالله إن الرجل منا ليعجبه حسن ثوبه وحسن مركبه، ثم ينظر في شعره ونعله. فقال علي: قد شكونا الذي تشكون إلى النبي عليه السلام فقال: ليس ذلك بالفخر، ولكن الفخر بَطَرُ[1] الحق وغمط الناس والاستطالة عليهم[2].

قال: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [الإسراء: 37].

قال: ﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ ﴾ يعني أقبح الأصوات ﴿ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ وإنما كانت ﴿ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ولم تكن لأصوات الحمير لأنه عنى صوتها الذي هو صوتها[3].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَوا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَـٰوَاتِ ﴾ يعني شمسها وقمرها ونجومها وما ينزل من السماء من ماء وما فيها من جبال البرد ﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: وسخر لكم ما في الأرض أي: من شجرها وجبالها وأنهارها وثمارها [وبحارها وبهائمها][4] ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ أي: في باطن أمركم وظاهره. [وبعضهم يقول][5]: الظاهرة الإسلام والقرآن، والباطنة ما ستر من العيوب والذنوب.

قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ ﴾ فيعبد الأوثان دونه ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أتاه من الله ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ أتاه من الله ﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ أي: مضيء. أي: بيّن لما هو

---

(1) في ب و سع: «إبطال الحق»، وفي سح: «بطل الحق»، وكلاهما تصحيف، صوابه ما أثبت بَطَر الحق، وهو أن يتكبر الإنسان فينكر الحق ولا يقبله.

(2) هو تتمة الحديث السابق بزيادة: «والاستطالة عليهم» ولم تأت هذه العبارة في حديث مسلم، ولم أجدها عند غيره، ولعلها من زيادة بعض النساخ تفسيراً لما سبق.

(3) جاءت هذه الجملة مضطربة فاسدة في ب و ع، فأثبت تصحيحها من سح ورقة 99.

(4) زيادة من سح ومن ز.

(5) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

عليه من الشرك. وتفسير الكلبي أنها نزلت في النضر بن الحارث، أخي[1] بني عبد الدار.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ يعنون عبادة الأوثان. قال الله: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُم إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي: أيتّبعون ماوجدوا عليه آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير؟ أي: قد فعلوا ذلك. ودعاؤه إياهم إلى عذاب السعير دعاؤه إياهم إلى عبادة الأوثان بالوسوسة.

قوله: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ ﴾ يعني وجهته في الدين ﴿ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: وهو مؤمن ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ وهي الإيمان بالله، وهي لا إلٰه إلا الله والتوجه إلى الله بكل ما تعبّدهم به من قول وعمل. قال: ﴿ وَإِلَى اللهِ عَـٰقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أي: مصيرها في الآخرة.

قوله: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يُحْزِنْكَ كُفْرُهُ ﴾ كقوله: (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) [النحل: 127] ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: ما يسرّون في صدورهم.

قال: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ﴾ أي: في الدنيا إلى موتهم ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يعني جهنم.

قال: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: أنهم مبعوثون.

قوله: ﴿ للهِ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ أي: عن خلقه ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمِد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

(1) في ب و ع: أحد، وأثبت ما جاء في سح فهو أنسب وأفصح.

أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللهِ ﴾ يقول: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ليكتب بها علم الله، أي: علمه بما خلق، والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر يستمد منه للأقلام ليكتب بها علم ذلك، ما نفدت كلمات الله، لانكسرت الأقلام ونفد ماء البحار، ولمات الكُتَّاب وما نفدت كلمات الله، أي: علمه بما خلق[1].

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: إن تحت بحركم هذا بحراً من نار، وتحته بحر من ماء، وتحته بحر من نار، وتحته بحر من ماء، حتى عدّ سبعة أبحر من ماء، وسبعة أبحر من نار. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد، خلقنا الله أطواراً: نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ثم أنشأنا خلقاً آخر، كما تزعم، وتزعم أنا نبعث في ساعة واحدة. فأنزل الله جواباً لقولهم: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَّاحِدَةٍ)، أي: إنما نقول له: كن فيكون. ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلَ ﴾ أي: يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل، وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه. قال: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ دائبين، أي: يجريان ﴿ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لا يُقَصِّر دونه ولا يزيد عليه، أي: إلى الوقت الذي يكون فيه، فيذهب ضوءه. قال: ﴿ وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله ﴿ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ

---

(1) ورد تفسير هذه الآية مضطرباً مبتوراً فأثبت تصحيحه من سح ورقة 100 ومن ز ورقة 266. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 128: «مجاز البحر ها هنا الماء العذب، يقال: ركبنا هذا البحر، وكنا في ناحية هذا البحر، أي: في الريف، لأن الملح في البحر لا ينبت الأقلام. . .»، وكأني بأبي عبيدة أغرق في النَّزْع بتأويله هذا. فالبحر كناية عن المداد فقط، يؤيد هذا قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) [الكهف: 109] وما فسّر القرآنَ مثل القرآن.

﴿مِنْ دُونِهِ الْبَـٰطِلُ﴾ يعني أوثانهم ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: الأعلى ولا أعلى منه ﴿الْكَبِيرُ﴾ أي: لا أكبر منه.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ﴾ أي: أنعم الله بها على خلقه ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِ﴾ أي: جريُ السفن من آياته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، وهو المؤمن.

قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَـلِ﴾ أي: كالجبال[1]. وقال في آية أخرى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: 42]. وقال في آية أخرى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171]. قال: ﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [يعني التوحيد][2] ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُـمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهذا المؤمن. وأما الكافر فعاد في غدره. قال: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ﴾ أي: غدّار[3] ﴿كَفُورٍ﴾. يقول: أخلص لله في البحر للمخافة من الغرق، ثم غدَر فأشرك. كقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُـمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65].

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً﴾ أي: واتقوا يوماً، يعني العقاب فيه ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لا يفديه من عذاب الله ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِـدِهِ شَيْئاً﴾ أي: لا يفتديه من عذاب الله ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ يعني البعث والحساب، والجنة والنار. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ وهي تقرأ على وجهين: الغَرور والغُرور. فمن قرأها الغَرور فهو يريد الشيطان، ومن قرأها

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 128: «واحدها ظُلَّة، ومجازه: من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه». وقال الفرّاء في المعاني، ج 2 ص 330: «وقوله: ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ فشبّهه بالظلل والموج واحد، لأن الموج يركب بعضه بعضاً، ويأتي شيء بعد شيء فقال: ﴿كَالظُّلَلِ﴾، يعني السحاب».

(2) زيادة من سح، ورقة 101.

(3) قال أبو عبيدة: «الختر أقبحُ الغدر».

الغُرور فهو يريد غُرور الدنيا، [وهو أباطيلها][1]، كقوله: ﴿ وَمَا الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20].

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: مجيئها ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ أي: المطر ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾ أي: من ذكر وأنثى وكيف صورته[2]. ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: عليم بخلقه خبير بأعمالهم.

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: خمس لا يعلمهن إلا الله، لم يشرك فيهن أحداً من خلقه، لا ملك مقرّب ولا نبيّ مصطفى: ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 267.

(2) كذا في ع و ب: «كيف صورته»، وفي سح ورقة 102: «كيف صُوَرُه»، وفي ز: «كيف صَوَّرَه».

(3) انظر تخريجه فيما مضى ج 1 ص 343. ورواه يحيى بن سلام هنا بهذا السند: حدثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ. . . الحديث، كما جاء في سح ورقة 102.

تفسير سورة السجدة[1]
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الٓمٓ ﴾ قد فسرناه في أول سورة البقرة. قوله: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه أنه ﴿ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيٰهُ﴾ يعني المشركين يقولون إن محمداً افترى القرآن، أي: افتعل هذا القرآن[2]، أي: قد قالوه، وهو على الاستفهام. قال الله: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ يقوله للنبي عليه السلام ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ﴾ يعني قريشاً ﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾ أي: منهم، ينذرهم العذاب ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي يهتدوا.

قوله: ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ومقدار اليوم منها ألف سنة. ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أي: ملك العرش وغيره. وإنما الاستواء من طريق الملك، لا على التمكن، تعالى الله علواً كبيراً[3].

قوله: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي: يمنعكم من عذابه إن أراد عذابكم ﴿ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ أي: يشفع لكم عنده حتى لا يعذّبكم. قال: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

---

(1) كذا في ع: «سورة السجدة»، وفي ب و ز: «سورة الٓمٓ السجدة». وفي سح، ورقة 102: «تفسير سورة ألم تنزيل السجدة».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 130: «(افْتَرَاهُ) أي: تكذّبه واخْتَرَقَه وَتَخَلَّقَهُ مِن قِبَلِ نفسِه».

(3) هذا التفسير للاستواء على العرش مما انفردت به ب و ع، فهو من الشيخ هود ولا شك.

قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ والأمر هو الوحي، أي: ينزله مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ أي: يصعد، يعني جبريل إلى السماء ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ يقول: ينزل ويصعد في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون.

قال بعضهم: إن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فينزل مسيرة خمسمائة سنة، ويصعد مسيرة خمسمائة سنة في يوم، وفي أقل من يوم. وربما يسأل[1] النبي عليه السلام عن الأمر يحضره فينزل في أسرع من الطرف.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) ثم أخبر بقدرته فقال: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ﴿ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾. يعني نفسه. والغيب: السرّ، والشهادة: العلانية. والعزيز أي: في نقمته، الرحيم، أي: بخلقه.

ذكروا عن سلمان الفارسي قال: إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة منها طباقها السماء والأرض، فأنزل الله منها رحمة واحدة، فبها تتراحم الخليقة، حتى ترحم البهيمة بهيمتها، والوالدة ولدها، حتى إذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسع والتسعين رحمة، ونزع تلك الرحمة من قلوب الخليقة، فأكملها مائة رحمة، ثم نصبها[2] بينه وبين خلقه، فالخائب من خيب من تلك الرحمة.

قوله: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ[3] وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ يعني

---

(1) كذا في سح: «يسأل»، وفي ع: «سأل»، وفي ز: «سئل»، ولكل وجه، والمعنى واضح.

(2) في ب و ع: «ثم يصبّها» والصواب ما أثبته: «نصبها» من سح، ورقة 104.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 130: « (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) مجازه: أحسن خلق كل شيء. والعرب تفعل هذا، يقدّمون ويؤخرون». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 330: «قوله: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) يقول: أحسنه فجعله حَسَناً. ويقرأ: (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه) قرأها أبو جعفر المدني، كأنه قال: ألهم خلقَه كل ما يحتاجون إليه، فالخلق منصوبون بالفعل الذي وقع على (كُلَّ). كأنك قلت: أعلمهم كل شيء وأحسنهم...».

آدم ﷺ خلقه الله من طينة قبضها من جميع الأرض: بيضاء وحمراء وسوداء. فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ فمنهم الأبيض والأحمر والأسود، والسهل والحزن، والخبيث والطيب.

ثم قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴾ أي: نسل آدم ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ أي: ضعيف، يعني النطفة.

قال: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ أي: سوّى خلقه كيف شاء ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ أي: أحدث فيه الروح. قال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلكم المؤمنون، وهم الشاكرون.

قوله: ﴿ وَقَالُوٓا ﴾ يعني المشركين ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: إذا كنا تراباً وعظاماً ﴿ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾. وهذا استفهام على إنكار، أي: إنا لا نبعث بعد الموت. وبعضهم يقرأها أءذا صللنا في الأرض، أإذا نتنّا في الأرض (إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ). قال الله: ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ يقال إنه [حويت له الأرض][1] فجعلت له مثل الطست، يقبض أرواحهم كما يلتقط الطير الحب. وبلغنا أنه يقبض روح كل شيء في البر والبحر. قال: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون ﴿ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: خزايا نادمين ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ أي: يقولون: أبصرنا وسمعنا، أي: سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر. ﴿ فَٱرْجِعْنَا ﴾ أي: إلى الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: بالذي أتانا به محمد أنه حق.

---

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 510. والقول له. وفي ب و ع: «جعلت الأرواح لملك الأرض مثل الطست»، وهو خطأ صوابه ما أثبته من سح ومن تفسير مجاهد.

قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا ﴾ كقوله: (أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ الذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً). قال: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

ذكروا عن أبي هريرة قال: اختصمت الجنة والنار، فقالت النار: يا ربِّ، أوثرت بالجبّارين والمتكبّرين. وقالت الجنة: يا ربِّ، ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسُقّاطهم. فقال للنار: أنتِ عذابي أصيب بكِ من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي أصيب بكِ من أشاء، ولكل منكما ملؤها بأهلها. أما الجنة فإن الله لا يظلم الناس شيئاً، وينشىء لها ما شاء من خلقه، وأما النار فيقذف فيها فتقول: هل من مزيد، ويقذف فيها فتقول: هل من مزيد[1].

قال: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ أي: بما تركتم الإيمان بلقاء يومكم هذا ﴿ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ﴾ أي: تركناكم، أي: في النار، تركوا من الخير ولم يتركوا من الشر. ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ أي: الدائم الذي لا ينقطع. ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِئَايَٰتِنَا الذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في سجودهم ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: عن عبادة الله.

قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: هو قيام الليل. ذكر القوم ذنوبهم فتيقظوا من نومهم وتجافوا عن مضاجعهم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ أوصى معاذ بن جبل بأشياء فقال في آخر ذلك: والقيام من الليل[2]، ثم تلا هذه الآية: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ).

---

(1) كذا في ب و ع: «فتقول هل من مزيد» مرتين، وفي سح ورقة 105: «وأما النار فيلقى فيها وتقول هل من مزيد، فيضع قدمه فيها فحينئذ يمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط».

(2) كذا في ب و ع، وفي سح: «والصلاة من الليل» واللفظ من حديث طويل رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر. . . إلى آخر الحديث =

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كانوا يتنفّلون ما بين المغرب والعشاء، يصلّون ما بينهما.

قال: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ أي: خوفاً من عذاب الله وطمعاً في رحمته، يعني الجنة. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: الزكاة المفروضة.

قوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: على قدر أعمالهم. ذكروا أن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اقرأوا إن شئتم قول الله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). وإن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، اقرأوا إن شئتم: (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)، ولقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع سوطه خير من الدنيا وما فيها. اقرأوا إن شئتم: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[1].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليعطى على باب الجنة ما يكاد فؤاده أن يطير لولا أن الله يبعث ملكاً فيشد قلبه[2].

= وفيه: «ألا أدلك على أبواب الخير»، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء النارَ الماءُ، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ). انظر مثلاً سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كفّ اللسان في الفتنة (رقم 3973).

(1) حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي بتمامه في كتاب التفسير، سورة الواقعة، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة السجدة، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها في أول الكتاب (رقم 2824) كلهم يرويه من حديث أبي هريرة؛ كما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه بألفاظ مشابهة.

(2) رواه يحيى بن سلام بالسند التالي: حدثنا أبان العطار عن أبي هلال عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ. . . الحديث.

قال: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً ﴾ أي: مشركاً أو منافقاً، وهذا على الاستفهام. قال: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ ﴾.

﴿ أَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: يأوي إليها أهل الجنة، وجنة المأوى اسم من أسماء الجنة. ﴿ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ فَسَقُوا ﴾ أي: أشركوا أو نافقوا ﴿ فَمَأْوَيٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَّخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ أي: إنهم إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها وأرادوا أن يخرجوا منها ضربوا بمقامع من حديد فهووا إلى أسفلها. ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: في الدنيا. العذاب مذكر، والنار مؤنثة، وإنما عنى هنا العذاب، ولذلك قال: (الذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ).

قوله: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ ﴾ أي: السيف يوم بدر ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾ أي: جهنم، والأكبر الأشد ﴿ لَعَلَّهُمْ يُرْجِعُونَ ﴾ لعل من بقي منهم يرجع من الشرك إلى الإيمان؛ فعذبهم بالسيف يوم بدر، ومَنَّ بعدهم على من شاء بالإيمان. وهذا تأويل من تأول الآية على المشركين، ومن تأولها على المنافقين قال: (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى) يعني إقامة الحدود في الدنيا، وأكثر من كان يصيب الحدود المنافقون؛ والسورة مكية، والنفاق إنما كان بالمدينة بعدما فرض الجهاد والحدود والأحكام.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَٰتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مُنتَقِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ ﴾ يعني التوراة ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾ تفسير الكلبي: يعني ليلةَ أُسريَ به، فلقيه النبي عليه السلام في السماء السادسة ليلةَ أُسريَ به. وقد فسّرنا ذلك في حديث المعراج[1].

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 397 فما بعدها.

وتفسير الحسن: ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾ أي: من أنك تلقى من أمتك من الأذى ما لقي موسى من قومه من الأذى.

قال: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴾ تفسير الحسن: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل. [وقال السّدي: ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يعني التوراة][1]، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُم أَئِمَّةً ﴾ أي: أنبياء يُقتدى بهم ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي: يدعون بأمرنا ﴿ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِئَايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: يفصل بين المؤمنين والمشركين فيما اختلفوا فيه من الإيمان والكفر، فيُدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ نَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي: أولم نبيّن لهم. وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي: أي أولم يبيّن لهم الله ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ يعني ما قصّ ممّا أهلك به الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم. قال: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَـٰكِنِهِمْ ﴾ التي كانوا فيها؛ منها ما يُرى ومنها ما لا يُرى، كقوله: ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ ﴾ تراه ﴿ وَمِنْهَا حَصِيدٌ ﴾ [هود: 100] أي: لا تراه. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ ﴾ أي: للمؤمنين ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ يعني المشركين.

قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ﴾ يعني المطر، أي: يُساق السحاب الذي فيه الماء ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ أي: التي ليس فيها نبات ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: فالذي أحيى هذه الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى ويحييهم بعد موتهم.

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: المشركون ﴿ مَتَىٰ هَـٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: متى القضاء بعذابهم، قالوا ذلك استهزاء وتكذيباً بأنه لا يكون. وقال بعضهم:

(1) زيادة من سح ورقة 108.

يوم بدر. وقال بعضهم: يوم القيامة. ولم يبعث الله نبيّاً إلا وهو يحذّر قومه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قال: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴾ يعني يوم القضاء ﴿ لاَ يَنْفَعُ الذِينَ كَفَرُوا إِيْمَـٰنُهُـمْ ﴾ أي: ليس أحد من المشركين يرى العذاب إلا آمن، فلا يُقبَلُ منه عند ذلك، قال الله: ﴿ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أي: يؤخّرون بالعذاب، إذا جاء الوقت، قال الله: ﴿ فَأَعْرِض عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ ﴾ بهم العذاب ﴿ إِنَّهُم مُّنْتَظِرُونَ ﴾. نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر بقتالهم في سورة براءة في قوله: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5] وأمر بمحاربتهم.

تفسير سورة الأحزاب
وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: في الشرك بالله ﴿وَالْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أي: ولا تطع المنافقين حتى تكون وليجة في الدين. والوليجة أن يدخل في دين الله ما يقارب به المنافقين. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾.

قوله: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ يعني العامّة[1].

قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً ﴾ أي: وكفى به مُتَوَكَّلاً عليه. وقال في آية أخرى: (وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: 173] أي: ونعم المتوكَّل عليه.

قوله: ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ تفسير مجاهد أن رجلاً من المشركين من بني فهر قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد [وكذب][2].

وتفسير الكلبي أن رجلاً من قريش يقال له جميل كان حافظاً لما يسمع؛ فقالت

(1) في ع: «يعني القيامة»، وفي ب: «يعني القيمة». وفي كل منهما تصحيف صوابه ما أثبته من سح: يعني العامة. يقصد المؤلف تغيير الخطاب في الآية من المفرد إلى الجماعة، أي: عامة الناس.

(2) زيادة من سح، ورقة 109، ومن تفسير مجاهد، ص 513.

قريش: ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحد، إن له لقلبين[1].

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تَظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾. وهو إذا قال الرجل لأمه: أنتِ عليّ كظهر أمي لم تكن عليه كأمه في التحريم فتحرم عليه أبداً، ولكن عليه الكفّارة. وكفّارة الظّهار في أول سورة المجادلة: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً) [المجادلة: 3 - 4]، وكان الظهار عندهم في الجاهلية طلاقاً فجعل الله فيه الكفّارة.

قال: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي الرجلَ ذا القوّة والشرفِ فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قَبِله واتّخذه ابناً أصبح أعزَّ أهلها.

وكان زيد بن حارثة منهم. كان رسول الله ﷺ تبنّاه يومئذ على ما كان يُصنَع في الجاهلية، وكان مولىً لرسول الله ﷺ. فلما جاء الإسلام أمرهم الله أن يُلحِقوهم بآبائهم فقال: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ).

﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ يعني ادّعاءَهُمْ[2] هؤلاء، وقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمّي. قال: ﴿ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ أي: يهدي إلى

---

(1) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 334 سبباً لنزول الآية فقال: «إنما جرى ذكر هذا الرجل كان يقال له جميل بن أوس يكنى أبا معمر. وكان حافظاً للحديث كثيره؛ فكان أهل مكة يقولون: له قلبان وعقلان من حفظه، فانهزم يوم بدر، فمرّ بأبي سفيان وهو في العير، فقال: ما حال الناس يا أبا معمر؟ قال: بين مقتول وهارب. قال: فما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ قال: لقد ظننت أنهما جميعاً في رجلَيّ. فعُلِم كذبهم في قولهم: له قلبان». وقال الأخفش في معاني القرآن، ج 2 ص 660 «قال: (مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) إنما هو: ما جعل الله لرجل قلبين في جوفه، وجاءت (مِنْ) توكيداً، كما تقول: رأيت زيداً نفسه، فأدخل (مِنْ) توكيداً».

(2) كذا في ع: «يعني ادعاءهم هؤلاء» وهو الصحيح، وفي ب و سح: «أدعياءهم هؤلاء» وهو خطأ.

الهدى. وقوله: الحقُّ في هذا الموضع أنه أمر هؤلاء المُدَّعِينَ أن يُلحِقوا هؤلاء المُدَّعَيْنَ بآبائهم.

قال: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ ﴾ أي: هو أعدل عند الله ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ أي: قولوا ولِيُّنا فلان، وأخونا فلان. ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج، أي: إثم ﴿ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ أي: إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى الذي تبنّاه ناسياً فليس عليه في ذلك إثم. ﴿ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي: أن تدعوهم إلى غير آبائهم الذين ألحقهم الله بهم متعمّدين لذلك. وهو تفسير الحسن.

وقال مجاهد: (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ) أي: ما كان قبل النهي في هذا وغيره [(وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) أي: بعد النهي في هذا وغيره][1] ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾. قال مجاهد: هو أبوهم ﴿ وَأَزْوَٰجُهُ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [أي: في التحريم مثل أمهاتهم: ذكروا عن مسروق عن عائشة أن امرأة قالت لها: يا أُمَّهْ. فقالت: لست لك بأم، إنما أنا أُمُّ رجالكم][2].

قال: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ ﴾. وقد كان نزل قبل هذه الآية في سورة الأنفال: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا) [الأنفال: 72] فتوارث المسلمون بالهجرة. وكان الأعرابي المسلم لا يرث من قريبه المهاجر المسلم شيئاً فنسختها هذه الآية: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ المُومِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ)، فخلط الله المؤمنين بعضهم ببعض فصارت المواريث بالملل.

(1) زيادة من سح لا بد من إثباتها، وهي موافقة لما جاء في تفسير مجاهد، ص 513، وفيه: «قال: العمد ما أتى بعد البيان والنهي».

(2) زيادة من سح ورقة 111 أثبتها للفائدة، وهذا من فقه عائشة وفهمها لكلام الله.

ذكروا عن أبي أمامة الباهلي قال: لا يتوارث أهل ملتين شتى.

ذكروا عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر[1].

ذكروا عن الزهري أن أبا طالب مات وترك طالباً وجعفراً وعليّاً وعقيلاً فورثه طالب وعقيل، ولم يرثه جعفر ولا علي[2].

قال: ﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم ﴾ أي: إلى قراباتكم من أهل الشرك ﴿ مَّعْرُوفاً ﴾ يعني بالمعروف الوصية. قال بعضهم: جازت لهم الوصيّة ولا ميراث لهم.

ثم رجع إلى قوله: (وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) فقال: ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ أي: مكتوباً، أي: لا يرث كافر مسلماً. وقد قال عليه السلام: لا يرث المسلم الكافر.

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّئِينَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي: في صلب آدم في تفسير الكلبي، أي: أن يبلّغوا الرسالة. قال: ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً ﴾ أي: بتبليغ الرسالة.

وبعضهم يقول: وأن تعلموا أن محمداً رسول الله، وتصديق ذلك عنده في قوله: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا) [الزخرف: 45] أي: جبريل فإنه كان يأتيهم بالرسالة، أي: هل أرسلنا من رسول إلا بشهادة ألا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 107.

(2) كيف يكون هذا وقد مات أبو طالب قبل الهجرة بإجماع المؤرخين، قال الطبري: بثلاث سنوات قبل الهجرة، والآية مدنية. نعم قد يكون جعفر غائباً في هجرته إلى الحبشة، أما علي فهو مقيم بمكة فكيف لا يرثه حسب الأعراف الجاهلية؟ فالخبر بحاجة إلى تثبت وتحقيق. وقد رواه ابن سلام بهذا السند: حدثنا بحر السقا عن الزهري، كما في سح، ورقة 112. وروى الخبر أيضاً عن جابر بن زيد، انظر السالمي، شرح الجامع الصحيح، ج 3 ص 450.

وتفسير الحسن في هذه الآية في آل عمران مثل هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران: 81] قال: أخذ الله على النبيّين أن يعلموا أمر محمد، ما خلا محمداً من النبيّين فإنه لا نبيّ بعده، ولكنه قد أخذ عليه أن يصدّق بالأنبياء كلّهم، ففعله ﷺ.

ذكروا عن بعض أهل التفسير أنه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: كنت أوّل النبيين في الخلق وآخرهم في البعث[1].

ذكروا عن مطرّف بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله، متى كتبت نبوّتك؟ قال: بين الطين وبين الروح من خلق آدم[2].

قوله: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّـٰدِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ يعني النبيّين كقوله: ﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: 6]. ثم قال في آية أخرى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ [المائدة: 109] قال: ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه، وهم الأحزاب تحازبوا[3] على الله ورسوله. جاء عيينة بن حصن الفزاري، وطليحة بن خويلد الأسدي [من فوق الوادي، وجاء أبو الأعور السلمي من أسفل الوادي ونصب أبو سفيان قِبَل][4] الخندق الذي فيه رسول الله ﷺ.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج 21 ص 125 عن قتادة مرسلاً، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه مرفوعاً من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة كما في الدر المنثور، ج 5 ص 184.

(2) أخرجه ابن سعد عن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير بهذا اللفظ، وأخرجه أيضاً عن أبي الجدعاء قال: قلت: يا رسول الله، متى جعلت نبيّاً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

(3) أي: مالأ بعضهم بعضاً فصاروا أحزاباً.

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع فأثبته من سح، ورقة 113.

قال الله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً ﴾ يعني ريح الصبا تكبهم على وجوههم وتقطع فساطيطهم[1]. وهذا تفسير مجاهد.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: نُصرت بالصَّبَا وأهلكت عاد بالدَّبور[2].

قال: ﴿ وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة. قال: ﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾.

قال: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَل مِنْكُمْ ﴾ جاءوا من وجهين: من أسفل المدينة ومن أعلاها في تفسير الحسن. وقال الكلبي: جاءوا من أعلى الوادي ومن أسفله؛ جاء من أعلى الوادي عيينة بن حصن، وجاء من أسفله أبو الأعور السلمي، ونصب أبو سفيان قِبَل الخندق.

قال: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ أي: من شدة الخوف[3]. ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ يعني المنافقين، يظنون أن محمداً سيقتل، وأنهم سيهلكون[4].

قال الله: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُومِنُونَ ﴾ أي: مُحِّصوا. قال: ﴿ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ وكان الله قد أنزل في سورة البقرة: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم

---

(1) كذا وردت العبارة في ب و ع، وفي سح: «وهي الصبا تكب القدور على أفواهها وتنزع الفساطيط حتى أظعنتهم». وهذه العبارة الأخيرة أقرب إلى ما جاء في تفسير مجاهد ص 515.

(2) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم: أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ: نصرت بالصبا، وأخرجه كذلك مسلم في كتاب الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، (رقم 900) كلاهما يرويه عن ابن عباس.

(3) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 336: «ذكر أن الرجل منهم كانت تنتفخ رئته حتى ترفع قلبه إلى حنجرته من الفزع».

(4) قال الأخفش في معاني القرآن، ج 2 ص 660: «وقال: (الظُّنُونَا) والعرب تلحق الواو والياء والألف في آخر القوافي، فشبّهوا رؤوس الآي بذلك».

مَّثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) [البقرة: 214]. فلما نزلت هذه الآية قال أصحاب النبي ﷺ: ما أصابنا هذا بعدُ. فلما كان يوم الأحزاب قالوا: (هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُوهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) [الأحزاب: 22]. وأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِن أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) أي: محّصوا (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) أي: حرّكوا بالخوف وأصابتهم الشدّة.

قال الله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون، وهم المرضىٰ، والمرجفون في المدينة، وكل هؤلاء منافقون. وصنّف كل صنف منهم بعَلَمه، وهم منافقون جميعاً، وهو كلام مثنى: ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾.

وذلك أنه لما أنزل الله في سورة البقرة: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) [البقرة: 214]. فوعد الله المؤمنين أن ينصرهم كما نصر من قبلهم بعد أن يُزَلزَلوا، وهي الشدّة، وأن يحرّكوا بالخوف، كما قال النبيُّون، حيث يقول الله: (حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ) قَالَ اللهُ: (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ)؛ فقال المنافقون: وعدنا الله النصر [فلَا ترانا ننصَر][1] وأرانا نُقتَل ونُهزَم.

ولم يكن فيما وعدهم الله ألا يقتل منهم أحد، ولا يهزموا في بعض الأحايين. قال في آية أخرى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) [آل عمران: 140] وإنما وعدهم الله النصر في العاقبة وطوى عنهم القتل والهزيمة، فذلك معنى قولهم: (مَا

(1) زيادة من سح، ورقة 115.

وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾[1]. وتأويل الغرور ها هنا هو الخديعة، يقولون: خدعنا الله، أي: أعلمنا بالعاقبة أنه سينصرنا وطوى عنا ما قبل ذلك مما يصيبنا من الشدائد والقتل والهزيمة. والغرور عند العرب هو الخديعة. قالوا: خدعنا الله، وقد وصفوا الله بالخديعة لهم، ولعمري قد خدعهم، وهو قوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: 142]. وتفسير مخادعة الله إياهم في سورة الحديد. وسنفسّره إن شاء الله.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من المنافقين ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ يقوله المنافقون بعضهم لبعض.

قال الكلبي: لما رأى المنافقون الأحزاب جَبُنوا، وقال بعضهم لبعض: لا مقام لكم مع هؤلاء، فارجعوا إلى قومكم، يعنون المشركين، فاستأمنوهم.

قال: ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي: خالية نخاف عليها السّرق، في تفسير الكلبي، وفي تفسير الحسن: ضائعة، وهو واحد[2]. يقولون: إن خليناها ضاعت.

قال الله: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ يقول: ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً ﴾.

---

(1) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 336 في سبب نزول الآية ما يلي: «وقوله: (مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً) وهذا قول معتّب بن قُشير الأنصاري وحده. ذكروا أن رسول الله ﷺ أخذ مِعولاً من سَلمانَ في صخرة اشتدّت عليهم، فضرب ثلاث ضربات، مع كل واحدة كلمع البرق. فقال سلمان: والله يا رسول الله لقد رأيت فيهنّ عجباً. قال: فقال النبي عليه السلام: لقد رأيت في الضربة الأولى أبيض المدائن، وفي الثانية قصور اليمن، وفي الثالثة بلاد فارس والروم. وليفتحنّ الله على أمتي مبلغ مداهنّ. فقال معتّب حين رأى الأحزاب: أيعدنا محمد أن يفتح لنا فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يضرب الخلاء فَرَقاً؟ (مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً)».

(2) قال الفراء في المعاني: «. . . والعرب تقول: قد أعور منزلك إذا بدت منه عورة، وأعور الفارس إذا كان فيه موضع خَلَل للضرب. . . وإنما أرادوا بقولهم: (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) أي: ممكنة للسراق لخلوتها من الرجال، فأكذبهم الله. فقال: ليست بعورة.

قال: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِنَ أَقْطَارِهَا﴾ أي: [لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه][1] من أقطارها، أي: من نواحيها، يعني المدينة. ﴿ ثُمَّ سُئِلُوا ﴾ أي: طلبت منهم ﴿ الفِتْنَةَ ﴾ أي: الشرك ﴿ لَأَتَوْهَا ﴾أي: لجاءوها. رجع [الضمير][2] إلى الفتنة، وهي الشرك على تفسير من قرأها خفيفة؛ ومن قرأها مثقلة ممدودة (لآتوها) أي: لاعطوها، يعني الفتنة، وهي الشرك، لأعطوها إياهم. ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً ﴾.

وهذه الآية تقضي بين المختلفين، تنفي عن المنافقين الشرك، إن أبقى[3] الله أهل الفراق ولم يكابروا عقولهم؛ إذ يقول: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّن أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا)، يعني المنافقين، والفتنة تعني الشرك، (لَأَتَوْهَا) أي: لجاءوها ولأعطوها. فكيف يُسألون الشركَ وهم عليه، وكيف يجيئون إلى الشرك ويعطونه من طلبه منهم وهم عليه، فليتّقِ اللهَ أهلُ الفراق لنا وليعلموا أن المنافقين ليسوا بمشركين، وقد برّأهم الله من الشرك في هذه الآية وأخبر أنهم لو دخل عليهم من أقطارها، يعني من نواحيها، ثم سئلوا الفتنة أي: الشرك لأتوها، أي: لأعطوها ولأتوه. ما أبين هذا بنعمة الله وبحمده.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَـٰرَ﴾ ذكروا أن جابر بن عبد الله قال: بايعنا رسول الله ﷺ أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت. ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً ﴾ أي: يسألهم الله عن ذلك العهد الذي لم يُوفَ به المنافقون.

قال: ﴿ قُل لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ أي: إلى آجالكم.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 115، ومن ز ورقة 269.

(2) زيادة لا بد منها للإيضاح.

(3) كذا وردت هذه الكلمة: «إن أبقى» في ب و ع، ولم أوفق إلى تصحيح ما فيها من تصحيف أو خطأ. وهذه الفقرة كلها في الرد على «أهل الفراق» من كلام الشيخ هود بن محكم فقد انفردت به مخطوطتا ب و ع.

قال: ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ ﴾ أي: يمنعكم من الله ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً ﴾ أي: عذاباً. [وقال بعضهم: القتل أو الهزيمة][1] ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أي: توبة، يعني المنافقين. كقوله: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) أي: الذين يموتون على نفاقهم فيعذبهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) [الأحزاب: 24] أي: أو يمن عليهم بالرجعة فيرجعون عن نفاقهم. [وقال بعضهم: النصر والفتح][1] قال: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً ﴾ أي: يتولاهم فيدفع العذاب عنهم ﴿ وَلَا نَصِيراً ﴾ أي: ينصرهم مما ينزل بهم من العذاب.

قوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ أي: يعوّق بعضهم بعضاً، أي: إذ يأمر بعضهم بعضاً بالفرار ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ أي: يأمر بعضهم بعضاً بالفرار[2]. ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ ﴾ أي: القتال ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ وإنما قل لأنه إنما كان لغير الله، أي: إنما فعلوه رياء وسمعة، ولم تكن لهم فيه حسبة[3] ولا نية. وهو كقوله: (وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً) [النساء: 82] إلا التوحيد الذي كان منهم، وهو قليل إذ لم يكملوه بالعمل الصالح. [قال: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ أي: لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئاً][4].

رجع الكلام إلى أول القتال قبل أن تكون الغنيمة قال: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ﴾ يعني القتال ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي: خوفاً من القتال. ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ﴾ أي: فإذا ذهب القتال ﴿ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ أي: صاحوا عليكم. والسلق: الصّياح[5] ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ أي: على الغنيمة.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 116، ومن ز، ورقة 270.

(2) كذا وقع تكرار هذه الجملة في ب و ع وفي سح.

(3) في ب و ع: «خشية ولا نية»، وفي سح: «بغير حسبة ولا إخلاص»، وفي ز: «بغير حسبة»، وأثبت ما رأيته صواباً: «حسبة»، أي: احتساب أجر العمل عند الله.

(4) قوله تعالى: (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) وتفسيره ساقطان من ب و ع، فأثبتهما من سح و ز.

(5) كذا في المخطوطات كلها: «السلق: الصّياح»، وفي مفردات الراغب الأصفهاني: «السلق بسطٌ =

قال الله: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ أي: لم يؤمنوا فيكملوا الإيمان بالتقوى؛ كقوله: (مِنَ الذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) [المائدة: 41]، أي: أقروا بألسنتهم ولم تكن قلوبهم تصبر على العمل بما أقروا به بألسنتهم.

قال: ﴿ فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: أبطل حسناتهم لأنهم فعلوا ما فعلوا رياء وسمعة بغير نيّة ولا حسبة.

وقال بعضهم: (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أي: على القتال، أي: لا يقاتلون فيرغبون في الجهاد، ويحتسبون فيه ما يحتسب المؤمن.

وتفسير الكلبي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ لما مسّهم الحصر والبلاء في الخندق رجع إلى أهله ليُصيب طعاماً أو إداماً، فوجد أخاه يتغدّى تمراً. فدعاه، فقال أخوه المؤمن: قد بخِلت عليّ وعلى رسول الله ﷺ بنفسك، فلا حاجة لي في طعامك.

قال: ﴿ يَحْسِبُونَ ﴾ أي: المنافقون ﴿ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا ﴾ أي: يودّ المنافقون ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ﴾ يعني في البادية مع الأعراب، أي: يودُّون من الخوف لو أنهم في البدو ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ﴾ وهو كلام موصول؛ وليس بهم في ذلك إلا الخوف على أنفسهم وعيالهم وأموالهم، لأنهم مع المسلمين قد أقرُّوا بدينهم، وادَّعوا ملّتهم، وجاهدوا معهم أعداءهم، وهم يتمنَّوْن أن يظفر المشركون على المسلمين من غير أن تدخل عليهم في ذلك مضرة.

قال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وذلك القليل إنما يقاتل رياء وسمعة بلا حسبة ولا نيّة.

= بقهر، إما باليد أو باللسان». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 135: «أي: بالغوا في عيبكم ولائمتكم، ومنه قولهم: خطيب مِسلق...»، وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 339: «آذوكم بالكلام عند الآمن». وفي اللسان: «السلق: شدة الصوت... وسلقه يسلقه سلقاً إذا أسمعه ما يكره فأكثر».

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الأَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾. وهذا الذكر تطوّع ليس فيه وقت.

قال: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُومِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ يعنون الآية التي في سورة البقرة، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. ﴿ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾. قال الله: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَـٰناً وَتَسْلِيماً ﴾ (إِلاَّ إِيمَاناً)، أي: تصديقاً (وَتَسْلِيماً) أي: لأمر الله.

وتفسير الكلبي أن الأحزاب لما خرجوا من مكة أمر رسول الله ﷺ بالخندق أن يحفر، فقالوا: يا رسول الله، وهل أتاك من خبر؟ فقال: نعم. فلما حُفِر الخندق وفُرِغ منه أتاهم الأحزاب. فلما رآهم المؤمنون قالوا: (هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ. . .) إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ مِنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ حيث بايعوه على أن لا يفروا، وصدقوا في لقائهم العدو، وذلك يوم أحد. ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ تفسير مجاهد: (فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أي: عهده فقتل أو عاش[2] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَّنتَظِرُ ﴾ يوماً فيه قتال فيقضي عهده ويقاتل [فيقتل أو يصدق في لقائه][3]. وبعضهم يقول: (فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أي: أجله، يعني من قتل يومئذ: حمزة وأصحابه (وَمِنْهُم مَّن يَّنتَظِرُ) أي: أجله. قال: ﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ كما بَدَّلَ المنافقون.

قال: ﴿ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: المؤمنين الذين صدقوا في قولهم وفعلهم. ﴿ بِصِدْقِهِمْ ﴾ أي: بإكمالهم فرض الله ووفائهم بما عاهدوا الله عليه، أي: يجزيهم بذلك الجنة.

---

(1) يشير إلى الآية الكريمة: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. . .) إلى قوله: (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) الآية 214 من سورة البقرة. وانظر ما سلف قريباً في هذا الجزء، ص 356 - 357.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 135: «(فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أي: نذره الذي كان نحب، أي: نذر. والنحب أيضاً النفس، أي: الموت. . . ».

(3) زيادة من سح، ورقة 118.

قال: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَـٰفِقِينَ إِنْ شَاءَ ﴾ فيموتوا على نفاقهم فيعذبهم، فإنه قد شاء عذابهم إذا ماتوا على نفاقهم فيعذبهم. ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: يمن عليهم بالتوبة فيرجعوا عن نفاقهم ويتوبوا منه. ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً ﴾ أي: لمن تاب منهم من نفاقه وكفره ﴿ رَّحِيماً ﴾ أي: رحيماً له إذ جعل له من نفاقه متاباً ومرجعاً.

قال: ﴿ وَرَدَّ اللهُ الذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً ﴾ أي: لم ينالوا من المسلمين غنيمة ولا ظفراً؛ وظفرهم بالمسلمين عندهم ـ لو ظفروا ـ خير[1] ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُومِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ أي: بالريح والجنود التي أرسلها الله عليهم ﴿ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾.

قال: ﴿ وَأَنْزَلَ الذِينَ ظَـٰهَرُوهُمْ ﴾ أي: عاونوهم ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ ﴾ يعني قريظة والنضير ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ أي: من حصونهم ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَاسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ لما حصر قريظة نزل عليه: انزلوا على حكم سعد بن معاذ في قول بعضهم.

ذكروا عن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبيه أن سعداً لم يحكم فيهم، ولكن النبي عليه السلام أرسل إليه فجاء على حمار، فقال: أشر عليّ فيهم[2]. فقال: قد علمت أن الله أمرك فيهم بأمر فأنت فاعل ما أمرك به، فقال: أشر عليّ فيهم. فقال: لو وليت أمرهم لقتلت مقاتلتهم ولسبيت ذراريهم ونساءهم ولقسمت

---

(1) كذا في ب و ع، وفي سح، وعبارة ز: «وكان ذلك عندهم خيراً لو نالوه».

(2) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. عن عائشة من حديث روته ولفظه: «فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد». انظر تفاصيل ذلك في كتب السير والمغازي. انظر مثلاً مغازي الواقدي، ج 2 ص 510 - 512. ولفظ ابن إسحاق حسبما رواه ابن هشام في السيرة، ج 3 ص 240، والطبري في تفسيره، ج 1 ص 153: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة».

أموالهم. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لقد أشرت عليّ فيهم بالذي أمرني الله به[1].

ذكروا عن عطية العوفي قال: كنت فيمن عرض على النبي عليه السلام يوم قريظة، فمن نبتت عانته قتل، ومن لم تنبت عانته ترك. فنظروا إليَّ فإذا عانتي لم تنبت فتركت.

وأما النضير فإنه لما حصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخلهم، فرأوا أنه قد ذهب بعيشهم صالحوه على أن يجليهم إلى الشام.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير [وهي البويرة][1] وترك العجوة، وهي التي قال فيها الشاعر:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

وذكروا عن عكرمة أنه قال: ما دون العجوة فهو لينة.

قال: ﴿وَأَرْضاً لَّمْ تطَئُوهَا﴾ أي: خيبر[2].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كنت رديفَ أبي طلحة يوم فتحنا خيبر؛ وإن ساقي لتصيب ساق النبي عليه السلام، وفخذي فخذَه. فلما أشرفنا عليها قال النبي ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[3]. فأخذناها عنوة.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 119. وسيأتي خبر إجلاء بني النضير مفصلاً في تفسير سورة الحشر إن شاء الله.

(2) اختلف المفسّرون في هذه الأرض التي أشارت إليها الآية، فقال بعضهم: إنها خيبر، وقيل: إنها مكة، وقيل: إنها أرض فارس والروم. ورجّح الطبري أن الآية عامة في كل أرض يفتحها المسلمون ويورثهم الله إياها بعد أن أورثهم أرض بني قريظة والنضير وديارهم وأموالهم.

(3) حديث متّفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، وفي باب غزوة خيبر، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر (رقم 1365) كلاهما يرويه عن أنس.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ غداة صبّحنا خيبر، فقرأ بنا أقصر سورتين في القرآن، ثم ركب. فلما أشرفنا عليها قالت اليهود: محمد والله والخميس. قال: والخميس: الجيش. فأخذناها عنوة. قال: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾.

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ يعني الجنة.

ذكر مسروق عن عائشة قالت: خَيَّرَنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يكن ذلك طلاقاً[1]. وقال بعض المفسّرين: إنما خيّرهن بين الدنيا والآخرة ولم يخيّرهن الطلاق.

وكان علي بن أبي طالب يجعل الخيار إذا اختارت المرأة نفسَها إذا خيّرها الرجلُ تطليقةً بائنة. وقال بعضهم: أحسبه قال ذلك من هذه الآية في قوله: (أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً). وقال في هذه السورة بعد هذا الموضع: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُومِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً) [الأحزاب: 49]. فإذا طلّقها قبل أن يدخل بها تطليقة فإنها تبين منه بها، وهي أملك بنفسها، وهو خاطب، وإن تزوّجها كانت عنده على تطليقتين.

وقال في سورة البقرة: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [البقرة: 231]، وهذا عند انقضاء العدة قبل أن تنقضي ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة إذا كانت ممن تحيض، فإن كانت ممن لا تحيض وليست بحامل فما لم تنقض ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملاً فما لم تضع حملها، فإن كان في بطنها اثنان أو ثلاثة

(1) كذا في ع و ب، وفي سح: «فلم يعدّه طلاقاً». وقد أخرج هذا الحديث البخاري في كتاب التفسير، سورة الأحزاب باب (قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا). من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة. انظر ابن حجر، فتح الباري، ج 8 ص 519 - 523.

فما لم تضع الآخِر، فهو يراجعها قبل ذلك إن شاء. فإن انقضت العدة ولم يراجعها فهي تطليقة بائنة. قال: (أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [البقرة: 231]. والتسريح في كتاب الله واحدة بائنة.

وكان زيد بن ثابت يقول: إن اختارت نفسها فثلاث.

وكان ابن عمر وعبد الله بن مسعود يقولان: واحدة، وهو أحقُّ بها. فإن اختارته فلا شيء لها؛ فكأنهما يقولان: إنما الخيار في طلاق السنة على الواحدة، ولا ينبغي أن يطلق ثلاثاً ثلاثاً جميعاً، فإنما خيّرها على وجه ما ينبغي أن يطلقها. وأما إذا قال: أمرك بيدك، ففي قولهما إنها إذا طلقت نفسها ثلاثاً فهي واحدة على هذا الكلام الأول.

وكان علي ورجال معه من أصحاب النبي ﷺ يقولون: القول ما قالت. غير أن ابن عمر قال: إلا أن يقول: إنما ملّكتها في واحدة، فيحلف على ذلك، ويكون قضاؤها في واحدة. وبه نأخذ، وعليه نعتمد.

قوله عزّ وجل: ﴿يَـٰنِسَـاءَ النَّبِي مَن يَّاتِ مِنْكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: الزنا ﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ أي: هيناً[1].

﴿ وَمَن يَّقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: ومن يطع منكن الله ورسوله، فيما ذكر

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 136: «(يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) أي: يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة لأن ضعف الشيء مثله، وضعفي الشيء مِثْلَا الشيء. ومجاز (يضاعف) أي: يجعل الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة. فأما قوله: يضعف أي: يجعل الشيء شيئين». وقد روى ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 350 قول أبي عبيدة هذا فقال: «ولا أراه كذلك، لأنه يقول بعدُ: (وَمَن يَّقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ) أي: يطعهما. (وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) فهذا يدل على أن الضعفين ثَمَّ أيضاً مثلان. . .» وأنا أرجح ما ذهب إليه ابن قتيبة، فإن المضاعفة جعل الشيء نفسه شيئين لا إضافة مثلين إلى المثل. فقد روى أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه توضأ مرة فقال: هذا وضوء لا تقبل الصلاة إلا به. ثم توضأ اثنتين اثنتين فقال: من ضاعف ضاعف الله له، ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً فقال: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي. انظر مسند الربيع بن حبيب، ج 1 ص 39 - 30 (رقم 89).

عكرمة عن ابن عباس، وليس فيه اختلاف. قال: ﴿ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحاً﴾ يعني التي تقنت منهن لله ورسوله ﴿نُّوتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾. قال بعضهم: بلغنا أن رجلاً سأل الحسن: أين يضاعف لها العذاب ضعفين؟ قال: حيث تؤتى أجرها مرتين، يعني في الآخرة. قال: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا ﴾ أي: وأعددنا لها ﴿ رِزْقاً كَرِيماً ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿يَـٰنِسَـاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ قال الكلبي: هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب. وقال الحسن: فلا تكلّمن بالرفث. وكان أكثر ما يصيب الحدودَ في زمن النبي ﷺ المنافقون.

قال: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ قال بعضهم: المرض ها هنا الزنا. وقال بعضهم: النفاق. ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾. وهذا تبع الكلام الأول: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ).

قال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: وقِرن وقَرن. فمن قرأها: (وَقَرْنَ) بالفتح، فهو من القرار، ومن قرأها (وقِرْنَ) بالكسر فمن قِبَل الوقار. قال: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ أي: قبلكم، في تفسير الحسن. وليس يعني أنها كانت جاهلية قبلها، كقوله: (عَاداً الْأُولَىٰ) [النجم: 50] أي: قبلكم. وبعضهم يقول: الجاهلية التي ولد فيها إبراهيم من قبل الجاهلية التي ولد فيها محمد ﷺ.

ذكروا عن الحسن أنه قال في تفسيرها: تكون جاهلية أخرى. ذكروا عن محمد ابن سيرين قال: لا تقوم الساعة حتى يُعبَد ذو الخَلَصة[1]، فإنه كان كبير الأوثان في الجاهلية[2]. وذكروا عن عبد الله بن عمر قال: تنفخ النفخة الأولى وما يعبد الله يومئذ في الأرض.

---

(1) كان ذو الخَلَصة صنماً من أصنام الجاهلية بتبالة، بين مكة واليمن. انظر ما قاله عنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الأصنام، ص 34 - 36. وانظر البكري، معجم ما استعجم، ج 1 ص 508.

(2) هذا معنى حديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد=

قال: ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: المفروضة، أي: الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿وَءاتِينَ الزَّكَوٰةَ﴾ أي: المفروضة. ﴿ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: في كل ما تعبَّدكن به من قول أو عمل.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ أي: الشيطان الذي يدعوكم إلى المعاصي. وبعضهم يقول: الرجس، يعني الإثم الذي ذُكر في هذه الآيات. ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ أي: من الذنوب.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله ﷺ كان إذا طلع الفجر يقوم على باب علي وفاطمة ستة أشهر فيقول: الصلاة يا أهل البيت، (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[1] قال بعضهم: بلغنا أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ في بيت أم سلمة.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَـٰتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ وهو واحد، هو كلام مثنى مكرر، أي[2]: الصالحات. وقد قال في آية أخرى: (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) [الذاريات: 35 - 36]. والإسلام هو اسم الدين. قال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران: 85] والإسلام هو الإيمان بالله وما أنزل.

= الأوثان، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخَلَصة. (رقم 2906) عن أبي هريرة ولفظه: لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخَلَصة.

(1) رواه أحمد في مسنده، ورواه الترمذي في التفسير، سورة الأحزاب، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وانظر الدر المنثور، ج 5 ص 199.

(2) وردت هذه العبارة في ع و ب هكذا: «مكرراً يكر الصالحات» ولم أوفق للتصحيف الذي بها حتى أصححها.

قال: ﴿وَالْقَـٰنِتِينَ وَالْقَـٰنِتَـٰتِ﴾ والقنوت هو الطاعة لله. وقد قال في آية أخرى: (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) أي: وقوموا لله في صلاتكم مطيعين خاشعين.

قوله: ﴿وَالصَّـٰدِقِينَ وَالصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ أي: الصادقين في القول والعمل المستكملين لجميع فرائض الله.

﴿وَالصَّـٰبِرِينَ وَالصَّـٰبِرَٰتِ﴾ أي: على ما أمرهم الله به وعما نهاهم عنه.

﴿وَالْخَـٰشِعِينَ وَالْخَـٰشِعَـٰتِ﴾ أي: والمتواضعين والمتواضعات. والخشوع هو الخوف الثابت في القلب.

﴿ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ يعني الزكاة المفروضة.

﴿وَالصَّـٰئِمِينَ وَالصَّـٰئِمَـٰتِ﴾. قال بعضهم: بلغنا أنه من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات.

﴿وَالْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ أي: مما لا يحلّ لهم.

﴿وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّٰكِرَٰتِ﴾ وليس في هذا الذكر وقت.

قال: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم ﴾ أي: لأهل هذه الصفات التي ذكر ﴿ مَّغْفِرَةً ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ أي: الجنة.

ذكروا عن مجاهد أن أم سلمة قالت: يا رسول الله، ما بال النساء لا يذكرن مع الرجال في العمل الصالح، فأنزل الله: ﴿ إن المسلمين والمسلمات... ﴾ إلى آخر الآية[1].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِمْ ﴾. وذلك أن رسول الله ﷺ أراد أن يزوّج زينبَ بنتَ جحش زيدَ بن

(1) وقيل: إن القائلة هي أسماء بنت عميس عندما رجعت مع زوجها جعفر بن أبي طالب من الحبشة. وقيل: إنها أُمُّ عَمَارَةَ الأنصاريّةُ وهي التي قالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية، كما رواه الترمذي.

حارثة فأبت وقالت: أزوج نفسي رجـلاً كان عبدَك بالأمس؟ وكانت ذاتَ شرَف. فلما نزلت هذه الآية جعلت أمرها لرسول الله ﷺ، فزوَّجها إياه، ثم صارت بعدُ سنة في جميع الدين، ليس لأحد خيار على قضاء رسول الله ﷺ وحكمه. قال: ﴿ وَمَن يَّعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: فيما حكما عليه وأمراه به ﴿ فَقَد ضَّلَّ ضَلَـٰلاً مُّبِيناً ﴾ أي: بيّناً.

قوله: ﴿ وَإِذ تَّقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ يعني زيداً[1] ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ﴾ قال الله للنبي ﷺ: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾ أي: مظهره ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَـٰهُ﴾ وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يطلّقها زيد من غير أن يأمره بطلاقها، فيتزوّجها رسول الله ﷺ.

وقال الكلبي: إن رسول الله ﷺ أتى زيداً فأبصرها قائمة فأعجبته، فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله مقلِّب القلوب[2]. فرأى زيد أن رسول الله ﷺ قد هَوِيَها، فقال: يا رسول الله، ائذن لِي في طلاقها، فإن فيها كبراً، وإنها لتؤذيني بلسانها، فقال له رسول الله ﷺ: اتّق الله وأمسك عليك زوجك[3]. فأمسكها زيد ما شاء الله، ثم طلّقها. فلما انقضت عدتها أنزل الله نكاحَها رسولَ الله ﷺ من السماء، فقال: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ. . .) إلى قوله: (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا). فدعا رسول الله ﷺ عند ذلك زيداً فقال: ائتِ زينبَ وأخبرها أن الله زوّجنيها[4].

---

(1) قال بعض المفسّرين: (أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ) بالإسلام، (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالعتق فأعتقته.

(2) هذه من الأخبار التي قال عنها ابن كثير في تفسيره، ج 5 ص 466: «ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ها هنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها». وصدق ابن كثير. فقد رُويت في قصّة زينب هذه إسرائيليات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان.

(3) كذا رواه ابن أبي حاتم عن الحسن في تفسير قوله تعالى: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ) بتقديم الأمر بتقوى الله على الأمر بالإمساك. وأرى أن الصواب إثبات نسق الآية كما جاءت في النص القرآني: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ).

(4) اقرأ قصّة تزويج الله رسـولَه ﷺ زينبَ مفصّلةً في كتب التفسير والحديث والسيرة، ففيها، على =

فانطلق زيد فاستفتح الباب، فقيل: من هذا؟ قال: زيد. فقالت: وما حاجة زيد إليّ وقد طلّقني. فقال: إن رسول الله ﷺ أرسلني. فقالت: مرحباً برسول رسول الله، ففُتح له، فدخل عليها وهي تبكي. فقال زيد: لا تبكي، لا يُبك الله عينيك، قد كنتِ نعمت المرأة، أو قال: نعمت الزوجة، إن كنت لَتَبَرِّين قَسَمي، وتطيعين أمري، وتبتغين مسرّتي، فقدِ أبدلكِ الله خيراً منّي. فقالت: من؟ لا أبالك. فقال: رسول الله ﷺ. فخرّت ساجدةً.

قوله: (وَتَخْشَى النَّاسَ) أي: وتخشى عيب الناس، أي: يعيبوا ما صنعت.

قوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً ﴾ والوطر: الحاجة ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُومِنِينَ حَرَجٌ ﴾ أي: إثم ﴿ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ﴾. فقال المشركون للنبي ﷺ: يا محمد، زعمت أن حليلة الابن لا تحلّ للأب، وقد تزوّجت حليلة ابنك زيد. فقال الله: (لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُومِنِينَ حَرَجٌ) أي: إثم، في أزواج أدعيائهم، أي: إن زيداً كان دعياً، ولم يكن بابن محمد. قال الله: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ) [الأحزاب: 40].

قال: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾.

قوله: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي: من إثم ﴿ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ ﴾ أي: فيما أحلّ الله له. قال بعضهم: هي زينب. وقال الحسن: هي التي وهبت نفسها إذ زوجه الله إياها بغير صداق، ولكن النبي ﷺ قد تطوّع عليها فأعطاها الصداق[1].

قال: ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: مضوا من قبل. أي: إنه ليس على الأنبياء من حرج فيما أحلّ الله لهم، وقد أحلّ لداوود مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرّية. قال: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾.

= اختلاف أسانيدها وألفاظها، عِبر وذكرى لمن اعتبر، انظر مثلاً، الدر المنثور، ج 5 ص 201 - 203.

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 344 في تفسير الآية: «من هذا ومن تسع النسوة، ولم تحل لغيره».

قال: ﴿ الذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً ﴾ أي: حفيظاً لأعمالهم.

قوله: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ يقول: إن محمداً لم يكن بأبي زيد، ولكن كان زيد دعيّاً له. قال: ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتِمَ[1] النَّبِيِّـنَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ وهذا ذكر ليس فيه وقت، وهو تطوع[2]. ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً ﴾ أي: صلاة الغداة ﴿ وَأَصِيلاً ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

قال: ﴿ هُوَ الذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ تفسير ابن عباس أن صلاة الله الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار[3].

قال: ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤمِنِينَ رَحِيماً ﴾ أي: فلا أرحم منه بهم.

قوله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَٰمٌ ﴾ أي: تُحَيِّيهم الملائكة عن الله بالسلام، في تفسير الحسن. ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً ﴾ أي: ثواباً كريماً، يعني الجنة.

---

(1) قراءة الجمهور بكسر التاء من (خاتِم). وقرأ عاصم والحسن: (خاتَم) بفتح التاء، والمعنى واحد كما ذكره الفراء في المعاني، ج 2 ص 344: «ومن قال خاتَم أراد هو آخر النبيين كما قرأ علقمة فيما ذكر عنه (خاتَمه مسك) أي: آخره مسك... ويقول: أما سمعت المرأة تقول للعطّار: اجعل لي خاتَمه مِسكاً، أي: آخره».

(2) سقط ذكر هذه الآية وبعض تفسيرها من سح بين ورقتي 126 و127. وقد ورد في ز في هذا الموضع ما يلي: «يحيى عن خداش عن ميمون بن عجلان عن ميمون بن سباء عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله عليه السلام: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفوراً لكم، قد بُدّلت سيئاتكم حسنات، من حديث يحيى بن محمد». ولم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما بين يدي من مصادر الحديث.

في سح ورقة 127: (هُوَ الذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ)... «يعني هو الذي يصلي عليكم يغفر لكم وتستغفر لكم الملائكة». وهي نفس العبارة التي وردت في معاني الفراء، ج 2 ص 245.

قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً﴾ أي: على أمتك، تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلغتهم. ﴿ وَمُبَشِّراً ﴾ أي: في الدنيا بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ أي: ونذيراً من النار. وتفسير الحسن: أي: من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قال: ﴿ وَدَاعِياً إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ ﴾ أي: بالقرآن، أي: بالوحي الذي جاء من عند الله. ﴿ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ أي: مضيئاً.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أصحابي مثل الملح لا يصلح الطعام إلا به، ومثل أصحابي مثل النجوم يهتدى بها؛ فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم[1].

ذكر الحسن عن أبي مسلم الخولاني قال: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم يهتدي بها الناس ما بدت، فإذا خفيت تحيَّروا.

قال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُومِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ يعني الجنة.

قوله: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ قد فسَّرناه في أول السورة[2] ﴿ وَدَعْ أَذَيٰهُمْ ﴾ أي: واعرض عن أذاهم إياك واصبر عليه. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ وَكَفَىٰ بِٱللهِ وَكِيلاً ﴾.

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾.

أي: إذا طلق الرجل امرأته، من قبل أن يدخل بها، واحدة فقد بانت منه بتلك

(1) هما حديثان أوردهما ابن سلام في نسق واحد. وقد روى الأول بهذا السند: «حدثنا مندل بن علي وغيره عن جُوَيبر عن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ... وقد روى الحديث الأول عن أنس بن مالك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ولكنه أعله بأحد رواته: إسماعيل بن مسلم المكي، وهو ضعيف. والحديث الثاني كذلك ضعيف، وإن حسنه البعض. انظر الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة (رقم: 52).

(2) انظر ما سلف قريباً ص 351.

الواحدة، وهي أملك لنفسها، ويخطبها مع الخطاب، وليس عليها عدّة منه ولا من غيره. وتتزوج إن شاءت من يومها الذي طلقها فيه، لأنه لم يمسّها فتعتدّ من مائه مخافة أن تكون حُبلى؛ ولها نصف الصداق. فإن أغلق عليها باباً، وأرخى عليها ستراً، فقد وجب عليها الصداق كاملاً، ووجبت عليها العدّة.

وإن طلّقها ثلاثاً من قبل أن يدخل بها فهي بمنزلة تطليقة واحدة، لأنه ليس في يده من طلاق التي لم يدخل بها إلا واحدة، وهي واحدة، فإن زاد عليها لم تعتد بزيادته التي زاد، وهو قول أبي عبيدة، وهو قول جابر وابن عباس. وكان إبراهيم يقول: إن طلقها ثلاثاً قبل أن يدخل بها لم يتزوجها حتى تنكح زوجاً غيره، إلا أن يفرّق الطلاق فيقول: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، فإنها تبين بالأولى، وليس ما طلق بعدها بشيء، وهو خاطب. فإن تزوّجها كانت عنده على تطليقتين. والقول الأول قول أصحابنا: قول ابن عباس وجابر بن زيد، وأبي عبيدة، فبه أخذوا، وعليه اعتمدوا.

وأما قوله: ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ فهو منسوخ إذا كان قد سمّى لها صداقاً، إلا أن يكون لم يسمِّ لها صداقاً، فتكون لها المتعة ولا صداق لها. فإن كان سمّى لها صداقاً ثم طلّقها قبل أن يدخل بها كان لها نصف الصداق، ولا متعة لها. نسختها الآية التي في سورة البقرة: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ... ﴾ إلى آخر الآية [البقرة: 236-237]. ولا متعة لها. وكان الحسن يقول: لها المتعة، وليست بمنسوخة.

قوله: ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾ أي: إلى أهليهن، أي: لا يكون الرجل والمرأة في بيت وليس بينهما حرمة.

وإذا مات الرجل قبل أن يدخل بامرأته توارثا، ولها الصداق كاملاً. وإنما يكون لها نصف الصداق إذا طلّقها ولم يدخل بها.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: صداقهن ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾ أي: وأحللنا لك بنات عمك ﴿ وَبَنَـاتِ عَمَّـٰتِـكَ وَبَنَاتِ خَـالِكَ وَبَنَـاتِ خَـٰلَـٰتِكَ الَّتِي هَاجَـرْنَ مَعَكَ ﴾... إلى قوله: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) أي: من بعد هؤلاء اللاتي ذكر من أزواجه ومن بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فيما ذكر أبي بن كعب.

وذكر [علي بن زيد] عن الحسن قال: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) يعني من بعد أزواجه التسع [(وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) قال: قصره الله على أزواجه اللاتي مات عنهن، فأخبرتُ به علي بن الحسن فقال: لو شاء لتزوج عليهن][1].
وقال علي بن زيد: قد أمر رسول الله ﷺ [جريراً][2] أن يخطب عليه [جميلة] بنت فلان بعد التسع.

وقال مجاهد: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) أي: لا نصرانيات ولا يهوديات، ولا كوافر[3].

قوله: ﴿ وَامْرَأَةً مُّوْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيُّ إِنْ أَرَادَ النَّبِي أن يُسْتَنْكِحَها خَالِصَةً لَّكَ ﴾ يقوله للنبي ﷺ: ﴿ مِّنْ دُونِ الْمُوْمِنِينَ ﴾ مقرأ العامة على (أَنْ) وهبت نفسها للنبي، كانت امرأة واحدة، و (أَنْ) مفتوحة لما قد كان. وبعضهم يقرأها (إِنْ وَهَبَتْ

(1) جاءت هذه الفقرة مضطربة ناقصة في ب و ع فأثبتها كما جاءت في سح ورقة 130 وجعلت الزيادة بين القوسين المعقوفين حتى يتضح معنى قول علي بن زيد.
(2) لم تذكر مخطوطة سح شيئاً عن جرير هذا الذي أمره الرسول عليه السلام أن يخطب عليه، ولعله جرير بن عبد الله البجلي، فقد كان كريماً سيّداً في قومه. ولم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من المصادر والمراجع حتى أبينه.
(3) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره، ج 5 ص 487: «واختار ابن جرير، رحمه الله، أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمته، وكنّ تِسعاً. وهذا الذي قاله جيّد، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف، فإن كثيراً منهم روى عنه هذا وهذا، ولا منافاة، والله أعلم».

نَفْسَها لِلنَّبِي) يقولون: إنما ذلك في المستقبل على تلك الوجوه من قول أبيّ بن كعب، وقول الحسن وقول مجاهد.

قوله: (خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُومِنِينَ) أي: لا تكون الهبة بغير صداق إلا للنبي ﷺ خاصة.

ذكروا عن سعيد بن المسيّب أنه سئل عن رجل وهبت نفسَها له امرأةٌ فقال: الهبة لا تكون إلا للنبي ﷺ، ولكن لو كان سمّى سوطاً لكان صداقاً.

وفي تفسير الحسن أن النبي ﷺ قد تطوّع على تلك المرأة التي وهبت نفسَها له فأعطاها الصداق، ثم نزل أمر التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام في تفسير الحسن قبل أن ينزل (مَا كَانَ عَلَى النَّبِي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ) وهي بعدها في التأليف.

وفي تفسير الكلبي في قوله: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِن أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) أن رسول الله ﷺ لما تزوّج أسماء بنت النعمان الكندية[1]، وكانت من أحسن البشر، قال نساء النبي: لئن تزوج علينا رسول الله ﷺ الغرائب ما له فينا حاجة، فحبس الله نبيه على أزواجه اللائي عنده، وأحل له من بنات العم والعمة والخال والخالة ما شاء. قال بعضهم: وهذا موافق لتفسير أبي بن كعب.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَٰجِهِـمْ﴾ يعني الأربع. يقول: يتزوج أربعاً إن شاء. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: ويطأ بملك يمينه كم شاء.

---

(1) هي أسماء بنت النعمان الكندية، من بني الجون. وقد أجمع أصحاب السير أن رسول الله ﷺ تزوّجها. واختلفوا في سبب طلاقها. وقد ذكر بعضهم أن بعض نساء النبي عليه السلام لما رأين جمالها قلن لها: إن الرسول ﷺ يحب إذا دنا منك أن تقولي: إني أعوذ بالله منك، ففعلت. فقال لها الرسول ﷺ : قد عذت بمعاذ. فطلّقها، وردّها إلى أهلها، فكانت تُسَمِّي نفسَها الشقيّةَ. والله أعلم. انظر اختلاف الرواة في شأنها في كتاب الاستيعاب، لابن عبد البر، ج 4 ص 1785، وفي سير أعلام النبلاء، ج 2 ص 184.

وقال بعضهم: (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) أي: لا نكاح إلا بولي وشاهدين عدلين وصداق معلوم.

قال: وقال بعضهم في قوله: (وَءاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) [النساء: 4] أي: فريضة. فإن تزوّج الرجل امرأة ولم يسمّ لها صداقاً، أو وهبها له الولي فرضيت، أو كانت بكراً فزوّجها أبوها، فإن ذلك جائز عليها، ولها ما اتفقوا عليه من الصداق، فإن اختلفوا فلها صداق مثلها، والنكاح ثابت.

قوله: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ رجع إلى قصة النبي عليه السلام. ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُئْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ تفسير الحسن: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أي: أن النبي ﷺ كان يذكر المرأة للتزويج ثم يرجيها، أي: يتركها فلا يتزوّجها. قال: (وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) أي: يتزوّج من يشاء. وكان النبي ﷺ إذا ذكر امرأة ليتزوّجها لم يكن لأحد أن يعرّض بذكرها حتى يتزوّجها رسول الله أو يتركها. قوله: (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) يقول: ليس عليك لهن قسمة، ومن ابتغيت من نسائك للحاجة ممن عزلت ولم تُرِد منها الحاجة (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ)[1].

قال: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ ﴾ أي: أجدر ﴿ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾ أي: إذا علمن أنه من قبل الله ﴿ وَلَا يَحْزَنَّ ﴾ على أن تخص واحدة منهن دون الأخرى ﴿ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ أي: من الخاصة التي تخصّ منهن لحاجتك. وهذا تفسير الحسن.

وتفسير الكلبي: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) يعني من اللائي أحلّ له، إن شاء لم يتزوّج منهن (وَتُئْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) أي: تتزوّج منهن من تشاء، (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 346 في تفسير الآية: «هذا أيضاً مما خصّ به النبيّ ﷺ: أن يجعل لمن أحبّ منهن يوماً أو أكثر أو أقل، ويعطّل من شاء منهن فلا يأتيه. وقد كان قبل ذلك لكلّ امرأة من نسائه يوم وليلة».

عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ) يعني نساءه اللائي عنده يومئذ، يعني التسع، (وَلَا يَحْزَنَّ) أي: إذا عرفن أنه لا ينكح عليهن[1].

قال: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا. ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِن أَزْوَاجٍ وَلَو أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ أي: حسن النساء غير أزواجه وما أحلّ الله له مما سُمّي في قول أبي بن كعب ومجاهد والكلبي على وجه ما قالوا، وفي قول الحسن: غير نسائه خاصة؛ هذا في أزواجه اللائي عنده خاصة، لا يتزوّج مكانهن ولا يطلقهن. قال: ﴿إلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أي: يطأ بملك يمينه ما شاء. ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾ أي: حفيظاً.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَيٰهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا وَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي: فتفرقوا. ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ بعد أن تأكلوا ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: لما تزوّج رسول الله ﷺ لم يُولِم على أحد من نسائه ما أولم على زينب بنت جحش. قال أنس: كنت أدعو الناس على الخبز واللحم، فيأكلون حتى يشبعوا. فجاء رجلان فقعدا مع زينب في جوف البيت ينتظران، أظنه يعني الطعام. فخرج النبي ﷺ إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم يا أهل البيت[2]. فقالت عائشة: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، كيف وجدت

---

(1) وقد لخّص الفراء وجوه التأويل الثلاثة بعبارة وجيزة فقال: «وقوله: (ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ) يقول: إذا لم تجعل لواحدة منهن يوماً وكنّ في ذلك سواء، كان أحرى أن تطيب أنفسهن ولا يحزن. ويقال: إذا علمن أن الله قد أباح لك ذلك رضين، إذ كان من عند الله. ويقال: إنه أدنى أن تقرّ أعينهن إذا لم يحلّ لك غيرهن من النساء. وكلٌّ حسن».

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير من سورة الأحزاب عن أنس بن مالك. وفيه: «وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت...».

أهلك؟ بارك الله لك فيهم. قال: فاستقرى نساءه كلهن فقلن بمقالتها. ثم جاء فوجد الرجلين في البيت، فاستحيى فرجع، فأنزل الله آية الحجاب، فقرأها عليهم فخرجا. ودخل النبي ﷺ وأرخى الستر.

ذكروا عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب قال: قلت: يا رسول الله، إنه يدخل عليك البَرُّ والفاجر، فلو أمرت نساءك يحتجبن. فأنزل الله آية الحجاب[1].

قوله: ﴿ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَيٰهُ ﴾ أي: صنعته[2]. وقال مجاهد: متحيِّنين حينه[3].
قوله: ﴿ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِـي مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي: أن يخبركم أن هٰذا يؤذي النبي.

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ أي: من الريبة والدنس، أن يكون ذلك من وراء حجاب.

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُوذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً ﴾.

قال ناس من المنافقين: لو قد مات محمد تزوّجنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية.
وقال: ﴿ إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ يعني ما قالوا: لو قد مات محمد تزوّجنا نساءه. ﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[4].

ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي ﷺ في الحجاب فقال: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوٰنِهِـنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوٰتِهِـنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾ المسلمات

(1) أخرجه كذلك البخاري في تفسير سورة الأحزاب بلفظ: «فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب». . .

(2) كذا في ب و ع وفي سح أيضاً: «صنعته». ولم أجد هذا اللفظ فيما بين يدي من كتب اللغة والتفسير، وإن كان معناه ليس بعيداً عن المراد.

(3) في تفسير مجاهد، ص 520: «غير متحيّنين نضجه». وفي اللسان: «(إناه) أي: نضجه وإدراكه وغايته». والإنى بكسر الهمزة والقصر النضج. وأصله: أني الشيء يأني أَنْياً وإنًى: حان وأدرك.

(4) انظر تلخيصاً موجزاً وافياً بالمقصود لمعنى الآية وسبب نزولها في معاني الفراء، ج 2 ص 348 - 349.

﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ﴾ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممن يدخل على أزواج النبي عليه السلام في الحجاب. قال: ﴿ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾ أي: شاهد لكل شيء وشاهداً على كل شيء.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي ﴾ [يعني أن الله يغفر للنبي ﷺ وتستغفر له الملائكة][1]. ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ [يعني استغفروا له][1] ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾.

ذكروا عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: جاءني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال رجل: يا رسول الله، هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد[2] كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. [اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد][3].

ذكروا عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: دفعت ذات يوم إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما أدري متى ما رأيتك أطيب نفساً ولا أشرق وجهاً ولا أحسن بشراً منك الآن. قال: وما يمنعني يا أبا طلحة، وإنما صدر جبريل من عندي الآن، فبشرني بما أعطيت أمتي، فقال: يا محمد، من صلى عليك صلاة كتب الله بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورد الله عليه مثل الذي صلّى به عليك[4].

---

(1) زيادة من سح، ورقة 134، ومن ز، ورقة 273.

(2) في ع: «وعلى من صلح من آل محمد» ولا شك أن اللفظة من زيادة بعض النساخ، ونعوذ بالله من الجهل.

(3) سقطت هذه الجمل الأخيرة من ب، فأثبتها كما وردت في سح و ز. والحديث صحيح أخرجه أصحاب السنن، أخرجه البخاري مثلاً في كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب إن الله وملائكته يصلون على النبي.

(4) ورد هذا الحديث ناقصاً مضطرباً في ع و ب فأثبته بتمامه من سح. والحديث صحيح أخرجه ابن=

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن ملكاً موكل بالعبد، فإذا قال العبد صلى الله على محمد قال الملك: وأنت فصلى الله عليك.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أكثروا عليّ الصلاة يوم الجمعة[1].

ذكروا عن النبي ﷺ أنه قيل له: يا رسول الله كيف تبلغك صلاتنا إذا تضمنتك الأرض؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل من أجساد الأنبياء شيئاً[2].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾. هؤلاء المنافقون كانوا يؤذون رسول الله ويستخفّون بحقه، ويرفعون أصواتهم عنده استخفافاً ويكذبون عليه ويبهتونه.

قال: ﴿ وَالذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ أي: بغير ما جنوا، هم المنافقون ﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَٰناً ﴾ أي: كذباً ﴿ وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ أي: بيّناً.

ذكروا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تعيبوهم ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنه من تتبّع عورة أخيه المسلم يُظهر الله عورتَه فيفضحه في ملائه[3].

= سلام بسند يرفعه، وذكره السيوطي في الدر المنثور، ج 5 ص 218 بسند عن مجاهد عن أبي طلحة، ورواه أحمد أيضاً في مسنده من طريق إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الأنصاري.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مسعود الأنصاري، وأخرجه البيهقي في السنن عن أنس، وفيه زيادة: «فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً».

(2) أخرجه الإمام أحمد وأبو نعيم عن أوس بن أبي أوس الثقفي.

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (رقم 4880) عن أبي برزة الأسلمي وأخرجه الترمذي عن ابن عمر. وأخرجه ابن سلام عن النضر بن بلال عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك. . . وفي آخره: «ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»، كما في سح ورقة 136، وفي ز ورقة 274.

ذكروا عن الحسن قال: بلغنا أنه من استحمد إلى الناس في الدنيا بشيء لم يستحمد فيه إلى الله نادى مناد يوم القيامة: ألا إن فلاناً قد استحمد إلى الناس بشيء لم يستحمد فيه إلى الله. ومن استذَمَّ إلى الناس في الدنيا بشيء لم يستذم فيه إلى الله نادى مناد يوم القيامة: ألا إن فلاناً قد استذم إلى الناس في الدنيا بشيء لم يستذم فيه إلى الله.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِي قُل لِأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُومِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾. والجلباب: الرّداء تقنّعُ به وتغطّى به شِقّ وجهها الأيمن، تغطّي عينها اليمنى وأنفها[1]. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾ أي: أجدر. ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنهن حرائر مسلمات عفيفات ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: فلا يعرض لهن أحد بالأذى. وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرّضون النساء.

قال الكلبي: كانوا يلتمسون الإماء، ولم تكن تعرف الحرة من الأمة بالليل، فتلقي نساء المؤمنين منهم أذى شديداً. فذكرن ذلك لأزواجهن، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: كان أكثر من يصيب الحدود يومئذ المنافقون.

[ذكروا عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قناع فعلاها بالدّرّة وقال: اكشفي رأسك ولا تتشبّهي بالحرائر][2]. قال الله: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

ثم قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني الزنى[3]

(1) قال الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 559: «الجلباب ثوب واسع، أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل». وقيل: الجلباب هو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالملحفة.

(2) زيادة من سح ورقة 137، ومن ز ورقة 274.

(3) كذا في ب وع وسح: «الزنا» ولعل صوابه: «الزناة» وصفاً للذين لا للمرض.

﴿ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ يعني المنافقون، يرجفون بالنبي وأصحابه؛ يقولون: يهلك محمد وأصحابه. وقال الكلبي: (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ) أي: لئن لم ينتهوا عن أذى نساء المؤمنين[1]. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ أي: لنسلطنّك عليهم ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا ﴾ أي: في المدينة ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴾.

قال: ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ أي: كذلك كانت سنة الله في منافقي كل أمة إذا أظهروا نفاقهم. وهذا إذا أمر النبي بالجهاد.

وقال بعضهم: (سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) أي: من قبل قتل المنافقين، أي: إن أظهروا نفاقهم وباينوا به، وكذلك سنته في منافقي أمتك كسنته في منافقي الأمم التي مضت قبلك. ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا ﴾ أي: لا تبديل لسنته في الأولين والآخرين.

قوله: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ ﴾ أي: علم مجيئها عند الله، أي: لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[2] أي: إنها قريب.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا ﴾ أي: يمنعهم من العذاب ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ أي: ينصرهم.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ أي: يُجَرّون على وجوههم،

---

(1) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 349 قولاً في المرجفين هذا نصه: «المرجفون كانوا من المسلمين. وكان المؤلفة قلوبهم يرجفون بأهل الصفة. كانوا يشنعون على أهل الصفة أنهم هم الذين يتناولون النساء لأنهم عزاب».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 141: «(لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) مجازه مجاز الظرف ها هنا ولو كان وصفاً للساعة لكان قريبة. وإذا كان ظرفاً فإن لفظها في الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث واحد بغير الهاء، وبغير تثنية وبغير جمع».

تجرّهم الملائكة ﴿ يَقُولُونَ ﴾ أي: في النار ﴿يَـٰلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ﴾ وإنما صارت (الرَّسُولاَ) و (السَّبِيلاَ) لأنها مخاطبة[1]. وهذا جائز في كلام العرب إذا كانت مخاطبة.

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: (سَادَاتِنَا) السادة جماعة واحدة، والسادات جماعة الجماعة. (وَكُبَرَاءَنَا) أي: في الضلالة ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ ﴾.

﴿ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَثِيراً ﴾. وكل شيء في القرآن يذكر فيه شيء من كلام أهل النار فهو قبل أن يقول الله لهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. وقد فسّرنا متى يقال لهم ذلك في غير هذا الموضع[2].

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً ﴾.

ذكروا عن أنس بن مالك أنه قال: كانت بنو إسرائيل تقول: إن النبي موسى كان آدر[3]. قال: وكان موسى إذا دخل الماء ليغتسل وضع ثوبه على صخرة. قال: فدخل يوماً الماء فوضع ثوبه على صخرة فتدهدهت[4]، فخرج يتبعها ويقول: ثوبي، ثوبي. فمر بملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً فبرأه الله مما قالوا[5].

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «مخاطبة». ولم أجد هذه الكلمة فيما بين يدي من كتب التفسير واللغة. والمراد هو ما ذكره المفسرون في تعليل مد الحرف الأخير من (السبيلا) و (الرسولا) وغيرهما: «إن زيادة الألف لإطلاق الصوت؛ جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر. وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعد مستأنف». انظر الزمخشري، الكشاف، ج 3 ص 562.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 151 - 152.

(3) أي: منتفخ الخصيتين.

(4) يقال: دهدهت الحجر فتدهده، أي: دحرجته فتدحرج.

(5) هذا معنى حديث رواه البخاري في كتاب الاغتسال، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً) أي: بالرسالة والطاعة. وقد قال بعض أهل التأويل في قوله: (آذَوْا مُوسَىٰ) إنما آذوه بالتكذيب والجحود لما جاء به. وهذا أحب الأقاويل إلى الفقهاء[1].

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ أي: عدلاً، وهو لا إله إلا الله ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ أي: لا يقبل العمل إلا ممن قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه، ولا يقبل القول إلا ممن عمل صالحاً، أي: لا يقبل ممن ينقص الإيمان، لأن الإيمان قول وعمل.

قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: بالقول والعمل ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ وهي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾. قال بعضهم: عرض عليهن الطاعة والمعصية، والثواب والعقاب.

وقال الكلبي: إنه عرض العبادة على السموات والأرض والجبال ليأخذنها بما فيها. قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جوزيتن، وإن أسأتن عوقبتن. فأبين أن يحملنها، وعرضها على الإنسان، والإنسان آدم، فقبلها.

ذكر إبراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس قال: الأمانة التي حملها ابن آدم: الصلاة والصوم والغسل من الجنابة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: ثلاث من حفظهن فهو عبدي حقاً، ومن ضيعهن فهو عدوي حقاً: الصلاة والصوم والغسل من الجنابة .

ذكروا عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: ائتمن ابن آدم على ثلاثة: على الصلاة، ولو شاء قال: صليت [ولم يصل]، وعلى الصيام، ولو شاء قال: صمت

(1) وصدقوا، وهو الصواب إن شاء الله.

(2) أخرجه ابن سلام مرسلاً بهذا السند: «وحدثني أبو الأشهب والمبارك والحسن بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ...».

[ولم يصم]، وعلى الغسل من الجنابة، ولو شاء قال: قد اغتسلت [ولم يغتسل][1] قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾ أي: لنفسه ﴿جَهُولاً﴾ بدينه؛ وهذا المشرك.

قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَـٰفِقِينَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتِ﴾ أهل الإقرار بالله والنبي من أهل التضييع للأعمال والخيانة للأمانة، وهي الدين. ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَـٰتِ﴾ أهل المساواة والإنكار والجحود.

ذكروا عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَها الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً لِّيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ فقال: هما والله اللذان ظلماها، وهما اللذان خاناها: المنافق والمشرك.

قال تعالى: ﴿وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ أهل الصدق والوفاء في الأعمال. ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً﴾ أي: لمن تاب إليه من شركه ونفاقه ﴿رَّحِيماً﴾ أي: بالمؤمنين؛ فبرحمته يدخلهم الجنة.

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سح، ورقة 139. والحديث أخرجه ابن سلام هكذا: «وحدثني خالد وعثمان عن زيد بن أسلم...» وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد عن زيد بن أسلم مرسلاً كما في الدر المنثور، ج 5 ص 255. وانظر تفسير القرطبي، ج 14 ص 253 - 254.

تفسير سورة سبأ
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الْحَمْدُ للهِ ﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمد. ﴿ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الأخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ أي: في أمره، أحكم كل شيء ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بخلقه.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ﴾ أي: ما يدخل ﴿ فِي الأَرْضِ ﴾ من المطر ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي: من النبات ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من المطر وغير ذلك ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: وما يصعد فيها، أي: ما تصعد به الملائكة ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ ﴾ أي: بخلقه ﴿ الغَفُورُ ﴾ أي: لمن تاب وآمن.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَـا السَّاعَةُ ﴾ أي: القيامة. ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ ﴾ من قرأها بالرفع رجع إلى قوله: وهو الرحيم الغفور عالمُ الغيب. ومن قرأها بالجر (عَالِمِ الغَيْبِ) فهو يقول: قل بلى وربي عالم الغيب. وفيها تقديم. وهي تقرأ على وجه آخر: علَّام الغيب، وإنما هو كقولك فاعل وفعّال. والغيب، في تفسير الحسن في هذا الموضع: ما لم يكن. قال: لتأتينّكم الساعة.

قال: ﴿ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزن ذرة، أي: لا يغيب عنه علم ذلك، أي: ليعلم ابن آدم أن عمله الذي عليه الثواب والعقاب لا يغيب عن الله منه مثقال ذرة. ﴿ فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ مُبِينٍ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في حديث ابن عباس: إن أول ما خلق الله القلم فقال:

اكتب. قال: ربِّ، وما أكتب؟ قال: ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة. فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس، فيجدونه على ما في الكتاب الأول[1].

قال: ﴿ لِيَجْزِيَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي: ليجزيهم الجنة ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

قال: ﴿ وَالذِينَ سَعَوْا ﴾ أي: عملوا ﴿ فِي ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ﴾ تفسير الحسن: يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم فنعذبهم كقوله: (وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) [العنكبوت: 39].

وتفسير الكلبي: (مُعَاجِزِينَ) مبطئين، أي: يثبطون الناس عن الإيمانٰ ولا يؤمنون بها.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ والرجز: العذاب ﴿ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع. أي: لهم عذاب من عذاب موجع.

قوله: ﴿ وَيَرَى الذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ الذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ أي: يعلمون أنه هو الحق ﴿ وَيَهْدِي ﴾ أي: ويعلمون أن القرآنَ يهدي ﴿ إِلَىٰ صِـرَٰطِ﴾ أي: إلى طريق ﴿ الْعَزِيزِ﴾ الذي ذل له كل شيء ﴿ الْحَمِيدِ ﴾ المستحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه. والطريق إلى الجنة.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ يُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي: يخبركم ﴿ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: إذا متم وتفرقت عظامكم وكانت رفاتاً إنكم مبعوثون خلقاً جديداً، إنكاراً للبعث.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس مرفوعاً مختصراً، وأخرجه الترمذي بلفظ مختلف، عن عبادة بن الصامت.

﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾[1] أي: جنون. قال الله: ﴿ بَلِ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ فِي الْعَذَابِ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ وَالضَّلَلِ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ الْبَعِيدِ ﴾ الذي لا يصيبون منه خيراً في الدنيا ولا في الآخرة. وقال بعضهم: البعيد من الهدى. وقال بعضهم: (الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) أي: الشقاء الطويل.

قال الله: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: حيثما قام الإنسان فإن بين يديه من السماء والأرض مثل ما خلفه منها[2]. ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ والكسف: القطعة. والكسف مذكر؛ والقطعة مؤنثة، والمعنى على القطعة. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً ﴾ أي: لعبرة ﴿ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾. وهو المقبل إلى الله بالإخلاص له.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً ﴾ يعني النبوة ﴿يَـٰجِبَـالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ أي: سبّحي معه[3] ﴿ وَالطَّيْرَ ﴾. وهو قوله: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ) [الأنبياء: 79].

قال: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ ألانه الله له، فكان يعمل بلا نار ولا مطرقة بأصابعه الثلاث كهيئة الطين بيده ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ وهي الدروع ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 254: «(أَفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً) هذه الألف استفهام، فهي مقطوعة في القطع والوصل».

(2) كذا في ب و ع وفي سح ورقة 141، وعبارة الفراء في المعاني، ج 2 ص 254 أبلغ وأكثر وضوحاً؛ قال: «يقول: أما يعلمون أنهم حيثما كانوا، فهم يرون بين أيديهم من الأرض والسماء مثل الذي خلفهم، وأنهم لا يخرجون منهم، فكيف يأمنون أن نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم من السماء عذاباً».

(3) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 353: «(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ) أي: سبّحي. وأصله: التأويب في السير، وهو: أن تسير النهار كله وتنزل ليلاً... كأنه أراد أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل». وقال الفراء، ج 2 ص 355: وقرأ بعضهم: (أُوبِي معه) من آب يؤوب، أي: «تَصَرَّفِي مَعَهُ». وقال الزمخشري في الكشاف، ج 3، ص 571 مفسّراً هذه القراءة الأخيرة: «أي: ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه».

أي: لا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنقسم الحلقة، ولا تعظّم الحلقة وتصغّر المسمار فينكسر المسمار[1].

وبلغنا أن لقمان حضر داوود عند أول درع عملها، فجعل يتفكر فيما يريد بها ولا يدري ما يريد بها. فلم يسأله؛ حتى إذا فرغ منها داوود قام فلبسها فقال لقمان: الصمت حكمة، وقليل فاعله.

قال: ﴿ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يغيب عن الله من أعمالهم شيء.

قوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ الرِّيحَ ﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾. ذكر الحسن أنه كان يغدو من بيت المقدس فيقيل بإصطخر، فيروح منها فتكون روحته إلى كابل.

وفي تفسير عمرو عن الحسن قال: كان سليمان إذا أراد أن يركب جاءته الريح وجلس على سريره، وجلس وجوه الناس من أصحابه على منازلهم في الدين عنده من الجن والإنس. والجن يومئذ ظاهرة للإنس، رجال أمثال الإنس إلا أنهم أدم[2]، يحجون جميعاً ويعتمرون جميعاً ويصلون جميعاً، والطير ترفرف على رأسه ورؤوسهم، والشياطين حرسة[3]، لا يتركون أحداً يتقدم بين يديه. وهو قوله: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) [النمل: 17] أي: فهم

(1) كذا في ب و ع، وفي سح ورقة 141 و ز ورقة 275: «لا تصغّر المسمار وتعظم الحلقة فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتفصم الحلقة». وقال الفراء، ج 2 ص 351: «لا تجعل مسمار الدرع دقيقاً فيقلق ولا غليظاً فيفصم الحلق».

(2) كذا في سح: «أدم»، وفي ع: «إلا أن بهم أدومة»، وصوابها: «أدمة». والأدمة في الناس سمرة يشوبها سواد، وفي الإبل والظباء بياض.

(3) كذا في ع و سح و ز: حَرَسَةٌ، جمع حارس، ولم أجد هذا الجمع في اللسان ولا في الصحاح، وورد في بعض المعاجم قياساً لا سماعاً، فكثيراً ما يجمع فاعِل على فَعَلة. وقد ورد في القرآن منه مثل: (بَرَرَة)، (كَفَرَة)، (فَجَرَة)؛ ولو أسقطت النقطتان من الهاء في آخر الكلمة، فكان اللفظ: «حَرَسُهُ» لكان صواباً.

يدفعون، أي: لا يتقدمه منهم أحد. وقال بعضهم: وزعهم، أي: يرد أولهم على آخرهم، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ يعني الصفر[1]، سالت له مثل الماء. قال: ﴿ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ أي: بأمر ربه، أي: بالسخرة التي سخرها الله تعالى له. قال: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا ﴾ أي: عن طاعة الله وعبادته ﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي: في الآخرة. ولم يكن يسخّر منهم ويستعمل في هذه الأعمال كلّها ولا يُصفّد في الأصفاد، أي: ولا يسلسل في السلاسل منهم، إلا الكفّار. فإذا تابوا وآمنوا حلّهم من تلك الأصفاد.

وقال بعضهم: (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) أي: جعل معه ملك بيده سوط من عذاب السعير، فإذا خالف سليمانَ منهم أحدٌ ضربه الملك بذلك السوط.

قال: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ ﴾ والمحاريب في تفسير الحسن المساجد، وفي تفسير مجاهد: [بنيان دون][2] القصور. وفي تفسير الكلبي: المساجد والقصور. (وَتَماثِيلَ)، وهي الصور. وفي تفسير الحسن: إنها لم تكن يومئذ محرّمة. وتفسير مجاهد: إنها تماثيل من نحاس.

قال: ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ أي: كالحياض[3] في تفسير الحسن. ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ أي: ثابتات في الأرض عظام تنقر من الجبال بأثافيها فلا تحول عن أماكنها.

ذكروا أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس فقالوا له: زوبعة الشيطان له عين في جزيرة في البحر يردها في كل سبعة أيام يوماً. فأتوها فنزحوها، ثم صبّوا فيها خمراً. فجاء لوِرده، فلما أبصر الخمر قال في كلام له: ما علمت أنك إذا شربك صاحبك

---

(1) الصفر: هو النحاس الجَيِّد.

(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 524، ومن الدر المنثور، ج 5 ص 228.

(3) أصل الجابية: الحوض الذي يجبى، أي: يجمع فيه الماء للإبل.

يظهر عليه عدوُّه، في أساجيع له؛ لا أذوقك اليوم، فذهب. ثم رجع لِظِمْءٍ آخر، فلما رآها كما كانت قال كما قال أول مرة. ثم ذهب فلم يشرب، حتى جاء لظمء آخر لإحدى وعشرين ليلة، فقال: ما علمت إنك لتُذهِبين الهَمَّ، في سجع له، فشرب منها فسكر. فجاءوا إليه فأروه خاتم السُّخرة. فانطلق معهم إلى سليمان، فأمرهم بالبناء فقال زوبعة: دُلوني على بيض الهدهد. فدُلَّ على عُشِّه. فانطلق فجاء بالماس الذي يثقب به الياقوت، فوضعه عليه فقَطَّ الزجاجة نصفين، ثم انطلق ليأخذه فأزعجوه، فجاءوا بالماس إلى سليمان، فجعلوا يستعرضون الجبال العظيمة كأنما يخطون في نواحيها، أي: في نواحي الجبال، في طين.

قال تعالى: ﴿اِعْمَلُوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْراً﴾ أي: إيماناً[1]. قال بعضهم: لما نزلت لم يزل إنسان منهم قائماً يصلّي.

قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أي: أقل الناس المؤمن.

قال: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي: فلما أنزلنا عليه الموت ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وهي الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ والمنساة: العصا، وهي بالحبشية[2].

قال بعضهم: مكث سليمان حولاً وهو متكىء على عصاه، لا يرى الإنس والجن إلا أنه حي على حاله الأولى لتعظم الآية، بمنزلة ما أذهب الله من علمهم تلك الأربعين الليلة التي غاب فيها سليمان عن ملكه حيث خلفه ذلك الشيطان في ملكه. فكان موته فجأة وهو متكىء على عصاه حولاً لا يعلمون أنه مات. وذلك أن الشياطين كانت تزعم للإنس أنهم يعلمون الغيب فكانوا يعملون له حولاً لا يعلمون أنه مات.

---

(1) كذا في ب وع: «إيماناً»، وفي سح وز: «أي: توحيداً».

(2) ذكر الطبري عن السدي أن أصل الكلمة حبشي، والحق أن الكلمة عربية صريحة مشتقة من نسأت الغنم أي: سقته. قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 356: «وهي العصا العظيمة التي تكون مع الراعي، أخذت من نسأت البعير، زجرته ليزداد سيره». وانظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 145، تجد تحقيقاً وافياً للكلمة وشواهد عليها.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ سليمان ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ ﴾ للإنس ﴿ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [في تلك السخرة، في تلك الأعمال في السلاسل، تبيّن للإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين][1] أي: العذاب الذي لهم فيه الهوان.

قوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ ءَايَةٌ ﴾ كانوا باليمن. وفي تفسير الحسن وغيره: هي أرض. وقال الحسن: لقد تبيّن لأهل سبأ كقوله: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) [يوسف: 82] أي: أهل القرية.

ذكروا عن علقمة أنه سمع ابن عباس يقول: سئل رسول الله ﷺ عن سبأ، أرض هي أم امرأة أم رجل فقال: بل هو رجل ولد عشرة فباليمن منهم ستة، وبالشام أربعة. فأما اليمانيون فمذحج وحمير وكندة وأنمار والأزد والأشعريون. وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان[2].

قال: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِم ءَايَةٌ) ثم أخبر بتلك الآية فقال: ﴿ جَنَّتَانِ ﴾. وتفسير الحسن: أن فيها تقديماً. وتقديمها: لقد كان لسبأ في مساكنهم جنتان، فوصفهما، ثم قال: آية. قوله: ﴿ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ أي: جنة عن يمين، وجنة عن شمال.

قال: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ أي: هذه بلدة طيبة ﴿ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ أي: لمن تاب وآمن وعمل.

قوله: ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ عما جاءت به الرسل ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ قال بعضهم: العرم: المسنّاة، يعني الجسر الذي يحبس به الماء؛ وكان سداً قد جعل في

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سح، ورقة 144 للإيضاح.

(2) أخرجه أحمد وعبد بن حميد والطبراني، وابن أبي حاتم وابن عدي والحاكم وصححه عن ابن عباس كما في الدر المنثور، ج 5 ص 231. وأخرجه الطبري في تفسيره، ج 22 ص 77 عن فروة ابن مسيك. وقال عنه ابن عبد البر في الاستيعاب، ج 3 ص 1261: «حديثه في سبأ حديث حسن».

موضع من الوادي تجتمع فيه المياه[1]. وذكروا أنه إنما نقبه دابة يقال له الخُلد، ليس له عينان وله نابان يحفر بهما الأرض.

وفي تفسير مجاهد: إن ذلك السيل الذي أرسله الله عليهم من العرم كان ماء أحمر أتى الله به من حيث شاء. وهو الذي شق السد وهدمه، وحفر بطن الوادي عن الجنتين[2] فارتفعتا، وغار عنهما الماء فيبستا[3].

وقال بعضهم: إنهم كان لهم واد يجتمع فيه الماء كل عام يسقي جناتهم وأرضهم؛ فبعث الله عليهم دابة يقال لها الجرذ، فحفر السد، فسال الماء فغرّق جناتهم وأرضيهم.

قوله: ﴿ وَبَدَّلْنَـٰهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ ﴾ أي: ثمرة ﴿ خَمْطٍ ﴾ الخمط: الأراك، وأكله البرير. ﴿ وَأَثْلٍ[4] وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ أي: وهل يعاقب إلا الكفور. وهو مقرأ أهل الكوفة: أي: إنهم لما أعرضوا عما جاءت به الرسل ابتلاهم الله فغيّر ما بهم، ثم أهلكهم بعد ذلك.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 146: «(سيل العرم) واحدها عرمة، وهو بناء مثل المشار يحبس به الماء ببناء فيشرف به على الماء في وسط الأرض، ويترك فيه سبيل للسفينة، فتلك العرمات، واحدتها عرمة، والمشار بلسان العجم...».

(2) كذا جاءت العبارة في ز، ورقة 276، وهي أصح، وفي ب و ع و سح: «وحفر بطن الوادي عن الجسر».

(3) «وقوله: (سَيْلَ العَرِمِ) كانت مسنّاة كانت تحبس الماء على ثلاثة أبواب منها، فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول، ثم الثاني ثم الآخر، فلا ينفد حتى يثوبَ الماء من السنة المقبلة، وكانوا أنعم قوم عيشاً. فلما أعرضوا وجحدوا الرسل بثق الله عليهم المسنّاة، فغرّقت أرضهم ودفن بيوتَهم الرملُ، ومُزِّقُوا كلَّ ممزَّق، حتى صاروا مثلاً عند العرب، والعرب تقول: تفرَّقوا أيادي سبَا وأيدي سبَا». انظر معاني الفراء، ج 2 ص 358.

(4) قال الفراء: «وأما الأثل فهو الذي يعرف، شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم طولاً».

قال: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ رجع إلى قصة ما كانوا فيه من حسن عيشهم قبل أن يهلكهم فقال: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) أي: كنا جعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها، يعني الشام ﴿ قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ أي: متّصلة ينظر بعضها إلى بعض ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ أي: يصبحون في منزل وقرية وماء ويمسون في منزل وقرية وماء، في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)، يعني المقيل والمبيت.

﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ ﴾ كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرّك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحرّكه، وكانت المرأة تمشي ومكتلها على رأسها، وهي تغزل بيدها، وإن مكتلها ليمتلىء من الثّمار من غير أن تجنيها[1].

قال: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ تفسير الحسن: أنهم مَلُّوا النعمة كما مَلَّتْ بنو إسرائيل المنَّ والسَّلْوىٰ.

وتفسير الكلبي: إنهم قالوا لرسلهم حين ابتلوا، أي: حين كذبوهم: كنا نأبى عليكم[2]، وأرضنا عامرة خير أرض، فكيف اليوم وأرضنا خراب.

وبعضهم يقرأها: ربنا (باعِد)، وبعضهم يقرأها: (بَعِّدْ)، وبعضهم: (بَعُدَ) قال الله: ﴿ وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: بشركهم ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ [أي: لمن بعدهم][3] ﴿ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ أي: بددنا عظامهم وأوصالهم فأكلهم التراب. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: في إهلاك القرية ومن فيها ﴿ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ أي: على أمر الله ﴿ شَكُورٍ ﴾ لنعمة الله، وهو المؤمن.

---

(1) في ب و ع: «من غير أن تجنيه»، والصواب ما أثبته. وفي سح: «وإن مكتلها على رأسها فيمتلىء من الثمار وما تعالج منه شيئاً».

(2) كذا في ب و ع: «نأبى عليكم»، وفي سح، نأتي عليكم، وما أثبته أصح.

(3) زيادة من سح، ورقة 146، ومن ز ورقة 277.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ يعني جميع المشركين ﴿ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُومِنِينَ ﴾ وذلك أنه كان يطيف بجسد آدم قبل أن ينفخ فيه الروح، فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك، ثم وسوس بعد لآدم فأكل من الشجرة، فقال في نفسه: إن نسل هذا سيكونون مثله في الضعف فلذلك قال: (لَأَحتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً) [الإسراء: 62]. وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة صٓ: 82] وقال: (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 17]، وأشباه ذلك.

وبعضهم يقول: إن إبليس قال: خلقت من نار وخلق آدم من طين، والنار تأكل الطين، فلذلك ظن أنه سيضل عامتهم.

وكان الحسن يقرأ هذا الحرف: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) يقول: لقد صدّق عليهم ظنّ إبليس، فيها تقديم، ثم قال: ظَنٌّ ظَنَّهُ، ولم يقل ذلك بعلم، يقول: فصدّق ظنّه فيهم. ومجاهد يقرأها: (وَلَقَدْ صُدِّقَ عَلَيْهِم إبليسُ ظَنَّه). يقول: صُدِّقَ إِبْلِيس ظنّه فيهم حيث جاء أمرهم على ما ظنّ[1].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّنْ سُلْطَـٰنٍ ﴾ كقوله: (فَإِنَّكُمْ) يا بني إبليس (وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أي: ليس له عليكم سلطان (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) [الصافات: 161 - 163]. أي: لستم بمضلي أحد إلا من هو صال الجحيم. قال: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّومِنَ بِالآخِرَةِ ﴾ وهذا علم الفَعال. ﴿ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا ﴾ أي: من الآخرة ﴿ فِي شَكٍّ ﴾ منها. وإنما جحد المشركون الآخرة ظناً منهم، وذلك منهم على الشك. قال: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٍ ﴾ أي: حتى يجازيهم في الآخرة.

قوله: ﴿ قُلْ ادْعُوا الذِين زَعَمْتُم مِّنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم، أي: زعمتم أنهم

(1) جاء بعض الاضطراب في ب وع، فأثبت ما بدا لي أولى بالصواب من سح. انظر بعض أوجه القراءات في تفسير الطبري، ج 22 ص 87، وفي تفسير القرطبي، ج 14 ص 292، وفي معاني الفراء، ج 2 ص 360، وانظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 311.

آلهة ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: لا تملك تلك الآلهة ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزن ذرة ﴿فِي السَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا﴾ أي: في السموات والأرض ﴿مِنْ شِرْكٍ﴾ ﴿وَمَا لَهُ﴾ أي: لله ﴿مِنْهُم﴾ أي: من أوثانهم ﴿مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ أي: من عوين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِنْدَهُ﴾ أي: عند الله ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أي: لا يشفع الشافعون، إلا للمؤمنين، أي: تشفع الملائكة والنبيُّون، والمؤمنون، ليس يعني أنهم يشفعون للمشركين فلا يشفَّعون.

[وحديث الحسن بن دينار عن الحسن قال: أهل الكبائر لا شفاعة لهم][1]. قال: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: 28] وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 86] أي: شهد بلا إلٰه إلا الله وهم يعلمون، أي: وقلوبهم مخلصة بشهادة ألا إلٰه إلا الله، يعلمون أنها الحق ويعملون بما يعلمون[2]، وليس الشفاعة لهم من معنى قد وجب عليهم، فلا، لا، إلا لتخفيف بعض أهوال الموقف. قال: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48] من الملائكة والنبيين، أي: إن المنافقين لا يشفعون لهم، إنما يشفعون لمن ارتضى الله لهم، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. قال بعضهم: إن أهل السماوات لم يسمعوا الوحي فيما بين عيسى وبين محمد إلى أن بعث محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء. فلما بعث الله جبريلَ إلى محمد بالوحي سمع أهل السماوات الوحي كجرّ السلاسل على الصخور، فصعق أهل السماوات مخافة أن تقوم الساعة. فلما فرغ من الوحي وانحدر جبريل جعل كلما مرّ

(1) زيادة من سح، ورقة 147.

(2) هذه الجملة الأخيرة: «ويعملون بما يعلمون» زيادة من الشيخ هود بن محكم ليؤكد بها مبدأ من مبادئه، ولينفي كل شبهة من شبه الأرجاء التي قد تفهم من عبارة ابن سلام. وكذلك الجملة التي تأتي بعدها إلى قوله: «لتخفيف بعض أهوال الموقف».

بأهل سماء فزّع عن قلوبهم، أي: جلّي عن قلوبهم[1]. وقالوا: ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ فيقولون: الحق من عند الحق، يعنون الوحي، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ أي: لا أعلى منه ﴿ الكَبِيرُ ﴾ أي: فلا أكبر منه.

ذكروا عن كعب قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل. فإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء اللوح حتى يصفق جبهة إسرافيل، فيرفع رأسه وينظر، فإذا الأمر مكتوب، فينادي جبريل، فيأتيه فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا. فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء إلا فزع أهله مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحق من عند الحق، فيهبط على النبي ﷺ فيوحيه إليه.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يقول للنبي ﷺ: قل للمشركين. ثم قال: ﴿ قُلِ اللهُ وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [أي: إن الفريقين نحن وأنتم لعلى هدى أو في ضلال مبين][2] وهي كلمة مقولة عربية. هي كقول الرجل لصاحبه: إن أحدنا لصادق، يعني نفسه، وكقوله: إنَّ أحدنا لكاذب، يعني صاحبه[3]، وكان هذا بمكة وأمر المسلمين يومئذ ضعيف.

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ هو كقوله: ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود: 35] وكقوله: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 41].

قوله: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي:

(1) جاء في معاني الفراء، ج2 ص 361 ما يلي: «وقراءة مجاهد: (حتى إذا فَزَّع) يجعل الفعل لله، وأما قراءة الحسن فمعناه: حتى إذا كُشِف الفزع عن قلوبهم وفُرِّغت منه».

(2) زيادة من سح ورقة 148.

(3) اقرأ ما قاله أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 148، إذ يجعل (أَوْ) في هذه الآية بمعنى «واو الموالاة». ثم اقرأ ما قاله الفراء في المعاني، ج 2 ص 362، وكأنه يرد على أبي عبيدة في تأويله هذا، ثم يفصل القول بالأدلة من كلام العرب، وصدق.

يقضي بيننا بالحق ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ﴾ أي: القاضي ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ فلا أعلم منه.

قوله: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ﴾ أي: جعلتموهم شركاء، يعني أوثانهم يقول: أروني ما نفعوكم وأجابوكم به. ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لستم بالذين تأتون بما نفعوكم وأجابوكم به إذ كنتم تدعونهم، أي: إنهم لم ينفعوكم ولم يجيبوكم، ولا ينفعونكم ولا أنفسهم. ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ بَلْ هُوَ اللَّهُ ﴾ الذي لاشريك له، ولا ينفع ولا يضر إلا هو. ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذي ذلت له الخلائق ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي أحكم كل شيء في تفسير الحسن. وقال غيره: (الحكيم) في أمره، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: إلى جماعة الإنس وإلى جماعة الجن[1]. ﴿ بَشِيراً ﴾ أي: بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ أي: من النار ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم مبعوثون ومجازون.

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قال الله: ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾. كانوا يسألون

(1) اختلف العلماء في معنى عموم رسالة نبيّنا محمد ﷺ؛ فمنهم من يرى أنه بعث للإنس والجن أجمعين. وهذا ما ذهب إليه المؤلف هنا، وهو قول نسب إلى ابن عباس وإلى مجاهد أيضاً. ومنهم من يرى أنه أرسل للناس أجمعين، أي: عربهم وعجمهم، أحمرهم وأسودهم، إلى أن تقوم الساعة كما صحّت بذلك بعض الأحاديث. وليس في هذه الآية من سورة فاطر ما يدل على أنه بعث للجن كما بعث للناس كافة. والآيات تشير إلى عموم رسالته ﷺ وردت في القرآن بلفظ: «الناس» إلا آية الفرقان الأولى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) فقد وردت بلفظ النِّذارة لا بلفظ الرسالة. ويمكن أن يشمل لفظ العالمين عالمي الإنس والجن معاً. والقول بعموم رسالته ﷺ للناس بمعنى الإنس دون الجن لا يتنافى أبداً مع ما بينته آيات سورة الأحقاف [29 - 32] من أن نفراً من الجن صرفهم الله إلى النبي عليه السلام يستمعون القرآن، ومع ما فصّلته آيات سورة الجن الأولى من استماع نفر من الجن للقرآن وقولهم فيه إنه عجب يهدي إلى الرشد وإيمانهم به، فهذا حق لا ريب فيه.

ويعجبني ما قاله الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره، ج 14 ص 26 إذ يقول: «والتحقيق في معنى عموم إرساله وشمول بعثته هو مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس وحاجاتهم أينما كانوا، وأي زمان وجدوا، مما لم يتفق في شرع قبله قط، ولهذا ختمت النبوّات بنبوّته ﷺ».

النبي ﷺ متى هذا العذاب الذي تعدنا به، وذلك منهم استهزاء وتكذيب؛ فهذا جواب لقولهم.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَن نُّومِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ أي: لن نصدّق بهذا القرآن ﴿ وَلاَ بِالذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعنون التوراة والإنجيل لأن الله أمر المؤمنين أن يصدّقوا بالقرآن وبالتوراة والإنجيل أنها من عند الله ولا يُعمَل بما فيهما إلا ما وافق القرآن.

قال بعضهم: وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل في القرآن شيء مما ذكر في التوراة والإنجيل عَمِل به، فإذا نزل في القرآن ما ينسخه تركه. وقد نزل في القرآن شيء مما في التوراة والإنجيل ولم ينسخ في القرآن، مثل قوله: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا) أي: في التوراة (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ . . .) إلى آخر الآية [المائدة: 45] فنحن نعمل بها لأنها لم تنسخ. فجحد مشركو العرب القرآن والتوراة والإنجيل في قوله: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَن نُّومِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالذِي بَيْنَ يَدَيْهِ).

وقال الحسن: قد كان كتاب موسى حجة على مشركي العرب فقالوا: (لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ). قال الله: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) يعنون موسى ومحمداً؛ وقال سعيد بن جبير: يعنون موسى وهارون. (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) قال الله: (قُلْ) يا محمد (فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ) [القصص: 48 - 49].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركون ﴿ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ وهم السفلة ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم الرؤساء والقادة في الشرك ﴿ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُومِنِينَ ﴾.

﴿ قَالَ الذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ وهم الأتباع ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ ﴾ على الاستفهام ﴿ عَنِ الْهُدَىٰ ﴾ أي: عن الإيمان ﴿ بَعْدَ إِذْ جَـاءَكُمْ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

﴿ وَقَالَ الذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: بل مكركم بالليل والنهار، أي: كيدكم وكفركم في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أي: بل قولكم لنا بالليل والنهار[1] ﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً ﴾ أي: أعدالاً، يعني أوثانهم، عدلوها بالله فعبدوها من دونه.

قال الله: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾ في أنفسهم يوم القيامة ﴿ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ ﴾ على الاستفهام ﴿ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إنهم لا يجزون إلا ما كانوا يعملون.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أي: من نبيٍّ ينذرهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ﴿ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ أي: جبابرتها وعظماؤها، في تفسير بعضهم. والمترفون أهل السّعة والنّعمة ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـٰفِرُونَ﴾ فاتّبَعَهم على ذلك السفلة فجحدوا كلهم.

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَٰداً﴾ قالوا ذلك للأنبياء والمؤمنين، أي: يعيّرونهم بالفقر وبقلّة المال ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمن يَّشَاءُ ﴾ أي: يوسّع الرزق لمن يشاء ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتّر عليه الرزق. فأما المؤمن فذلك نظر من الله له. قال: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني جماعة المشركين لا يعلمون.

قال: ﴿ وَمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَلاَ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ يقوله للمشركين ﴿ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴾ والزلفى القربة، لقولهم للأنبياء والمؤمنين: نحن أكثر أموالاً وأولاداً منكم.

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 363: «وقوله: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) المكر ليس لليل ولا للنهار. إنما المعنى: بل مكركم بالليل والنهار. وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم، وليلك نائم، ثم نضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو في المعنى للآدميين، كما تقول: نام ليلك، وعزم الأمر، إنما عزمه القوم. فهذا مما يعرف معناه، فتوسّع به العرب».

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم[1].

قال: ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ ﴾ في إيمانه ﴿ صَـٰلِحاً ﴾ [أي: ليس القربة عندنا إلا لمن آمن وعمل صالحاً][2]. قال: ﴿ فَأُولَٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ ﴾ أي: تضعيف الحسنات. كقوله: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [الأنعام: 160] ثم أنزل بعد ذلك في المدينة: (مَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ) [البقرة: 261] ثم صارت بعد في الأعمال الصالحة كلها، الواحدة بسبعمائة.

ذكروا عن الحسن وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لأن أعلم أنه تُقُبِّلَت مني تسبيحة واحدة أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

قال بعضهم: بلغني عن سعيد بن جبير أنه قال: من كتب الله له حسنة دخل الجنة، و(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: 27].

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَـٰتِ ﴾ أي: في غرفات الجنة ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ أي: آمنون من النار ومن الموت ومن الخروج منها ومن الأحزان ومن الأسقام والأمراض.

قال: ﴿ وَالذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾ تفسير الحسن: يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم. وتفسير الكلبي: (مُعَاجِزِينَ) أي: يثبّطون الناس عن آياتنا، أي: عن الإيمان بها، أي: يجحدونها. قال: ﴿ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: مدخَلون، في تفسير الكلبي. وقال بعضهم: محضرون في العذاب، وهو واحد.

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره... (رقم 2564) وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة (رقم 4143)، كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة.

(2) زيادة من سح ورقة 151، ومن ز ورقة 278.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ وهي مثل الأولى وقد فسّرناها. ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ أي: في طاعة الله ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾. ليس يعني أنه إذا أنفق شيئاً أخلف له مثله، ولكن يقول: الخلف كله من الله أكثر مما أنفق وأقلّ، أي: ليس يخلف النفقةَ ويرزق العبادَ إلا اللهُ. وقال بعضهم: يُخلفه خيراً في الآخرة، أي: يعوّضكم منه الجنّة.

وبلغنا عن مجاهد أنه قال: لا ينفقن أحدكم كل ما في يده فيتأول هذه الآية: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ).

ذكروا عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده أنه لما تِيبَ عليه جاء بماله كله إلى النبي ﷺ صدقة، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك شطره فهو خير لك[1].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ﴾ يعني المشركين وما عبدوا ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰئِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ على الاستفهام، وهو أعلم بذلك منهم ﴿ قَالُوا ﴾ أي: قالت الملائكة ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ ينزهون الله عمّا يقول المشركون ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ أي: إنا لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا. ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ ﴾ أي: الشياطين من الجن هي التي دعتهم إلى عبادتنا ولم ندعهم إلى عبادتنا، فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم. كقوله: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) [يٓسٓ: 60]، وكقوله: (إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً) أي: شيئاً ليس فيه روح، يعني أوثانهم (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117]. قال: ﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ يعني جماعة المشركين ﴿ بِهِمْ ﴾ أي: بالشياطين ﴿ مُّومِنُونَ ﴾ أي: مصدّقون بما وسوسوا إليهم من عبادة من عبدوا فعبدوهم.

قال الله: ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا

---

(1) حديث متفق عليه، أخرجه الشيخان بلفظ: أمسك بعض مالك فهو خير لك، وانظر ما سلف، ج 2 ص 174.

ضَرّاً ﴾ أي: الشياطين والكفار ﴿ وَنَقُولُ لِلذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ وهم جميعاً قرناء في النار: الشياطين ومن أضلوا يلعن بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالُوا مَا هٰذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ أي: إلا كذب افتراه محمد. قال الله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ ﴾ أي: للقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال الله: ﴿ وَمَا ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ أي: يقرأونها، أي: بما هم عليه من الشرك. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ كقوله: (لِتُنْذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ) [القصص: 46] أي: من نذير من أنفسهم، يعني قريشاً.

قال الحسن: كان موسى حجة عليهم.

قال: ﴿ وَكَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد. ﴿ وَمَا بَلَغُوا ﴾ أي: وما بلغ هؤلاء ﴿ مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ ﴾ أي: عشر ما آتيناهم من الدنيا، يعني الأمم السالفة. وقال في آية أخرى: (كَالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً). [ذكروا عن الحسن قال: (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ) قال: ما عملوا معشار ما أمروا به][1].

قال: ﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ﴾ فأهلكتهم ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: فكيف كان عقابي؛ على الاستفهام. أي: كان شديداً. يحذّرهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بهم.

قال الله: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ أي: بلا إله إلا الله. يقوله للمشركين ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ يقول: أن تقوموا واحداً واحداً أو اثنين اثنين ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم ﴾ أي: بمحمد ﷺ ﴿ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ أي: من جنون[2] ﴿ إِنْ

(1) زيادة من سح ورقة 154.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 364: وقوله: (قُل إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) أي: يكفيني منكم أن=

هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ يعني عذاب جهنم. أي: أرسل محمداً بين يدي عذاب شديد.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى، فجمع بين أصبعه السَّبّابة والوسطى[1].

قوله: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ كقوله: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [سورة صٓ: 86] وأشباه ذلك. ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على كل شيء.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾ أي: ينزل الوحي ﴿عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴾ أي: غيب السماوات والأرض؛ غيب السماء ما ينزل منها من المطرَ وغيره، وغيب الأرض ما يخرج منها من النبات وغيره.

قوله: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾. قال بعضهم: الباطل إبليس، أي: وما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه.

قوله: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ أي: فأنتم الضالون وأنا على الهدى. وهو كقوله: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [سبأ: 24]. وقد فسّرناه قبل هذا[2].

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ تفسير عمرو عن الحسن: (إِذْ فَزِعُوا) يعني النفخة الأولى التي يميت الله بها كفار هذه الأمة (فَلَا فَوْتَ) أي: لا يفوت أحد منهم دون أن يهلك بالعذاب. ﴿ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: النفخة الآخرة. قال الحسن: وأي شيء أقرب من أن كانوا في بطن الأرض فإذا هم على ظهرها.

= يقوم الرجل منكم وحده، أو هو وغيره، ثم تتفكّروا هل جرّبتم على محمد كذباً، أو رأيتم به جنوناً. ففي ذلك ما تتيقنون أنه نبي».

(1) انظر التعليق عليه فيما سلف من هذا الجزء، ص 62.

(2) انظر ما سلف قريباً، ص 368 من هذا الجزء.

وبعضهم يقول: ﴿ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: من تحت أرجلهم.

﴿ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ﴾ أي: بالقرآن. قال الله: ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ أي: وكيف لهم تناول التوبة. ﴿ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: قد فاتهم ذلك.

ذكروا عن أبي إسحاق الهمذاني عن رجل من بني تميم عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: أنّى لهم الردّ وليس بحين الرّدّ.

ذكروا عن الحسن قال: أي: إذا خرجوا من قبورهم بعد النفخة الآخرة وأخذوا من مكان قريب.

قال: ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: كذّبوا بالبعث، وهو اليوم عندهم بعيد لأنهم لا يقرّون به.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ وهو تبع للكلام الأول: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ يعني الرد ﴿ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: من الآخرة إلى الدنيا.

وفي تفسير مجاهد: ﴿ التَّنَاوُشُ ﴾ التناول. كقوله: وقد كفروا به من قبل، فكيف لهم بالتوبة، وليس بالحين الذي تقبل فيه التوبة. ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ قال مجاهد: أي: من مال أو ولد أو زهرة.

وقال بعضهم: ﴿ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: الإيمان. أي: حيل بينهم وبين الإيمان أي: بإقامتهم على الكفر في الدنيا. فلما رأوا العذاب آمنوا، فلم يقبل منهم إيمانهم عند نزول العذاب.

قال: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ أي: كما لم تقبل من أشياعهم، أي: ممن كان على منهاجهم ودينهم: الشرك، لما كذبوا رسلهم جاءهم العذاب، فآمنوا عند ذلك، فلم يقبل منهم[1].

(1) وقع في تفسير هذه الآية اضطراب ونقص في مخطوطتي ب و ع فأثبت التصحيح والصواب من سح.

وهو قوله: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: عذابنا (قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ). قال الله: (فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: عذابنا (سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) [غافر: 84 - 85] أي: مضت في عباده المشركين، أي: إنهم إذا كذبوا المرسلين أهلكهم الله بعذاب الاستئصال.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا ﴾ أي: قبل أن يأتيهم العذاب ﴿ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة. وذلك أن جحودهم بالقيامة وبأن العذاب يأتيهم إنما ذلك ظن منهم، فهم منه في شك، ليس عندهم بذلك علم يقين.

تفسير سورة المَلاَئِكَة[1]
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ ﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمد. ﴿ فَاطِرِ ﴾ أي: خالق ﴿ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَـٰئِكَةِ رُسُلاً ﴾ أي: جعل من شاء منهم لرسالته إلى الأنبياء، وهو قوله: (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَّمِنَ النَّاسِ) [الحج: 75] قال: ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾ أي: ذوي أجنحة ﴿ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾. قال بعضهم: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة.

ذكروا عن كعب أنه قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل، وله أربعة أجنحة، جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، وقد تسرول بالثالث، والرابع بينه وبين اللوح المحفوظ؛ فإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء اللوح المحفوظ حتى يصفق جبهة إسرافيل، فيرفع رأسه فينظر، فإذا الأمر مكتوب؛ فينادي جبريل، فيلبّيه، فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا. فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء إلا فزع أهلها مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحق من عند الحق، فيهبط على النبي فيوحي إليه.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن لله نهراً في الجنة يغتمس فيه جبريل كل

(1) كذا ورد اسم السورة في ب، و ع، وسح، وز: «سورة الملٰئكة» وكذلك جاء في مجاز أبي عبيدة. وجاء في معاني الفراء، وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة باسم (فاطر) كما هو في مصاحفنا اليوم.

يوم، ثم ينتفض، فما من قطرة تقطر من ريشه إلا خلق الله منها ملكاً[1].

ذكروا عن مجاهد أنه قال: يدخل جبريل نهر النور سبعين مرة كل يوم فيغتسل فيه، ثم يخرج فينتفض فتسقط منه سبعون ألف قطرة، تعود كل قطرة ملكاً يسبح الله إلى يوم القيامة.

ذكروا عن عبد الله[2] بن عمر قال: بلغني أن في السماء ملكاً قد عظّمه الله وشرّفه، فيه ثلاثمائة وستون عيناً، بعضها مثل الشمس، وبعضها مثل القمر، وبعضها مثل الزهرة، يسبّح الله منذ خلق، كل تسبيحة تخرج من فيه ملكاً. قال: وبلغنا أن لله ديكاً براثنه في الأرض السفلى، وعنقه مثنية تحت العرش، إذا بقي الثلث الآخر من الليل خفق بجناحيه ثم قال: سبّوح قدّوس، ربّ الملائكة والرّوح، فتسمعه الديكة فتصرخ لصراخه، أو قال لصوته.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدّث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك[3]. وبلغنا أن اسمه روزفيل.

وذكر بعض أهل العلم أن ملكاً نصفه من نور، أو قال: من نار، ونصفه من ثلج، يقول: يا مؤلفاً بين الثلج والنار، أو قال: النور، ألِّف بين قلوب عبادك الصالحين.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: إن الله خلق الملائكة والجنّ والإنس فجزأهم عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الملائكة وجزء واحد منهم الجن والإنس. وجزأ

---

(1) أخرجه ابن سلام بهذا السند: «وأخبرني أبو الجارود عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ. . . وفي هذه الأخبار التي ترفع أحياناً إلى رسول الله ﷺ كثير من الإسرائيليات. وعالَم الملائكة من عوالم الغيب، فما جاء فيه آية بيّنة أو سنّة صحيحة قَبلناه، وفوضنا أمر تفاصيله إلى الله، وما ليس كذلك رفضناه ولا كرامة.

(2) كذا في ب و ع: «عبد الله»، وفي سح: «عبيد الله».

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 514.

الملائكة عشرة أجزاء تسعة منهم الكروبيون الذين يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، وجزء منهم لرسالاته ولخزائنه ولما شاء من أمره. وجزأ الجن والإنس عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الجن، والإنس جزء واحد، فلا يولد من الإنس واحد إلا وله من الجن تسعة. وجزأ الإنس عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم ياجوج وماجوج وجزء واحد سائر بني آدم.

قوله تعالى: ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ تفسير الحسن: يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء[1]. ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾ أي: ما يقسم الله من رحمة، أي: من الخير والرزق ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ أي: لا أحد يستطيع أن يمسك ما يقسم من رحمة ﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد الله، أي: لا يستطيع أحد أن يرسل ما أمسكه الله من رحمة[2] ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: إنه خلقكم ورزقكم ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: ما ينزل من السماء من المطر، وما ينبت في الأرض من النبات ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقوله للمشركين، يحتج به عليهم، وهو استفهام؛ أي: لا خالق ولا رازق غيره. يقول: أنتم تقرون بأن الله هو الذي خلقكم ورزقكم وأنتم تعبدون من دونه الآلهة. ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تصرفون عقولكم فتعبدون غير الله.

---

(1) وقال ابن عباس وغيره: «هو حسن الصوت». وقال قتادة: «الملاحة في العيون». ويعجبني ما قاله الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 596 بعد ذكر هذه الأقوال: «والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة... وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي... وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم... وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف».

(2) جاء في ع و ب، وفي سح ورقة 159 بعد قوله تعالى: (وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) ما يلي: «من بعد الله، لا يستطيع أحد أن يمسك ما يقسمه». وهذا تكرار لتفسير قوله تعالى: (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)، وهو خطأ، ولعله سهو من الناسخ الأول تبعه فيه من بعده. وقد أثبت الصواب حسبما يقتضيه المعنى الواضح من سياق الآية.

قال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾ يعزّيه بذلك ويأمره بالصبر.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أصاب أحداً من هذه الأمة من الجهد في الله ما أصابني[1]. قال: ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ أي: إليه مصيرها يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي: ما وعد الله من الثواب والعقاب ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ وهو الشيطان.

﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ يدعوكم إلى معصية الله ﴿ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ ﴾ أي: أصحابه الذين أضل ﴿ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ ﴾ أي: يوسوس إليهم بعبادة الأوثان ليكونوا من أصحاب السعير، فأطاعوه. والسعير اسم من أسماء جهنم، وهو الرابع.

قال: ﴿ الذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: جهنم، قال: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجْرٌ ﴾ أي: ثواب ﴿ كَبِيرٌ ﴾ أي: الجنة.

قال: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَناً ﴾ أي: كمن آمن وعمل صالحاً. أي: لا يستويان. وهذا على الاستفهام، وفيه إضمار. قال: ﴿ فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَّشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المشركين ﴿ حَسَرَٰتٍ ﴾ أي: لا تتحسر عليهم إذا لم يؤمنوا؛ كقوله: (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) [النحل: 127] قال: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللهُ الذِي أَرْسَلَ الرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَـٰهُ ﴾ أي: فسقنا الماء في السحاب ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ أي: ليس فيه نبات، أي: إلى أرض ميتة ليس فيها

(1) أخرجه ابن سلام بهذا اللفظ: حدثنا أبو أمية عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده ما أحد من هذه الأمة أصابه من الجهد في الله مثل الذي أصابني، كما جاء في سح ورقة 159.

نبات. لما قال: ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ قال: ﴿ مَيِّتٍ ﴾ لأن البلد مذكر، والمعنى على الأرض، وهي مؤنثة. قال: ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ أي: بالمطر ﴿ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: بعد أن كانت يابسة ليس فيها نبات. ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[1] أي: هكذا يحيون بعد الموت بالماء يوم القيامة؛ أي: يرسل الله المطر فيها كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض من الثرى. ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فينطلق كل روح إلى جسده حتى يدخل فيه، ثم يقومون فيجيبون إجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين. ذكر بعضهم قال: إن الحساب يكون عند الصخرة إلى بيت المقدس.

قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ قال بعضهم: من كان يريد العزّة فليتعزّز بطاعة الله.

وتفسير الحسن: أن المشركين عبدوا الأوثان لتعزّهم، كقوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً ﴾ [مريم: 81]. قال: من كان يريد العزة فليعبد الله حتى يعزّه.

قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ هو التوحيد ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ أي: يرفعه التوحيد. أي: لا يرتفع العمل الصالح إلا بالتوحيد، ولا التوحيد إلا بالعمل الصالح؛ كقوله: ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُومِنٌ ﴾ والإيمان قول وعمل، لا ينفع القول دون العمل[2]. ﴿ فَأُولَٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ كَانَ سَعْيُهُم

(1) في ب و ع اضطراب في تفسير قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ النُّشُورُ)، فأثبت ما رأيت أنه الصواب من سح و ز، وهذه من أمور الغيب التي لا يعلم حقيقتها، إلا الله، (عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدٌ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ).

(2) وفي تفسير مجاهد، ص 531: «(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقول: العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 367: «وقوله: (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) أي: يرفع الكلمَ الطيّبَ، يقول: يُتَقَبَّلُ الكلام الطيب إذا كان معه عمل صالح».

مَشْكُوراً ﴾ [الإسراء: 19] أي: كانوا عملهم مقبولاً، يعني من وحد الله وعمل بفرائضه.

قال: ﴿ وَالذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَـٰتِ ﴾ أي: يعملون الشرك والنفاق ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: عذاب جهنم. ﴿ وَمَكْرُ أُولَـٰئِكَ هوَ يَبُورُ ﴾ أي: وعمل أولئك هو يبور؛ أي: هو يفسد عند الله، أي: لا يقبل الله الشرك والنفاق، ولا يقبل العمل من المشرك والمنافق، أي: لا يقبل العمل إلا من المؤمنين، وقال في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 27].

قوله: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ يعني آدم خلقه من تراب ﴿ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ﴾ أي: من نسل آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجاً ﴾ يعني ذكراً وأنثى، والواحد زوج. قال: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَىٰ ﴾ [النجم: 45].

قال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ أي: هيِّن عليه.

ذكروا عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أنه قال عن عمر العبد: كتب في أول الصحيفة أجله، ثم يكتب أسفل من ذلك: مضى يوم كذا وكذا، ومضى يوم كذا وكذا، حتى يأتي إلى أجله. وقال عكرمة: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ آخَرَ يعني أن يكون عمره دون عمر الآخر.

وتفسير الحسن: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾ أي: حتى يبلغ أرذل العمر ﴿ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ أي: ولا ينقص من آخر عمر المعمَّر فيموت قبل أن يبلغ عمر ذلك المعمَّر الذي بلغ أرذل العمر ﴿ إِلاَّ فِي كِتَابٍ ﴾[1]. وبعضهم يقول: العمر ها هنا ستّون سنة.

---

(1) جاءت عبارة ب وع مضطربة فاسدة في تفسير الحسن للآية، فأثبت التصحيح من سح ورقة 161 - 162. وجاءت العبارة في ز، ورقة 280 مختصرة واضحة هكذا: «وتفسير الحسن وما يعمّر من معمّر حتى يبلغ أرذل العمر ولا ينقص من آخر عمر المعمّر فيموت قبل أن يبلغ أرذل العمر (إلاَّ فِي كِتَابٍ)».

قوله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ أي: حلو ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي: مالح مر[1]. ﴿ وَمِنْ كُلٍّ ﴾ أي: من العذب والمالح ﴿ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً ﴾ يعني الحيتان ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ يعني اللؤلؤ ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ أي: مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني طلب التجارة في البحر[2] ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: ولكي تشكروا هذه النعم.

قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ ﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لا يعدوه. ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يقوله للمشركين، يعني أوثانهم. ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ وهي القشرة، السحاءة، البيضاء التي تكون على النواة[3].

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ أي: بعبادتكم إياهم ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾. وهو الله.

قال: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمد إلى خلقه، استوجب عليهم أن يحمدوه. ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أي: يهلككم بعذاب الاستئصال ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ هو أطوع له منكم. كقوله: (إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ) [المعارج: 40 - 41]. قال: ﴿ وَمَا ذٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ أي: أن يفعل ذلك بكم.

قوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب أحد. ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ﴾ أي: من الذنوب ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ ليحمل عنها ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ

---

(1) كذا في ز ورقة 280: «مالح مرّ»، وفي سح ورقة 162: «مر»، وفي ب: «مزعق»، وفي ع: «مزعوق» وهي كلها ألفاظ متقاربة المعنى، يقال: «مرٌّ زُعَاق» أي: «لا يطاق شربه من أجوجته» كما جاء في اللسان.

(2) كذا في ب وع، وفي سح وز: «طلب التجارة في السفن».

(3) «السحا، والسحاءة، والسحاءة، والسحاية ما انقشر من الشيء كسحاءة النواة». كذا ذكره صاحب اللسان. وقال مجاهد: القطمير: لفافة النواة.

ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي: لا يحمل القريب عن قريبه شيئاً من ذنوبه ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ أي: إنما يقبل نِذارتك ﴿ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: في السّر حيث لا يطّلع عليهم أحد ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ أي: المفروضة ﴿ وَمَنْ تَزَكَّىٰ ﴾ أي: عمل صالحاً ﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴾ أي: يجد ثوابه[1]، ﴿ وَإِلَىٰ اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المرجع.

قوله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)، (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ)، ﴿ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْـوٰتُ ﴾ وهذا كله مثل للمؤمن والكافر؛ كما لا يستوي البحران العذب والمالح وكما لا يستوي الأعمى والبصير وكما لا تستوي الظلمات والنور فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر[2].

قوله: (وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ) يعني ظلّ الجنة، والحرور، يعني النار. وقوله: (وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ) الأحياء هم المؤمنون، أي: الأحياء في الدين كقوله: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً) أي: كافراً (فَأَحْيَيْنَاهُ) أي: بالإيمان [الأنعام: 123] والأموات هم الكفار، أي: أموات في الدين.

﴿ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: يهديه للإيمان ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ أي: وما أنت بمسمع الكفار، أي: هم بمنزلة الأموات من أهل القبور لا يسمعون منك الهدى سمع قبول، أي: لا يقبلون منك ما تدعوهم إليه كما أن الذين في القبور لا يسمعون.

قال: ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ أي: تنذر الناس، ليس عليك غير ذلك، والله يهدي من يشاء، أي: يمنّ عليه بالقبول لما يدعوه إليه من دين الله فيقبله.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ أي: بشيراً بالجنة

(1) كذا في ب و ع: «يجد ثوابه» وهو الصحيح، وفي سح و ز: «يجزون به».

(2) في ع و ب غموض في المعنى بسبب حذف بعض الكلمات فأثبت التصحيح من سح.

ونذيراً من النار ﴿ وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [يعني الأمم الخالية كلها قد خلت فيهم النذر][1]. وقال بعضهم: [أي: وإن من أمة ممن أهلكنا إلا خلا فيها نذير][1]. يحذّر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بهم إن كذبوا النبي ﷺ كما كذّبت الأممُ رسلَها.

قال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَـٰبِ الْمُنِيرِ ﴾. و(الزُّبُر): الكتب على الجماعة. و(البَيِّنَاتُ) في تفسير الحسن: ما يأتي به الأنبياء. (وَبِالكِتَابِ المُنِيرِ) أي: البيّن. والكتاب الذي كان يجيء به النبي منهم إلى قومه.

وتفسير الكلبي: (البَيِّنَاتِ): الحلال والحرام والفرائض والأحكام.

قال: ﴿ ثُمَّ أَخَذتُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني إهلاكه إياهم بالعذاب ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: عقابي، على الاستفهام، أي: كان شديداً.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ أي: فأنبتنا به، أي: بذلك الماء ﴿ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَنُهَـا ﴾، وطعمها في الإضمار ﴿ وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ ﴾ أي: طرائق[2] ﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَـا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ والغربيب: الشديد السواد[3]. قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال.

ثم انقطع الكلام ثم استأنف فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ وهم المؤمنون. وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: يعلمون أن الله على كل شيء قدير. وفي الآية تقديم؛ يقول: العلماء بالله هم الذين يخشون الله.

---

(1) زيادة من سح ورقة 164، ومن ز ورقة 280.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 369: «وقوله: (جدد بيض) الخطط والطرق تكون في الجبال كالعرق، بيض وسود وحمر، واحدها جُدّة.

(3) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 154: «(وَغَرَابِيبُ سُودٌ) مقدم ومؤخر لأنه يقال: أسود غربيب.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ليس العلم رواية الحديث، ولكن العلم الخشية؛ يقول: من خشي الله فهو عالم. ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ﴾ السرّ التطوّع، والعلانية الزكاة المفروضة. يستحب أن تعطي الزكاة علانية، والتطوّع سراً، ويقال: صدقة السرّ تطوّعاً[1] أفضل من صدقة العلانية. قال: ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أي: لن تفسد[2]، وهي تجارة الجنة، يعملون للجنة.

قال: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي: ثوابهم الجنة ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ أي: يضاعف لهم الثواب. وقال الحسن: تضاعف لهم الحسنات، أي: يثابون عليها في الجنة. ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴾ أي: لمن تاب ﴿ شَكُورٌ ﴾ أي: يشكر اليسير ويثيب بالكثير، أي: يقبل العمل اليسير من المؤمن ويثيبه الجنة.

قال: ﴿ وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَـٰبِ ﴾ يعني القرآن ﴿ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من التوراة والإنجيل. ﴿ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَـٰبَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾ أي: اخترنا ﴿ مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْـرَٰتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

ذكروا عن جعفر بن زيد[3] أن رجلاً بلغه أنه من أتى بيت المقدس، لم يشخصه

---

(1) كذا في ب و ع وفي سح ورقة 165. أي: صدقة التطوع سراً أفضل...

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 155: «(تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) أي: لن تكسد وتهلك. ويقال: نعوذ بالله من بوار الأيّم، ويقال: بار الطعام وبارت السوق».

(3) روى ابن سلام هذا الخبر من طريقين. فقد جاء في سح ورقة 166 ما يلي: «حدثنا الخليل بن مرة وإسرائيل بن يونس عن جعفر بن زيد العبدي. وحدثنيه النضر بن بلال عن أبان بن عياش عن جعفر بن زيد أن رجلاً بلغه، قال الخليل: لا أدري يعني نفسه، وقد كان كبيراً، أو يعني غيره، أن رجلاً بلغه أنه من أتى...».

إلا الصلاة فيه، فصلّى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه. قال: فأتيت بيت المقدس، فدخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين، ثم قلت: اللهم صُن وحدتي، وآنس وحشتي، وارحم غربتي، وسق إليّ جليساً صالحاً تنفعني به. [فبينا أنا كذلك إذ دخل شيخ موسوم فيه الخير][1]، فقام عند سارية فصلّى ركعتين، ثم جلس. فقمت إليه، ثم سلّمت عليه، ثم جلست فقلت: من أنت، يرحمك الله، فقال: أنا أبو الدرداء، فقلت: الله أكبر! قال: ما لك يا عبد الله، أذعورة[2] أنا؟ قلت: لا والله، ولكن بلغني أن من أتى هذا المسجد لم يشخصه إلا الصلاة فيه، فصلّى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. قال: الحديث كما بلغك. قلت: فجئت إلى هذا المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم قلت: اللهم صل وحدتي، وآنس وحشتي، وارحم غربتي، وسق إليّ جليساً صالحاً ينفعني. قال: فأنا أحق بالحمد منك إذ أشركني الله في دعوتك، وجعلني ذلك الجليس الصالح. لا جرم لأحدثنك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدث به أحداً قبلك ولا أحدث به أحداً بعدك.

سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا. . . ﴾ إلى آخر الآية. قال: فيجيء هذا السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، ويجيء هذا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، ثم يدخل الجنة، ويجي هذا الظالم لنفسه فيوقف ويعيّر ويوبّخ[3] ويعرّف ذنوبه ثم يتجاوز الله عنه فيدخله الجنة بفضل رحمته، فهم الذين قالوا: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الذِي

---

(1) كذا في سح ورقة 166، وهو أتمواوضح،وفي ع: «. . . تنفعني به إذ دخل رجل فقام عند سارية. . .».

(2) كذا في ب و ع، وفي سح أيضاً: «أذعورة أنا». وفي لوحة من قطع مخطوطات القيروان المصورة بدار الكتب بالقاهرة: «يا عبد الله، أذُعَرَة أنا. قلت: لست بذعرة». وفي اللسان: «رجل ذاعر، وذُعَرَة، وذُعْرَة: ذو عيب». وكأني باللفظ هنا يفيد معنى هل أنا أوحى لك بالذعر؟ هل أخيفك؟.

(3) كذا في ز ورقة 282: «يعيّر ويوبخ»، وفي ع: «يعيّر ويحزن»، وفي سح: «يعيّر ويخزي».

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ). غفر الذنب الكبير وشكر العمل اليسير، سبحانه وتعالى[1].

ذكروا عن أبي قلابة أنه تلا هذه الآية إلى قوله: (جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) فقال: دخلوها كلهم.

ذكروا عن أبي المتوكل الناجي أن حبراً من الأحبار لقي كعباً فقال: يا كعب، تركت دين موسى واتبعت دين محمد؟ فقال: بل أنا على دين موسى واتبعت دين محمد، فقال: فما حملك على ذلك؟ فقال: إني وجدت أمة محمد يقسمون يوم القيامة ثلاثة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يقول الله تبارك وتعالى لملائكته: قلبوا عبادي فانظروا ما كانوا يعملون. فيقلبونهم فيقولون: ربنا نرى ذنوباً كثيرة وخطايا عظيمة. فيقول: قلبوا عبادي فانظروا ما كانوا يعملون فيقلبونهم إلى ثلاث مرات، فيقول في الرابعة: قلبوا ألسنتهم فانظروا ما كانوا يعملون، فيقلبون ألسنتهم، وهو العالم بقولهم، فيقولون: ربنا، نراهم يخلصون لك ولا يشركون بك شيئاً. فيقول: عبادي اخلصوا لي ولم يشركوا بي شيئاً اشهدوا يا ملائكتي إني قد غفرت لعبادي وقد [2] رحمتي بالغفران لعبادي بما أخلصوا لي ولم يشركوا بي شيئاً.

ذكروا عن عقبة بن صهبان قال: سألت عائشة عن هذه الآية، فقالت: نعم، يا بنيّ، كلُّهم إلى الجنة؛ السابق من مضى على عهد رسول الله ﷺ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، والمقتصد من اتّبع أثره من أصحابه حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك. فألحقت نفسَها بنا من أجل الحدَث الذي أصابت.

---

(1) الحديث صحيح، أخرجه أحمد، وابن جرير الطبري في تفسيره، ج 22 ص 137 مختصراً، وفيه أن الرجل الذي لقي أبا الدرداء يسمى أبا ثابت. ولم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث من روى هذا الحديث مفصلاً كما رواه ابن سلام.

(2) كلمة مطموسة في ب لم أوفق لفهمها، وهي ساقطة من ع وسح وز.

ذكروا عن عمر بن الخطاب قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له بعد توبته.

ذكروا عن الحسن قال: السابقون أصحاب محمد ﷺ، والمقتصد رجل سأل عن آثار أصحاب محمد ﷺ فاتّبعهم، والظالم لنفسه منافق قُطِعَ بِه دونهم.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف: ﴿ وَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ فقال: سقط هذا، يعني ما قال الحسن: إنه المنافق.

وتفسير مجاهد: إنه منافق[1]. وقال: هي التي في سورة الواقعة، السابقون هم السابقون، يعني قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة: 10] فوصف صفتهم في أول السورة، والمقتصد أصحاب اليمين؛ وهم المنزل الآخِر في سورة الواقعة: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: 27] فوصف صفتهم. والظالم لنفسه أصحاب المشأمة.

وقال بعضهم: إن أصحاب اليمين هم الذين يحاسبون حساباً يسيراً، وهو المقتصد في حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وهم أصحاب المنزل الآخِر في سورة الرحمٰن حيث يقول: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمٰن: 62] فوصفهما. ومنزل السابقين المنزل الأول في سورة الرحمٰن: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمٰن: 46].

قوله: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ قد فسّرنا ذلك في غير هذه الآية.

قوله: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً ﴾. وقال في آية أخرى: ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: 21].

قوله: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال: دار المؤمن من درة

(1) كذا في ع و ب. وفي سح ورقة 168 إنه الجاحد والمنافق. ولم يرد في تفسير مجاهد، ص 532 لفظ الجاحد ولا المنافق. وانظر تفسير الطبري، ج 22 ص 133 - 137.

مجوّفة، في وسطها شجرة تنبت الحلل، ويأخذ بأصبعيه حلّة منظمة[1] باللؤلؤ والمرجان.

ذكروا عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: إن المرأة من نساء أهل الجنة من الحور العين لَيَكون عليها سبعون حلّة، وإنه ليُرى مخُّ ساقها من وراء ذلك كما يبدو الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

قوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[2]. وقال بعضهم: كانوا في الدنيا محزونين، كقوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور: 26] أي: خائفين. وقال بعضهم: الموت، ومنه تحزن القلوب.

قوله: ﴿ الذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ أي: إعياء.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما راحة أهل الجنة فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، وهل فيها من لغوب، كل أمرها إلى راحة[3]. فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا ﴾ أي: في الجنة، ﴿ نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً ﴾ [النبأ: 30].

---

(1) جاءت الكلمة هكذا في ع: «مبطنة»، وفي سح: «منطّقة» ولها وجه؛ أي: عليها نطاق، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 281: «منظمة»، أي: عليها نظم من اللؤلؤ والمرجان.

(2) انظر ما سلف قريباً، ص 418 من هذا الجزء، وهو يشير إلى ما ذكر في حديث أبي الدرداء عن الصنف الثالث.

(3) رواه ابن سلام بالسند التالي كما جاء في سح ورقة 169، 170: حدثنا خالد عن نفيع، مولى أم سلمة، زوج النبي ﷺ عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً... ولفظه: مه مه أوَهل فيها من لغوب، كل أمرهم راحة. وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى كما في الدر المنثور، ج 5 ص 254.

ذكروا عن ابن عمر قال: ما نزل في أهل النار آية هي أشد من هذه.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ أي: بربّه. وهو كفر دون كفر وكفر فوق كفر.

قوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ أي: في النار ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً غَيْرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ أي: أخرجنا فردنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل. قال الله: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ يعني النبي ﷺ. ذكر بعضهم قال: نزلت هذه الآية فيها ابن ثمان عشرة سنة. وكل شيء ذُكِر من كلام أهل النار فهو قبل أن يقول الله لهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108].

قوله: ﴿ فَذُوقُوا ﴾ أي: العذاب ﴿ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ وهذا ظلم الشرك وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ غيب السماوات هو ما ينزل من السماء من المطر وما فيها، وغيب الأرض ما يخرج منها من النبات وما فيها. ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾. وهو كقوله: (أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَم بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) [العنكبوت: 10] وكقوله: (وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) [التغابن: 4] وأشباه ذلك.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَكُمْ خَلَـٰئِفَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: خلفاً من بعد خلف. ﴿ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي: إنه يثاب عليه النار ﴿ وَلاَ يَزِيدُ الْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلاَ يَزِيدُ الْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَـٰوَٰتِ ﴾ أي: في خلق السماوات، على الاستفهام، أي: إنهم لم يخلقوا مع الله منها شيئاً. ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰباً ﴾ [فيما هم عليه من الشرك][1]. ﴿ فَهُمْ عَلَى بَيِّنَـٰتٍ مِّنْهُ ﴾ أي: لم يفعل ذلك. كقوله: (أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ) أي: فيما هم عليه من الشرك، (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) [الزخرف: 21]

(1) زيادة من سح ورقة 170، وفي ز ورقة 282: «بما هم عليه من الشرك».

قال: ﴿ بَلِ إِن يَّعِدِ الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: المشركون. كل هذا ظلم الشرك، وهو ظلم دون ظلم، وظلم فوق ظلم ﴿ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً ﴾ يعني الشياطين الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان والمشركين الذين دعا بعضهم بعضاً إلى ذلك.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ ﴾ أي: لئلا تزولا. ﴿ وَلَئِنْ زَالَتَا إِن أَمْسَكَهُمَا مِن أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ﴾. وهذه صفة. يقول: إن زالتا ولن تزولا[1].

ذكروا عن[2] عن الأعمش عمّن حدّثه عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً جاء إليه، فرأى عبدُ الله بن مسعود عليه أثرَ السفر، فقال له: من أين قدمت؟ قال: من الشام. قال: فمن لقيت؟ قال: لقيت فلاناً وفلاناً، ولقيت كعبَ الأحبار. قال: فما حدّثك به؟ قال: حدّثني أن السماوات تدور على منكبي مَلك. فقال عبد الله بن مسعود: ليتك افتديت من لُقِيّك إياه براحلتك ورَحلك؛ كذب كعب، إن الله يقول: (إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ وَلَئِنْ زَالَتَا إِن أَمْسَكَهُمَا مِن أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ). قال الله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ أي: حليماً لا يعجّل بالعقوبة، غفوراً لمن تاب وآمن.

قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِن إِحْدَى الأُمَمِ ﴾ كقوله: (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ) [الصافات: 168 - 169]. قال الله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ أي: الإيمان.

﴿ اِسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ وَمَكْرَ السَّيِّىءِ ﴾ يعني الشرك وما يمكرون برسول الله وبدينه. وقال في آية أخرى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا. . .) إلى آخر الآية [الأنفال: 30].

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 156: «. . . ثم جاء (وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ) مجازه: لا يمسكهما أحد. و (إنْ) في موضع آخر معناه (مَا) (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) معناه: (مَا كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ)».

(2) روى ابن سلام هذا الخبر بقوله: «أخبرني صاحب لي عن الأعمش».

قال: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ وهذا وعيد لهم. قال: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ[1] إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة الله في الأولين. كقوله: (سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) [غافر: 85] المشركين، أي: إنهم كانوا إذا كذّبوا رسلهم أهلكهم، فيؤمنون عند نزول العذاب فلا يقبل ذلك منهم.

قال: ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ أي: لا يبدّل بها غيرها ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ أي: لا تحول. وأخّر عذاب كفار آخر هذه الأمّة إلى النفخة الأولى بالاستئصال، بها يكون هلاكهم. وقد عذّب أوائل مشركي هذه الأمّة بالسيف يوم بدر.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: بلى، قد ساروا، وليتفكروا فيما أهلك الله به الأمم فليحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم. وكان عاقبة الذين من قبلهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قال: ﴿ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ ﴾ أي: ليسبقه ﴿ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: حتى لا يقدر عليه ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي: بما عملوا ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يقول: يحبس عنهم المطر، فهلك ما في الأرض من دابّة[3]. ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: الساعة التي يكون بها هلاك آخر كفّار هذه الأمة ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: الساعة ﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ لا تخفى عنه منهم خافية، أي: لا يكذب صادقاً، ولا يصدّق كاذباً ولا يقضي بباطل، سبحانه وتعالى.

---

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 362: «(فَهَلْ يَنْظُرُونَ) أي: ينتظرون، (إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ) أي: سنتنا في أمثالهم الذين كفروا كفرهم».

(2) كذا في ب و ع، وفي سح ورقة 172: «فلو تفكروا فيما أهلك الله به الأمم فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم».

(3) في ع: «يحبس عنهم المطر فتهلك كل دابة». وما أثبته من سح ومن ز أصح عبارة وأنسب.

تفسير سورة يسٓ
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ يسٓ ﴾ يقول: يا إنسان، والسين حرف من حروف الإنسان. يقول للنبي ﷺ: يا إنسان[1]. ﴿ وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ ﴾ أي: المحكم بالحلال والحرام. ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [أقسم للنبي عليه السلام بالقرآن الحكيم إنه لمن المرسلين على صراط مستقيم، أي: على دين مستقيم][2]. والصراط هو الطريق المستقيم، أي: إلى الجنة.

﴿ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ يعني القرآن هو تنزيل العزيز الرحيم، نزّله مع جبريل على محمد عليهما السلام.

قوله: ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ﴾ يعني قريشاً ﴿ مَّا أُنْذِرَ ءَابَاؤُهُمْ ﴾ قال بعضهم: لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم. وقال جماعة من أهل العلم: أي: بالذي أنذر آباؤهم. فمن قال: لم ينذر آباؤهم فهو يعني مثل قوله: (مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ) [السجدة: 3] يعني قريشاً. ومن قال: مثل الذي أنذر آباؤهم فهو يأخذها من هذه الآية: (أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ) [المؤمنون: 68] يعني من كان قبل قريش[3]. قال: ﴿ فَهُمْ

---

(1) هذا قول ابن عباس: وقال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد ﷺ. وهنالك أقوال أخرى ذكرها المفسّرون في تأويل كلمة (يسٓ) قالوا معناها: يا سيّد، يا إنسان، يا رجل، يا محمد. وقال أبو عبيدة: «مجازه مجاز ابتداء أوائل السور».

(2) زيادة من سح ورقة 172، ومن ز ورقة 282.

(3) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 272 الوجهين معاً في تأويل (مَا)، الوجه الأول أن تكون نافية، =

غَـٰفِلُونَ﴾ أي: عما جاءهم به النبي عليه السلام، أي: في غفلة من البعث.

قال: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾. يعني لقد سبق القول على أكثرهم، أي: من لا يؤمن منهم. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ أي: فهم فيما تدعوهم إليه من الهدى بمنزلة الذي في عنقه الغل، فهو لا يستطيع أن يبسط يده، أي: أنهم لا يقبلون الهدى، والمقمح، فيما ذكروا عن عبد الله بن مسعود، الذي غُلّت يده إلى عنقه. وقال بعضهم: الأذقان: الوجوه، أي: غلّت يده فهي عند وجهه. وتفسير الحسن: المقمح: الطامح ببصره الذي لا يبصر موطىء قدمه، أي: حيث يطأ؛ أي: لا يبصر الهدى. وقال مجاهد: رافعو رؤوسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم.

قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ ذكروا عن عكرمة قال: [(مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) قال: ما صنع الله فهو سَد، وما صنع ابن آدم فهو سُد][1]. وقد قالوا: (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) [فصّلت: 5] أي: فلا نبصر ما تقول.

قال: ﴿فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: الهدى. وهذا كلّه كقوله: (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً) فلا يبصر الهدى بالكفر الذي عليه. قال: (فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ) [الجاثية: 23] أي: لا أحد يهديه بعد أن يضلّه الله بفعله[2].

= والوجه الثاني أن تكون اسم موصول. وقال عن هذا الوجه الأخير: «ويقال: لتنذرهم بما أنذر آباؤهم، ثم تلقي الباء فيكون (ما) في موضع نصب كما قال: (أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [فصلت: 13]».

(1) زيادة من سح ورقة 173.

(2) ذكر الفراء سبباً لنزول هذه الآية فقال في المعاني، ج 2 ص 273: «ونزلت هذه الآية في قوم أرادوا قتل النبي ﷺ من بني مخزوم، فأتوه في مصلاه ليلاً، فأعمى الله أبصارهم عنه، فجعلوا =

وبعضهم يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ﴾ أي: ما كان عليه آباؤهم ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: من خلف آبائهم ﴿ سَدّاً ﴾ يعنيهم؛ وهو تكذيبهم بالبعث. ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ ﴾ يعني ظلمة الكفر بكفرهم، ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أي: لا يبصرون الهدى.

قوله: ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني الذين لا يؤمنون. ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ أي: إنما يقبل نِذارتك فينتذر، أي: فيتّعظ ﴿ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ كقوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ [فاطر: 18] وقوله: ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: في السرّ، فأخلص لله القول والعمل. قال: ﴿ فَبَشِّرْهُ ﴾ أي: فبشر هذا ﴿ بِمَغْفِرَةٍ ﴾ أي: لذنبه ﴿ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: وثواب كريم، وهو الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ يعني البعث ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ وهو قوله: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: 5] ﴿ مَا قَدَّمُوا ﴾ أي: ما عملوا من خير أو شر. ﴿ وَآثَارَهُمْ ﴾ أي: ما أخّروا من سنة حسنة فعمل بها من بعدهم، فإن لهم أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، أو سنة سيئة يعمل بها من بعدهم، فإن عليهم مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أيّما داع دعا إلى هدى فاتّبع عليه فإن له مثل أجر من اتّبعه ولا ينقص لهم من أجورهم شيء وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتّبع عليها كان عليه مثل وزر من اتّبعه ولا ينقص من أوزارهم شيء[1].

ذكروا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ﴿ وَآثَارَهُمْ ﴾ أي: خطوهم[2].

= يسمعون صوته بالقرآن ولا يرونه. فذلك قوله: (فَأَغْشَيْنَاهُمْ وتقرأ: (فَأَعْشَيْنَاهُمْ) بالعين، أعشيناهم عنه».

(1) انظر ما مضى في هذا الجزء، ص 299.

(2) روى الواحدي في أسباب النزول، ص 384 ما يلي: «قال أبو سعيد الخدري: كان بنو سلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا ان ينتقلوا إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ) فقال لهم النبي ﷺ: إن آثاركم تكتب، فلم تنتقلون». وعن =

وقال بعضهم: أي: ذكرهم. وقال بعض العلماء: لو أن الله مغفل شيئاً، أي: تارك شيئاً، من شأنك يا ابن آدم لأغفل هذه الآثار التي تعفوها الرياح.

قال: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: في كتاب بيِّن، وهو اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ وهي أنطاكية ﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ تفسير مجاهد فشدّدنا بثالث[1]. قال: إنه أُرسِل إليهم اثنان قبل الثالث فقتلوهما، ثم أرسل الثالث. ﴿ فَقَالُوا ﴾ يعني الأولين قبل الثالث، والثالث بعدهما. ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ وجحدوا أنهم رسل ﴿ وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِن أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴾.

قوله: ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: تشاءمنا بكم. قال بعضهم: قالوا: إن أصابنا سوء[2] فهو من قِبَلكم. ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ أي: لنقتلنكم، في تفسير الحسن. غير أن الحسن قال: لنرجمنّكم بالحجارة حتى نقتلكم. ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع، قبل أن نقتلكم.

= ابن عباس وسعيد بن جبير أنها الخطى إلى المساجد خاصة، وقد صَحَّتْ في هذا المعنى أحاديث عن النبي عليه السلام. انظر تفسير القرطبي، ج 5 ص 12.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 158: «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ» أي: قوّينا وشدّدنا. قال النمر بن تولب:

كَأَنَّ جَمْرَةَ أَوْعَزَّتْ لَهَا شَبَهاً ... بِالجِذْعِ يَوْمَ تَلاَقَيْنَا بِإِرْمَامَ

أو عزّتها: أو غلبتها. يقال في المثل: من عَزَّ بَزَّ: من قهر سلب. وتفسير «بزّ» انتزع...

(2) في ع و ب: «شؤم»، وفي تفسير الطبري، ج 22 ص 157: «شرّ». وأثبت ما جاء في سح ورقة 175: «سوء». والمعنى واحد.

﴿ قَالُوا طَـٰٓئِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ أي: عملكم معكم[1] ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ أي: ائن ذكّرناكم بالله تطيّرتم بنا، على الاستفهام. ومقرأ العامة بالتشديد: (أَئِنْ ذُكِّرتم) ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي: مشركون.

قوله: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ﴾ يعني أنطاكية ﴿ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ أي: يسرع؛ وهو حبيب النجار. ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي: خلقني ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ على الاستفهام ﴿ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ ﴾ يعني الآلهة ﴿ شَيْئاً وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ من ضرر ﴿ إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني في خسران بيّن ﴿ إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾[2].

وتفسير مجاهد غير هذا. قال مجاهد: كان رجلاً من قوم يونس وكان به جذام. فكان يطيف بآلهتهم يدعوها فلم تغن عنه شيئاً. فبينما هو يوماً كذلك إذ مرّ بجماعة فدنا منهم، فإذا نبيّ الله يدعوهم إلى الهدى؛ وقد قتلوا قبله اثنين فدنا منه. فلما سمعَ كلام النبي قال له: يا عبد الله، إن معي ذهباً فهل لك أن تأخذه مني وأتّبعك فتدعو الله أن يشفيني. قال له: اتّبعني ولا حاجة لي في ذهبك، وأنا أدعو الله لك فيشفيك. قال: فدعا الله، فبرأ. فقال: (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً) لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه، (وَهُم مُّهْتَدُونَ) وما لي لا أعبد الذي فطرني، أي: خلقني (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أي: بعد الموت (ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً) أي: لما كان يدعو آلهتهم لما به من الجذام فلم تغن عنه شيئاً (وَلَا يُنقِذُونِ) أي: من ضر. يعني الجذام الذي كان به.

---

(1) قال أبو عبيدة: «(طَائِرُكُم مَّعَكُمْ) أي: حظكم من الخير والشر». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 374: «يريد طائركم معكم حيثما كنتم، والطائر ها هنا الأعمال والرزق، يقول: هو في أعناقكم».

(2) قال أبو عبيدة: «مجازها اسمعوني، اسمعوا مني»، وقال الفراء: «أي: فاشهدوا لي بذلك يقوله حبيب للرسل الثلاثة».

(إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أي: فاسمعوا قولي، أي: فاقبلوه. ودعاهم إلى الإيمان. وليس هذا الحرف من تفسير مجاهد. فأخذه قومه فقتلوه.

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ ﴾ أي: وجبت لك الجنة. ﴿ قَالَ يَـٰلَيْـتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ فنصحهم حيّاً وميّتاً.

قال الله: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من رسالة في تفسير مجاهد. ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾. والجنـد في تفسير الحسن: الملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء، فانقطع عنهم الوحي، واستوجبوا العذاب فجاءهم العذاب.

قال الله: ﴿ إِنْ كَانَت إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ والصيحة عند الحسن: العذاب ﴿ فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾ أي: قد هلكـوا.

قوله: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ في أنفسهم ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: فيا لك حسرة عليهم؛ مثل قوله: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللهِ) [الزمر: 56] أي: في أمر الله. إذا كان القول من العباد قال العبد: يا حسرتا، وقال القوم: يا حسرتنا. وإنما أخبر الله أن تكذيبهم للرسل حسرة عليهم[1].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لا يرجعون إلى الدنيا. يعني من أهلك من الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم. يقول هذا لمشركي العرب. يقول: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ)،

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 375: «وقوله: (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) المعنى: يا لها حسرة على العباد. وقرأ بعضهم: (يا حسرةَ العبادِ) والمعنى في العربية واحد؛ والله أعلم. والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشيء آثرت النصب يقولون: يا رجلاً كريماً أقبل، ويا راكباً على البعير أقبل. وإذا أفردوا رفعوا أكثر مما ينصبون».

يحذّرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم. قال: ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[1] أي: يوم القيامة، يعني: الماضين والباقين.

قال: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ ﴾ أي: المجدبة ﴿ أَحْيَيْنَـٰهَا ﴾ أي: بالنبات يعني بالميتة الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات. فالذي أحياها بعد موتها قادر على أن يحيـي الموتى. قال: ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: ولم تعمله أيديهم، ونحن أنبتنا ما فيها وفجّرنا فيها من العيون[2]. ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ سُبْحَـٰنَ الذِي خَلَقَ الْأَزْوَٰجَ كُلَّهَـا﴾ يعني الأصناف كلها ﴿ مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي: الذكر والأنثى ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: مما خلق في البر والبحر من صغير وكبير. وهو كقوله: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 8].

قال: ﴿ وءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْـلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ أي: نذهب منه النهار ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ أي: لا تجاوزه. وهذا أبعد منازلها، ثم ترجع إلى أدنى منازلها، في تفسير الحسن، إلى يوم القيامة، ثم تكوّر فيذهب ضوءها. ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها: والشمس تجري لا مستقرّ

---

(1) وقال الفراء في ص 376 - 377: «وقوله: (وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ) شدّدها الأعمش وعاصم. وقد خففها قوم كثير منهم من قراء أهل المدينة، وبلغني أن علياً خفّفها. وهو الوجه؛ لأنها (ما) أدخلت عليها لام تكون جواباً لأن، كأنك قلت: وإنْ كُلٌّ لَجميع لدينا محضرون، ولم يثقلها من ثقلها إلا عن صواب...».

(2) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 365: «أي: وليأكلوا مما عملته أيديهم». وزاد الطبري وجهاً آخر لإعراب (ما) فقال في تفسيره، ج 23 ص 4: «ولو قيل: (ما) بمعنى المصدر كان مذهباً، فيكون معنى الكلام: ومِنْ عَمَلِ أيديهم. ولو قيل: إنها بمعنى الجحد، ولا موضع لها، كان أيضاً مذهباً، فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم». وهذا الوجه الأخير هو الذي أورده المؤلف هنا، وهو أولى بالاعتبار حتى يستشعر الإنسان سبوغ نعم الله عليه فيقابل ذلك بالشكر والحمد.

لها، وهو كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: 33] قال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي: يزيد وينقص، وفي تفسير الكلبي: يجري في منازله[1]. قال الحسن: لا يطلع ولا يغيب إلا في زيادة ونقصان. ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أي: كعذق النخلة اليابس، يعني إذا كان هلالاً[2].

قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أي: لا يجتمع ضوءهما، في قول مجاهد، يقول: ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل لا ينبغي لهما أن يجتمع ضوءهما.

وفي تفسير الكلبي: لا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل فتكون مع القمر في سلطانه. وقال الحسن: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ليلةالهلال خاصة؛ لا يجتمعان في السماء، وقد يُرَيان جميعاً ويجتمعان في غير ليلة الهلال؛ وهو كقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: 2] أي: إذا تبعها ليلة الهلال.

ذكروا عن بعض أهل التفسير قال: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي: يتلوها صبيحة الهلال. وبعضهم يقول: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أي: صبيحة ليلة البدر، أي: يبادر فيغيب قبل طلوعها.

---

(1) جاءت العبارة ناقصة في ع، ومضطربة مطموسة في سح، وهي أوضح في زورقة 284: «أي: يجري على منازله، لا يزيد ولا ينقص».

(2) كذا في المخطوطات كلها، وهو الصحيح، فإن لفظ الهلال يطلق أحياناً أيضاً على القمر إذا كان في أواخر منازله ليلة سبع وثمان وعشرين، قبل أن يستسرّ، وهو المراد باللفظ هنا، يدلّ على ذلك لفظ: (عَادَ). وحقيقة العرجون ما ذكره اللغويون: (عُود الكِبَاسَة) أي: العود من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ». قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، ص 317: «والعرجون، إذا يبس دقّ واستقوس حتى صار كالقوس انحناءً، فشُبِّه القمر به ليلة ثمانية وعشرين». وانظر تفسير الطبري، ج 23 ص 6. أما أبو عبيدة فشرح العرجون بقوله: «هو الإهان، إهان العذق الذي في أعلاه العثاكيل، وهي المشاريخ». والمعنى واحد.

قال: ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ أي: يأتي عليه النهار فيذهبه. كقوله: (يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً) [الأعراف: 54][1].

ذكروا أن أناساً من اليهود قالوا لعمر بن الخطاب: تقولون: جنة عرضها السمٰوات والأرض، فأين تكون النار؟ فقال: أرأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل، وإذا جاء الليل أين يكون النهار. يفعل الله ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ أي: الشمس والقمر، بالليل والنهار يَسبَحون، أي: يدورون، في تفسير مجاهد، كما يدور فلك المغزل.

وقال الحسن: الفلك طاحونة مستديرة كفلكة المغزل بين السماء والأرض، تجري فيها الشمس والقمر والنجوم، وليست بملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت.

وقال الكلبي: (يَسْبَحُونَ) أي: يجرون. وذكر بعضهم فقال: إن السماء خلقت مثل القبّة، وإن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء ملتزق بالسماء، وإنما تجري في فلك دون السماء.

قوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ يعني نوحاً وبنيه الثلاثة: سام وحام ويافث؛ منهم ذرية الخلق بعدما غرق قوم نوح. والمشحون: الموقَر بحمله مما حمل نوح معه في السفينة. قال: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ ﴾ أي: من مثل الفلك ﴿ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ يعني الإبل. ويقال: إنها سُفُن البَرّ. وقال في آية أخرى: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) [الزخرف: 12].

قال: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ أي: فلا مغيث لهم[2] ﴿ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ أي: من العذاب ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى يوم القيامة،

(1) في رواية هذه الأقوال بعض التكرار وبعض الاضطراب في ب و ع؛ والتصحيح من سح ومن ز.

(2) كذا في المخطوطات، وهو ما ذكره أبو عبيدة أيضاً: «لا مغيث لهم». وقال الفراء: «الصريخ: الإغاثة». وانظر اللسان: (صرخ).

ولم نهلكهم بعذاب الاستئصال، وسيهلك كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ أي: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من وقائع الله بالكفّار، أي: لا ينزل بكم ما نزل بهم. (وَمَا خَلْفَكُمْ) عذاب الآخرة بعد عذاب الدنيا. يقوله النبي عليه السلام للمشركين. وهذا تفسير الحسن.

وقال الكلبي: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ): من أمر الآخرة، اتّقوها واعملوا لها، (وَمَا خَلْفَكُمْ) الدنيا إذا كنتم في الآخرة، فلا تغترّوا بها، أي: بالدنيا، فإنكم لتأتون الآخرة.

وقال مجاهد: اتّقوا ما بين أيديكم وما خلفكم من الذنوب.

قال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: لكي ترحموا.

قوله: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ تفسير الحسن: ما يأتيهم من رسول.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللهُ ﴾ وهذا تطوّع ﴿ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ ﴾ فإذا لم يشأ الله أن يطعمه لم نطعمه ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ ﴾ يقوله المشركون للمؤمنين.

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ ﴾ أي: هذا العذاب ﴿ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: يكذّبون به.

قال الله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ ﴾ أي: ما ينتظر[1] كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ أي: النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم ﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [أي: يختصمون][2] في أسواقهم يتبايعون، يذرعون

(1) في ع وسح: ما ينظر. وأثبت ما جاء في ز ورقة 284 وهو الصحيح لأن النظر هنا بمعنى الانتظار.

(2) زيادة من ز، ورقة 284.

الثياب، ويخفض أحدهم ميزانه ويرفعه، ويحلبون اللّقاح، وغير ذلك من حوائجهم.

ذكر أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه، فما يطويانه حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتقوم الساعة والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمة إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم الساعة[1].

قال بعض أهل العلم: قضى الله ألا تأتيكم الساعة إلا بغتة، يعني قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف: 187].

قوله: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ أي: أن يوصوا ﴿ وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: من أسواقهم وحيث كانوا، أخذتهم فلا يرجعون.

قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ فهذه النفخة الآخرة، والصور قرن ينفخ فيه.

ذكروا عن سليمان التيمي عن أسلم العجلي عمن حدّثه عن رجل من أصحاب النبي عليه السلام قال: سئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: هو قرن ينفخ فيه[2].
وذكر بعضهم قال: ونفخ في الصور، أي: في الخلق.

ذكروا عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال: تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها، ويقومون.

قال: ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ أي: فإذا هم من القبور إلى ربهم يخرجون، يعني جميع الخلق.

---

(1) رواه ابن سلام عن عثمان عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق، ومسلم في كتاب الفتن، وانظر ما سلف، ج 2 ص 63.

(2) أخرجه ابن سلام بهذا السند هكذا: «عاصم بن حكيم عن سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الصور. . . كما جاء في سح ورقة 180.

﴿ قَالُوا يَـوَيْلَنَـا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [قال بعضهم: تكلّم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان. قال أهل الضلالة: (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا)][1]. قال المؤمنون: ﴿ هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن عن أبي بن كعب مثل ذلك.

ذكروا عن زيد بن أسلم قال: قال الكافر: (مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا). قالت الملائكة: (هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ).

وقال بعضهم يقول: هم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد.

قولهم: (مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) هو ما بين النفختين لا يعذّبون في قبورهم ما بين النفختين. ويقال: إنها أربعون سنة؛ فلذلك قالوا: (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا). وذلك أنه إذا نفخ في الصور النفخة الأولى قيل له: اخمد، فيخمد إلى النفخة الآخرة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون الأولى يميت الله بها كل شيء، والآخرة يحيـي الله بها كل ميت[2]. وبلغنا عن عكرمة قال: النفخة الأولى من الدنيا، والنفخة الثانية من الآخرة. وقال الحسن: القيامة اسم جامع يجمع النفختين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يعني ما كانت إلا صيحة واحدة. ﴿ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ ﴾ أي: المؤمنون والكافرون جميعاً ﴿ لَّـدَيْنَا ﴾ أي: عندنا ﴿ مُحْضَرُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ يقوله يومئذ ﴿ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

---

(1) سقط ما بين المعقوفين من ب و ع فأثبته من ز ورقة 284 ومن سح ورقة 181.

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 348.

فأخبر بمصير أهل الإيمان وأهل الكفر فقال: ﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ ﴾ يعني في الآخرة ﴿ فِي شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴾ قال بعضهم: (فِي شُغُلٍ) في افتضاض العذارى. قال: (فَاكِهُونَ) أي: مسرورون في تفسير الحسن. وبعضهم يقول: معجبون.

قوله: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَـٰلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ أي: على السرر في الحجال ﴿ مُتَّكِئُونَ ﴾ بلغنا أن أحدهم يعطى قوة مائة رجل شاب في الشهوة والجماع، وأنه يفتض في مقدار ليلة من ليالي الدنيا مائة عذراء بذكر لا يملّ ولا ينثني، وفرج لا يحفى، ولا يُمنى في شهوة أربعين عاماً.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ[1]: إن أهل الجنة يدخلونها كلهم نساؤهم ورجالهم من عند آخرهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة على طول آدم، طوله ستون ذراعاً، الله أعلم بأي ذراع هو [جُرداً مُرداً مكحّلين][2] يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون، والنساء عرباً أتراباً لا يحضن ولا يبلن ولا يقضين حاجة فيها قذر.

قال: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ أي: ما يشتهون. يكون في في أحدهم الطعام فيخطر على باله طعام آخر فيتحول ذلك الطعام في فيه على ما اشتهى. ويأكل من ناحية من البسرة بسراً، ثم يأكل من ناحية أخرى عنباً إلى عشرة ألوان أو ما شاء الله من ذلك. ويصف الطير بين يديه، فإذا اشتهى الطائر منها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجاً، نصفه شواء ونصفه قدير، وكل ما اشتهت أنفسهم وجدوه، كقوله: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ) [الزخرف: 71][3].

---

(1) رواه ابن سلام هكذا: خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ...

(2) زيادة من سح، ورقة 182.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 164: «(ما يَدَّعُونَ) أي: ما يتمنون. تقول العرب: ادَّعِ عليَّ ما شئت. أي: تَمَنَّ عليَّ ما شئت».

قوله عز وجل: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ قال بعضهم: يأتي الملك من عند الله إلى أحدهم فلا يدخل عليه حتى يستأذن عليه، يطلب الإذن من البواب الأول فيذكره للبوّاب الثاني، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه، فيقول له البواب: ملك على الباب يستأذن، فيقول: ائذن له؛ فيدخل بثلاثة أشياء: بالسلام من الله، وبالتحفة والهدية، وبأن الله عنه راض. وهو قوله: (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً) [الإنسان: 20].

قوله: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون، أي: تمايزوا عن أهل الجنة إلى النار. وقال بعضهم: عزلوا عن كل خير.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ ﴾ أي: إنهم عبدوا الأوثان بما وسوس إليهم الشيطان، فأمرهم بعبادتهم، فإنما عبدوا الشيطان. قال: ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

قال: ﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي ﴾ أي: لا تشركوا بي شيئاً ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: هذا دين مستقيم. والصراط الطريق السهل إلى الجنة.

قال: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً ﴾ أي: خلقاً كثيراً، أضل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال: ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾. وأخبر عنهم فقال في آية أخرى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) أي: لو كنا نسمع أو نعقل لآمنا في الدنيا فلم نكن من أصحاب السعير. قال الله: (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) [الملك: 10 - 11].

قوله: ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ أي: في الدنيا إذا لم تؤمنوا ﴿ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ الْيَوْمَ ﴾ يعني في الآخرة ﴿ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: يعملون.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: قالوا والله ما كنا مشركين، فختم الله على

أفواههم، ثم قال للجوارح: انطقي، قال: إن أوّلَ ما يتكلم من أحدهم فخذه. قال الحسن [بن دينار: نسيت][1] اليسرى قال أم اليمنى. وتفسير الحسن: إن هذا آخر مواطن يوم القيامة، فإذا ختمت أفواههم لم يكن بعد ذلك إلا دخول النار.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾[2] يعني المشركين ﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: لو نشاء لأعميناهم فاستبقوا الصراط، أي: الطريق، (فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ) أي: فكيف يُبْصِرون إذا أعميناهم.

قال: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَـٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ أي: لو نشاء لأقعدناهم على أرجلهم[3]. ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: إذا فعلنا ذلك بهم لم يستطيعوا أن يتقدّموا ولا يتأخّروا.

قال: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ ﴾ أي: إلى أرذل العمر. ﴿ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ فيكون بمنزلة الصبيّ الذي لا يعقل. وهو كقوله: (وَمِنْكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً) [الحج: 5] قال: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين. أي: فالذي خلقكم، ثم جعلكم شبّاناً، ثم جعلكم شيوخاً، ثم نكسكم في الخلق فردّكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل قادر على أن يبعثكم يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ الشِّعْرَ ﴾ يعني النبي عليه السلام ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أي: أن يكون شاعراً ولا يروي الشعر.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: لم يتكلم رسول الله ﷺ ببيت شعر قط؛ غير أنه

(1) زيادة من سح ورقة 184 لتستقيم العبارة. وقد ورد الخبر بهذا السند: حدثنا الحسن بن دينار عن حميد بن هلال عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال...

(2) قال أبو عبيدة في تفسير الآية: «يقال أعمى طَمِس ومطموس، وهو أن لا يكون بين جفني العين غَرّ، وهو الشقّ بين الجفنين، والريح تطمس الأثر فلا يُرى، والرجل يطمِس الكتاب».

(3) كذا ورد في المخطوطات ب وع وز وسح، وهو قول للحسن وقتادة، وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 165: «على مكانتهم: المكان والمكانة واحد».

أراد أن يتمثّل ببيت شاعر بني فلان فلم يُقِمه. قال بعضهم: أظنّه الأعشى، وبعضهم يقول: طرفة بن العبد.

ذكروا عن أبان العطار أو غيره أن رسول الله ﷺ قال: قاتل الله طرفة حيث يقول:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَـأْتِيـكَ من لم تـزوّد بـالأخبـار

فقيل له: إنه قال: وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَن لَّمْ تُزَوِّدِ فقال: هذا وذاك سواء[1].

وقال بعضهم: هو شعر لعباس بن مرداس[2] تمثل ببيت منه فلم يُقِمه. وهو قوله:

أَتَجْعَلَ نَهْبِي وَنَهْبَ العُبَيْـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ

فقال النبي عليه السلام: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة. فقال له أبو بكر: بين عيينة والأقرع. فقال النبي عليه السلام: هذا وذاك سواء. فلم ينطق لسانه بالشعر. وأداره مراراً فلم ينطق به. فأنزل الله: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أي: أن يكون شاعراً.

---

(1) روى أحمد في مسنده هذا الخبر عن عائشة رضي الله عنها، وزاد السيوطي في الدر المنثور، ج 2 ص 268 روايته من طريق ابن أبي شيبة عن عائشة أيضاً «قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل ببيت طرفة. ولم أجد في هذا الخبر عبارة «قاتل الله طرفة» إلا عند ابن سلام في سح ورقة 185. وجاء في بعض كتب التفسير والحديث أن رسول الله ﷺ قال: إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي. أما بيت طرفة فهو من معلقته الشهيرة، البيت 118 من رواية أبي زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب، ج 1 ص 423.

(2) هو أبو الفضل عباس بن مرداس السلمي، من المؤلفة قلوبهم، وقد مدح الرسول ﷺ بقصائد جياد بعدما أسلم وحسن إسلامه. انظر قصّة عطاء الرسول ﷺ إياه من غنائم حُنين، ولما استقله عباس أنشد أبياتاً أرضاه الرسول ﷺ بعدها، انظر تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام، ج 4 ص 494.

قال: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعني ما هو ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ يذكرون به الجنة[1]. وقال بعضهم: إن هو إلا تفكر[2] في ذات الله. ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن.

﴿ لِّيُنذِرَ ﴾ أي: من النار. وتقرأ بالتاء والياء. فمن قرأها بالياء فهو يعني لينذر القرآن، ومن قرأها بالتاء فهو يعني لتنذر يا محمد ﴿ مَنْ كَانَ حَيّاً ﴾ أي: مؤمناً، وهو الذي يقبل نذارتك. ﴿ وَيَحِقَّ الْقَوْلُ ﴾ أي: الغضب ﴿ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ أي: بقوتنا في تفسير الحسن. كقوله: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيـدٍ) [الذاريات: 47] أي: بقوة ﴿ أَنْعَـٰماً فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾ أي: ضابطون ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم والدواب والخيل والبغال والحمير. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ أي: من الإبل والخيل والبغال والحمير. ﴿ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ أي من الإبل والبقر والغنم، وقد يرخّص في الخيل.

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنهم أكلوا يوم خيبر الحمير والبغال والخيل، فنهى رسول الله ﷺ عن الحمير والبغال ولم ينه عن الخيل. وذكروا عن عطاء عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ[3].

قال: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ ﴾ أي: في أصوافها وأوبارها وأشعارها ولحومها ﴿ وَمَشَارِبُ ﴾ أي: يشربون من ألبانها. ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ أي: فليشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي: يمنعون كقوله:

---

(1) قال الطبري في تفسيره، ج 23 ص 27: «ما هو إلا ذكر، يعني بقوله: (إِنْ هُوَ) أي: إن محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكّركم الله بإرساله إياه إليكم ونبّهكم به على حظّكم. (وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين...».

(2) كذا في ب وفي ز ورقة 285: «تفكر»، وفي سح: «تذكر»، والأول أنسب.

(3) رواه ابن سلاّم بهذا السند في سح ورقة 185: «حدثنا الفرات بن سلمان عن عبد الكريم عن عطاء عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا...».

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً) [مريم: 81] قال: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ أي: لا تستطيع آلهتهم نصرهم ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ أي: معهم في النار.

قوله: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ أي: إنك شاعر وإنك ساحر وإنك كاهن وإنك مجنون وإنك كاذب ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ أي: من عداوتهم لك ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من كفرهم بما جئتهم به، فنعصمك منهم ونذلّهم لك. ففعل الله ذلك بهم.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ أي: وقد علم أنا خلقناه، أي: فكما خلقناه فكذلك نعيده. ﴿ قَالَ: مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ أي: وهي رفات.

ذكروا عن مجاهد قال: أتى أبيّ بن خلف إلى النبي ﷺ بعظم نخر ففتّه بيده فقال: يا محمد، أيحيي الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم ويحييك الله بعد موتك ثم يدخلك النار[1]. فأنزل الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا ﴾ أي: خلقها ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ وهو كقوله: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) [الملك: 14] أي: بلى.

قال: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾. فكل عود يُزنَد منه النار فهو من شجرة خضراء.

قال: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾.

قال: ﴿ فَسُبْحَانَ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ تفسير الحسن: ملك كل شيء، وبعضهم يقول: خزائن كل شيء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة.

---

(1) رواه ابن سلام عن المعلى عن أبي يحيى عن مجاهد، وأخرجه ابن جرير الطبري عن مجاهد وعن قتادة مرسلاً. ورواه الواحدي في أسباب النزول ص 385 عن أبي مالك، وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي عن أبي مالك أيضاً. وانظر الدر المنثور، ج 5 ص 269.

تفسير سورة الصَّافَّات
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿وَالصَّٰفَّٰتِ صَفّاً﴾ يعني صفوف الملائكة[1] ذكروا عن عطاء قال: ليس في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد.

ذكروا عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول الله ﷺ: أطّت السماء، أي: صوّتت، وحقّ لها أن تئط، ليس فيها موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد[2].

قال: ﴿ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْراً ﴾ أي: الملائكة تزجر السحاب، منهم صاحب الصور. قال في آية أخرى: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ) [النازعات: 13] قال:

﴿ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْراً ﴾ يعني الملائكة تتلو الوحي الذي تأتي به الأنبياء. أقسم بهذا كله. ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ﴾. ذكر بعضهم فقال: لها ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً. وقال بعضهم: هي

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 166: «والصافات»، كل شيء بين السماء والأرض لم يضم قتريه [أي: قطريه] فهو صاف».

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 70.

(3) المعنى أعم من ذلك. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج 23 ص 84: والمراد به: تسخير الملائكة المخلوقات التي أمرهم الله بتسخيرها خلقاً أو فعلاً، كتكوين العناصر، وتصريف الرياح، وإزجاء السحاب إلى الآفاق».

ثمانون ومائة منزلة، تطلع كل يوم في منزلة، حتى تنتهي إلى آخرها، ثم ترجع في تلك الثمانين ومائة، فتكون ثلاثمائة وستين، فهي كل يوم في منزلة.

وقال بعضهم في قوله: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمٰن: 17] قال: لها مشرق في الشتاء ومشرق في الصيف، ومغرب في الشتاء ومغرب في الصيف. وقوله: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [المزمل: 9] أي: ربّ المشرق كله وربّ المغرب كله.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً ﴾ أي: وجعلناها، أي: الكواكب، حفظاً للسماء. ﴿ مِّنْ كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ أي: مرد على المعصية، أي: اجترأ على المعصية، وهم سراة إبليس.

﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ ﴾ أي: لئلا يسمعوا ﴿ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ ﴾ يعني الملائكة في السماء، وكانوا يسمعون قبل أن يبعث النبي ﷺ أخباراً من أخبار السماء. أما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، فلما بعث النبي عليه السلام مُنِعوا من تلك المقاعد. قال: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿ وَيُقْذَفُونَ ﴾ أي: ويرمون ﴿ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ أي: من كل مكان ﴿ دُحُوراً ﴾ أي: طرداً، يطردون عن السماء.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث النبي ﷺ ما نرى نجماً يُرمى به، فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رُمي بها، فقلنا: ما هذا إلا أمر حدث؛ فجاءنا أن النبي ﷺ قد بعث، فأنزل الله في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾ [الجن: 9].

قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ أي: دائم. ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ رجع إلى الكلام الأول: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ ﴾ إلا من خطف الخطفة، أي: استمع الاستماعة كقوله: ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر: 18] قال: ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ أي: مضى.

ذكروا عن بعضهم قال: ثقوبه ضوءه. ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

قال: إذا رأيتم الكوكب قد رمي به فتواروا فإنه لا يخطىء، وهو يحرق ما أصاب ولا يقتل. وتفسير الحسن: إنه يقتله في أسرع من الطرف.

ذكروا عن محمد بن سيرين عن رجل قال: كنا مع أبي قتادة على سطح فانقض كوكب فنهانا أبو قتادة أن نتبعه أبصارنا.

ذكروا عن عمرو قال: سأل حفص الحسن: أأتبع بصري الكوكبَ فقال: قال الله: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: 5] وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 185] كيف نعلم إذا لم ننظر إليه. لأتبعنّه بصري.

قوله عز وجل: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَهُم أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا ﴾ يعني السماء في تفسير مجاهد. وقال الحسن: أم السماء والأرض. وقال في آية أخرى: ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَيهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَيهَا ﴾ [النازعات: 27 - 30] وقال: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: 57] يقول: فاسألهم، على الاستفهام، أي: فحاجّهم بذلك، ﴿ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ ﴾؛ في قول مجاهد. وفي قول الحسن: أم السماء والأرض. أي: إنهما أشد خلقاً منهم.

قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ واللازب: الذي يلصق باليد، في تفسير بعضهم. واللاصق واللازق واحد. وهي لغة. وقال مجاهد: لازب أي: لازم، وهو واحد. وهو الطين الحرّ في تفسير بعضهم، يعني خلق آدم. وكان أول خلقه تراباً، ثم كان طيناً. قال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ [غافر: 67]، وقال: ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمٰن: 14]، وهو التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة. وقال: ﴿ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ وقال: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26، و 28، و 33] يعني الطين المنتن.

قوله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ يا محمد أن أعطيت هذا القرآن ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ هم، يعني المشركين[1]. ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَا يَذْكُرُونَ ﴾ قال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا

(1) (بَلْ عَجِبْتَ) بالنصب، وهي قراءتنا، كما أثبتها المؤلف هنا، وقال الفراء في المعاني، ج 2 =

ءَايَةً ﴾ أي: وإذا تليت عليهم آية ﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ أي: من السخرية.

﴿ وَقَالُوا إِنْ هٰذَا ﴾ يعنون القرآن ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن أنه سحر. ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَءَابَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ قالوا هـذا على الاستفهام. وهذا استفهام على إنكار، أي: لا نبعث ولا آباؤنا الأولون.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ نَعَمْ ﴾ تبعثون جميعاً ﴿ وَأَنتُمْ دٰخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون. قوله: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَّاحِدَةٌ ﴾ أي: النفخة الآخرة ﴿ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: قد خرجوا من قبورهم ينظرون.

﴿ وَقَالُوا يٰوَيْلَنَا هٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أي: يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم. ﴿ هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: يوم القضاء، يقضي فيه بين المؤمنين والمشركين، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

قوله: ﴿ احْشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوٰجَهُمْ ﴾ أي: سوقوا الذين أشركوا وأزواجهم، أي: وأشكالهم. [وقال بعضهم: (وَأَزْوَاجَهُمْ) أي: وقرناءهم من الشياطين][1] ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرٰطِ الْجَحِيمِ ﴾.

ذكروا عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) [التكوير:7] قال: يزوّج كل إنسان نظيره من النار، ثم تلا هذه الآية: (احْشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ) أي: فادعوهم (إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ).

تفسير الحسن: أن كل قوم يلحقون بصنفهم. (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) في تفسير الحسن، بمعنى الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، وإنما عبدوا الشياطين.

= ص 384: إن القراءة بالرفع أحبّ إليه لأن علياً وابن مسعود وابن عباس قرأوا برفع التاء، وشرح الفراء وجه هذه القراءة.

(1) زيادة من سح، ورقة 192.

وقال الكلبي: (احْشُرُوا الذِين ظَلَمُوا) أي: اشركوا، (وَأَزْوَاجَهُمْ) أي: ومن عمل بأعمالهم من بني آدم.

قوله: (فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الجَحِيمِ) أي: إلى طريق الجحيم. والجحيم اسم من أسماء جهنم، وهو الباب الخامس، وإنما أبوابها سبعة: جهنم، وهو الباب الأعلى، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم سقر، ثم الهاوية، وهي الدرك الأسفل من النار، وجهنم اسم جامع لتلك الأبواب. قال: (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) [النحل: 29] وكل باب منها هو النار، الأعلى جهنم، ثم لظى، والنار كلها لظى. قال: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ) [الليل: 14] أي: تأجج. ثم الحطمة، والنار كلها حطمة، أي: تحطم عظامهم وتأكل كل شيء منهم إلا الفؤاد. قال: (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) [الهمزة: 4] ثم السعير، والنار كلها سعير، تسعر عليهم، قال: (وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) [النساء: 10] ثم الجحيم، والنار كلها جحيم، قال: (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ) [الصافات: 97] أي: في النار. ثم سقر، والنار كلها سقر. قال (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) [المدثر: 26 - 28] فكذلك تفعل تلك الأبواب كلها بهم، لا تبقي أجسادهم حين يدخلونها ولا تذر، أي: حين يجدّد خلقهم حتى تأكل أجسادهم، وهو قوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء:56]، ثم الهاوية، والنار كلها هاوية، يهوون فيها. قال: (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) [القارعة:9]، غير أن هذه الأنواع التي وصف بها النار لكل باب من أبوابها اسم من تلك الأنواع سمّيت به، ولكل قوم من أهل النار منزل من تلك الأبواب التي سمّيت بهذه الأسماء.

قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ أي: احبسوهم، وهذا قبل أن يدخلوا النار. ﴿ إِنَّهُم مَسْئُولُونَ ﴾ أي: عن لا إله إلا الله. ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أي: لا ينصر بعضكم بعضاً.

قال الله: ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ أي: استسلموا.

قال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أي: الإنس والشياطين ﴿ قَالُوا ﴾ أي: قالت الإنس: ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾. قال مجاهد: أي: من قبل الدين، فصددتمونا عنه، وزيّنتم لنا الضلالة في تفسير الكلبي. وقال بعضهم: (عَنِ الْيَمِينِ) أي: من قبل الخير فتثبطوننا عنه، وهو واحد[1].

﴿ قَالُوا ﴾ أي: قالت الشياطين للمشركين من الإنس: ﴿ بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَـٰنٍ ﴾ كقوله: (فَإِنَّكُمْ) يا بني إبليس، (وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِين) أي: لستم بمضلي أحد (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) [الصافّات: 161 - 163] [وقال بعضهم: (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ) أي: من ملك فنقهركم به على الشرك][2] ﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَـٰغِينَ ﴾ تقوله الشياطين للمشركين. ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ أي: العذاب، ﴿ فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ ﴾ أي: فأضللناكم، يقوله الشياطين للمشركين. ﴿ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ ﴾ أي: إنا كنا ضالّين.

قال الله: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أي: يقرن كل واحد منهم هو وشيطانه في سلسلة واحدة. قال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: بالمشركين.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي[3]: عنها ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَءِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ يعنون النبي عليه السلام. أي: لا نفعل.

قال الله: ﴿ بَلْ جَاءَ ﴾ يعني محمداً ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالتوحيد ﴿ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ قبله. ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ أي: الموجع، يقوله للمشركين، يعني عذاب جهنم. قال: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

---

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 384 في تفسير الآية: «يقول: كنتم تأتوننا من قبل الدين، أي: تأتوننا تخدعوننا بأقوى الوجوه. واليمين: القدرة والقوة».

(2) زيادة من سح، ورقة 193 - 194.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 168: «مجازها: إذا قيل لهم قولوا لا إلّه إلا الله».

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثنى المؤمنين، وهم من كل ألف واحد. ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أي: الجنة؛ ﴿ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ أي: يكرمون فيها. ﴿ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴾ الناعمة. ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ والسرر مرمولة[1] بالذهب وبقضبان اللؤلؤ الرطب. (مُتَقَابِلِينَ) أي: لا ينظر بعضهم إلى بعض. قال بعضهم: ذلك في الزيادة إذا تزاوروا.

قال: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ ﴾ وهي الخمر ﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ والمعين الجاري الظاهر. ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ يعني الخمر ﴿ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ أي: ليس فيها وجع بطن[2] ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ أي: إذا شربوها لا تذهب عقولهم، أي: لا يسكرون[3].

قال: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم ﴿ عِينٌ ﴾ أي: عظام العيون. الواحدة منها عيناء، والعِين: جماعتهن، نسبن إلى عظم العيون. قال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ أي: لم يمرث ولم تمسّه الأيدي. وبعضهم يقول: هي القشرة الداخلة، وبعضهم يقول: يعني بالبَيض اللؤلؤ، كقوله: (وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [الواقعة: 22 - 23] أي: في أصدافه.

قوله: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يعني أهل الجنة.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ أي: صاحب في الدنيا ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ

---

(1) في ب و ع: «مزينة». وأثبت ما جاء في سح ورقة 194: «مرمولة» وهي أفصح. يقال: رمل السرير والحصير يرمله رملًا: زينه بالجوهر ونحوه». انظر اللسان: (رمل).

(2) في ع: «وجع يضر»، وفي ب وسح: «وجع بطن»، وهو قول مجاهد كما جاء في تفسيره، ص 451. وقال الفراء: «ليس فيها غيلة وغائلة وغُول وغَول». وقال أبو عبيدة: «والغول أن تغتال عقولهم. قال الشاعر:

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول»

(3) وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 370: «(وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) أي: لا تذهب خمرهم وتنقطع، ولا تذهب عقولهم. يقال: نُزِفَ الرجلُ: إذا ذهب عقله، وإذا نفد شرابه».

لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ على الاستفهام ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي: أإنا لمحاسبون قال بعضهم: هما اللذان في سورة الكهف في قوله: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِن أَعْنَابٍ...) إلى آخر قصتهما [الكهف: 31 - 42]. قال المؤمن منهما في الجنة، الذي قال: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ).

[﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَءاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ أي: في وسط الجحيم.

قال بعضهم: فوالله لولا أن الله عرّفه إياه ما كان ليعرفه؛ لقد تغيّر حِبره وسِبره[1]. وقال مجاهد: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)][2] أي: شيطان.

ذكروا أن كعباً قال: إن بين الجنة والنار كُوًى، فإذا أراد الرجل من أهل الجنة أن ينظر إلى عدوّ له من أهل النار اطّلع فرآه، وهو قوله: (إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ) يعني المشركين. (وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ). قال الله: (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) (فَالْيَوْمَ) يعني في الآخرة (الذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ) أي: على السرر (يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال الحسن: هذه والله الدُّولة.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ أي: لتباعدني من الله. يقول: تالله لقد كدت تغويني. يقوله المؤمن لصاحبه. وقال مجاهد: يقوله المؤمن لشيطانه. ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴾ أي: الإسلام ﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ أي: معك في النار.

---

(1) «حِبره وسِبره» بكسر الحاء والسين وفتحهما، أي: جماله وحسن هيئته. وقيل في الحِبر: حُسن البَشَرة. وفي السبر: «ما عرف من هيئة الإنسان وشارته» وانظر اللسان (حبر) و(سبر)، وانظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج 1 ص 251 (حبر).

(2) سقط ما بين المعقوفين كله من ب و ع، فأثبته من سح ورقة 195، ومن ز ورقة 287. وهذا من فساد النساخ وعدم تثبتهم.

ثم قال: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ ﴾ وليس هي إلا موتة واحدة، التي كانت في الدنيا. كقوله: (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ) [النجم: 50] أي: لم تكن عاد قبلها. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ قاله على الاستفهام، وهذا الاستفهام على تقرير، أي: قد أَمِن ذلك.

ثم قال: ﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قال الله عز وجل: ﴿ لِمِثْلِ هٰذَا ﴾ [يعني ما وصف مما فيه أهل الجنة][1] ﴿ فَلْيَعْمَلِ الْعَـٰمِلُونَ ﴾.

ثم قال: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ أي: إنه خير نزلاً من شجرة الزقوم. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: للمشركين.

وكلُّ ما يذكر في السور المكّيّة من ظلم أو جرم أو فسق أو ضلال فهو فسق الشرك وظلمه وجرمه وضلاله خاصة. وما كان من السور المدنية فقد يذكر فيها ظلم النفاق وجرمه وفسقه وضلاله، ويذكر فيها ظلم الشرك وجرمه وفسقه وضلاله[2].

ذكروا عن بعضهم قال: لما نزلت هذه الآية دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقّموا. فما نعلم الزقّوم إلا هذا؛ فأنزل الله: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . . .) إلى قوله: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ).

ذكروا عن السدي قال: لما نزلت: (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) قالوا: ما نعرف هذه الشجرة، فقال عبد الله بن الزبعرى: لكني والله أعرفها، هي شجرة تكون بإفريقية. فلما نزل: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) قالوا: ما يشبه هذه التي يصف محمد ما يقول ابن الزبعرى.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 196.

(2) هذه الفقرة كلها من زيادات الشيخ هود الهواري، وهي غير موجودة في سح ولا في ز.

قوله: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ قال بعضهم: بلغنا أنها في الباب السادس، وأنها لتَحيَـا بلهيب النار كما يحيـا شجركم ببرد الماء. قال: فلا بد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، يعني من كان فوقها، فيأكلوا منها.

قوله: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَـٰطِينِ ﴾ أي: ثمرتها كأنها رؤوس الشياطين؛ يقبّحها بذلك. وقال بعضهم: رؤوس الثعابين، يعني الحيات[1].

قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ أي: لمزاجاً من حميم[2]، وهو الماء الحار، فيقطع أمعاءهم. كقوله: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد عليه السلام: 15]. والحميم الحار الذي لا يستطاع من حره. قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ كقوله: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) [الرحمن: 42] أي: قد انتهى حرّه.

قال: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُـمْ ضَالِّينَ ﴾ أي: وجدوا، أدركوا آباءهم ضالّين ﴿ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ أي: يسعون، والإهراع الإسراع. قال مجاهد: كهيئة لهرولة.

قوله: ﴿ وَلَقَد ضَلَّ قَبْلَهُمْ ﴾ أي: قبل مشركي العرب ﴿ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ ﴾ كقوله: (كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ) [الروم: 42]. قال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴾ أي: في الذين مضوا قبلهم، منذرين، يعني الرسل، أي: فكذبوهم. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: الذين أنذرتهم الرسل فكذّبوهم، أي: كانت عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

---

(1) وقيل: أريد برؤوس الشياطين ثمر الأَسْتَن. والأستن (بفتح الهمزة وسكون السين وفتح التاء) شجرة في بادية اليمن يشبّه شخوص الناس ويسمى ثمره رؤوس الشياطين، وإنما سمّوه كذلك لبشاعة مرآه، ثم صار معروفاً، فشبّه به في الآية. . . انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 23 ص 124.

(2) قال ابن أبي زمنين: «الشوب: المصدر، والشوب: الاسم، المعنى أن لهم على أكلها لَخِلطاً ومزاجاً من حميم».

قوله: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثنى من آمن وصدق الرسل[1].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحٌ ﴾ يعني حيث دعا على قومه ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ أي: فلنعم المجيبون نحن له، أي: أنجيناه وأهلكناهم. ﴿ وَنَجَّيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أي: من الغرق. ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ فالناس كلهم ولد سام وحام ويافث[2].

قال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ أي: أبقينا عليه في الآخرين الثناء الحسن. ﴿ سَلَمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [يعني ما كان بعد نوح][3] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخَرِينَ ﴾ يعني من سوى الذين كانوا معه في السفينة.

قال: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْـرَٰهِيمَ ﴾ أي: على منهاجه وسنته ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي: من الشرك. ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَءِفْكاً ﴾ أي: كذباً ﴿ ءَالِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ ﴾ على الاستفهام. أي: قد فعلتم ذلك فعبدتموهم دونه. ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: إنه معذّبكم.

قال: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ تفسير الكلبي: إنهم كانوا بقرية بين البصرة والكوفة يقال لها: هـرمزخرد[4]، وكانوا ينظرون في النجوم. فنظر نظرة في النجوم

---

(1) كأن المؤلف أوّل الآية هنا على قراءة من قرأ بكسر اللام من (الْمُخْلِصِين) وقراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي وغيرهم بفتح اللام، وهي قراءتنا، أي: الذين أخلصهم الله لعبادته ولولايته.

(2) أخرج الطبري في تفسيره ج 23 ص 67، وفي تاريخه، ج 1 ص 192 بسند عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) قال: سام وحام ويافث.

(3) زيادة من سح ورقة 197، ومن ز ورقة 288.

(4) وردت الكلمة في ب هكذا: «مومرحرد»، وفي ع: «من مرحرد»، وأثبت ما في سح ورقة 198 حيث جاءت مضبوطة هكذا: «هُرْمُزْخُرْد» بالخاء، وفي تاريخ الطبري، ج 1 ص 310، وج 3 ص 368: «هُرْمُزْجِرْد» بالجيم المكسورة، ولم يضبطها ياقوت في معجمه ضبطاً وافياً. وهي من قرى الأهواز، فتحها خالد بن الوليد صلحا سنة اثنتي عشرة للهجرة.

﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أي: مطعون[1].

﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ أي: إلى عيدهم. وذلك أنهم استدعوه[2] لعيدهم فعصب رأسه وقال: إني رأيت الليلة في النجوم أني سأطعن غداً، كراهية الذّهاب معهم، ولِمَا أراد أن يفعل بآلهتهم، كادهم بذلك. وهي إحدى الخطايا الثلاث التي قال عنها: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: 82]؛ قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ)، وقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا) [الأنبياء: 63]، وقوله لسارة: إن سألوك فقولي: إنه أخي.

قال الله: [﴿ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾][3] ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: فمال على آلهتهم ﴿ ضَرْباً بِالْيَمِينِ ﴾ فكسرها إلا كبيرهم وقد فسّرنا ذلك في سورة الأنبياء.

قال: ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى إبراهيم ﴿ يَزِفُّونَ ﴾ تفيسر الحسن: أي: يبتدرونه. وقال بعضهم: (يَزِفُّونَ) أي: يُرعدون إليه غضباً، وفي تفسير مجاهد: يعني النسلان [في المشي][4].

﴿ قَالَ ﴾ لهم إبراهيم ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ يعني أصنامهم ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: وما تعملون بأيديكم، أي: خلقكم وخلق الذين تنحتون.

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ وقد فسّرنا هذا كله في سورة الأنبياء[5].

---

(1) جاء في معاني الفراء، ج 2 ص 388: «وقوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) أي: مطعون، من الطاعون. ويقال: إنها كلمة فيها معراض [أي تورية] أي: إنه في كل من كان في عنقه الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر». وهو وجه حسن.

(2) كذا في ع: «استدعوه». وفي سح وز: «استتبعوه» أي: طلبوا منه أن يتبعهم.

(3) سقطت هاتان الآيتان مع تفسيرهما من المخطوطات الأربع. ويبدو أن الناسخ الأول تخطاها ناسياً فتبعه في ذلك من جاء بعده.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 543.

(5) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 76 - 78.

قال: ﴿ فأرَادُوا بِهِ كَيْداً ﴾ أي: بحرقهم إياه ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ أي: في النار.

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ أي: متوجه إلى ربي بعبادتي ووجهي ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ أي: الطريق، يعني الهجرة؛ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون هجرة لخيار أهل الأرض إلى مُهاجَر إبراهيم حتى لا يبقى على ظهرها إلا شرار خلقها، فتلفِظهم أرضوهم ويقذَرهم الله وتحشرهم النارُ مع القردة والخنازير[1].

قوله ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ قال الله: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ تفسير مجاهد: أدرك سعيه سعي إبراهيم في الشَدّ. وتفسير الحسن: بلغ معه سعي العمل، يعني قيام الحجة. وقال بعضهم: سعي المشي.

﴿ قَالَ يَـٰبُنَـيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّـٰبِرِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ [أي: استسلما لأمر الله][2]: أسلم إبراهيمُ نفسَه لله ليذبح ابنَه، وأسلم ابنُه وجهه لله ليذبحه أبوه. ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ قال بعضهم: وكبّه للقبلة ليذبحه. وتفسير الحسن: أضجعه ليذبحه وأخذ الشفرة.

ذكروا عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال: عند الجمرة الوسطى تَلّه للجبين؛ وعلى إسماعيل قميص أبيض فقال: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفّنني فيه غير هذا، فاخلعه عني حتى تكفنني فيه.

---

(1) كذا في ب و ع، وفي سح ورقة 200: «حتى لا يبقى على ظهرها إلا شرار أهلها تلفِظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله. . .». والحديث صحيح، وإن كان في سنده شهر بن حوشب، فقد ضعّف، أخرجه ابن سلام وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب سكنى الشام، (رقم 2842) عن عبد الله بن عمرو.

(2) زيادة من ز ورقة 288.

قال: ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وهذا وحي مشافهة من الملك. ناداه الملك من عند الله أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين[1].

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلَـٰٓؤُا۟ الْمُبِينُ ﴾ أي: النعمة البيّنة عليك من الله إذ لم تذبح ابنك[2].

قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: بكبش عظيم. وذكر عن مجاهد قال: متقبّل.

وذكـر أبو الطفيل عن ابن عباس قال: فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعْيَن، فذبحه.

ذكر بعضهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الذي فدي به إسحاق[3]. ذكروا عن الأحنف بن قيس قال: حدّثني العبّاس بن عبد المطلب أن الذي فدي إسحاقُ. ذكر الخليل بن مرة، يرفع الحديث إلى النبي عليه السلام أنه إسحاقُ.

وقال الحسن: بشر إبراهيم بإسحاق مرّتين: مرّة بولادته، ومرّة بأنه نبي. ذكر كيف أُرِيَ في المنام أن يذبحه، وكيف كان أراد ذبحه وكيف فُدِيَ فقصّ قصّته، ثم قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً) أي: بأنه نبيّ.

---

(1) جاء في معاني الفراء، ج 2 ص 390: «ويقال: أين جواب قوله: (فَلَمَّا أَسْلَمَا)، وجوابها في قوله: (وَنَادَيْنَاهُ) والعرب تدخل الواو في جواب (فَلَمَّا) و (حَتَّى إِذَا) وتلقيها، فمن ذلك قول الله: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَتْ) وفي موضع آخر: (وَفُتِّحَت) وكل صواب. . .».

(2) هذا وجه من وجوه تأويل الآية نسب إلى ابن السائب ومقاتل. وقيل: إن البلاء هنا بمعنى الاختبار، وهو قول نسب إلى ابن قتيبة وغيره. انظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 469. وتفسير غريب القرآن، ص 373.

(3) كذا في ع و ب و سح و ز، والذي في تفسير الطبري روايات عن ابن عباس، ونسب إليه قولان. فعكرمة يروي عن ابن عباس أن الذبيح إسحاق، ويروي كل من الشعبي وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء وغيرهم أن المَفدِيّ إسماعيل.

فمن جعل القصة كلّها لإسحاق فهو يقول: هو الذي أُمِر إبراهيم بذبحه وبشّره مرتين على هذا التأويل. ومن جعل القصة لإسماعيل فيقول: هو الذي أمر إبراهيم بذبحه. ويجعل القصة كلها له. ثم قال من بعد، أي: من بعد ما أرى في المنام ذبحه، وكيف أراه ذبحه، وكيف فدي، فقصّ قصته كلها، حتى انقضت قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ) كل هذا قالته العلماء، وقد فسّروه على ما وصفنا.

وأحقهم أن يكون إسماعيل هو الذي أمر إبراهيم بذبحه، وهو أوفق لما في القرآن[1].

قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ أي: وأبقينا عليه الثناء الحسن. قال الحسن: وسنةً يُقتَدى بها إلى يوم القيامة.

قال: ﴿ سَلٰمٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَـٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ ﴾ أي: مؤمن ﴿ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ أي: مشرك ومنافق[2].

قوله: ﴿ وَلَقَد مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ أي: بالنبوة ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أي: من فرعون وقومه ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُمْ ﴾ أي: على آل فرعون

---

(1) اختلاف المفسرين في الذبيح من هو اختلاف قديم بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولكل حجته. وقد رجح الطبري أن الذبيح إسحاق بعد أن روى أقوال من سبقه. وقد استوفى ابن كثير في تفسيره، ج 6 ص 28 - 31 الآثار المرويـة والحجج المعتمدة لكل فريق، فرجح أن الذبيح إسماعيل. ويبدو لي أن الصواب مع القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل لتضافر الروايات بذلك وقوة الحجج له. وهذا ما ذهب إليه الشيخ هود بن محكّم أيضاً، فالجمل الأخيرة في الموضوع له لا لابن سلام، لأنها لم ترد في سح ولا في ز. فهي من زيادات الشيخ هود ولا شك. وممن ذهب من المتأخرين إلى أن الذبيح إسماعيل العالم المحقق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ج 23 ص 165 - 160 مدعّماً رأيه بعشرة أدلة شافية مقنعة فارجع إليه تقرأ كلاماً ممتعاً نفيساً. والله أعلم.

(1) كلمة «منافق» غير واردة في سح و ز، فهي من زيادات الشيخ الهواري.

﴿ فَكَانُوا هُمُ الْغَـٰلِبِينَ ﴾ وكانا شريكين في الرسالة، وكان موسى أفضلَهما ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا الكِتَـٰبَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ أي: التوراة ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُمَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: الإسلام، وهو الطريق إلى الجنة. ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الأَخِرِينَ ﴾ أي: وأبقينا عليهما في الأخرين الثناء الحسن ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ أي: أتدعون ربّاً غير الله. وتفسير الحسن: كان اسم صنمهم بعلاً ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَـٰلِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَائِكُمْ الأَوَّلِينَ) وهي تقرأ بالنصب والرفع. فمن قرأها بالنصب فهو يقول: (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَائِكُم الأَوَّلِينَ) [فلا تعبدونه][1]؛ ومن قرأها بالرفع فهو كلام مستقبل؛ يقول: (اللهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ).

قال: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي: في النار ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثنى من آمن منهم. قال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ ﴾ أي: وأبقينا عليه، أي: على إلياس، الثناء الحسن في الآخرين.

قال: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَى ءَالِ يَاسِينَ﴾ قال الحسن: يعنيه ومن آمن من أمته. فمن قرأها بهذا فهو يريد هذا الذي فسَّرنا، [ومن قرأها موصولة (إِلْيَاسِينَ) يقول: هو اسمه الياسين وإلياس][2] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَـٰبِرِينَ ﴾ أي: غبرت، أي: بقيت في عذاب الله ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴾ وقد فسَّرنا كيف كان هلاكهم في غير هذا الموضع[3]. قال: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على منازلهم

(1) زيادة من سح، ورقة 201 للإيضاح.
(2) زيادة لا بد منها. وانظر في وجوه قراءات إلياس ما فصّله الفراء في المعاني، ج 2 ص 392.
(3) انظر ما سلف، ج 2 ص 240 - 243.

﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ أي: نهاراً ﴿ وَبِالَّيْـلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يحذره أن ينزل بهم ما نزل بهم.

قال: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ أي: الموقر بأهله، فرّ من قومه إلى الفلك. وكان فيما عهد يونس إلى قومه أنهم إن لم يؤمنوا أتاهم العذاب، وجعل العَلَم بينه وبينهم أن يخرج من بين أظهرهم وأن يفقدوه. فخرج مغاضباً لقومه، مكايداً لدين ربه، ولم يجز له ذلك عند الله، في تفسير الحسن. فخرج حتى ركب في السفينة. فلما ركبها فلم تسر قال أهل السفينة: إن فيكم لمذنباً. قال: فتساهموا فقُرِع يونس، وهو قوله: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي: من المقروعين. وقال مجاهد: من المسهومين. فأوحى الله إلى الحوت فالتقمه. وهو قوله: ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ وهذا تفسير الحسن.

[قال بعضهم][1]: وبلغنا والله أعلم أن يونس دعا قومه زماناً إلى الله، فلما طال ذلك وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا، فلما دنا الوقت تنحّى عنهم. فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول: يأتيكم العذاب غداً. [فسمعه رجل منهم، فانطلق إلى الملك، فأخبره أنه سمع يونس يبكي ويقول: غداً يأتيكم العذاب][2] فلما سمع ذلك الملكُ دعا قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: إن كان هذا حقاً فسيأتيكم العذاب غداً، فاجتمِعوا حتى ننظر في أمرنا؛ فاجتمعوا.

فخرجوا من المدينة من الغد؛ فنظروا فإذا بظلمة وريح شديدة قد أقبلت نحوهم، فعلموا أنه الحق. ففرّقوا بين الصبيان وبين أمهاتهم، وبين البهائم وبين أمهاتها، ولبسوا الشعر، وجعلوا التراب والرماد على رؤوسهم تواضعاً لله، وتضرّعوا

---

(1) فيما يأتي رواية ابن سلام بدون سند، وقد جاءت في سح و ز مبدوءة هكذا: «قال يحيى: وبلغنا...».

(2) سقط ما بين المعقوفين من ب و ع، وسياق القصة يقتضيه، وهو موجود في سح وفي ز.

إليه وبكواوآمنوا. فصرف الله عنهم العذاب. فاشترط بعضهم على بعض أن لا يكذب أحدهم كَذبة إلا قطعوا لسانه.

وذكر بعضهم أنهم لمّا رأوا الأمر غشيهم قامت فيهم الخطباء فقال الأول: اللهم إنك أمرتنا ألا نردَّ سؤَّالنا[1]، ونحن اليوم سؤَّالك فلا تردّنا. ثم قام الثاني فقال: اللهم إنك أمرتنا أن نعتق رقابنا، ونحن اليوم رقابك فأعتقنا. ثم قام الثالث فقال: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد أخطأنا وظلمنا أنفسنا فاعف عنا. فصرف الله عنهم.

فجاء يونس من الغد، فنظر فإذا المدينة على حالها، وإذا الناس داخلون وخارجون؛ فقال: أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم فلم يأتهم، فكيف ألقاهم؟ فانطلق حتى أتى إلى ساحل البحر فإذا بسفينة في البحر، فأشار إليهم فأتوا، فحملوه وهم لا يعرفونه. فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنّع ورقد.

فما مضوا إلا قليلاً حتى جاءتهم الريح وكادت السفينة تغرق، فاجتمع أهل السفينة ودعوا الله. ثم قالوا: أيقظوا هذا الرجل يدعو الله معنا. ففعلوا، فرفع الله عنهم تلك الريح. ثم انطلق إلى مكانه فرقد. فجاءت ريح كادت السفينة تغرق، فأيقظوه، فدعوا الله فارتفعت الريح.

فتفكّر العبد الصالح وقال: هذا من خطيئتي، أو قال: هذا من ذنوبي أو كما قال فقال لأهل السفينة: شُدُّوني وثاقاً وألقُوني في البحر. فقالوا: ما كنا لنفعل وحالك حالك، ولكنا نقترع فمن أصابته القرعة ألقيناه في البحر. [فاقترعوا فأصابته القرعة. فقال: قد أخبرتكم. فقالوا: ما كنا لنفعل، ولكن اقترعوا. فاقترعوا الثانية فأصابته القرعة، ثم اقترعوا الثالثة فأصابته القرعة][2]. وهو قول الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي: من المقروعين. ويقال: من المسهومين، أي: وقع السهم عليه.

---

(1) جمع سائل على وزن رُمّان، وهو السائل الفقير.

(2) زيادة لا بد منها، وقد سقطت من ب و ع، فأثبتها من سح.

فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي نفسه في البحر فإذا هو بحوت فاتح فاه، ثم جاء إلى ذنب السفينة فإذا بالحوت فاتحاً فاه، ثم جاء إلى جنب السفينة فإذا هو بالحوت فاتحاً فاه، ثم جاء إلى الجانب الآخر فإذا بالحوت فاغراً فاه. فلما رأى ذلك ألقى بنفسه، فالتقمه الحوت. فأوحى الله إلى الحوت: أن لا تأكل عليه ولا تشرب عليه، وقال: إني لم أجعله لك رزقاً، ولكن جعلت بطنك له سجناً، فلا تقطع له شعراً ولا تكسر له عظماً.

فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة فنادى في الظلمات كما قال الله: ﴿ أن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال الله: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ [الأنبياء: 87 - 88]. والظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت. قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وأوحى الله إلى الحوت أن يلقيه إلى البحر.

قال الله: ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ أي: وهو مريض مثل الصبي. فأصابته حرارة الشمس فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهي القرعة[1]، فأظلّته؛ فنام. فاستيقظ، وقد يبست. فحزن عليها. فأوحى الله إليه: أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن أهلك مائة ألف من خلقي أو يزيدون، أي: بل يزيدون. وبلغنا أنهم كانوا عشرين ومائة ألف. فعلم عند ذلك أنه ابتُلِي.

فانطلق فإذا هو بذَوْدِ غنم، فقال للراعي: اسقني لبناً، فقال: ما ها هنا شاة لها لبن. فأخذ شاة منها فمسح على ضرعها بيده، فدرّت بإذن الله. فشرب من لبنها. فقال له الراعي: من أنت يا عبد الله، لَتُخبِرَنِّي. قال: أنا يونس. فانطلق الراعي إلى قومه فبشّرهم به. فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم فلم يجدوا يونس. فقالوا: إنا قد اشترطنا لربّنا ألا يكذب أحد منا إلا قطعنا لسانه. فتكلّمت الشاة بإذن الله وقالت: قد شرب من لبني. وقالت شجرة كان قد استظل بظلّها: قد استظل بظلّي. فطلبوه

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 175: «كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدّبّاء والحنظل والبطيخ».

فأصابوه. فرجع إليهم. فكان فيهم حتى قبضه الله. وكانوا بمدينة يقال لها نينوى من أرض الموصل، وهي على دجلة.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: في دجلة ركب السفينة، وفيها التقمه الحوت، ثم أفضى به إلى البحر، فدار في البحر ثم رجع إلى دجلة، فثم نبذ بالعراء، فأرسل إليهم بعد ذلك. قال الله: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ).

قال الحسن: فأعاد الله له الرسالة فآمنوا عن آخرهم، ولم يشذّ منهم أحد. وقال مجاهد: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) قبل أن يلتقمه الحوت. قوله: (وَهُوَ مُلِيمٌ) أي: مذنب في تفسير مجاهد(1).

قال الله: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قال: فلولا أنه كان من المصلّين في الرخاء قبل ذلك. ويقال: إن العمل الصالح يقي الرجلَ مصارعَ السوء.

وقال الحسن: [أما والله ما هو بالمسبح قبل ذلك، ولكنه لما التقمه الحوت أنشأ يقول: سبحان الله، سبحان الله](2)، وقوله: (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أي: لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ فَنَبَذْنَـٰهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. ﴿ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي: بل يزيدون.

قوله: ﴿ فَئَامَنُوا ﴾ قد فسّرنا كيف كان إيمانهم في أول حديثهم. قال الله: ﴿ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى الموت، أي: إلى آجالهم، ولم يهلكهم بالعذاب.

(1) يقال: ألَامَ الرجلُ إلامة، فهو مُلِيم: إذا أتى ما يلام عليه. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 393: « (وَهُوَ مُلِيمٌ) وهو الذي قد اكتسب اللَّوْمَ وإن لم يُلَمْ. والمَلُوم الذي قد لِيمَ باللسان. وهو مثل قول العرب: أصبحتَ مُحمِقاً مُعطِشاً، أي: عندك الحمق والعطش. وهو كثير في الكلام».

(2) زيادة وتفصيل من سح ورقة 205، ففي ب و ع جاءت العبارة هكذا: «وقال الحسن: كان يسبح في بطنه».

قوله: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ أي: فاسألهم، يعني المشركين ﴿ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ وذلك لقولهم إن الملائكة بنات الله. قال: (وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ) أي: البنات (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ) أي: الغلمان (لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) [النحل: 62].

قوله: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلٰئِكَةَ إِنَـٰثاً وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴾ أي: لخلقهم، أي: لم نفعل، ولم يشهدوا خلقهم، وهو كقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) [الزخرف: 19] أي: لم يشهدوا خلقهم.

قال الله: ﴿ أَلاَ إِنَّهُم مِّن إِفْكِهِمْ ﴾ أي: من كذبهم ﴿ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ ﴾ أي: ولد البنات، يعنون الملائكة. قال: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

﴿ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ ﴾ أي: أختار البنات ﴿ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ أي: لم يفعل ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: حجة بيّنة، على الاستفهام ﴿ فَاتُوا بِكِتَـٰبِكُمْ ﴾ أي: الذي فيه حجّتكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: إن الملائكة بنات الله، أي: ليس لكم بذالك حجة.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً ﴾. ذكروا أن اليهود قالت: إن الله صاهر الجن فكانت من بينهم الملائكة. قال الله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي: مدخلون في النار ﴿ سُبْحَـٰنَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يكذبون.

وقال بعضهم: قال مشركو العرب: إنه صاهر الجن. وقال الجنُّ صِنف من الملائكة فكانت لـه منهم بنات.

قوله: ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: المؤمنين. وهذا من مقاديم الكلام يقول: (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) إلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ) يعني الذين جعلوا بينه وبين الجنة نسباً.

قوله: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾

[قال الحسن: ما أنتم عليّ بفاتنين، يا بني إبليس، إنه ليس لكم سلطان إلا على من هو صال الجحيم][1].

وبعضهم يقول: ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ أي: ما أنتم بمضلّين أحداً يا بني إبليس، إلا من هو صال الجحيم بفعله.

وبعضهم يقول: فإنكم، يعني المشركين، وما تعبدون، يعني وما عبدوا. ما أنتم عليه، أي: على ما تعبدونه، بمضلّين أحداً إلا من قدِّر له أن يصلى الجحيم بفعله[2].

قوله: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ هذا قول الملائكة، ينزّهون الله عما قالت اليهود حيث جعلوا بينه وبين الجنة نسباً، ويخبرون بمكانهم في السماوات في صفوفهم وتسبيحهم، وهو قوله في أول السورة ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفّاً ﴾ أي: ليس في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو قائم أو ساجد.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ يعني قريشاً ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: في كتاب مثل كتاب موسى وعيسى عليهما السلام ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: المؤمنين.

قال الله: ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ ﴾ أي: بالقرآن. يقول: قد جاءهم كتاب من عند الله، يعني القرآن فكفروا به. ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ أي: في الدنيا، وبالحجة في الآخرة. ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ تفسير الحسن: إنه لم يُقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد قط.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 207. وانظر في معاني الفراء، ج 2 ص 394 مختلف وجوه قراءة قوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾.

(2) هذه الكلمة الأخيرة «بفعله» من زيادات الشيخ هود، لا يفوته أن يسجل هذه اللطائف كعادته.

قوله: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾. نسختها آية القتال في سورة براءة: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 51] قال: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: فسوف يرون العذاب.

قال: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ ﴾ أي: فبئس ﴿ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ تفسير الحسن: إنه يعني النفخة الأولى، بها يهلك كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: إني لرديف أبي طلحة يوم فتحنا خيبر، وإن ساقي لتصيب ساق النبي ﷺ، وفخذي فخذه. فلما أشرفنا على خيبر قال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[1].

قال بعضهم في هذا الموضع من السورة: أظنه رجع إلى قصة اليهود في قوله: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً).

ذكروا عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر بغلس، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن؛ ثم ركب وركبنا معه، وأنا رديف أبي طلحة والريح تكشف عن ساق النبي ﷺ فتصيب ساقي ساقه وفخذي فخذه. فلما أتينا خيبر قالت اليهود: محمد والله والخميس، والخميس: الجيش، فقال النبي عليه السلام: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فأصبناها عنوة.

قوله عز وجل: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يعني إلى حين آجالهم][2] نسخها القتال، فهي مثل الأولى. ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾ أي: انتظر ﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: فسوف يرون العذاب.

---

(1) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر (رقم 1365) وأخرجه يحيى بن سلام مكرراً هنا لاختلاف طرقه فقد أخرجه مرة هكذا: حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك، ومرّة هكذا: حدثنا أشعث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك...

(2) زيادة من سح، ورقة 208.

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: عما يكذبون ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يعني الثناء الحسن][1] ﴿ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾.

ذكروا عن أبي هارون العبدي قال: سألت أبا سعيد الخدري: بِمَ كان رسول الله ﷺ يختم صلاته، فقال بهذه الآية: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ).

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: من سرّه أن يكتال بالمكيال الأَوْفى فليقل في دبر صلاته: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[2] و[3].

---

(1) زيادة من سح، ورقة 209.

(2) جاء في آخر المخطوطة الموجودة في مكتبة القطب ببني يسجن، والتي رمزنا لها بحرف الباء: ب ما يلي: «تمّ الربع الثالث من تفسير كتاب الله العزيز المضاف إلى الشيخ الأستاذ هود بن محكم رحمه الله على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني به عمن سواه سليمان بن أبي القاسم بـن سليمان النفوسي لطف الله به، لعمنا أبي القاسم بن الناصر الغرداوي، ووافق الفراغ منه نهار يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله المبارك رمضان من عام الثاني (كذا) بعد ألف من هجرة النبي عليه السلام من مكة المكرمة، والحمد لله رب العالمين».

(3) وجاء في آخر مخطوطة العطف التي رمزنا لها بالحرف ع ما يلي: «كمل الربع الثالث من كتاب الله العزيز تفسير الأستاذ هود بن محكم رحمه الله».

فهرس الجزء الثالث



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها: الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان .

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 90/10/3000/158

التنضيد : كومبيوتايب / بيروت

الطباعة :  مؤسسة جواد للطباعة والتصوير

هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٣٧٧٠٢ - بيروت - لبنان